جغرافية العالم المعاصر

جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي

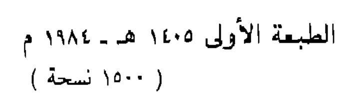
الدكتور عبد الرحمن حميدة

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي





الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م
(١٥٠٠ نسخة)

سورية ـ دمشق ـ شارع سعد الله الجابري ـ ص.ب (٩٦٢) ـ س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ ـ برقيا : فكر ـ تلكس Tx FKR 411745 Sy

الصف التصويري : على أجهزة C.T.T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

المقدمة

أخي القارئ الكريم :

أضع بين يديك الجزء الثالث من سلسلة « جغرافية العالم المعاصر » الذي يحمل عنوان « أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي » ، والذي يخرج عن المألوف الدارج في التسمية الشائعة في بعض كتب الجغرافيا الإقليمية العربية أو الأجنبية ، من التي يتوجها عنوان « جغرافية القارات » .

لقد أصبح عالم اليوم ، في الواقع ، مؤلفاً من كتل تتجاوز حدودها الدولية بل والقارات التي تنتسب إليها ، كتل ثلاث هي العالم الأول أو العالم المتقدم ، أي الأقطار الصناعية في أوروبا الغربية ، واليابان وتايوان « الصين الوطنية » وهونغ كونغ ، وسنغافورة ، وكوريا الجنوبية في قارة آسيا ، والولايات المتحدة وكذلك في أمريكا الشمالية ، وأوستراليا ونيوزيلندة في قارة أوقيانوسيا ، في حين تتألف الكتلة الثانية من العالم الاشتراكي المصنّع industrialisé أي يشمل كل دول أوروبا الشرقية وجمهورية منغوليا الشعبية والاتحاد السوفييتي .

وأخيراً هناك كتلة « العالم الثالث »[1] أو عالم الجنوب أو العالم التالي الخ ... ويضم حوالي ثلاثة أرباع عدد دول العالم وسكانه أو أكثر من مائة دولة ، موزعة على سائر القارات ، باستثناء أوروبا ، وجرى مؤخراً تمييز دول العالم الرابع والعالم الخامس ، ولاسيما بعد أزمة الطاقة بعد عام ١٩٧٣ ، ولا مجال هنا للبحث في عوامل تخلف هذه الشعوب[2] .

---

(١) ترجمة خاطئة لعبارة tiers - monde التي ظهرت أثناء الثورة الفرنسية وتعني عامة الشعب أي الذين هم من غير النبلاء ورجال الأكليروس وفي هذه العبارة ما فيها من استخفاف وازدراء مما يستدعي استعمالها بحذر شديد .

(٢) جغرافية التخلف أيف لاكوست . دار الحقيقة بيروت . ترجمة المؤلف .

والهدف الأسمى الذي أبتغيه من وراء تقديم هذا الكتاب هو التعرف على الكتلة الثانية التي تضم حوالي ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة ، والتي تبنّت النظام الاشتراكي ، في الاقتصاد وفي التربية وفي السياسة ، وإن كانت تتلاقى مع النظام الرأسمالي ، أو الليبيرالي ، في سعيها الحثيث لبلوغ مرحلة التقدم التكنولوجي والتخلص من كل أعراض التخلف بعد تحقيق الإقلاع décollage .

وقد حاولت ـ قدر استطاعتي ـ أن آكون منصفاً ، متجرداً ، في هذه الدراسة الحرجة ، فذكرت المنجزات أو « النجاحات » مثلما لم أغفل التعرض للسلبيات وبعض مظاهر الفشل ، لأن الحقيقة هي الحقيقة ، تقفز للعيان ولا يجوز أن يتجاهلها إنسان والله هو المستعان .

عبد الرحمن حميدة
دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون
رئيس قسم الجغرافيا في كلية الآداب بجامعة دمشق

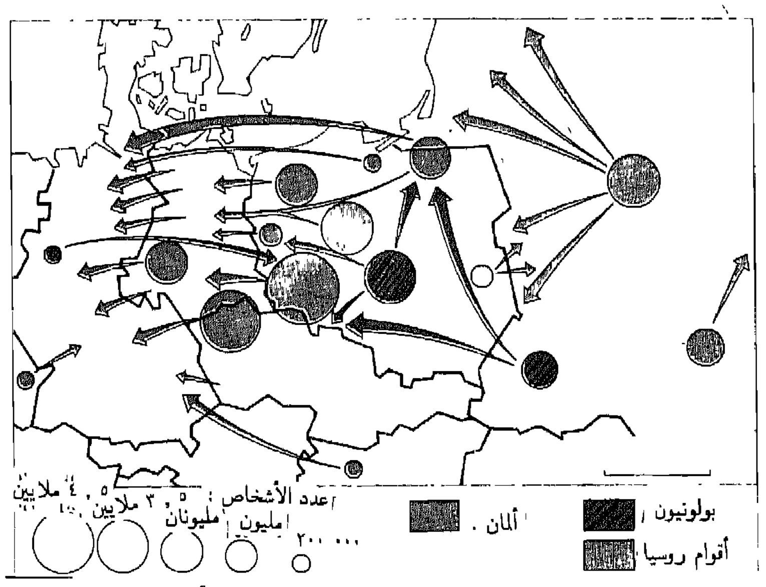
أقطار أوروبا الشرقية

كيانات ما بعد الحرب

لقد تكشّفت نهاية الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥ ؛ وبسرعة كبيرة جداً ، عن اختلافات فيما بين الحلفاء جعلتهم يتفقون على تحاشي استفحالها قبل استسلام ألمانيا واليابان . وهكذا وبينما كانت الولايات المتحدة برئاسة ترومان تتدخل بشكل صارخ ، وبصورة متزايدة ، في شؤون العالم ، كان الاتحاد السوڤياتي يستحوذ على رقعة واسعة في أوروبا الوسطى .

لقد نجم عن اتفاقيات بوتسدام ، في شهري تموز وآب ١٩٤٥ ، تحديد مناطق الاحتلال في ألمانيا : فكانت المنطقة السوفياتية هي التي تنطبق على المدى الذي بلغته الدبابات السوڤياتية في وقت استسلام ألمانيا . وجاءت معاهدات باريس في عام ١٩٤٧ كي تكرس رسمياً هذه الحدود الجديدة القائمة في أوروبا الشرقية . وقد أدت هذه التعديلات الحدودية والأرضية إلى حركات هجرة سكانية بعيدة المدى . وهكذا غادر ١٥ مليون ألماني بولونيا وتشيكوسلوڤاكيا ... وبذلك تعرضت أوروبا الوسطى إلى وجود أعداد هائلة عائمة من السكان مؤلفة من اللاجئين الذين كان من العسير إعادة توطينهم ودمجهم في أقطار دمرتها الحرب (شكل ١).

وقد استغل الظافرون هذا الوضع . ففي ظرف معادٍ للألمان نادى الاتحاد السوڤياتي بالتضامن السلافي ، جاعلاً من بولونيا ، على الخصوص ، ومن تشيكوسلوڤاكيا أيضاً ، دولتين مدينتين له بالفضل بضمان حدودهما الجديدة ضد أي (انحرافية) . أما الغربيون فقد راحوا ، على عكس ذلك ، يحاولون استغلال



الانتقالات الرئيسية للسكان في أوروبا بعد ١٩٤٥

الشكل (١)

الحقد الألماني . وهكذا نشبت (الحرب الباردة) التي أدت إلى شطر أوروبا إلى شطرين يفصل بينهما حاجز كتيم من الحدود دعاه الغربيون (الستار الحديدي) .

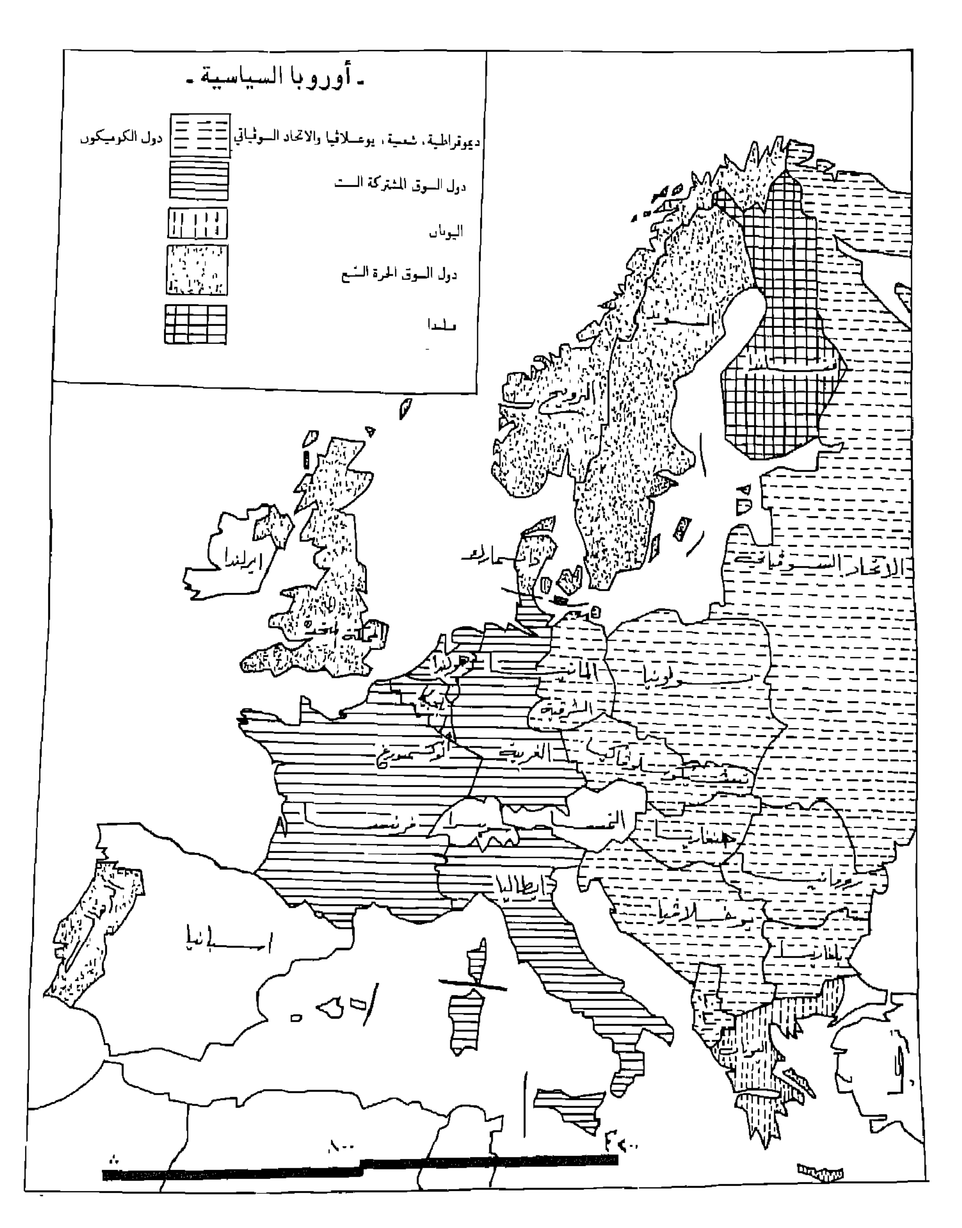
وكان عام ١٩٤٧ عام القطيعة . ففي شهر آذار نادى الرئيس ترومان بسياسة (الاحتواء) ، أي مساعدة الأقطار المهددة بالتبعية نتيجة الضغوط السوفياتية . وهكذ اعتبرت موسكو عرض الجنرال مارشال (مخطط العون والإعمار) على كل أوروبا في شهر حزيران ، تدبيراً معادياً للسوفيات . وعليه رفضت الجمهوريات الديموقراطية هذا العرض الأمريكي ، ما عدا يوغوسلافيا التي رفضت وصاية السلطة السوفياتية ، مما أدى إلى طردها من المعسكر الاشتراكي في حزيران ١٩٤٨ . وقد أدى نشوء (الكومونفورم) في أيلول عام ١٩٤٧ إلى تقوية الهيمنة السوفياتية التي أحكمت حلقاتها بإنشاء (الكوميكون) ، أو مجلس العون

الاقتصادي المتبادل الذي سيكفل الوحدة الاقتصادية بين أقطار الشرق .

وهكذا أدّت أزمة أوروبا في نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولا سيما الفراغ السياسي في أوروبا الوسطى ، لأن البورجوازية الوطنية تعاونت مع العدو النازي ، أو خيّبت آمال التطلعات الشعبية ، فضلاً عن تكوين (تكتلات) ضمن إطار الحرب الباردة ، أقول أدت هذه الأزمة إلى نشوء أوروبا شرقية اشتراكية (شكل ٢) ، تولدت عن الظروف ، وسائرة ضمن فلك الاتحاد السوڤيتي ومنعزلة عن العالم الغربي بما سمّي بـ (الستار الحديدي) الممتد من بحر البلطيك إلى البحر الآدرياتيكي . وقد أظهرت (أحداث) براغ في عام ١٩٤٨ ، وبرلين في ١٩٥٣ ، وفارسوڤيا وبودابست في ١٩٥٦ وبراغ من جديد في ١٩٦٨ ، وفارسوفيا من جديد في ١٩٨١ و ١٩٨٢ أن موسكو ، المستندة على حلف وارسو العسكري الموقع في ١٤ أيار ١٩٥٥ ، كانت ترغب في الحفاظ على وحدة أوروبا الشرقية .

أوروبا الشرقية في عام ١٩٨١

اسم الدولة	مساحتها بالكم٢	سكانها بالآلاف	الدخل القومي الخام للفرد بالفرنكات الفرنسية والدولار
جمهورية ألمانيا الديموقراطية	١٠٨١٧٨	١٦٧٤٠	٢٥٦٠٠ = ٥١٠٠ دولار
بولونيا	٣١٢٦٧٧	٣٥٩٤٠	١٦٩٠٠ = ٣٣٨٠ دولار
تشيكوسلوفاكيا	١٢٧٨٦٦	١٥٣١٠	٢٢٢٠٠ = ٤٤٤٠ دولار
هنغاريا	٩٣٠٣٠	١٠٧١٠	١٣٨٠٠ = ٢٧٦٠ دولار
رومانيا	٢٣٧٥٠٠	٢٢٤٦٠	٨٣٠٠ = ١٦٦٠ دولار
بلغاريا	١١٠٩١٢	٨٨٩٠	١٣٩٠٠ = ٢٧٨٠ دولار
يوغوسلاڤيا •	٢٥٥٨٠٤	٢٢٥٢٠	١٠٣٠٠ = ٢٠٦٠ دولار
الاتحاد السوڤياتي	٢٢٤٠٢٢٠٠	٢٦٧٧٠٠	١٦٠٠٠ = ٣٢٠٠ دولار
(فرنسا)	٥٥١٦٩٥	٥٤٢٥٧ (١٩٨٢)	٣٩٠٠٠ = ٧٨٠٠ دولار



ـ أوروبا السياسية ـ
دول الكوميكون
ديموقراطية، شعبية، يوغسلافيا والاتحاد السوفياتي
دول السوق المشتركة الست
اليونان
دول السوق الحرة السبع
ايرلندا
اسبانيا
ايطاليا
الاتحاد السوفياتي

الشكل (٢)

اتفاقيات بوتسدام : جرت المفاوضات بين ترومان وستالين وتشرشل والتي بين ١٧ تموز إلى ٢ آب ١٩٤٥ . وكان الهدف منها تطبيق أسس السلام بصورة ملموسة ، والتي تم الاتفاق عليها سابقاً في يالطا في شهر شباط ١٩٤٥ . وكانت المنافسات قد تفوقت على روح التعاون ولم يتفق الحلفاء على أكثر من تسويات .

استسلام ألمانيا : ٨ أيار ١٩٤٥

استسلام اليابان : ٢ أيلول ١٩٤٥

خط اودر نياسّه : ويشكل الحدود الحالية بين بولونيا وجمهورية ألمانيا الديموقراطية . وقد تم وضع هذا المبدأ في يالطا وأصبح مقبولاً بصورة موقتة في بوتسدام . وقد تم الاعتراف بهذا التخم السياسي رسمياً في عام ١٩٥٠ من قبل جمهورية ألمانيا الديموقراطية ولم تقبل به ألمانيا الاتحادية إلاّ في عام ١٩٧٠ بموجب معاهدة وارسو .

الحدود السوڤيايتة : لقد اندفع الاتحاد السوڤيتي نحو الغرب بعد فوزه على ألمانيا الهتلرية في الحرب العالمية الثانية وكان هذا الاندفاع سلاڤياً واشتراكياً في آن واحد وعليه :

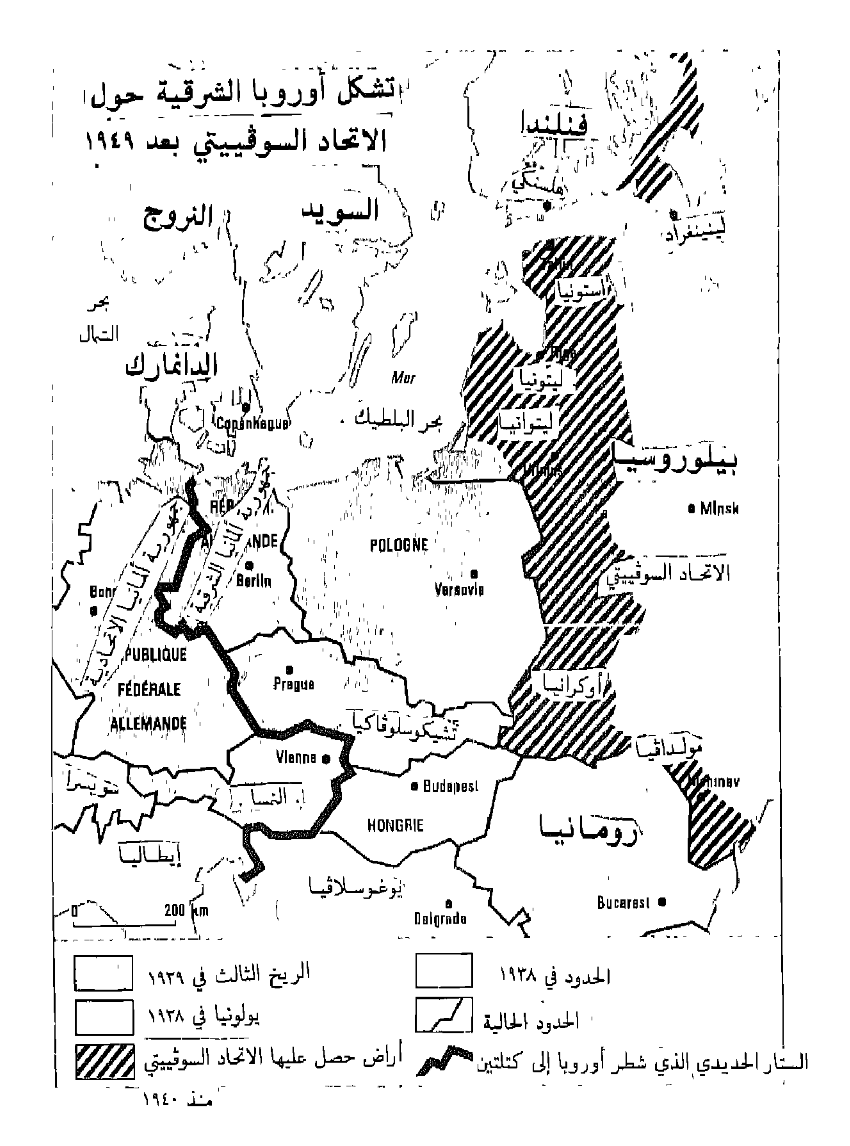
- استرد الاتحاد السوڤيتي تقريباً كل الأراضي التي خسرتها روسيا في عام ١٩١٧ .
- خضعت بولونيا لعملية انزلاق في اتجاه الغرب والذي منحها ٤٠٠ كم من ساحل البلطيك .

- تحولت منطقة الاحتلال السوڤياتية في ألمانيا إلى جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، بيما تحولت المنطقة التي احتلها الغربيون إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية (شكل ٣) .

الحرب الباردة : اسم أطلق على الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الثانية حتى بداية الستّينات ، والمتّصفة بالنزاعات الايديولوجية ، والسياسية والاقتصادية ، والتي شطرت العالم إلى كتلتين وافعتين تحت هيمنة (الدولتين الأعظمين) وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

مخطط مارشال : وهو اسم أطلق على مخطط المعونة الأمريكية والذي اقترحه في الخامس من حزيران ١٩٤٧ سكرتير الدولة الأمريكية جورج مارشال على كل دول أوروبا بما في ذلك الاتحاد السوڤيتي . وقد عمل هذا المخطط على تسارع شطر أوروبا إلى كتلتين . ولكن عدد الدول التي قبلت العرض المذكور لم يتجاوز ست عشرة دولة أوروبية .

الكومونفورم : مكتب الاستعلامات لدى الأحزاب الشيوعية ، وقد أنشئ في عام ١٩٤٧ كَرَدٍ على سياسة الاحتواء الأمريكية ويقضي بالانقياد إلى الاتحاد السوڤيتي في كفاحه ضد الامبريالية . وقد تم حلّه في عام ١٩٥٦ بعد أن أصبح عديم الجدوى .



الشكل (٣)

الستار الحديدي : عبارة استعملها تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية للإشارة إلى خط التقسيم بين أوروبا الاشتراكية في الشرق وبين أوروبا الليبرالية في الغرب .

تاريخ قيام الديموقراطيات الشعبية :

في ٢٩ تشرين التاني	١٩٤٥	. يوغوسلاڤيا
١٥ أيلول	١٩٤٦	: بلغاريا
١٩ كانون الثاني	١٩٤٧	: بولونيا
٣٠ كانون الأول	١٩٤٧	: رومانيا
٩ أيار	١٩٤٨	: تشيكوسلوڤاكيا
٢٨ آب	١٩٤٩	: هنغاريا
٧ تشرين الأول	١٩٤٩	: جمهورية ألمانيا الديمقراطية

كتلة اقتصادية وسياسية : الكوميكون .C.A.E.M

تنتظم دول أوروبا الشرقية تدريجياً ضمن منظومة تتلاحم فيما بينها أكثر فأكثر ، وحيث لا يمكن فصل الايديولوجيا عن السياسة والاقتصاد إطلاقاً . وهكذا يلعب مجلس العون الاقتصادي المتبادل دوراً هاماً في هذه الرقعة الجيوبوليتيكية والتي تتألف من أقطار الشرق .

منظمة اقتصادية ناجعة بصورة متزايدة :

وقد أنشئت في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٤٩ في مؤتمر موسكو ، وهي ، من حيث النظر إلى أحد جوانبها ، عبارة عن ردّ على كتلة أوروبا الغربية التي التأم شملها حول مخطط مارشال ، والذي رفضه الاتحاد السوڤيتي والدول السائرة في ركابه بتاريخ ٢ تموز ١٩٤٧ ، ولم يكن في البداية أكثر من تجمّع ، أو قل نوع من (تعاونية) لا كيان لها ، تؤكد على ضرورة العون المتبادل (الديموقراطي) في فترة إعادة البناء الاقتصادي . ويمكن النظر إلى هذه المبادرة على أنها توفر للاتحاد السوڤيتي السيطرة على منحدره الاستراتيجي .

وفي أعوام الستينات تغيرت الأوضاع العامة . وراح الاتحاد السوڤيتي يطبق سياسة التراجع عن الستالينية ، وأخذت الجمهوريات الديموقراطية تهتم بالتأكيد على هويتها . وهكذا طرأ تحول على الكوميكون . وقام خروتشيف في عام ١٩٦٢ ينادي بمبدأ « التقسيم الاشتراكي الدولي » للعمل ، ويقصد بذلك عَقْلَنة الأنشطة الاقتصادية الاشتراكية . وهكذا ظهرت منظمات دائمة : مثل المنظمات المركزية التي استقرت في موسكو ضمن عمارة جديدة من فولاذ وخرسانة وزجاج ، ومؤسسات تقنية لا مركزية في عواصم الديموقراطيات الشعبية حسب

التخصّصات الاقتصادية القوميـة شـأن لجنـة الفحم في فـارسوفيـا ولجنـة الغـاز في بخارست .

غير أن الكوميكون يظل دوماً عبارة عن تجمع اقتصادي :

وذلك لأن الهدف منه التنسيق بقصـد جعل مجموع اقتصـاديـات الكوميكون يسير قُدُماً نحو الأمام وذلك :

بالتخصص في نوعيـة الإنتـاج : وكانت أكثر النتـائج أهميـة التي أمكن الحصـول عليهـا في مجـال الصنـاعـة الميكانيكيـة ، وذلـك بفضـل معهــد المعــايرة Standarisation الـذي اختصر مثـلاً نمـاذج الأوتـوبـوســات النــاتجــة في بلــدان الكوميكون إلى خمسـة ، وكانت هنغـاريـا أهم دولـة منتجـة في هـذا المجـال بفضل باصاتها التي تحمل ماركةIkarus ايكاروس .

وبتشجيـع المبـادلات : كإنشـاء بنـك التعـاون الاقتصــادي الـدولي في عام ١٩٦٤ ، وإيجاد الروبل القابل للتحويل ، وإنشاء البنك الدولي للاستثمـار في عام ١٩٧١ ، كما أنشئت مؤسسات عديدة مثل آنترميتال ، وآنترشيم للكيمـاويـات ، وآنترآتوم للطاقة النووية ، وذلك للتعاون في ميدان الصناعة المعدنية والكيمـاويـة والنووية .

وبتنسيق برامج التخطيـط القومي : التي أصبحت متزامنـة من الآن فصاعداً مثل مخططات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ . ولكن يظل مبدأ عدم التـدخل مطبقـاً ، ولا يقصد بذلك بداية إدماج اقتصادي أو سوق مشتركة .

غير أن الكوميكون يؤثر بشدة ، ضمن هذه الحـدود ، على الاقتصـاد القومي لكل الدول الشرقية ، وذلك بإدراجها ضمن إطار اشتراكي دولي . وتعكس التجـارة الخـارجيـة هـذه الهيمنـة التي ظلت حتى عـام ١٩٧٠ تنـدمـج مـع تجـارة الاتحــاد السوفيتي . وبعـدئـذ ظهر اتجـاه نحو الانفتـاح بـاتجـاه الغرب ، وذلـك لأن نظـام

الكوميكون المغلق لا يستطيع أن يغطي كل احتياجات اقتصاد دول متفاوتة في تطورها وشديدة الحساسية بالشعور القومي على الدوام .

وجهتا نظر حول الكوميكون : أخوة عمالية في أرض سيبيرية :

تشترك سيبيرية منذ أمد طويل في التقسيم الدولي للعمل ، ولكن وللمرة الأولى ، يجري العمل بفضل الجهود المتضافرة للأقطار الاشتراكية في إقامة إحدى أكبر المؤسسات العالمة فوق هذه الأرض العبوسة ، وهو مركّب الصناعة الغابيّة في اوست ايلّيمسك .

وسيقوم مركّب اوست ايلّيمسك ، الذي تم بناؤه بصورة مشتركة ، بإمداد كل الأقطار المشتركة ببنائه بالمواد الأولية بانتظام خلال حقبة طويلة من الزمن وهي : بلغاريا ، هنغاريا ، ألمانيا الديموقراطية ، بولونيا ، الاتحاد السوڤيتي ، ورومانيا . وسيسمح بتغطية كل حاجات استيراد السيللولوز من النوعية العالية . وستتلقّى كل من الدول الأعضاء وسطياً مقدار ٥٠٠٠٠ طن في العام ، وهو ما يكفي لنشر ٣٠٠ مليون نسخة من الكتب المطبوعة فوق ورق من نوعية جيدة .

وسيقوم مصنع اوست ايلليمسك بدفع نمو الثقافة إلى حد عظيم ولا سيا في ميدان النشر ضمن أقطار الجماعة الاشتراكية .

عن مجلة لنبن معاً . دار نوڤوستي . موسكو . ١٩٧٩

الكوميكون : عيد ثلاثيني مكفهر :

لقد احتفل مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل (الكوميكون) في عام ١٩٧٩ بالذكرى التلاثين لتأسيسه . وفي الواقع لقد كان الاهتمام الرئيسي لدى المسؤولين هو النفط . لأن بلدان الكوميكون وجدت نفسها أمام ضرورة الاقتصاد في مواردها الطاقيّة وأن تبحث عن بدائل للنفط ، حتى لقد وافق رئيس الحكومة السوڤياتية على أن المعسكر السوڤياتي ذاته لن يَسْلَم من المصاعب الناجمة عن الأزمة النفطية .

وقد ازدادت التبعية الاقتصادية والمالية والتكنولوجية لدى شركاء الاتحاد السوڤيتي ، خلال السنوات الأخيرة ، تجاه « الأخ الأكبر » الذي يقدم ٨٠٪ من حاجاتها من النفط . والواقع يدفع الزبائن الاشتراكيون للاتحاد السوڤيتي شطراً من قيمة النفط على شكل مصنوعات استهلاكية بأثمان فيها غبن ، وهم يساهمون أيضاً في أعمال الاستغلال والنقل ولا سيا بقروض ذات فائدة منخفضة ، في حين يجدون سيولات نقدية في سوق الأورو دولار حيث تكون الفوائد أكثر ارتفاعاً .

عن د . ڤ . جريدة لموند

الحصيلة الاقتصادية والاجتماعية ١٩٧٩

الكوميكون : تجمع مفتوح ويشهد على ذلك تطور عدد الأعضاء :

١٩٤٩ : الاتحاد السوڤيتي . بلغاريا . هنغاريا . بولونيا . رومانيا . تشيكوسلوڤاكيا وألبانيا التي انسحبت في عام ١٩٦٣ .

١٩٥٠ : انتساب جمهورية ألمانيا الديموقراطية .

١٩٥١ : انتساب جمهورية منغوليا الشعبية التي تم قبولها أخيراً في عام ١٩٦٢ .

١٩٥٦ : انتساب جمهورية الصين الشعبية التي انسحبت في عام ١٩٦٣ .

١٩٦٣ : انتساب كوبا التي قبلت أخيراً في عام ١٩٧٢ .

١٩٧٨ : انتساب ڤيتنام .

ملاحظة : لقد أصبح ليوغوسلاڤيا منذ عام ١٩٦٤ كيان خاص كعضو حر ذي صوت استشاري ، في حين اعتبرت كوريا الشمالية وأنغولا ولاؤوس وأثيوبيا كأعضاء « مراقبين » .

ويضم الكوميكون اليوم ١٠ أعضاء أو ٤٢٧ مليون نسمة تبلغ مساحة أقطارهم ٢٥,٤ مليون كم^2 .

أمثلة عن التعاون ضمن إطار الكوميكون

- انبوب بترول الصداقة (دروجبا) الذي يمد أقطار أوربا الشرقية بالنفط الخام السوڤيتي .

- انبوب غاز الوحدة (سويوز) الذي يروي أقطار الديموقراطيات الشعبية من غاز سيبيريا الغربية .

- الشبكة الكهربائية (مير) أي السلام والتي تسمح ببداية تبادلات في داخل الكوميكون وذلك بالاستفادة من اختلاف توقيت الحزم الساعية .

- برنامج الفضاء : ففي ٢٩ أيلول ١٩٧٨ جرى إطلاق سفينة الفضاء سوليوت ٦ التي ظلت في الفضاء حتى ١٦ آذار ١٩٧٩ وقد استقبل خلالها ملاّحا الفضاء السوڤياتيان « زيارة » ثلاثة ملاحي فضاء أحدهما تشيكي والثاني بولوني والأخير ألماني .

- إنشاء وتشغيل المركّب النحاسي « رادومت » في منغوليا .

الروبل القابل للتحويل : عملة حسابية غير قابلة لتحويلها إلى نقد وتسمح بتسديد الاستيرادات والصادرات بين أقطار الكوميكون .

النمط السوفياتي

لقد تمّ وضع هذا النمط تدريجياً اعتباراً من عام ١٩١٧ وجرى تنظيمه وتطويره على يد ستالين خلال الثلاثينات واقتُرِح وعُرِضَ كنمط على أقطار أوربا الشرقية بعد عام ١٩٤٥ .

وقد اتخذ شكله على عدة مراحل : ففي عام ١٩١٧ كانت روسيا ، ظاهرياً ، أقل الدول استعداداً لتحقيق تجربة جماعية . فقد تصور كارل ماركس دائماً بأن الاشتراكية ستقوم في دولة رأسمالية ومتصنّعة مسبقاً . غير أن روسيا كانت دولة زراعية عند نشوب الثورة ، آخذة بأسباب التصنيع ضمن إطار تبعية للخارج لأن نصيب رؤوس الأموال الروسية كان محدوداً جداً . وجاءت الحرب العالمية الأولى فقوضت أركان الاقتصاد القائم بسرعة . وهكذا وبعد محاولة لإدخال النظام الجماعي الشامل بين ١٩١٧ و ١٩٢١ عرضت إدارة « السياسة الاقتصادية الجديدة » أوN.E.P ، فترة توقف امتدت حتى عام ١٩٢٨ مع عودة لبعض أشكال الرأسمالية . وبعد أن أصبح ستالين سيد الاتحاد السوفيتي في الثلاثينات أخذ يعمل على توطيد دعائم النظام السوفياتي ؛ السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي والذي مثّله بالاشتراكية .

ويقوم **التخطيط السوفياتي** على الملكية الجماعية لأدوات الإنتاج . أما الملكية الفردية فلا تظل إلا بالنسبة لسلع الاستهلاك . وهكذا جرى تأميم كل الإنتاج الصناعي ، كما أصبحت الأراضي ملكية جماعية على شكل مزارع الدولة ؛ أي سوفخوز ، أو تعاونيات ، أي كولخوز . وأصبحت التجارة احتكاراً بيد الدولة سواء في الداخل أو في الخارج باستثناء الأسواق الكولخوزية .

وفي أوضاع كهذه يصبح من الممكن تطبيق المخطط العلوي على الاقتصاد إجمالاً . فهو لا يتعلق بالسوق ولا بالقرارت الهامشية أو الإقليمية ، بل بالاختيارات وبالطرائق التي رسمتها السلطة المركزية فحسب . ويتم نشر المخطط العام ، الذي يقترحه الغوسبلان بعد تصديقه من قبل مجلس الوزراء ، والسوفيات الأعلى ، ومؤتمر الحزب ، على شكل مخطط لخمس سنوات ، مقسّم إلى مخططات سنوية قابلة للتعديل وللتكييف . وظل هذا النظام هو المطبق خلال كل الفترات الستالينية . وبعد وفاة ستالين في عام ١٩٥٣ بدت ملامح تطور بطيء .

وهكذا اتخذ شكل**إصلاحات اقتصادية** أصبحت ضرورية بسبب عدم تواؤم أشكال الإدارة مع صفات اقتصاد أصبح صناعياً ومتقدماً . وأصبح مفهوم العائدية الاقتصادية ، أي الربح ، جوهرياً . ولم يكن ذلك إطلاقاً عبارة عن تراجع عن التخطيط بل أسلوباً جديداً لتقدير النجاعة الحقيقية للاقتصاد الاشتراكي . وقد امتدت هذه « الإدارة الاقتصادية الجديدة » التي تدعى أحياناً « إصلاح ليبرمان » في الغرب ، بصورة تدريجية بعد عام ١٩٦٥ . ولم يكن هذا التطور عديم الصدى في أوروبا الاشتراكية .

ولكن إذا كان تطبيق الطرائق قد تبدل في التفاصيل ، فإن الصناعة ، ولاسيا الصناعة الثقيلة ، التي تقدم سلع التجهيز ، فقد ظلت أساس الاقتصاد السوفيتي . وهكذا يتمحور الأسلوب الذي عرضه الاتحاد السوفيتي على الأقطار التي دخلت بعد عام ١٩٤٥ في الكتلة الاشتراكية حول موضوعين رئيسيين هما : التصنيع والجماعيةCollectivisation . وعندئذ كان تبنّي هذا النمط الاقتصادي يستدعي أيضاً الانحياز السياسي . وعن هذا ينجم الكثير من المصاعب في التطبيق .



ليبرمان ايفزي غريغور يقتش : ولد في اوكرانيا عام ١٨٩٧ وعين أستاذاً في جامعة خاركوف في ١٩٥٧ . وهو أكثر رجال الاقتصاد السوڤيات شهرة بالغرب - مثل بيرمان وتتشينوف - الذين طرحوا على بساط البحث مبادئ التخطيط الستاليني . وقد بلغ شهرته بعد مقالين نشرهما في عام ١٩٦٢ ، مع ترخيص من خروتشوف نفسه ، في جريدة پراڤدا وعنوانها « مكان وربح وعلاوة » وانتقد البيروقراطية الناتجة عن المركزية المفرطة واقترح معياراً جديداً لتقدير نجاعة المؤسسات السوڤيتية وهو : تحقيق الربح الذي سيحل محل المعيار القديم وهو إنجاز المستويات المادية الإنتاجية التي حددها المخطط .

وقد أوحت هذه الموضوعات بزمرة من الاصلاحات التي تجسدت بنظام ١١ تشرين الأول ١٩٦٥ ، والتي أطلقت بصفة تجريبية « التسيير الاقتصادي الجديد » والذي امتد بعدئذ على سائر النشاط السوڤيتي .

دستور ١٩٧٧ . الفصل الثاني :

النظام الاقتصادي :

المادة ١٠ : يقوم النظام الاقتصادي في الاتحاد السوڤيتي على الملكية الاشتراكية لوسائل الإنتاج وذلك على شكل ملكية الدولة ، أي ملكية سائر الشعب ، والملكية الكولخوزية والتعاونية .

هذا وتكون أملاك النقابات والمنظمات الاجتماعية الأخرى ، الضرورية لتحقيق مهامها الكيانية ، هي أيضاً ملكية اشتراكية . وتحمي الدولة الملكية الاشتراكية وتوجد شرائط تنميتها .

ليس لأي كان الحق باستخدام الملكية الاشتراكية لأغراض مكسبية شخصية ، أو لأغراض أخرى يقصد منها الكسب .

المادة ١١ : ملكية الدولة هي ملك سائر الشعب السوڤياتي عامة ، وهو الشكل الأساسي للملكية الاشتراكية .

وتستحوذ الدولة على الملكية بصورة قاطعة مانعة أي : الأرض ، وباطنها والمياه والغابات . وكذلك تعتبر ضمن ملكية الدولة الوسائل الرئيسية للإنتاج في الصناعة ، والبناء والزراعة ، ووسائل النقل والمواصلات ، والمصارف وأملاك المؤسسات ، والتجارة والخدمات العامة والمؤسسات المنظمة من قبل الدولة ، والقسم الأعظم من العقارات المأجورة الحضرية ، وكذلك الأملاك الأخرى الضرورية لتحقيق مهام الدولة .

المادة ١٣ : تستند الملكية الشخصية لمواطني الاتحاد السوڤياتي على العوائد الناتجة عن العمل . ويمكن اعتبار أدوات الاستعمال ، والاستهلاك الشخصي ، والرفاهية ، وأدوات الاقتصاد المنزلي المساعدة ،

وبيت السكن والتوفير الناتج عن العمل ، ملكية شخصية . وتتمتع ملكية المواطنين الشخصية وحق توريثها بحماية الدولة .

ويمكن للمواطنين أن يكون لهم حق الانتفاع بقطع أرض حصلوا عليها حسب الأنظمة التي سنّها القانون لممارسة اقتصاد مساعد بما في ذلك الماشية والطيور والبستنة وزراعة الخضار ، وكذلك لبناء مساكن فردية . ويلتزم المواطنون باستخدام المقاسم التي حصلوا عليها بطريقة عقلانية . وتساعد الدولة والكولخوزات المواطنين على ممارسة الاقتصاد المساعد .

هذا ولا يجوز استخدام الممتلكات التي تحولت إلى ملكية فردية ، أو أعطوا حق الانتفاع بها ، لكي تستمد منها عوائد لا تنتج عن العمل ، ولا أن تتسبّب في ضرر مصالح المجتمع .

المادة ١٤ : إن عمل السوفييات المتحرر من الاستغلال هو مصدر نمو الثروة الاجتماعية ومستوى حياة الشعب وكل فرد سوفياتي .

وتطبيقاً لمبدأ الاشتراكية « لكل حسب طاقته ولكل حسب عمله » تمارس الدولة الإشراف على قياس العمل والاستهلاك . وهي تحدد مجمل الضرائب على العوائد الخاضعة للضرائب .

ويكون وضع الإنسان في المجتمع نتيجة فائدة عمله الاجتماعية ونتائج هذا العمل . وتساهم الدولة ،عن طريق ربطها بالحوافز المادية والمعنوية وبتشجيع المبادهات الفردية المجدّدة والموقف الخلاّق في العمل ، على جعل العمل أول حاجة حيوية لكل فرد سوفياتي .

تطبيق النمط السوڤياتي

في غداة الحرب العالمية الثانية كانت الدول التي دخلت في الكتلة الاشتراكية تدريجياً أقطاراً ريفية على نطاق واسع ، فكانت تعاني من تأخر اقتصادي واجتماعي كبير . إذن كان الأمر يتطلب منها ردم هذه الهوّة التي تفصلها عن الدول المتقدمة ، وكان مثال الاتحاد السوڤييتي يقدم إنجازاً مماثلاً . فقد كان دولة (متأخرة) في ١٩١٧ وأصبح ثاني دولة اقتصادية في العالم ، مع الاحتفاظ باستقلاله السياسي . إذن يستطيع أن يقدم مثالاً يحتذى . وعلى هذا الأساس وفي جو الحرب الباردة تمّ فرضه على مجموع المعسكر الاشتراكي . وقد اندمج النظام الجديد بإيديولوجية اقتصادية (أي الجماعية ـ التخطيط ـ التصنيع) الذي يساند ويتمم الإيديولوجية السياسية الاشتراكية . وهكذا ، وفي وقت مبكر ، تبنّت الديموقراطيات الشعبية النمط الاقتصادي السوڤياتي . ولكن اصطدم هذا النمط بعد قليل بأصالات قومية . وكان هذا النمط يتطور في الاتحاد السوڤييتي ذاته مما جعل التطبيق لا يسير دون إثارة مشكلات عويصة .

ويشهد تبنّي الإصلاحات الزراعية بسرعة على شمولية النمط السوڤياتي في الديموقراطيات الشعبية . وتتعرض جميعها ، رغم بعض الفروق الطفيفة ، إلى مشكلات عقارية خطيرة موروثة عن الماضي ، تتواجه فيها جمهرة من صغار الفلاحين دون أرض ، أو من الذين لا يملكون ما يكفي من الأرض ، مع أريستوقراطية أو بورجوازية ريفية كبيرة ، تكون أحياناً غير مقيمة ، مثل ملكيات الجونكر البروسيين ، أو الأشراف المجريين ، وممتلكات الكنيسة . وابتداءً من عام ١٩٤٥ ، وفي الوقت الذي تحررت فيه أقطار أوروپا الشرقية بواسطة الجيش السوڤياتي ، أعلنت عن الإصلاح الزراعي . وكان ذلك أول تظاهرة عن

تطبيق الاشتراكية . وجرى تقليد النمط السوڤياتي في كل مكان : كالقضاء على المستغلات الزراعية الواسعة ، وعلى الأجارة salariat ، وإقامة مزارع دولة وتعاونيات . وقد كانت مرحلة سوڤياتية حقيقية . وابتداءً من الستينات بدت ملامح تطور في اتجاه صِيَغٍ قومية مما أوجد في النهاية تنوعاً كبيراً في الاشتراكية الزراعية ، كانت أحياناً شديدة التباين فيما بينها ، كالاشتراكيات البولونية حيث يكون ٨٧٪ من المساحة الزراعية المفيدة خاصة ، أو في جمهورية ألمانيا الديموقراطية حيث تؤلف المستغلات التعاونية أو مزارع الدولة ٩٣٪ من المساحة الزراعية المفيدة .

أما الأفضلية المطلقة فقد أعطيت للتصنيع وهو مشهد آخر عن التأثير الذي مارسه النمط السوڤياتي . وهو المصراع الثاني من التجربة السوڤياتية ، لا سيما وأنها تكون بارزة وتظاهرية ، بحيث تدخل في أقطار ريفية تقليدية باستثناء بعض المناطق ، كإقليم الساكس في جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، وسيليزيا في بولونيا ، وبوهيميا في تشيكوسلوفاكيا . غير أن إمكانات الديموقراطيات في أوروپا الشرقية تبدو محدودة ، فهي تفتقر للموارد وعلى الأخص في المجال الطاقي ، كحال جمهورية ألمانيا الديموقراطية التي اضطرت إلى أن تقيم تنميتها الصناعية على أساس استغلال منهاجي لفحم الليغنيت . وقد قسرها تأخرها التكنولوجي إلى « تضامن » وثيق مع الاتحاد السوڤياتي ، والذي جاء ظهور الكوميكون ليدعمه ابتداءً من عام ١٩٤٩ . ولكن ، وهنا أيضاً ، جرى طرح الشمولية السوڤياتية مرة أخرى على بساط البحث ، لا سيما وأن هذا النمط ذاته كان يتطور خلال عقد الستينات . وقد منح هذا النمط أقطار أوروبا الشرقية وحدة لا جدال فيها ، ولكنها ظلت مع ذلك مجزَّأة ، لأن كل قطر كان يحرص على الاحتفاظ بشخصيته وبأصالته . وما « أزمات » أوروپا الاشتراكية ، بدءاً من أحداث بودابست في ١٩٥٦ ، وفي ربيع براغ عام ١٩٦٨ وخريف ڤارسوڤيا في ١٩٨١ و ١٩٨٢ إلاّ شواهد

على ذلك ، وتندرج في نوعية التجربة اليوغوسلافية ، ولكن دون أن نبرّئ أشكال التدخل والإثارة القادمة من الغرب .

ولما كانت اوروبا الشرقية عبارة عن تركة الماضي ، فلا تزال مجزأة ، مما يطرح مشكلات عويصة داخل الكوميكون ولا سيما وأن مستويات المعيشة كانت جد متباينة في عام ١٩٤٥ (شكلأ) .



الشكل (أ)

جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية

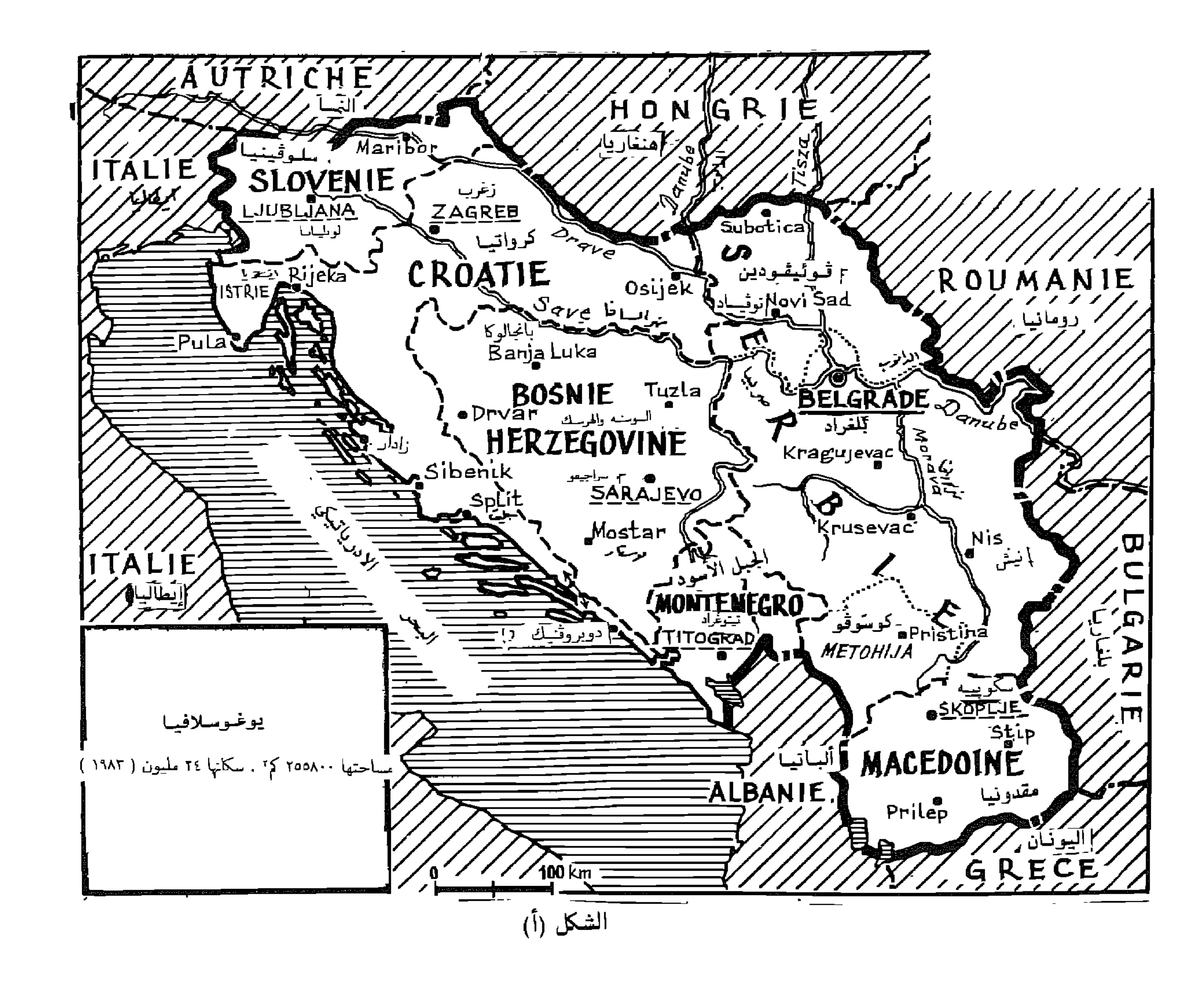
دولة في أوروبا الجنوبية . مساحتها ٢٥٥٨٠٤ كيلو متر مربع . كان عدد سكانها في منتصف عام ١٩٨٠/ ٢٢,٤٤٢ مليون نسمة ، وتقارب الكثافة فيها ٨٨ نسمة في الكيلو متر المربع (شكلآ) .

جغرافية هذه البلاد

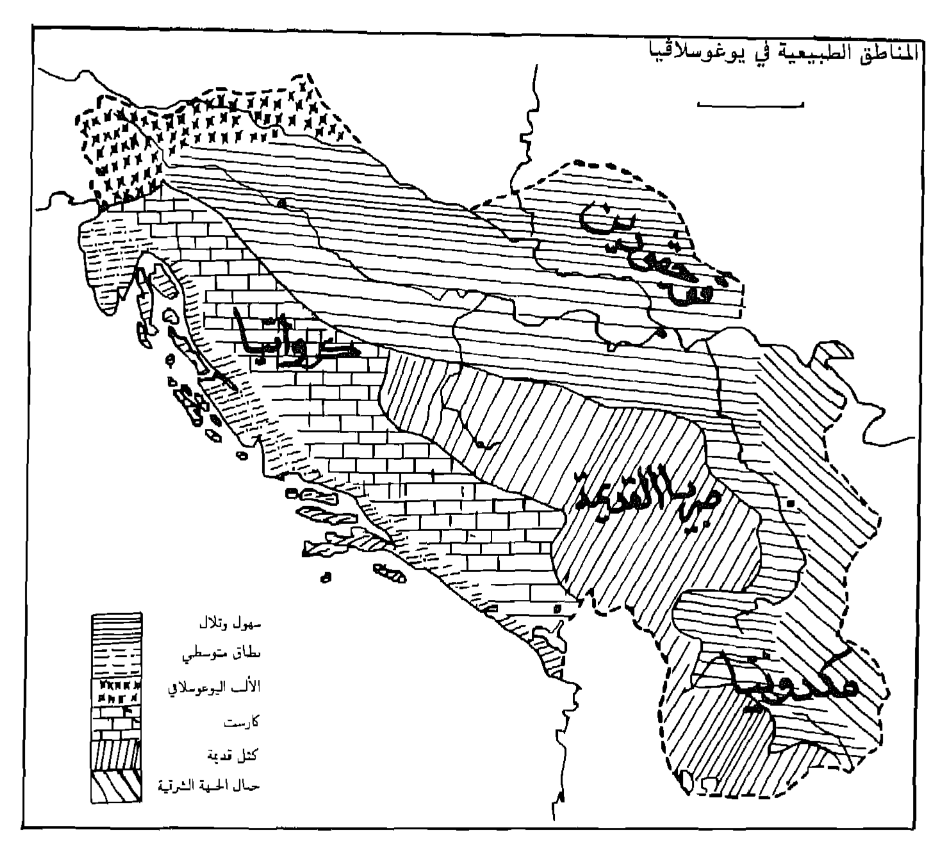
الإطـار الطبيعي : يظهر الهيكل التضريسي للقسم اليوغوسلافي من البلقان على شكل جبال مرتفعة نسبياً ومتكتلة ، تحيط بها مناطق مؤلفة من عتبات ومن ممرات .

ويتألف هيكل شبه الجزيرة من جبال تنتسب إلى منظومات أوروجينية مختلفة أُنهضت من بين أربعة منخفضات لا زال انخفاسها مستمراً هي : الحوض البانوني ، الحوض الإيجي ، البحر الأسود ، والبحر الآدرياتيكي (شكل١) .

ويظهر التنافر بين الجبال والحافة المحيطة بها في العديد من المجالات : الكثافة ، نسبة العمران ، سهولة المواصلات ، مردود الزراعة ، وشدة التوطن الصناعي والعمران الحضري . بيد أن علاقات التعايش ظلت ثابتة بين الجبال والسهول المحيطة بها . وقد كانت القلعة الجبلية ملجأ للسكان منذ العصر الروماني وحتى الفتح العثماني ، مثلما كانت بؤرة الذاتية المحلية والمتحف الرعوي للسلافيين . وقد استطاعت بعض الدول الجبلية أن تنشأ هنا مثل دولة الجبل الأسود Monte Negro . وأخيراً فقد صبَّ الجبل القسم الأعظم من سكانه باتجاه السهول ، على أثر عودة السلام في القرن التاسع عشر ، فظهر التضاد القديم بين


AUTRICHE
النمسا
HONGRIE
هنغاريا
ITALIE
ايطاليا
SLOVENIE
سلوفينيا
Maribor
LJUBLJANA
لوبليانا
ZAGREB
زغرب
كرواتيا
CROATIE
Drave
Danube
Tisza
Subotica
ROUMANIE
رومانيا
Osijek
ISTRIE
Rijeka
Novi Sad
نوفيساد
Save
Pula
Banja Luka
بانجالوكا
BOSNIE
Tuzla
Drvar
البوسنه والهرسك
HERZEGOVINE
BELGRADE
بلغراد
Kragujevac
Morava
زادار
Sibenik
Split
SARAJEVO
سراجيفو
Mostar
Krusevac
Nis
إنيش
الجبل الأسود
MONTENEGRO
تيتوغراد
TITOGRAD
دوبروفنيك
كوسوفو
Pristina
METOHIJA
BULGARIE
بلغاريا
SKOPLJE
Stip
MACEDOINE
مقدونيا
ألبانيا
ALBANIE
Prilep
اليونان
GRECE
0
100 km
يوغوسلافيا
مساحتها ٢٥٥٨٠٠ كم٢ . سكانها ٢٤ مليون (١٩٨٣)

الشكل (أ)

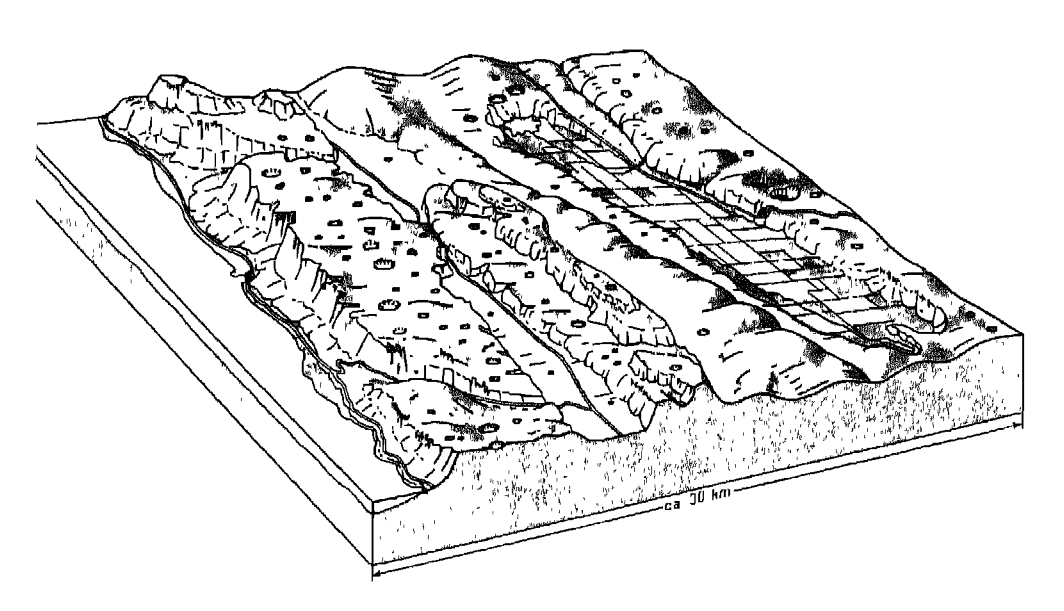

المناطق الطبيعية في يوغوسلافيا
كرواتيا
صربيا القديمة
مكدونيا
سهول وتلال
نطاق متوسطي
الألب اليوغوسلافي
كارست
كتل قديمة
جبال الجبهة الشرقية

الشكل (١)

بلاد الملجأ وبين بلاد الإعمار . وقد ظل هذا الجبل ، حتى عهد قريب منا ، مجال الرعي الواسع ، ومجال السياحة ومجال استغلال الغابة ، واستغلال حديث للموارد التعدينية ، والمراكز الكهرمائية ، أي شهد تحولاً محلياً على الأقل .

المناطق :

الكارست : إنه يؤلف القسم الخارجي في الشمال الغربي ، أو الجبال الدينارية . وكل الأشكال المورفولوجية الكارستية تكون حاضرة هنا ، والتي يساعد على ظهورها شدة سماكة الطبقات الكلسية وقساوتها : فنجد الدولين (الجوبة) واللاپيز ، والأوڤالا ، والپوليبات الفسيحة والتي تثّقبها هوتات ، تدعى پونور Ponor وشبكة باطنية من مغاور تدعى « ياما » وجريان مائي



الشكل (٢) **مجسم مبسّط للكارست**

من الشاطئ حتى أوميش وماكارسكا حتى ايموتسكو ، وهي پوليبه منبسطة جداً ، في يوغوسلاڤيا ، لاحظ كثرة الجوبات (الدولينات) ، والهوتات (آفن) فوق الهضاب .

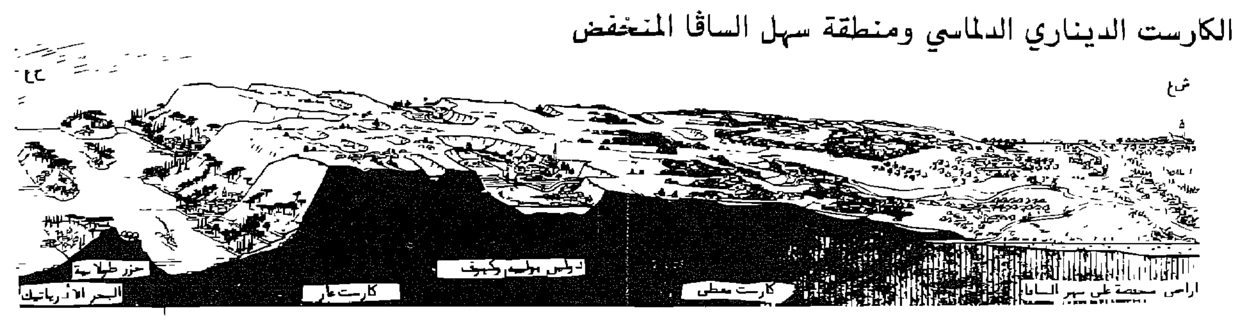
باطني يتجاوز في العمق سوية البحر الآدرياتيكي (شكل٣) ، وحيث تظهر للعيان على شكل ينابيع تحتبحرية تدعى ڤروليبه Vrulje . وقد عمل مناخ قديم ، پليوسيني دون شك ، على تكييف مساحات تسوية aplanissements تاركة هومات hums بارزة (شكل٤) ، كما ساهم الزحف الجمودي والظواهر الجو جمودية على طمس معالم أشكال كارستيه وعلى انبثاق لاپييز عملاقة .

هذا وتغطي الغابات معظم المنحدرات ، وتكون الپولييات مزروعة ، وتقوم الأغنام المنتجعة بقضم نباتات المراعي خلال الصيف في المنحدرات العليا . أما في المجال الاقتصادي الحديث فيقدم الكارست فائدة سياحية مثل كهوف پوستوينا Postojna ، وبحيرات پليتڤيس Plitvice وشلالات يايْس Jajce . وتتمركز المياه المتجمعة في مجار باطنية ضمن بحيرات عالية ، ثم تسكب نحو عنفات على انخفاض مقداره ١٢٠٠ م على الساحل الآدرياتيكي . أما تربية الماشية من أجل الصوف والأجبان فقد أصبحت أكثر عناية ، وحشيشة ، ولا سيما في بلاد الهرسك Herzégovine (شكل٥) .

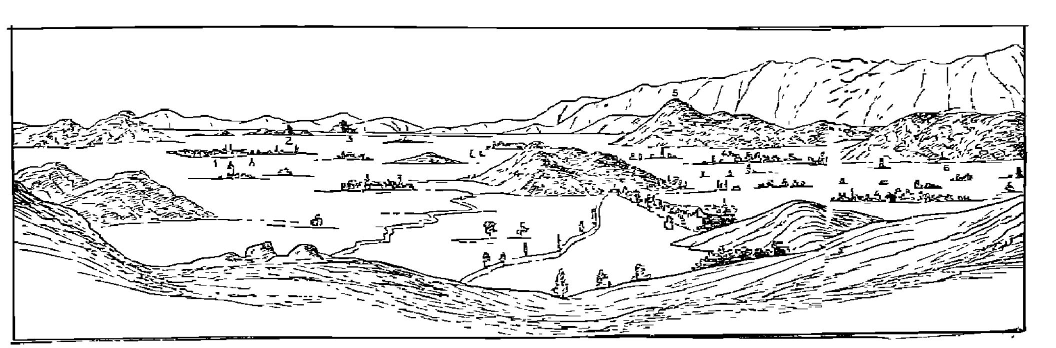
الجزء الپانوني ، أو الداخلي ، في السلاسل والكتل الجبلية الدينارية :

وتحوي هذه منظراً مختلفاً ، ذلك أن التعقيد الجيولوجي في هذه الكتل الجبلية الموجهة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، ووجود صخور قديمة ، وبركانية وصخور من الحقب الأول ، جعلت منها بلاد الينابيع والأنهار العديدة ، تلك هي « البوسنة الرطيبة » . (شكل٦) وتقوم شبكات الصرف التي تستدعيها نحو الشمال الشرقي حوضات الانكباس subsidence في السهل الپانوني بتقطيع خواصر جبلية واسعة تكسوها الغابات ، وقد قامت حياة تعايش بين القمم والسهول : كإنزال الأعلاف ، والأخشاب ، وحليب الأغنام ، باتجاه بلدان المقارن النهرية confluence . ولكن أصبح الجبل في أيامنا هذه عرضة للهجرة ، ذلك أن

الكارست الديناري الدلماسي ومنطقة سهل الساڤا المنخفض

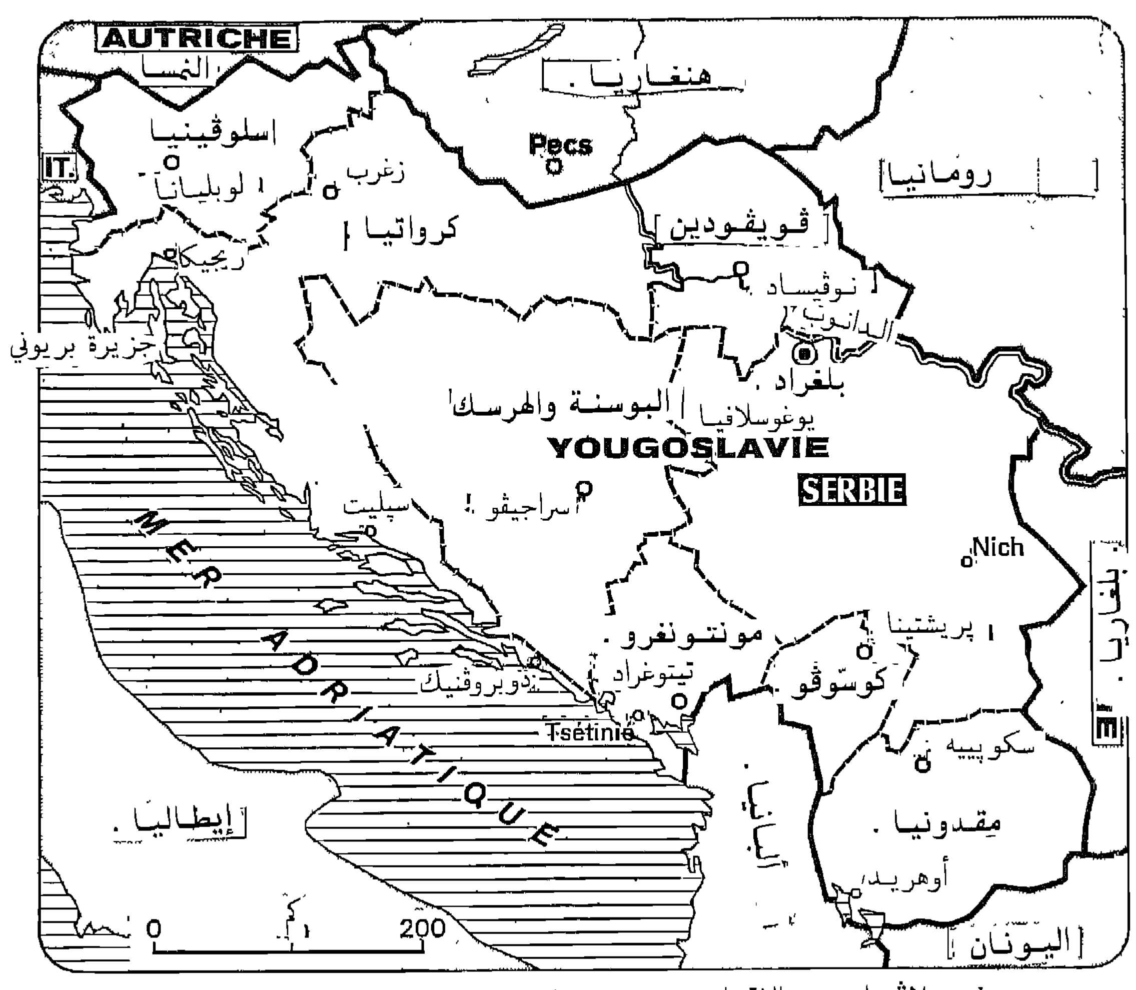


الشكل (٤)



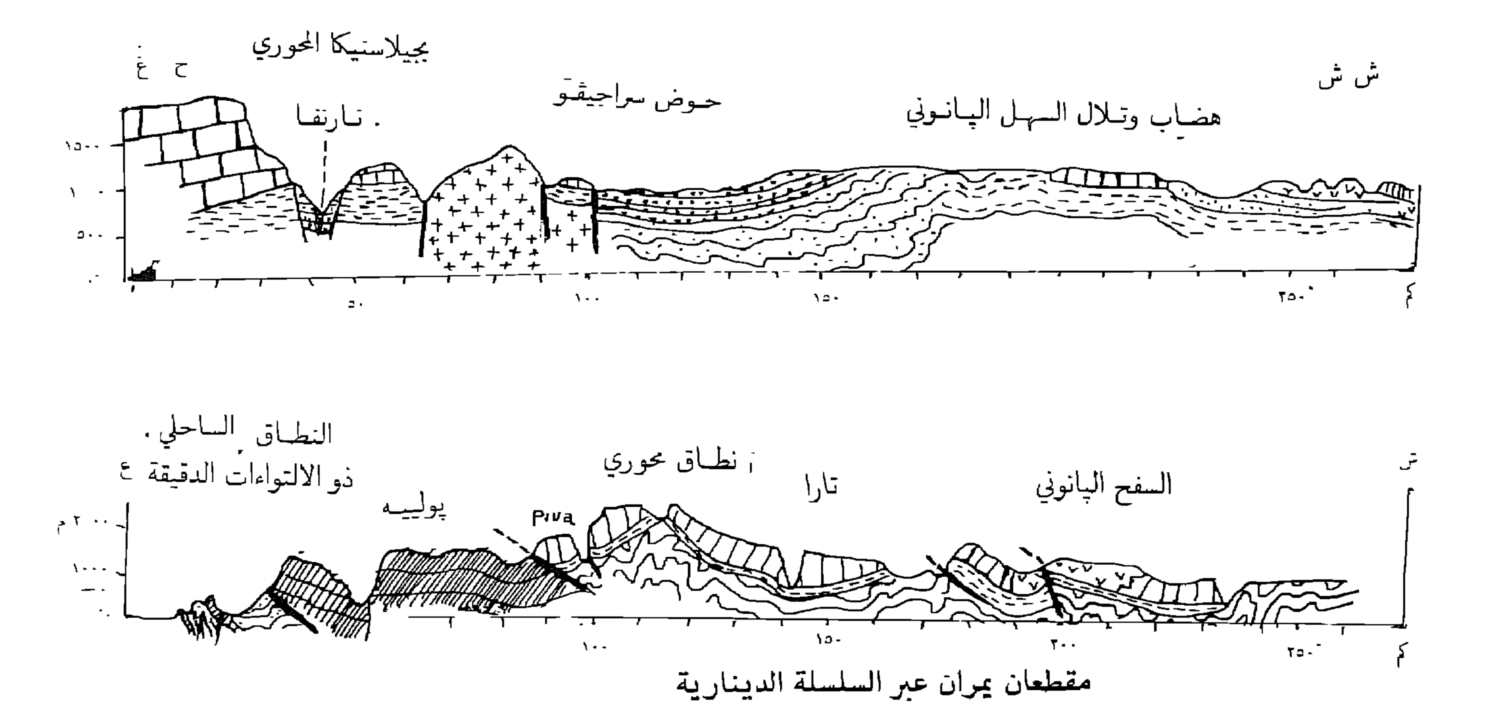
پولييه ليكا : تلاع شاهدة كارستية (هوم) وفي صدر الصورة جرف ڤيليبيت (رسم سڤيجيك) .

الشكل (٣)



يوغوسلافيا : يضم الاتحاد ست جمهوريات ومنطقتين ذات استقلال ذاتي تقعان في داخل صربيا .

الشكل (٥)



مقطعان يمران عبر السلسلة الدينارية

الشكل (٦)

البور الاجتماعي في توسع ، ويتمركز السكان في الأحواض وفي الأودية : مثل حوض سراجيڤو ، العاصمة الإقليمية ، وفي وادي البوسنة وحول مناجم حديد ڤارش 'Varec ومصنع زنيكا Zenica للفولاذ ، والصناعات الكيماوية في توزلا Tuzla وكومبينات الخشب والسيللولوز . وقد أنشئ طريق جيد يصل اليوم بين سراجيڤو وبين السهل البانوني (المجري) ، ذاك هو رمز الانفتاح في قطر ظل منعزلاً لمدة طويلة .

أما بلاد الصرب الغربية Serbie فتنتج الحديد والخشب ، كما أن وادي درينا Drina ، وهو تخم بلاد الصرب ، ينتج الكهرباء : أما جبال صربيا الغربية (ستاري ، راشكا ، ڤلاه) فهي عبارة عن مراكز واسعة لحياة رعوية وتصدير منتجات الألبان ، وحيث تستفحل الهجرة باتجاه أودية موراڤا ، وحيث تقوم هناك أسواق ضخمة مثل مدن : بوزغا Pozega ، وتيتوڤو اوزيسه Titovo Uzice ، وباتجاه المراكز الصناعية في السافلة aval . وهكذا تتقدم تدريجياً نحو أحواض وأودية عتبة موراڤا ـ ڤاردار .

منخفض موراڤا ـ ڤاردار :

يربط هذا المنخفض الفسيح الواقع بين جبال رعوية بين نهر الدانوب وبين بحر إيجه ، فلا ترتفع العتبة ، الفاصلة بين منابع نهر ڤاردار ونهر موراڤا الجنوبي ، أكثر من بضع مئات من الأمتار ، وهنا يزداد عرض الأودية لتتخذ شكل أحواض تنفصل عن بعضها بخوانق أو تتحول إلى سهول مرافد واسعة ، ويقوم الخط الحديدي وطريق السيارات العريض الجديد بربط المدن المتوسطة في صربيا ومعناها « الضيقة » وبين مقدونيا . ويكمن الفشل الاقتصادي النسبي الذي لوحظ حتى الآن في هذا الممر إلى وجود كتل جبلية عالية تنتسب إلى منظومة رودوپ ـ إيجية التي تقيم في الشرق ، مثلما تقيم في الغرب ، حدوداً لاتساع الأحواض الزراعية ، وبذلك تظل مجال نشاط رعوي . ويجب أن نذكر هنا

وجود أكثر سكان سائر يوغوسلافيا تأخراً ، وهم الألبان ، ضمن منطقة منعزلة في حوضات مغلقة في الغرب ، هما حوض كوسّوڤو و ميتوهيجا . أضف إلى ذلك أن عزلة الأحواض البحيرية المقدونية في الغرب ، والسهول القاحلة في الشرق ، لاتوائم حياة اتصالات كثيفة .

ومع ذلك نمت أنشطة جديدة : كما في الأحواض الفحمية وفي المراكز النسيجية في صربيا ، مثل مدينة كراكوجيفاك Kragujevac ، وهو مركز كبير لتجهيز السفن وصناعة السيارات ويعتبر بؤرة صناعات حديثة . وتسترد مدينة سكوپييه عافيتها بعد الزلزال الذي دمرها في عام ١٩٦٣ لتقوم مدينة جديدة فوق أنقاضها ، فتقيم كومبينا صناعة حديدية فضلاً عن مصفاة نفط ، أما مقدونيا الغربية وبحيراتها فتنفتح على السياحة ، كما ستصبح مقدونيا الوسطى ، بلا ريب ، ظهيراً نشيطاً لمدينة سلانيك اليونانية .

الممرات الغربية :

لقد قامت بين نهر ساڤا Save والساحل الآدرياتيكي وظائف عبور . ففي الجنوب تقع منطقة غورسكي كوتار ، أو كرواتيا الغربية ، وهي منطقة سياحية ، فظهر على إثر ذلك طريق ممتاز وخط حديدي مكهرب يخدم مدينة ريجيكا . أما في الشمال فتجتاز ممرات سلوڤينيا مناطق متطورة ، أكثر قرباً للنمسا وإيطاليا ، وأكثر عراقة من حيث نموها الاقتصادي فتقوم فيها مصانع فولاذ ، ومصانع ورق ، ومصانع نسيج . وتتمتع هذه المناطق بتضريس ألبي جيد التهوية ، من نمط جمودي ، حيث حفر الحت ثلاثة أخاديد هي أخدود سوكا Soca او ايجونوزو Ijonozo الإيطالي ، حيث توجد موارد كهرمائية ونشاط رعوي أيضاً ، وأخدود الساڤا ، وهو أكثرها حركية وعمقاً . وتقوم فيه مدن : كرانج و Jesenice ومحطة بلد Bled السياحية البحرية ، وأخيراً مدينة ماريبور ، مقر صناعة كهربائية وسيارات . وقد سهّلت هذه الأوضاع الانتقال بين لوبليانا

وتريستا من جهة ، وبين هذه الجبال الألبيـة الأخيرة وبين هضـاب الكارست من جهة أخرى . ويقوم خط حـديـدي مكهرب وطريق سيـارات عريض بـاجتيـاز الحدود ، وهو نقطة وصول السياح الأجـانب . أمـا مـدينـة لوبليـانـا ذات المظهر البورجوازي ، وهي مدينـة متحف قـديمـة ، فقـد تحـدَّثت على أثر قيـام مؤسستي تيليكون Telekon وليتوستروج Litostroj اللتين تنتجان الأجهزة الكهربائية .

تركيب سكان يوغوسلافيا

في عام ١٩٧١

صرب	٨١٤٣٢٤٦	سلوڤاك	٨٣٦٥٦
كروات	٤٥٢٦٧٨٢	بلغار	٥٨٦٢٧
سلوڤين	١٦٧٨٠٣٢	رومان	٥٨٦٤٠
مسلمون ألبان	١٧٢٩٩٣٢	تشيك	٢٤٦٢٠
مسلمون سيبتار	١٣٠٩٥٢٤	روس	٢٤٦٤٠
مقدونيون	١٩٤٣٧٨٤	طليان	٢١٧٩١
موتينغريون	٥٠٨٨٤٢	متنوعون	١٦٦٦١١
أتراك	١٢٧٩٢٠		

الديانات في ١٩٧٧

ارثوذكس	٥٠٪
كاثوليك	٤٠٪
مسلمون	١٠٪

الدخل الفردي في ١٩٧٥

يوغوسلاڤيا	٦١٠٠ فرنك فرنسي
الاتحاد السوڤيتي	١٢٠٠٠ فرنك فرنسي
اليونان	١٠٠٠٠ فرنك فرنسي

اللغات

الصربية الكرواتية	٨٠٪
المقدونية	٥٪
سلوڤينية	٨٪

سهول الشمال :

وتتألف من الجزء الجنوبي من الحوض البانوني . وتشهد بعض الكتل الجبلية ، حتى فروشكاغورا Fruska Gora في الشرق ، والمحاطة بالتلال ، تشهد على وجود أرضية منهضة نوعاً ما . وتتألف سلوفينيا من سهول فيضية واسعة ، ومن مستنقعات ، ومن مصاطب مرتفعة تواكب الأشرطة اللحقية لنهر الدراڤا ، ونهر الساڤا وروافدهما . أما في شرق الدانوب ، أي في إقليم ڤويوڤودين Vojvadine فيأخذ المناخ صفات سهبية ، وتختفي هنا الكتل القديمة والتلال . وتكون السهول والهضاب مشغولة إما بميادين من كثبان ، أو بمستنقعات ، أو على الخصوص بسهول لوس منبسطة .

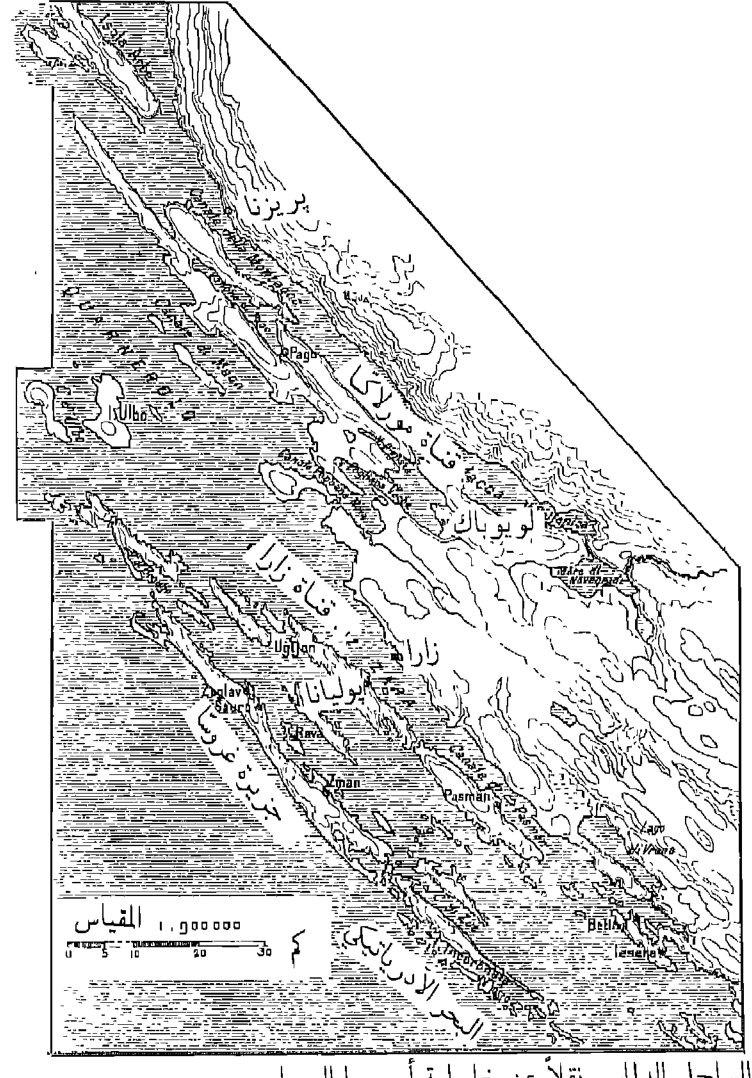
وتعتبر هذه المناطق بالنظر إلى مناخها ، أو إلى ترابها ، عنابر قمح يوغوسلاڤيا ، فتقدم مساهمة تتراوح بين نصف الإنتاج وثلاثة أرباعه ، فهي تنتج الحبوب ، ولا سيما الذرة الصفراء ، والنباتات الصناعية كالشوندر السكري ، ودوار الشمس ، والأعلاف . وتغطي مستغلات الدولة الواسعة أحياناً ، عشرات الآلاف من الهكتارات . ويمتد الري ، بعد تجفيف المستنقعات ، بصورة تتناسب مع حفر قناة الدانوب ـ تيسزا ـ الدانوب .

كما تكون هذه المناطق أيضاً أكثر مناطق يوغوسلاڤيا استعماراً سكانياً . فبعد أن ظلت خالية مهجورة خلال بضعة قرون من الفتح التركي ، استردت في أعقاب معاهدة كارلوفيتس Karlowitz سنة ١٦٩٩ ، وهكذا لا تزال تحوي حتى اليوم مخططات القرى ذاتها ، أي الممتدة على طول الطرق ، في سلوفينيا ، ومرتفعة على شكل شطرنجي ، كما في ڤويڤودين .

ولقد تحول العديد من القرى إلى مدن ، كما توسعت مدن صغيرة قديمة ، أو قلاع قديمة ، بصورة تثير الدهشة . فظهرت مدن من أصل زراعي مثل بيلوڤار Bielovar ، داروڤار ، اوسيجك ، سوبتيكا ، ومدن أنهار ومراكز إدارية مثل نوڤيساد ، زغرب ، والتي أصبحت كل منهما مركزاً كبيراً لصناعات حديثة ، ومقراً لمعرض دولي ، وبلغراد ، مدينة دفاعية ، وكانت تضم ١,٥ مليون نسمة في عام ١٩٨٠ ، وكانت قرية كبيرة من نمط تركي ، وأصبحت الآن العاصمة المزدوجة لصربيا وللاتحاد والمدينة الشمالية الكبرى ، وعاصمة فعلية لست جمهوريات تؤلف دولة اتحادية متعددة القوميات هي : صربيا (وتقسم إلى صربيا الضيقة ، وإقليمي ڤويڤودين وكوسوڤو ميتوهيجا المتمتين بالاستقلال الذتي) وكرواتيا وعاصمتها زغرب ، وسلوڤينيا وعاصمتها لوبلينانا ، ومقدونيا ، ومونتونغرو وعاصمتها تيتوغراد ، والبوسنة والهرسك وعاصمتها سراجيفو ، والمدن الرئيسية في البلاد هي زغرب وكان سكان كل منها عام ١٩٨٠ على الشكل التالي : زغرب ٧٠٢٠٠٠ نسمة ، سراجيفو ٣٩٢٠٠٠ ، سكوبيه ٤٨٩٠٠٠ ، لوبليانا ٣٥٨٠٠٠ ، نوڤيساد ٣١٤٠٠٠ ، پريستينا ٢٥٣٠٠٠ .

الواجهة الآدرياتيكية :

تنفتح يوغوسلافيا على البحر الأبيض المتوسط بواجهة تمتد على أكثر من ٧٠٠ كم على خط مستقيم . تلك هي بلاد الفواكه والخمر والباكوريات ، وصيد الأسماك . ويساعد مرتسم الساحل على قيام العديد من الموانئ الصغرى نظراً لأن الأرخبيل الدلماسي يضم حوالي آلف جزيرة صغيرة وشعب écueil صخري (شكل٧) . وتتوزع الأنشطة هنا بين الصيد البحري والمساحلة ، والسياحة والزراعة .



الساحل الدلماسي نقلاً عن خارطة أوروبا الوسطى

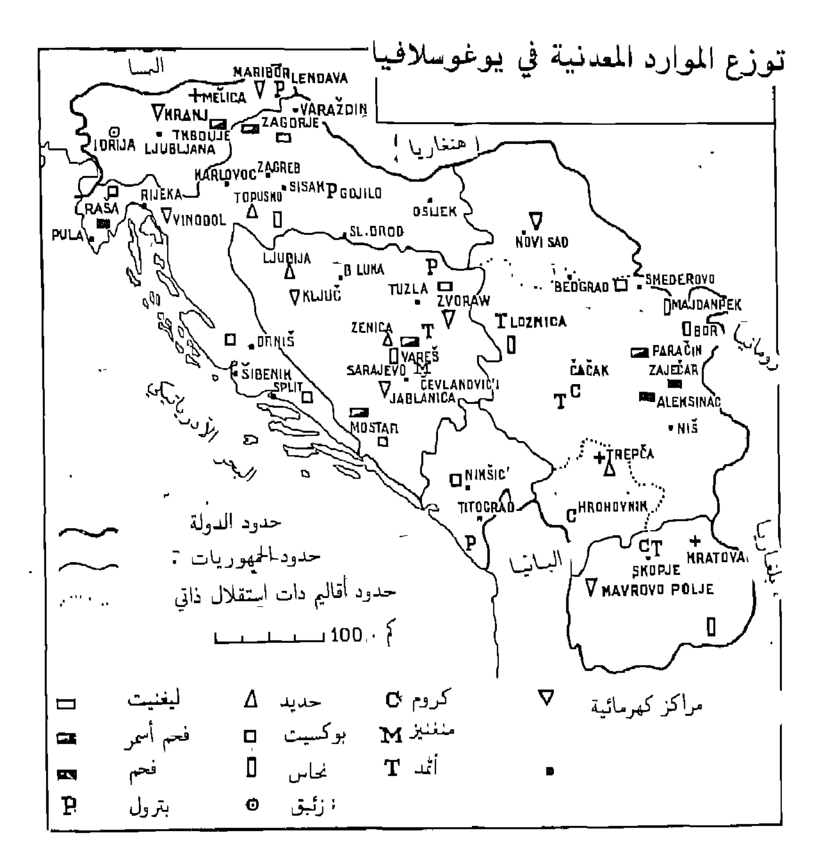
الشكل (٧)

وترتصف من الشمال إلى الجنوب شبه جزيرة ايستريا التي انتزعت كلياً من إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية ، وخليج كفارنر Kvarner الذي يقوم في صدره ميناء نشيط هو ميناء ريجيكا (٢٦٠٠٠٠ نسمة في ١٩٨٠) ودالماسيا الوسطى التي تضم ميناء شيبينيك Sibenik ، وزادار ، وسپليت Split وكانت تضم في ١٩٨٠ مقدار ٢٨٥٠٠٠ نسمة وجزراً لاتبتعد كثيراً عن الساحل ، ودالماسيا الجنوبية ، وساحل دوبروڤنيك ، وأخيراً ساحل مونتونيغرو ، حول مصب نهر كوتور .

ويكون صيد الأسماك ناشطاً نسبياً ، من أسماك طازجة وتن ، وتمنح صناعات بناء السفن خمسة موانئ أهمية متوسطة ، كما تمتد الزراعة المروية في صدر الأودية والأحواض مثل نهر نيرتيڤا Neretva مثلاً . غير أن النشاط البحري يتمركز في ميناء ريجيكا الذي تقارب حركته السنوية ١٠ ملايين طن ، والذي يعتبر مركز بناء بحري لسفن ثقيلة وميناء حر لهنغاريا . وتعمل الإنجازات الصناعية الضخمة على تحويل الساحل كقيام ميناء نفطي ، بعد ميناء خامات معدنية ، في خليج باكار ، وهو نقطة انطلاق انبوب نفط آدريا الذي يمتد حتى كرواتيا وهنغاريا ، كما أن إنجاز الخط الحديدي بين بلغراد وڤار Var عمل على إنعاش الساحل الجنوبي والمناطق التي يجتازها في صربيا . وأخيراً فإن السياحة تنمو باستمرار على أثر بناء مجمّعات جديدة على طول الساحل والتي كانت تستقبل مقدار ٦ ملايين أجنبي في عام ١٩٧٥ .

طريق التصنيع :

لقد كانت القواعد الأساسية في تصنيع البلاد قائمة على إنشاء مراكز كبرى للصناعة الثقيلة على مسالك المواد الأولية ومصادر الطاقة (شكل٨) ، وتجهيز المناطق المتأخرة التي تحوي على مواد أولية ولكنها محرومة من الأنشطة التحويلية . هذا كما سمح التسيير الذاتي واللامركزية ، على العموم ، ودون



الشكل (٨)

إفراط ، بقيام توزيع أكثر انفتاحاً وأكثر دقة للصناعة خلال القطر ، مع الاهتمام بالصناعة الخفيفة . فقد استطاع العديد من الكومّونات والمؤسسات ، وذلك بالاتفاق مع الجمهورية والاتحاد ، أن تقرر أمكنة توطين أكثر من الصناعات . وسمحت يوغوسلافيا لرؤوس الأموال الأجنبية منذ أكثر من ١٥ عاماً مع وعد ببضعة تخفيضات في الضرائب وإعفاءات وإمكانات لتحويل الأرباح للخارج ، حتى لقد لقي توطين بعض هذه الصناعات تشجيعاً في مناطق أقل تطوراً ، وبعيدة عن مصادر القدرة أو عن وسائل المواصلات . وقد أعطت هذه السياسة نتائجها . وهكذا قامت شركات ألمانية غربية وبلجيكية وسويسرية وفرنسية

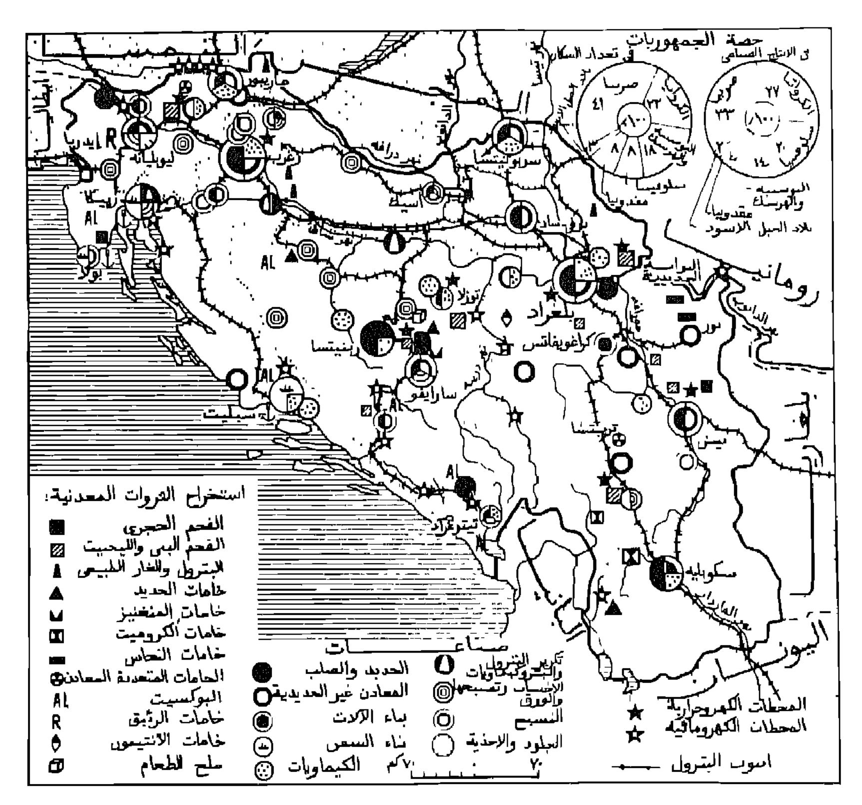
بتوظيف أموالها حالياً في الاقتصاد اليوغوسلافي . ونأخذ مثلاً على ذلك شركة بيشيني Pechiney التي أقامت بجوار مدينة تيتوغراد ، قرب الحدود الألبانية الشمالية ، في بلاد مونتينيغرو ، كومبينا المنيوم تستخدم البوكسيت والتيار الكهربائي الناتجان محلياً أو على مسافة قريبة .

أهمية مصادر الطاقة وعدم كفايتها

لقد جرى استغلال كل مصادر القدرة بصورة كثيفة ، ولكنها لم تعطِ كل النتائج المرجوة . فقد ارتفع إنتاج الفحم من ١٠ ملايين طن في عام ١٩٥٠ إلى ٤٣ مليون في ١٩٨٠ وهو من نوع الليغنيت . ولكن هناك إنتاج فحم حجري يبلغ نصف مليون طن فقط ، في مقاطعة ايستريا ، يعطي قوة حرارية كبيرة ، في حين تكون مناجم الليغنيت شديدة التبعثر ابتداءً من مناجم البوصنة ، وصربيا القديمة حتى العروق التي دخلت حديثاً مجال الاستغلال ، كما في نوڤو ڤيلينية Novo Velenje في سلوڤينيا . أما مخزونات الفحم فلا تتجاوز ٤٠ مليون طن ، بينما يرتفع احتياط الليغنيت إلى بضع مئات من ملايين الأطنان . وهناك قسم بسيط من الليغنيت الذي يتحول إلى فحم كوك ، كما في مركز لوكاڤاك في شمال البوصنة ، مما يضطر البلاد لاستيراد كميات ضخمة منه ضرورية للصناعة الحديدية ، من ألمانية الاتحادية ومن النمسا . وأخيراً تعمل معظم المناجم على صنع قوالب الليغنيت محلياً أو لتموين المراكز الحرارية القديرة والواقعة بجوار المناجم أو بجوار المدن .

وقد ظلت يوغوسلاڤيا تأمل منذ مدة طويلة في الاعتماد على النفط . وقد جرت عمليات تنقيب في سلاڤونيا الغربية ، كما في منطقة لنداڤا ثم في شمال سيزاك ، وفي إقليم ڤويڤودين Vojvodine ، بجوار ايلمير Elemir ، قرب الحدود الشرقية ونهر شرق بلغراد . غير أن الإنتاج النفطي العام لم يقفز إلا من ١,٨ مليون طن في ١٩٦٣ إلى ٤,١ ملايين في ١٩٧٩ ويبدو أن هذا الإنتاج أكيداً . أما

إنتاج الغاز الذي يكون مختلطاً بالنفط فلم يتجاوز إطلاقاً مليار م٣ . ويستخدم لتدفئة مدينة زغرب وبعض المدن الأخرى في المنطقة .



صناعة يوغوسلافيا

الشكل (٩)

وهكذا تكون مشكلة الإمداد بالنفط مطروحة . فقد كانت يوغوسلافيا أول كل دول أوروبا الوسطى والشرقية التي تعقد اتفاقيات مع دول الشرق الأوسط . ودخلت عدة أنابيب حيّز الاستخدام خلال السنوات الماضية ، انطلقت من موانئ البحر الأبيض المتوسط حيث يصل خام الشرق الأوسط من النفط ، وربما من بلاد المغرب ، ويتجه نحو المصافي ومراكز الاستهلاك في داخل البلاد . وهكذا

ينطلق خط آدريا Adria من صدر خليج باكاركي ويتجه نحو سيزاك في سهول الساڤا قبل أن يخترق-الحدود اليوغوسلاڤية الهنغارية . وستكون طاقة الأنابيب بالبداية ٥ ملايين طن كي تقفز إلى ٣٠ مليون طن فيا بعد . ويقدم العراق القسم الأعظم من الخام وذلك في مقابل تجهيزات نفطية . وقد أدت مشكلة المحروقات السائلة إلى زيادة طاقة المصافي القائمة أو التي قيد البناء : إذ يقدر الاستهلاك الداخلي بحوالي ١٧ مليون طن من النفط في العام .

أما الكهرباء فقد أصبحت من أصل حراري أكثر فأكثر (٦٥ ٪ من الإنتاج الكلي) . وتقع الوحدات الكبرى عموماً فوق أرض المناجم (كا في تربوڤلييه Trbovlje ، وفي نوڤوڤلينييه بالبوسنة ، وفي زاكوريه في صربيا الشرقية إلخ ... وتقوم المراكز الكهرمائية فوق أربعة مواقع رئيسية :

ـ قرب الأنهار السريعة الهابطة من الجبال الدينارية باتجاه نهر الساڤا ، كمصانع يايسه Jajce على نهر ڤرباس ، ومصنع زڤورنيك ، على نهر درينا قرب بحيرات تجميع المياه الباطنية في الكارست الدلماسي . ونظراً لوقوع الخزانات على ارتفاع يزيد عن ١٠٠٠ م فوق مستوى البحر ، فقد قامت المصانع في ڤينودول ، وسنج ، وسپليت في جبال ألب الدراڤا (في عالية ماريبور) وعلى خانق أبواب الحديد أو Djerdap حيث قام مركز جبار يقدم ١٠ مليار واط ساعة تتقسّم مناصفة بين يوغوسلاڤيا ورومانيا .

أهم المنتجات الصناعية عام ١٩٨١

الليغنيت	٥١,٨ م ط
كهرباء	٦٠ مليارك و س
منها كهرمائية	٢٨ مليارك و س
بترول	٤,٧ م ط
غاز طبيعي	٢ مليار م٢
بوكسيت	٣,٢ م ط
نحاس	١٠٢٠٠٠ طن
رصاص	٨٦٠٠٠ طن
فولاذ	٢,٣ م ط
بناء سفن	٢٨٤٠٠٠ طنة حمولة خام
إسمنت	١٠ م ط

الأهمية النسبية للصناعة الثقيلة

لقد حققت الصناعة الثقيلة ، التي حظيت بأكبر تقدير ، تقدماً عظيماً في هذه البلاد حيث لم يكن لها وجود بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة .

فقد ارتفع إنتاج الفولاذ من ١,٦ مليون طن في ١٩٦٤ إلى ٢,٨ م ط في ١٩٧٤ وهبط الى ٢,٣ عام ١٩٨١ . ويعود هذا النمو إلى وجود خام الحديد في البوسنة ، في منطقة ڤاريس Vares ، حيث يزيد الإنتاج قليلاً عن ٤,٦ مليون طن من الخامات ، ولكن هذا الإنتاج يظل راكداً ، وكذلك في مقدونيا الغربية . وهكذا تموّن مناجم ڤاريس مصانع فولاذ زينيكا (١١٢٠٠٠ نسمة في ١٩٧١) التي تم تحديث مؤسساتها . أما مدينة سكوبيه فقد أصبحت مركز وحدة إنتاج تقدم أكثر من مليون طن من الفولاذ . أما مدينة جيسينيس Jesenice الواقعة على الحدود النمسوية اليوغوسلاڤية فقد اختصت منذ زمن طويل بالفولاذ الكهربائي .

هذا وتنمو مراكز جديدة مثل سيزاك الواقعة على نهر ساڤا (صناعة حديد تقليدية) ومركز نيكشيك Nikšić في الجبل الأسود (مونتينيغرو) الذي يعتمد على حديد الخردة كمادة أولية . أما مدينة بار Bar الواقعة على نهاية الخط الحديدي القادم من بلغراد فقد أصبحت مركز صناعة حديدية ، شبه قاري ، لأن الخط الحديدي يجلب لها الخامات الحديدية وغير الحديدية ، وشبه ساحلي لأن هناك تفكير بالاستيراد عن طريق البحر .

وتماثل يوغوسلاڤيا بقية البلاد البلقانية في غناها بالخامات غير الحديدية . ونذكر أولاً النحاس في شرق صربيا ، في بور Bor وفي ماجدامبك Majdampek إذ بلغ إنتاج الخامات ١٤ مليون طن والمعدن الصافي الناتج ١١٨٠٠٠ طن . ويتوفر البوكسيت في كل التكوينات الكلسية على الساحل الديناري بدءاً من ايستريا حتى الجبل الأسود ، وبعد أن كان يصدّر بحالة خام للخارج سابقاً أو إلى المصنع السلوڤيني في Kidričovo أصبح منذ مدة قريبة يعالج قرب شيبينيك Šibenik وحالياً في كومبينا تيتوغراد الضخمة . وهكذا وانطلاقاً من إنتاج بوكسيت متوسط على المقياس الأوروبي ، يزيد على ٣ ملايين طن ، تمكنت يوغوسلاڤيا من زيادة إنتاجها من الألمنيوم من ٣٤٠٠٠ طن إلى ١٧٤٠٠٠ طن مما لا يمثل في الواقع أكثر من مرحلة .

وتعتبر يوغوسلاڤيا غنية نسبياً بالرصاص والزنك ، واللذين يستخرجان من إقليم ميتوهيجا : أي من مناجم تريبجا Trepča القديمة وزڤيجان Zevčan اللذين ينتجان الكادميوم أيضاً ، ومن ميناء جديد في كيشنيكا Kišnica وكذلك من سلوڤينيا حيث لا زال منجم قديم كان يستغله الإنكليز في الماضي ، وهو ميزيكا Mežica يعطي إنتاجاً لا بأس به .

ويحوي باطن الأرض أيضاً ، ولكن بكميات قليلة ، معادن غير حديدية أو معادن خليطة alliages ، نادرة في أوروبا ، كالكروم في مقدونيا ، وفي

ميتوهيجا ، والآن قرب زاجاكا Zajača في صربيا ، والمنغنيز وحتى الفضة . وقد أقامت يوغوسلاڤيا المصاهر المحلية ، وخفّضت تصديرها من الخامات وأصبحت تبيع اليوم الفونت ومنتجات تحويلية . وانطلاقاً من هذه الموارد راحت يوغوسلاڤيا تنمّي زمرة من أنشطة تحويلية .

وقد ساعد اندماج وتحديث المؤسسات بتخفيض عدد ترسانات البناء البحري : مثل « ٣ أيار » في ريجيكا وهي أكثرها نشاطاً ، وترسانة پولا ، كراجيڤيكا ، تروغير ، وسپليت . وتكون سفن الشحن المبنية هنا متوسطة الأبعاد ، فقد أنتجت ترسانة سپليت وريجيكا وحدات تبلغ حمولتها ١٥٠٠٠٠ طن ، وأنتجت پولا سفن نقل خامات معدنية minéraliers من حمولة ٢٥٠٠٠٠ طن . ويصدّر القسم الأعظم من هذه السفن . هذا وتوسعت صناعة بناء السيارات بفضل المعونة الغربية . وهكذا أنتجت مصانع كرڤنا زاستاڤا « العلم الأحمر » مئات الآلاف من السيارات السياحية من مصنع كراكو جيڤاك بترخيص من شركة فيات الإيطالية .

هذا وقد قام في مدينة كوپر ، في ايستريا ، مصنع تجميع سيارات سيتروين . أما شركة « كوسموس » في لوبليانا فتعمل بالتعاون مع شركة آلفاروميئو ، كما تعمل شركة ڤوزيلا ، في مدينة نوڤومستو مع شركة بريتش ليلاند موتو ركوريوريشن . أما شركة ليتوستروج في لوبليانا فتقوم بتجميع سيارات رينو وبلغ إنتاج السيارات السياحية في يوغوسلافيا عام ١٩٧٩ ٢٠٦٠٠٠ و ٦٤٠٠٠ سيارة نفعية . ويجب أن نضيف إلى ذلك صناعة الشاحنات بالاشتراك مع مرسيدس في مدينة پريبوج وفي پانشيرو (FAP) مع دوتز الألمانية في ماريبو (TAM) . وفي عام ١٩٨٠ كان في يوغوسلافيا أكثر من ثلاثة ملايين سيارة سياحية وأكثر من ١٤٠٠٠٠ شاحنة .

وأخيراً أصبحت يوغوسلاڤيا من الدول التي تصدر التجهيزات الصناعية ، ومصانع « مفتاح باليد » والتي تصدرها نحو الأقطار المتخلفة ، ولا سيا المغرب

والشرق الأوسط وآسيا وذلك في مجالات متنوعة من الألكترونيك ، وصناعة الأعمدة المعدنية ، والجسور والطرق ، وفي تنظيم المناطق المروية والورشات الزراعية الكبرى ، وفي التجهيز التعديني المنجمي . وتخرج هذه التجهيزات من مصانع كبرى ومؤسسات قائمة على الأخص في العواصم مثل مؤسسة « ليستو ستروج » في لوبليانا ، وراد كونچار Rade Končar في زغرب ، و TAM وهيدرومونتازا في ماريبور ، و « أول أيار » في زغرب ، ويوغو ستروج في راكوڤيكا قرب بلغراد ، وايڤولوزا ريبار في بلغراد إلخ ..

نمو الصناعة الخفيفة

تحتل الصناعة الخفيفة ، شأنها في الأقطار الاشتراكية الأخرى ، مكاناً متواضعاً ، والاستثمارات المخصصة لها تكون أقل من مثيلاتها الممنوحة للصناعة الثقيلة بكثير . وعلى كل يلاحظ في يوغوسلاڤيا جهد لإخراج هذه الصناعة التحويلية من ضمورها ، وهكذا خرجت الصناعة النسيجية ، التي كانت ضعيفة في الخمسينات ، من تأخرها . وتكون المنسوجات التركيبية من النوعية الجيدة والمصنوعة محلياً واسعة الانتشار ، مثلما احتفظ التبغ المقدوني بكل شهرته . كما تقدم زراعة النباتات الطبية أو قطفها مساهمتها للصناعة الصيدلانية ، وتعتبر حشيشة الدينار في إقليم سلاڤونيا وشعير السهول الپانونية أساس صناعة الجعة الممتازة . هذا كما شهدت الصناعة الحرفية على الخشب ، وعلى الفضة ، وعلى النحاس ، والنسيج ، بالموازاة مع السياحة نهضة خارقة . ويمثل إنتاجها نصيباً هاماً في مشتريات الزوار الأجانب .

الزراعة : بُناها وإنتاجها :

لا تمس جماعية الأرض collectivisation في يوغوسلاڤيا ، شأنه في پولونيا . سوى شطر ضعيف من المساحة الزراعية . ففي عام ١٩٧٢ كانت النسبة المئوية

العائدة للدولة تعادل ٨ ٪ ، وحصة التعاونيات ٦ ٪ وكان القطاع الخاص بالتالي يحتل القسم الأعظم من الأرض المزروعة . وكانت المساحة الوسطى لمستغلات الدولة ٤٨٠٠ هكتار ، ومساحة أرض التعاونية ٤٧٠ هكتار . وهكذا نلاحظ التضاد الجوهري بين نمطين من القطاعات : القطاع المؤلف من المستغلات « الاجتماعية » : وهي مستغلات سابقة صادرتها الدولة ، وهناك التعاونيات القديمة المسماة « تعاونيات العمل » التي تنتسب إلى الكولخوزات والتي تمّ حلّها ، وضمّت إلى بعضها البعض ، أو توسعت ، أما القطاع المؤلف من مستغلات صغيرة فردية فقد ثبت حدّها الأقصى بموجب قانون ١٩٥٣ بمقدار ١٠ هكتارات . وتتمركز المستغلات الأولى في السهول الشمالية الخصيبة ، أي في سلافونيا وڤويڤودين ، وتتمتع هذه باستثمارات وبأدوات زراعية وتختص في المزروعات الصناعية والعلفية والحبوب التي تستحوذ الدولة على كميات ضخمة منها . ويشكل الكثير منها « كومبينات زراعية صناعية » حقيقية مثل أشهرها وهي مستغلة « بلجه Belje » في إقليم باشكا Bačka والتي تغطّي بضع عشرات الآلاف من الهكتارات والتي تقوم ذاتها بتحويل القسم الأعظم من إنتاجها والتي يتم تسويق نسبة كبيرة منه ويصدّر للخارج . أما المستغلة الصغيرة التعاونية فتنتج عن تنظيمات قامت بعد الحرب ، والتي كان الهدف منها المساعدة على توطين معمرين بلا أراضي ، والأنصار ، والسكان الهابطين من الجبال . ولم يبق من ٤٠٠٠ جمعية كانت تمتد على ١,٦٦ مليون هكتار ، والتي كانت لاتزال قائمة حتى عام ١٩٦٦ ، سوى بضع عشرات في ١٩٧٠ ، والتي انصهرت في المستغلات السابقة الذكر ، أي في قطاع الزراعة الاجتماعية .

أما الملكيات الخاصة فقد صدرت عن الحيازات lopins العائلية التي لم يشملها الإصلاح الزراعي ، وهكذا يضم القطاع الخاص إذن شطراً من الإنتاج المعاشي ، وقد انضمت هذه الملكيات في معظمها ضمن تعاونيات عامة أو O.Z.Z والتي تقوم

بتقديم البذار مثلاً ، وتؤمن التسويق ، وتعقد اتفاقات مع شركات الدولة ومع القطاع الأول والاجتماعي في الإنتاج الزراعي . ولكن ليس هنا ما يشير إلى عزم نحو الانتقال إلى أشكال اجتماعية . والواقع لا تزرع المستغلات العائلية الصغرى عموماً أكثر من ١ إلى ٥ هكتارات . وهي في الواقع عبارة عن زراعة استهلاكية ذاتية عائلية مساعدة . وهكذا تحول المجتمع الريفي . ويقدر العارفون أن ربع أعضاء هذه العائلات يعمل في المدينة أو في المصنع . ونلاحظ استفحال البور الاجتماعي ، مثلما نشهد هجران السفوح الجبلية والقرى العائلية أو الفقيرة ، وتتكاثر المنازل من النمط الحضري في الريف ، وبداية بناء مساكن ثانوية ، وتشغل المستغلات الفردية ٩٠ ٪ من الأراضي الزراعية .

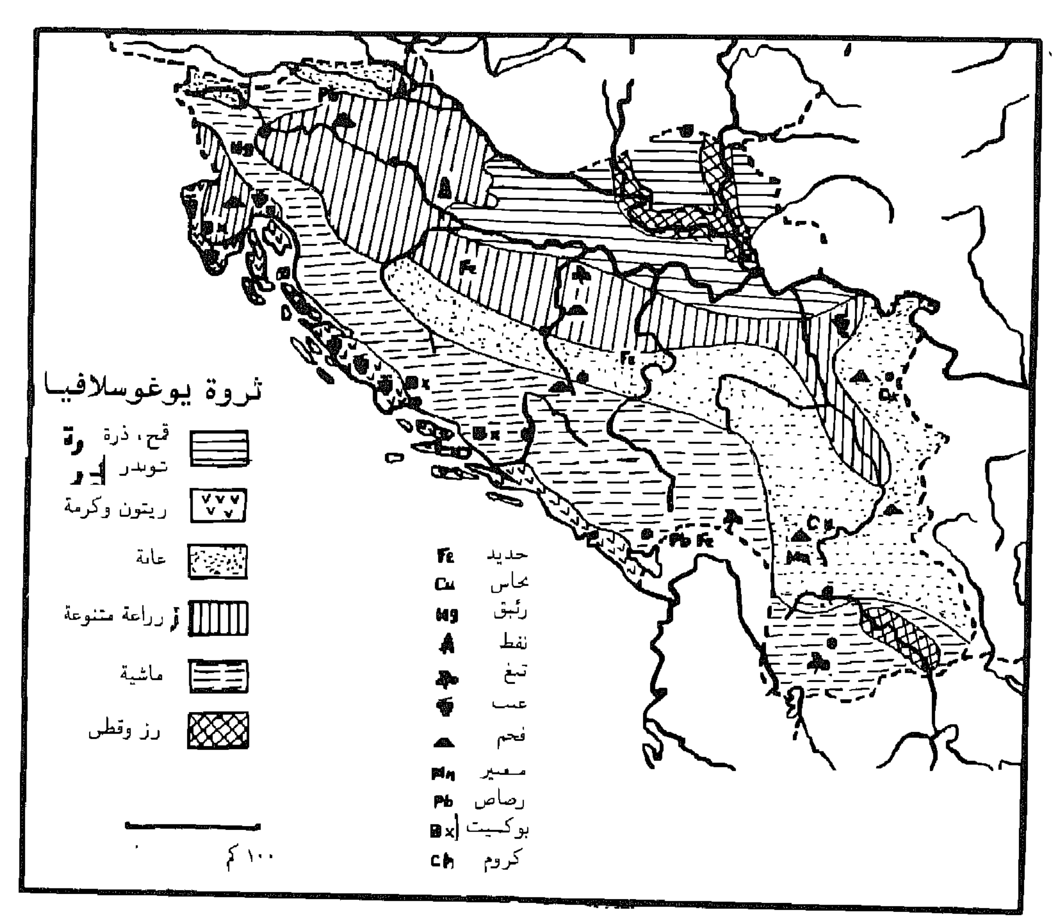
إذن نشهد في يوغوسلافيا تطوراً وسيطاً بين تطور الأقطار الغربية وبين تطور الأقطار الاشتراكية ، والطابع المميز هو وجود كتلة جماهيرية ناقصة الاستخدام في الريف ، والتي تقسر على الهجرة نحو البلاد الأجنبية (أكثر من مليون مهاجر إجمالاً ، وهي أيد عاملة من التي لا تجد مجال عمل لها في الزراعة ولا في الصناعة ، وهو ما يسمى بالرقيق الأسمر) .

وتظل المنتجات الكبرى هي الحبوب ، وتكون مصحوبة « بنباتات تقنية » كالشوندر والهندباء ، وحشيشة الدينار houblon ، والأفيون في مقدونيا ، والبذور الزيتية ولا سيما دوار الشمس . وتضيف إليها بعض النباتات شبه المدارية ، كالرز والقطن في مقدونيا ومنتجات البستنة والخضار ، ولا سيما زراعة الأشجار المثمرة ، التي يصدر القسم الأعظم منها . وأخيراً فإن الكرمة تعطي خموراً جيدة ولا سيما على الساحل الدلماسي ، في سلوڤينيا ، وفي بلاد الصرب الشمالية (شكل ١٠ و ١١) .

المنتجات الزراعية الرئيسية (م . ط)

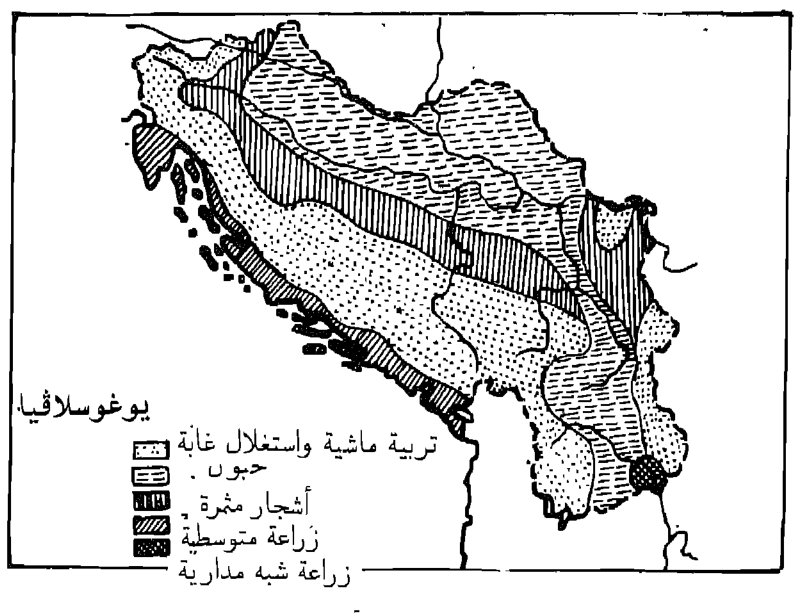
المادة	السنة ١٩٨١
ذرة صفراء	٩,٣ م . ط
قمح	٤,٢ م . ط
بطاطا	٣,٢ م . ط
شوندر سكري	٦,١ م . ط
خمر	٦,٧ آلاف هكتولتر
غابات	٣٥ ٪ من المساحة (١٤ مليون م٣)
أبقار	٥,٥ مليون رأس
غنم	٧,٣ مليون رأس
خنازير	٧,٧ مليون رأس

وتستورد يوغوسلافيا الحبوب في سني الجفاف وتصدر المواشي الفتيّة الحية ولا سيما باتجاه إيطاليا ، والطيور وخاصة الديك الهندي في عيد الميلاد نحو إنكلترا ، وأنواع خمور العرق مثل نوع شلجيقوفيكا الذي يصنع من الخوخ « عوّين » Prunes . ويتألف خمس صادراتها تقريباً من منتجات زراعية ولا سيما باتجاه أوروبا الوسطى والغربية . هذا وتكون الزراعة متمتعة باستغلال أراضٍ واسعة مستصلحة ، وخاصة بعد إصلاح ترب البودزول ، وتجفيف وصرف السهول الشمالية (سهل الساقا والدراقا) ، والپوليات الكارستية المعرضة للفيضان والمستنقعية . وأخيراً فإن الري يمتد ، رغم عدم كفايته ، على مساحة تبلغ أكثر من نصف مليون هكتار على قناة تمتد من الحدود إلى الحدود شرق الدانوب وتجتاز رافده نهر تيسزا ، والذي يتوسع في إقليم ڤويڤودين بفضل قناة دانوب ـ تيسزا ـ دانوب ، وفي أحواض مقدونيا ، وحوض ميتوهيجا الملاصق لحدود ألبانيا الشمالية الشرقية .



ثروة يوغوسلافيا
قمح، ذرة
توبدر
ريتون وكرمة
عابة
رراعة متنوعة
ماشية
رز وقطن
١٠٠ كم
حديد Fe
نحاس Cu
رئبق Hg
نفط
تبغ
عنب
فحم
منغنيز Mn
رصاص Pb
بوكسيت Bx
كروم Cr
Pb
Hg
Fe
Bx
Cu

الشكل (١٠)



الشكل (١١)

المناطق المتخلفة ومشكلات التخلف :

لا تستطيع المناطق المتأخرة لأسباب سياسية وتاريخية ، المحصورة والمعزولة ، والمحرومة من الموارد الطبيعية ، إن تحسّن أوضاعها باستخدام الاستثمارات الإضافية المخصصة لها ، وتشكّل محلياً ، أو في الخارج ، إطارات وأيدٍ عاملة مختصة ، مثلما تنظم أشكالاً جديدة من البنى التحتية infrastructures .

وقد ظلت هذه المشكلة معلقة لمدة طويلة ، ولكن أقدم الاتحاد أخيراً وتصدّى لهذه القضية ، وهي أكثر المشكلات الباعثة على القلق ، وأكثرها « بلقانيّة » والتي قد تثير نزاعات عرقية قديمة . ويوغوسلافيا من هذه الزاوية ، هي ذلك القطر الاشتراكي الوحيد الذي تعترف الدولة فيه رسمياً ، بوجود مناطق

« متأخرة » أو « ناقصة النمو » وتغطي ٤٢ ٪ من مساحة البلاد وتضم ثلث السكان ، ولكنها لا تحوي سوى ٨ ٪ من العاملين المستخدمين في خارج القطاع الزراعي ، أي طابعهم الزراعي والحرفي . وتنطبق هذه التسمية على جمهوريات مثل الجبل الأسود ، ومقدونية ، وعلى منطقة ذات استقلال ذاتي ، كمنطقة كوسوڤو (شمال شرق الحدود الألبانية) مثلما تنطبق على مجموعات من الكومّونات الجبلية والكارست في جمهوريتي صربيا وكرواتيا . أما جمهورية البوسنة والهرسك فتنال من ناحية أخرى « معاملة متميزة » .

وتتحقق تنمية هذه المناطق اعتماداً على الموارد المحلية ، وعلى موارد الجمهوريات ، ولا سيما تلك التي تأتي من صندوق اتحادي ، يتغذى على الخصوص من الجمهوريات الأكثر ثراء . وهكذا قفزت نسبة الاستثمار الصناعي في المناطق المتخلفة من ١٩,٣ ٪ من مجموع الاستثمارات الاتحادية في عام ١٩٤٨ إلى ٢٩ ٪ في ١٩٦٥ . وقد ساعدت القوانين الحديثة على تشجيع استثمار رؤوس الأموال الأجنبية في المناطق الأقل تطوراً .

وقد اتجهت هذه المساعدات نحو تنمية الموارد التعدينية التي كانت لا تزال مجهولة وعلى قيام الصناعة الثقيلة في البوسنة في جنوب الدانوب حيث تم تجديد منجم زنيكا ، ومصنع فحم الكوك في لوكاڤاك ، ومصنع الفولاذ الكهربائي في ايلليجاش illijaš ، وفي الجبل الأسود قامت المراكز الكهربائية وصناعة الألمنيوم ، وفي مقدونية على شكل تطوير مدينة سكوپيه التي قامت فيها كومبينا نسيجية حديثة ، ومصنع فولاذ حديث ، ومصفاة نفط . كما استفاد مشروع خط حديد بلغراد إلى بار Bar من هذه الجهود . أما في إقليم كوسّوڤو فقد تم مشروع تطوير مزدوج هو استصلاح الأراضي وتنمية المردود الزراعي ، وفتح مناجم وبناء مصاهر لمعادن غير حديدية محلياً .

غير أنه لا يتم تطبيق هذه السياسة دونما صعوبة ، فالمكاسب المتحققة من نمو قيمة الناتج القومي تبدو مطموسة بفوائض المواليد التي لا تزال عالية لدى السكان ، فقد بلغت ٢٠ بالألف عام ١٩٧٧ . هذا كما استفحلت الفوارق بين عوائد أكثر الكومّونات ازدهاراً وبين أكثرها تخلفاً ، وبين عوائد منطقة كوسّوڤو وبين العوائد في المدن اليوغوسلاڤية الكبرى ، وبين مدن وأرياف المناطق المتخلفة ذاتها . وإذا اتخذنا قرينة الاستهلاك في البوسنة والهرسك أساساً وهو ١٠٠ فإننا نجدها تبلغ ١٢٦ في مقدونية ، و ١٢٩ في الجبل الأسود ، و ١٦٥ في صربيا و ١٩٤ في كرواتيا و ٣٠١ في سلوڤينيا .

وكان الناتج القومي الخام للفرد في عام ١٩٧٢ بحدود ٨٠٠ دولار ، وكان يقارب ١٢٠٠ دولار في ١٩٨٠ ، وكانت هناك أي في ١٩٧٢ سيارة سياحية واحدة لكل ٢٥ مواطن ، وجهاز تلفوني واحد لكل ٩ مواطنين ، و ١ تلفزيون لكل ٢٠ نسمة وهي أرقام بعيدة عن مثيلاتها في أوروبا الغربية ، ولكنها تسير في اتجاه التناقص وبسرعة لا بأس بها .

أهم العملاء التجاريين في ١٩٧٣ مصنفين
حسب الصادرات بمليارات الدنانير

	الصادرات	الاستيرادات
المجموع	٤٨,٤	٧٦,٦
أوروبا	٣٧,٩	٦٠,١
إيطاليا	٧,٩	٩
الاتحاد السوفييتي	٦,٩	٦,٩
ألمانيا الاتحادية	٥,٤	١٤,٥
بولونيا	٢,١	٢
تشيكوسلوفاكيا	٢,١	٣,١
إنكلترا	١,٤	٢,٧

فرنسا	١,٣	٣,٤
ألمانيا الديموقراطية	١,٣	٢,٤
رومانيا	١,٢	١,٨
أمريكا الشمالية والوسطى	٤,٦	٤,٤
آسيا	٣,٣	٥,٦
آفريقيا	١,٩	٢,٤

الصادرات في ١٩٨١ : ٢٩٨,٣٦٠ مليار دينار .

وكانت تتألف من الخشب ، والمعادن غير الحديدية ، والمنتجات الزراعية .

الواردات في ١٩٨١ = ٤٣٠,١٦٦ مليار دينار .

وكانت تتألف من سلع التجهير ، المعادن ، والمنتجات الكيماوية والنسيجية والغذائية .

السياحة : عدد السواح الأجانب

١٩٦٤	٢,٢ مليون	١٩٧٠	٤,٧ مليون
١٩٦٥	٢,٦ مليون	١٩٧١	٥,٢ ملىون
١٩٦٦	٣,٤ مليون	١٩٧٢	٥,١ مليون
١٩٦٧	٣,٦ مليون	١٩٧٣	٦,١ مليون
١٩٦٨	٣,٨ مليون	١٩٧٥	٥,٨ مليون
١٩٦٩	٤,٧ مليون		

توزع جنسيات السواح في عام ١٩٧٣ بالآلاف

ألمانيا الغربية	١١٣٠	هنغاريا	٢٢٧
إيطاليا	٨٧٢	سويسرا	١٦٧
النمسا	٦١٨	تشيكوسلوفاكيا	١٥٢
فرنسا	٤٠٠	الاتحاد السوفييتي	١٣٥
إنكلترا	٣٦١	بلجيكا	١١٧
هولندا	٣٢٣	تركيا	١٠٠
الولايات المتحدة	٢٨٣		

وقد يحدث أن تتردد الجمهوريات في مساعدة شقيقاتها الأكثر فقراً ، وعندئذ تأخذ المشكلة ورطات سياسية . وهكذا تتردد سلوفينيا في إرسال كادرات وتقنيين نحو الجنوب رغم المزايا والعلاوات الممنوحة لهم . وتتميز كرواتيا التي لا تضم أكثر من ٢٣ ٪ من السكان العاملين في الاتحاد في تقديم ٢٧ ٪ من الناتج القومي الخام وتساهم بمقدار ٤٠ ٪ من العملة الصعبة وتمثل ٩٠ ٪ من النشاط السياحي ، ويساعد على ذلك شبكة طرق يبلغ طولها ١١٥٠٠٠ كم منها ٤٠٠٠٠ كم مزفّتة .

ويبدو هذا الاختلال في التوازن بين أقاليم يوغوسلافيا مماثلاً في كثير من ملامحه لصفات الميزوجيورنو الإيطالي ، فهناك فوائض طبيعية ناتجة عن ولادات شديدة ، وهجرة الفلاحين والشغّيلة نحو الشمال أو نحو الخارج ، استخراج بدائي لموارد معدنية لمصلحة الجمهوريات الشمالية وإقامة مؤسسات ثانوية ملحقة وتكميلية تعمل لمصلحة مؤسسات المناطق الأكثر تطوراً .

إذن يجب اتخاذ تدابير جديدة لتوطين الصناعة ، وتحويل محلّي للمواد الأولية الطاقيّة وسواها ، وتكثيف السياحة لمعالجة الوضع الحرج الذي يتحسن حسب وتيرة غاية في بطئها منذ ٣٠ عاماً .

سياسة الموارد اللامرئية :

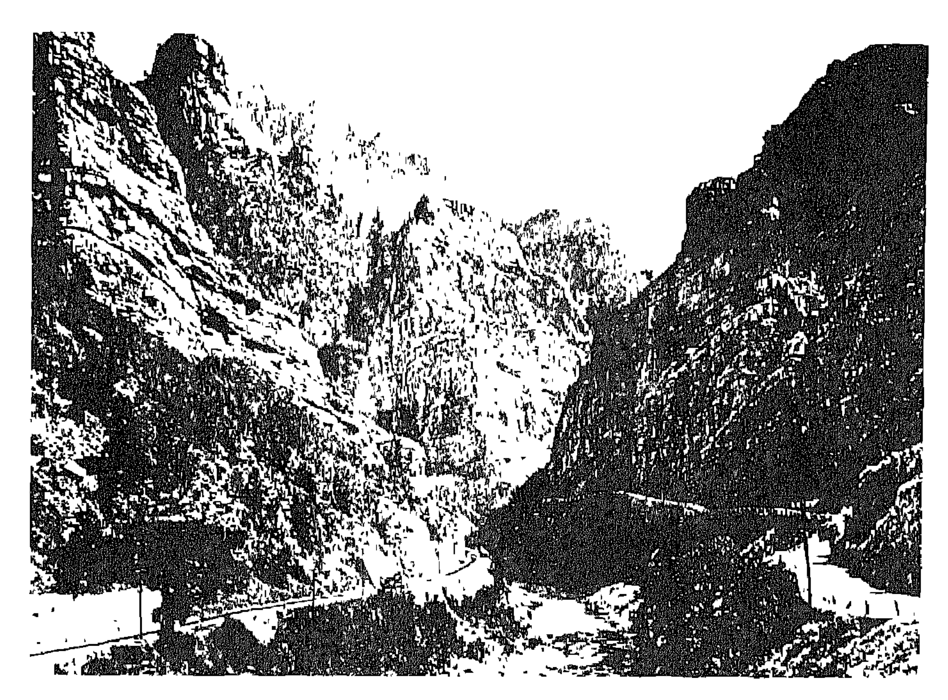
لقد اندفعت يوغوسلافيا ، كجارتها اليونان ، بصورة مترددة وخجولة في البداية ، نحو سياسة الموارد اللامرئية التي تسمح بتعديل الميزان التجاري العاجز بصورة مزمنة .

عوائد الأسطول التجاري : هناك سفن شحن يوغوسلافية تعار لدول أجنبية ، ولا سيا الغربية منها ، وتبلغ حمولة أسطولها الخام ٢,٤ مليون طنة (١٩٧٩) . وإذا كانت الحركة العامة لموانئها تتجاوز ٢٤ مليون طنّ فإن حوالي ثلثها يتجه لدول أخرى ، فميناء ريجيكا على الخصوص يمنح منطقة حرة لهنغاريا ، التي تمثل ثلث حركة الميناء المذكور ، والذي يدفع رسوماً سنوية تتناسب مع الخدمات المقدّمة .

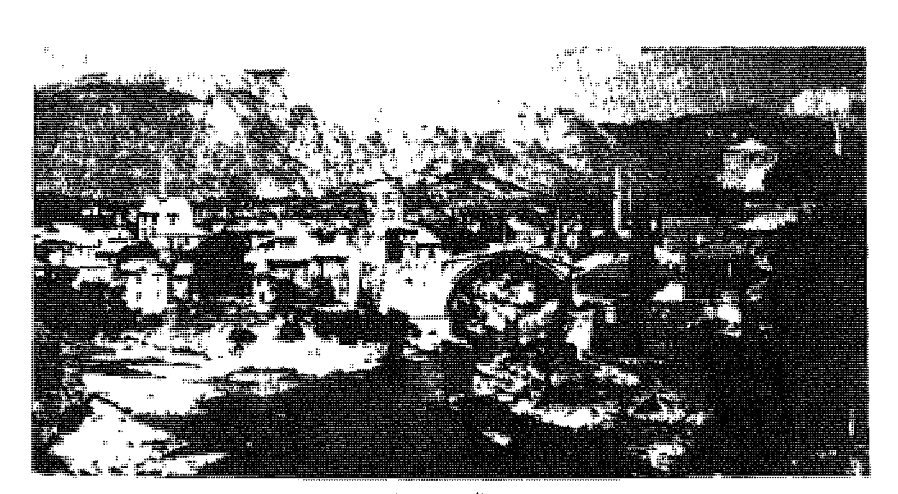
حوالات العمال المهاجرين إلى الغرب : ويبلغ عدد هؤلاء أكثر من ٨٠٠٠٠٠ نصفهم تقريباً في ألمانيا الغربية ويرسلون جزءاً ضخماً من أجورهم .

السواح الأجانب : وقد تجاوز عددهم ٦ ملايين في عام ١٩٧٣ . وتشير التقديرات إلى أن ٧٠ ٪ من العملة الصعبة إنما تأتي من الغرب . وتقدر هذه المدخولات بأكثر من نصف مليار دولار بالعام .

ولا يبدو أن الموارد اللامرئية تستطيع حالياً أن تسدد عجز الميزان التجاري الخارجي الصافي مع الأقطار الصناعية في أوروبا الغربية ، لأن نسبة تغطية الصادرات لم تكن تتجاوز ٥٠ ٪ في عام ١٩٧٩ ولكنها تساهم بحصة أكبر في كل عام ، ولكنها غير مضمونة بسبب استفحال البطالة في أكثر الدول الصناعية الكبرى والكساد الاقتصادي الذي تعاني منه .



الصورة (١)



الصورة (٢)

مدينة بوستار

التراث التركي الإسلامي الظاهر في الهندسة العمرانية

ألبانيا

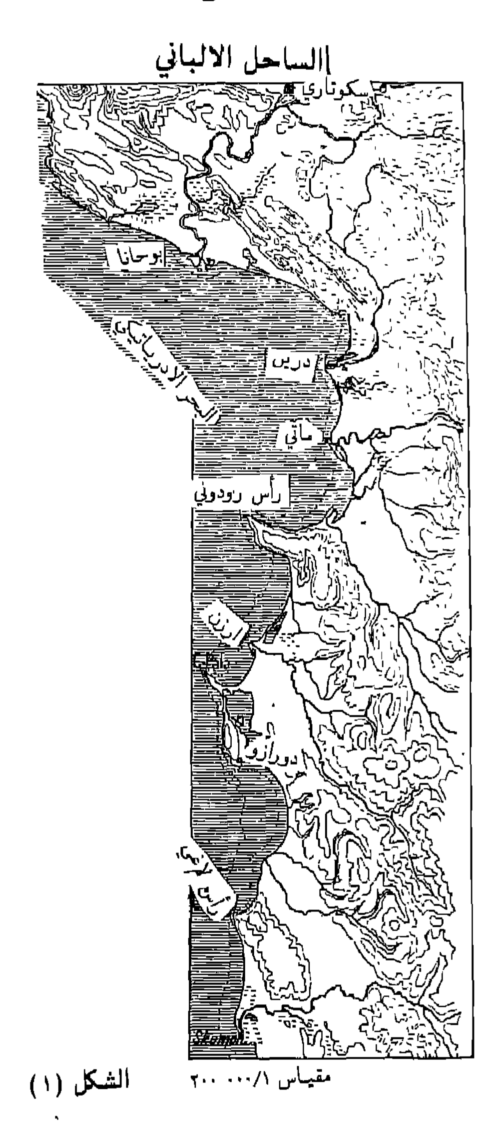
واسمها بالألبانية شكيپنيجا SHQIPNIJA عاصمتها تيرانا ١٩٠٠٠٠ نسمة ، يسكنها ٢٨٠٠٠٠٠ نسمة (١٩٨١) . وهي دولة فريدة في وضعها الجغرافي ، وفي عزلتها السياسية ، وبتطورها الاقتصادي . مساحتها ٢٨٧٤٨ كم٢ ، أي تعادل بلجيكا وتصل كثافة السكان فيها إلى ٩٧ نسمة في الكيلومتر المربع ، وهي بلاد ايلليريا القديمة .

البيئات الطبيعية : يدين هذا القطر بأصالته قبل كل شيء إلى الملامح القاسية في بيئته الطبيعية . فتؤلف الجبال ثلاثة أرباع مساحته مما منحه تسمية « بلاد النسور » . وتنتسب سلاسله الجبلية للمنظومة الدينارية التي ينعطف اتجاهها من الشمال إلى الجنوب ، ولا تزيد إطلاقاً عن ٣٠٠٠ م ، ولكن ارتصافها وصفتها المتكتلة تجعل النفوذ إليها عسيراً . ففي الشمال تظهر جبال الألب الألبانية ، مع الجبال الملعونة Maudits التي تنصب أعرافها فوق حلبات جمودية . وتظهر في الوسط زمرة من سلاسل متوازية مهينة . كما يظهر في الداخل الأخدود الضيق ، وهو أخدود دريني Drini وأحواض كورشا Korça وأوهريد وپرسپا Prespa ، ويستقر في قعر الأخيرين بحيرتان . ويظهر في اتجاه البحر حوض ماتي Mati والسهل الساحلي . أما في الجبال فإن الهضاب العليا ، ذات القمم المسلوخة ، فتمدد منطقة ايپر Epire اليونانية . وأما سلسلة هيمارا Himara الساحلية فتنتصب فوق تلال « الريڤييرا » الألبانية . وهناك واد عرضاني وحيد هام ، يعمل على تهوية هذا المجموع الجبلي ، وهو ممر سكّومبيني Skkombini الذي يعتبر طريقاً سالكاً منذ العصور القديمة . ويكون الشتاء طويلاً وقارساً مما يساهم

في عزلة الأودية العليا . وتعتمد الغـابـة على أمطـار غزيرة نسبيـاً ولكنهـا انحطت بفعل الرعي الجائر .

ولا يـزيـد عرض السهـل السـاحلي عن ٣٠ كيلـومتر (شكل ١) . وكان عنبر الحبـوب في عصر الإغريـق والرومـان وأصبـح فيما بَعـد مستنقعيـاً بسبب الإهمـال

الساحل الالباني



مقياس ١/٠٠٠ ٢٠٠

الشكل (١)

وجلاء السكان عنه في عهد الحكم العثماني . وتعمل السيول الجبلية المحدودة في جريانها بواسطة حبل ساحلي رملي ولاغونان Lagune بإغراقه في فصل الربيع . ونجد بين الجبل وبين هذا الساحل غير المضياف هامشاً من تلال توفر مواقع لمدن صغيرة تجارية ترتبط بطريق تجاري على الدوام . وتسمح عذوبة الشتاء ، لأن معدل كانون الثاني (ينـاير) في تيرانا لا يتجاوز ٧ درجات ، بزراعة الكرمة والزيتون في الجنوب ، مثلما يسمح قيظ الصيف بنجاح زراعات شبه مدارية ، ولكن الري يصبح ضروريا ، ويتطلب الأمر استثمارات عالية الكلفة .

وقد ساهمت التقلبات التاريخية بانحطاط قطر فقير طبيعياً كألبانيا . وبينما كان العثمانيون يشجعون الصناعة الحرفية والتجارة في مدن التماس التلية ، وكان الجبل يلعب دور ملجأ للسكان المطاردين . وحتى عهد قريب كانت تعيش فيه جماعة قبلية أو أبوية النظام تدعى فيس Fis التي احتفظت بعادات تعود للقرون الوسطى لاتزال بقاياها ماثلة كقانون الدم « الثأر » واللجوء إلى قلاع حصينة تدعى كولاّ Kulla ، واحتفالات الزواج المعقدة وأساطير وفولكلور .

الاستيطان : لا يزال النمو السكاني في ألبانيا يتجاوز ٣ بالألف سنوياً . وهكذا تضاعف عدد السكان بين ١٩٣٩ و ١٩٦٩ . ففي الدوائر الرعوية في الشمال تصل نسبة المواليد إلى ٤٠ بالألف وهبطت إلى ٣٢ بالألف عام ١٩٧٧ . ويظهر هذا التفاوت بين الجنسين لمصلحة العنصر المذكر ، وهو أمر فريد في دولة أوربية . ولاتزال نسبة السكان الزراعيين تقارب ٦٠ بالألف . كما أن كثرة المهاجرين تشير إلى ملامح قطر متخلف : فهناك أكثر من مليون ونصف ألباني يعيشون في الخارج : ففي يوغوسلافيا يعيش قرابة مليون ، وكذلك في إيطاليا الجنوبية وفي إقليم ايبير اليوناني وفي الولايات المتحدة إلخ .. ونظراً لاضطراب تاريخ البلاد لاتزال هناك فوارق حضارية . ففي الشمال يعيش قوم غيغ الذين يتكلمون لهجة مختلطة بتعابير سلافية وينتسب نمط حياتها إلى نمط سكان الجبل

الأسود اليوغوسلافي . أما في الجنوب فيعيش قوم توسك الذين تعرضوا للتأثير اليوناني فضلاً عن عشرات الآلاف من اليونانيين الذين يستوطنون منطقة جيروكاسترا .

ويعتنق ٧٠٪ من السكان الإسلام رغم أن العبادات قد أهملت تماماً . وقد اتخذت طريقة البكتاشية مقرها العالمي في تيرانا ، وتمارس علاقات طيبة مع السلطات الحكومية ، وينتسب ٢٠٪ للمذهب الآرثوذكسي ، و ١٠٪ من الكاثوليك رومانيون في إقليم شقودرة في الشمال .

الاقتصاد : لقد كان النمو الاقتصادي سريعاً نسبياً نظراً لانعدام استغلال الموارد قبل الحرب العالمية الثانية . وتستند التنمية على قوة عمل عديدة ، فتية ، خاضعة لانضباط قاس ، وعلى اشتراكية جماعية لكل وسائل الإنتاج ، ولا سيما الزراعة ، وفي المناجم ، وعلى تخطيط متمركز طموح ، يتصف بتطبيق البرامج الخمسية ، والتي انتهى سادسها في عام ١٩٨٠ ، والتي تمنح الأفضلية دوماً للصناعة .

الإنتاج الاقتصادي في ١٩٨١

القمح	٤٤٠٠٠٠ طن
ذرة صفراء	٣٣٠٠٠٠ طن
نحاس	١٠٠٠٠ طن
بترول	٣,٨ مليون طن
كهرباء	٢,٥ مليون ك و س
كروم خام	٣٩٠٠٠٠ طن
نيكل خام	٨٥٠٠ طن
ليغنيت	١٠٠٠٠٠٠ طن

استخدام الأرض

المساحة القابلة للزراعة	١١٪
أراض زراعية	٦٪
كروم ومزارع أشجار مثمرة	٥٪
المراعي	٣١٪
غابات	٣٦٪
أراض عقيمة	١١٪

السكان

عدد السكان الكلي ٢,٨٧ مليون (١٩٨١)

١,٠٤ مليون (١٩٣٨)

السكان الحضر ٦٦٠٠٠٠

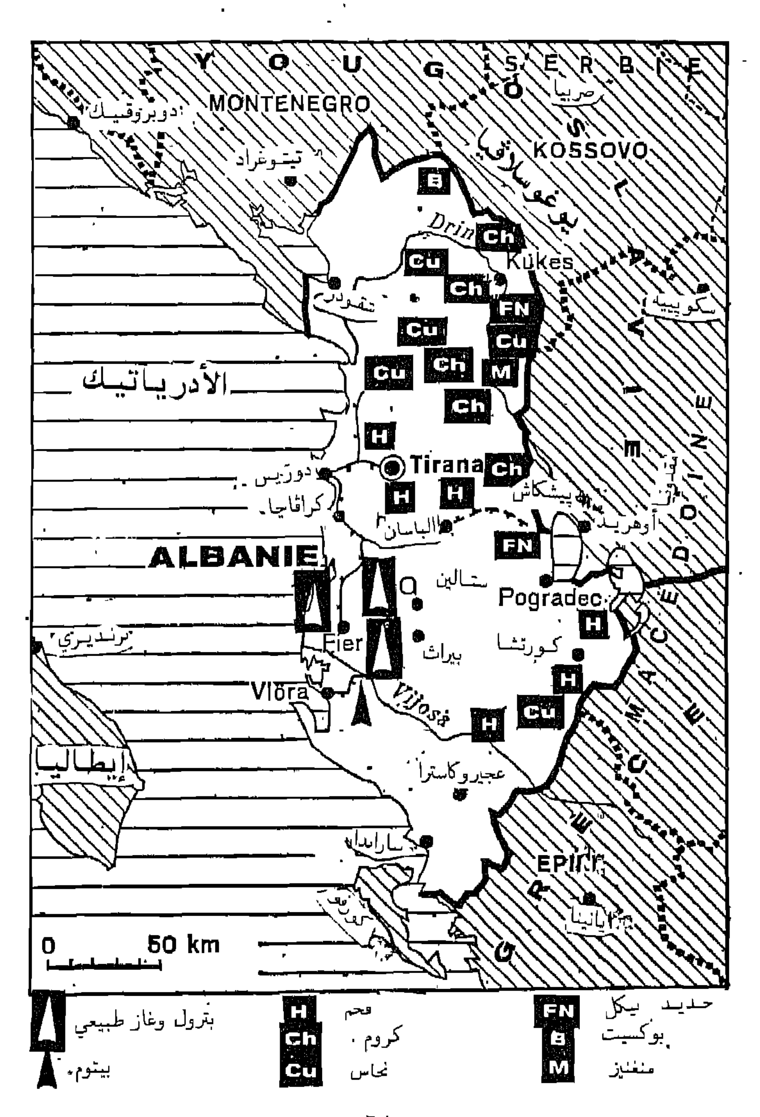
١٦٠٠٠٠ (١٩٣٨)

المدن الرئيسية :	تيرانا	١٩٠٠٠٠
	دورازّو Durrës	٦٠٠٠٠
	ڤالونا	٥٥٠٠٠
	شكودرة	٦٢٠٠٠
	كورسا	٥٥٠٠٠
	الباسان	٤٥٠٠٠
	بيراتي	٣٠٠٠٠

وقد اتجهت المشاريع الكبرى نحو زيادة المساحات الزراعية وتحسين التقنيات الزراعية . وقامت مستغلاّت الدولة باستصلاح المستنقعات الساحلية ، ولا سيا سهول فييري Fieri (أو ميزيكجه Myzeqega) التي أخضعت للري وسهل ڤيڤاري و دلڤينا . وأمكن الحدّ من انجراف التربة على المنحدرات ببناء المدرجات والمصاطب . وقد أمكن استزراع أحواض ما بين الجبال والأودية القادرة على تأمين إنتاج علفي كما أخضعت مساحات بائرة سابقاً لزراعة الكرمة والأشجار المثمرة . وزاد تكثيف إنتاج القمح بفضل انتشار الأسمدة الكيماوية التي أصبحت تنتجها مصانع وطنية واستطاعت البانيا أن تكفي نفسها من الحبوب لأول مرة في عام ١٩٧٦ . ويبدو أن المساحة القابلة للزراعة زادت بحوالي ٦٠٪ كما ارتفع المردود المتوسط بمعدل ٢٠ إلى ٤٠٪ ولكن الرقعة المزروعة فعلاً لا تزيد عن ١٠٪ من مساحة البلاد ولازال مردود الهكتار من القمح غير مرتفع ، وفي البلاد ٤٧٥٠٠٠ رأس بقر و ١,١ مليون من الأغنام و ٦٨٥٠٠٠ من الماعز .

أما استغلال الموارد المعدنية فقد حقق نجاحات أكبر . فيستغل البيتوم الجيد

الثوعية في سيلينيكا Selenica جنوب غرب تيرانا ، في الجنوب . وهناك خامات النحاس التي يعتبر احتياطيها كبيراً على المستوى الأوربي . وتستخرج من جبال الوسط والشمال ولا سيا من حول بلدة روبيكة.(شمال تيرانا) والفلزات الحديدية والنيكل من وادي دريني الأعلى الذي يتجه نحو يوغوسلافيا ، والكروم من حول بلدة كوكيزي Kukësi (في أقصى الشمال الشرقي) (شكل ٢) .



ولما كانت أحواض الليغنيت شديدة التبعثر فإن مناجم كرابا ، وهي أشهرها ، وميالياج ، ومنطقة كورسا ، تقوم بتغذية مراكز كهربائية حرارية محلية . أما الطاقة الكهرمائية الكامنة المقدرة بحوالي ٣ TWh فلا تزال بعيدة عن الاستغلال الكلي . وأوائل المراكز الكهربائية مثل المركز القائم قرب تيرانا العاصمة . وآخر في حوض نهر ماتي (شمال تيرانا) فلا يحققا أكثر من إنتاج زهيد . وتعلق آمال كبيرة على تجهيز وادي دريني وعلى بناء مركز كبير القدرة في دائرة شقودرة .

ويؤلف النفط ثروة البلاد ، وفضلاً عن الأحواض المستغلة من عهد الاحتلال الإيطالي (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) أضيفت آبار جديدة تنتج النفط والغاز الطبيعي وكلها تتمركز في السهول بين بيراتي والساحل (جنوب تيرانا على نهر اوزومي) ويتم تكرير الإنتاج في مدينة سيرّيكو Cërriku بين تيرانا وبيراتي ويصدر الباقي بواسطة أنبوب نحو ميناء ڤلورا غرب سيلينيكا .

ويظل الاهتمام الأقصى للحكومة متركزاً على بناء كومبينات كبرى على مستوى البلاد ، تستخدم كل منها بضع آلاف العمال ومجهزة بآلات متنوعة مستوردة من الخارج ، كما تهتم الحكومة بتقليص استيراد المنتوجات المصنوعة المنتهية . ونذكر بين أكثر الإنجازات تظاهرية الكومبينات النسيجية المسماة « ستالين » في تيرانا وكومبينا « ماو تسي تونغ » في بيراتي . كما قامت مصانع للأسمدة الكيماوية الآمونياكية في فييري Fieri قرب الساحل بإنتاج يبلغ ٦٠ ألف طن ، جنوب غرب تيرانا ، والأسمدة الفوسفاتية في لاسي Laçi ٢٥٠٠٠ طن والمركّبات المعدنية ، والنيكل في بيشكاشي ، جنوب شرق تيرانا ، والنحاس في روبيكو (شمال تيرانا) وصناعة القضبان الحديدية في شقودرة (على بحيرة شقودرة في الشمال) . ويقوم مشروع لبناء مصنع جديد في الباساني Elbasani جنوب تيرانا لمعالجة خامات الحديد والنيكل اعتماداً على الغاز الطبيعي وقد

أنتجت ألبانيا فولاذاً لأول مرة في سنة ١٩٧٦ . والواقع لاتزال « الصناعات الخفيفة » تمثل ثلاثة أرباع قيمة الإنتاج الكلي . فهي تعمل على تحويل المنتجات الخام التي تقدمها تربية الماشية والزراعة كالجلود والتبغ والمعلبات إلخ ... في مصانع موزعة بجوار مستغلات الدولة في السهل الساحلي وفي سائر المدن . ويمكننا أيضاً أن نذكر صناعة البناء البحري والصناعات المرتبطة بالصيد البحري في الميناءين الوحيدين وهما دورازّو Durrësi غرب تيرانا وڤلورا بالجنوب ، وكذلك كومبينا صناعة الخشب الهامة في الباساني وتنتج حوالي مليون طن من الاسمنت في ١٩٨٠ بعد أن كان لا يزيد عن ١٥٠ ألف طن في ١٩٦٢ .

وتقدم ألبانيا نموذجاً غريباً عن تطور سريع ابتدأ من الصفر . ويبلغ التزايد السنوي للدخل القومي حوالي ١٠٪ . غير أن هذا النمو يرتكز على عوامل هزيلة ، وعلى غياب التماس ، وحتى السياحة ، مع سائر أوروپا وعلى الأمل في استمرار العون البعيد من الصين الشعبية ، والتي ارتبطت معها بخط ملاحي يقوم على الاتصال عن طريق جبل طارق إلى رأس الرجاء الصالح ، على أثر إغلاق قناة السويس ، ويقدَّر أن ثلثي التجارة الخارجية تتم مع الصين ، ولو توقفت معونة هذه الدولة الكبرى لوقفت ألبانيا على شفير الهاوية .

بلغاريا

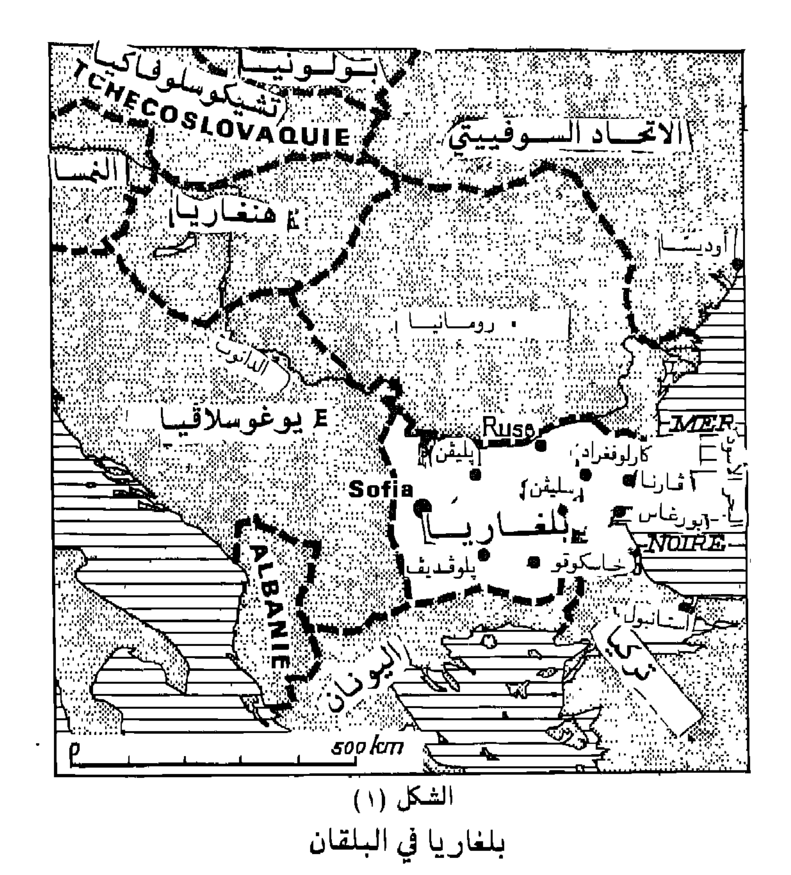
دولة بلقانية في جنوب شرق أوربا إسمها بالبلغارية Bálgarıja . مساحتها ١١٠٩١٢ كيلو متر مربع . بلغ عدد سكانها ٨,٩ ملايين نسمة في ١٩٨١ مقابل ٨,٢ ملايين في ١٩٦٥ (شكل ١) .

بلغاريا دولة ذات نظام تعاوني تشكل جزءاً من الكوميكون وعضواً في حلف وارسو . وتطرح مشكلة تنمية وتطوير في وسط لا زال ريفياً وذلك تحت تأثير تقنيات جديدة واشتراكية وسائل الإنتاج . وتقدم مثالاً طيباً عن انجازات إقليمية حولت جغرافيتها الطبيعية بعمق . وقد أفلحت في استغلال الموارد الرئيسية التي تقدمها البيئة من أراضٍ زراعية وموارد مائية ومعدنية وإمكانات في النقل البري والبحري والسياحي .

الإطار الطبيعي :

تقع نصف مساحتها فوق ارتفاع يزيد عن ٥٠٠ متر ، هذا وعلى الرغم من أن القمم الرئيسية فيها ، شأن معظم بلاد البلقان ، لاتبلغ ٣٠٠٠ م ، فإن من الممكن اعتبار بلغاريا بلاد جبال . وتنتمي هذه الجبال إلى منظومتين أوروجينيتين :

الكتل القديمة وتحتل جنوب بلغاريا : وتشكل فوق الساحل اليوناني لبحر ايجة حاجزاً يساهم في تحديد نفوذ المناخ الرومي (المتوسطي) إلى داخل أراضيها . ولهذا يكون فصل الشتاء في كل أرجائها طويلاً ، شديداً قارساً ، وتتغطى السفوح العالية بما يكفي من ثلوج مما يسمح لمحطات الرياضة الشتوية ، على قلتها ، أن تزدهر وتنشط . أما في السهول فالصيف حار ، وأحياناً رطب ، مما يساعد على قيام مزروعات مدارية سنوية كالرز والقطن ، ولكنه يعرقل



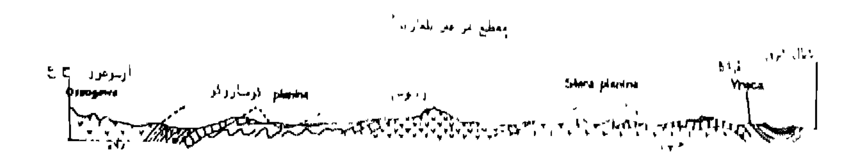
الشكل (١)

بلغاريا في البلقان

قيام النباتات الرومية : فلا نجد سوى القليل من أشجار الزيتون على ساحل البحر الأسود مزروعة في الحدائق . ويتألف سور رودوبا الجبلي من صخور قديمة تعود للحقب الأول ، وكذلك من عروق بركانية ، وتتخذ شكل هورست horst ناهض في آخر الحقب الثالث ، ومحدود بكسور ، لا تزال تواكبها الينابيع المعدنية الحارة ، وتنفصل من أعلى قمم جبال رودوبا Rhodope ، بمعناها الدقيق ، بعض الكتل الجبلية مثل كتلة پيرين ، ريلا ، ڤيتوجا Vitoša ، وتظهر فيما وراء وادي ماريكا كتلتان متبلورتان أقل ارتفاعاً هما سردنا غورا (الجبل الأوسط) وسارنينا غور (جبل الوعول) Sărnena Gora . ويؤلف مجموع هذه الكتل خزاناً لموارد متنوعة ، وتغذي المياه سدوداً تخزينية كبيرة الحجوم ، مثل سد باتاك على

نهر ايسكار iskår ، والتي قامت عند أقدامها المراكز الكهرمائية والتي يتوزع جزء من مائها في النطاقات المروية في الأودية والأحواض . وتتسلق الغابة السفوح حتى ارتفاع ١٨٠٠ ـ ١٩٠٠ م ولم تصبح بعد هدفاً لاستغلال حثيث . أما المراعي العليا فتتردد عليها قطعان الرعاة المنتجين . وتوفر العروق المعدنية إمكانات استغلال فلزات غير حديدية . ويظل الجنوب البلغاري المثقّب بأحواض منعزلة مثل حوض مستا Mesta ، والذي تتصرّف مياهه جزئياً بواسطة وادي ستروما Struma الضيق الذي يعتبر ممراً هزيلاً للعبور إلى اليونان ، وينفصل عن مقدونيا اليوغوسلافية بواسطة أصلاب échines تضريسية متكتلة ، أقول يظل هذا الجنوب منعزلاً نسبياً ومتأخراً . وتظل كثافات السكان فيه ضعيفة .

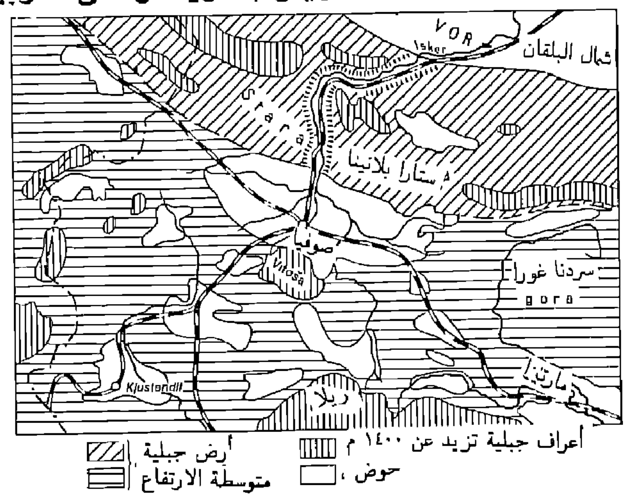
أما في الشمال فنجد إقليم ستارا پلانينا Stara Pianina (أو البلقان) ويؤلف قوساً يدير تحدبه نحو الدانوب : ويؤلف امتداداً لجبال كارپات تيموك Timok ويشكل الحدود بين صربيا وبلغاريا (شكل ٢) . ويقوم مجموع الطيات الكريتاسية بتغليف الكتل القديمة المتقوّلبة حول العتبة الڤالاخية Valaque وتغوص تحت منخفض البحر الأسود عند رأس ايمين Emin . ولا تتجاوز الارتفاعات فيها ٢٥٠٠ م في القسم الأوسط ، وهو الأكثر ارتفاعاً، ولكن المواصلات تكون عسيرة نوعاً ما ، وفي بعض الأحيان ، تؤلف جبال البلقان عائقاً أمام المواصلات بين السهول الداخلية وبين بلغاريا الشمالية . ولكن نهر ايسكار هو



الشكل (٢)

وحده الذي يقدم طريقاً بواسطة ممرّه (شكل ٣) . ومن ناحية أخرى يكون الجبل الكلسي أكثر جفافاً ولا يحوي سوى قمماً صلعاء والتي انحطت نباتاتها جزئياً بواسطة الرعاة ، وهكذا لا يحوي غابات جميلة تحت مناخ ذي صيف أكثر جفافاً بصورة محسوسة ، ويتصف النبات باتجاه الشرق بمظاهر سهبية . وتظل الزراعة المروية في الأحواض الصغيرة والانتجاع الرعوي هما أبرز الأنشطة التقليدية .





الشكل (٣)

بلغاريا الشمالية هي بلغاريا دانوبية : ابتداءً من سفوح جبال ستارا بلانينا وحتى السهول الفيضية لنهر الدانوب ترتصف منبسطات ومصاطب ، وتلال محززة بفعل شبكة نهر ايسكار ونهر ڤيست ونهر جانترا ، وتكون الأودية مفرّغة أحياناً على شكل أحواض حيث توجد مدن عديدة متوسطة الأبعاد مثل لوفِج Loveč ، وپليڤين Pleven وغابراڤو وتارنوڤو ، وشومن Sumen . وقد بعثت مشاريع الري المنجزة حديثاً النشاط في سهول الدانوب المنخفضة ، كما أوجدت الملاحة نشاطاً ملحوظاً في موانئ ڤيدين ، وسڤيشتوڤ Svištov ولاسيما في

ميناء لوم وروسك عند جسر الصداقة الذي يمر فوقه الخط الحديدي الذي يعبر رومانيا حتى أياشي iaŝi ويربط بلغاريا بالاتحاد السوڤيتي . وتمتد في الشمال الشرقي هضاب كريتاسية ونيوجينية ترتكز فوق قطعة من الرَكيزة socle ، وتميل حسب ميل لطيف باتجاه الدانوب وتطل فوق البحر الأسود بجدران ساحلية والتي يعمل مناخها ذو الصفات السهبية على استبعاد الشجرة ولكنه يوائم زراعة الحبوب الواسعة الكبيرة . تلك هي منطقة لودوغوزيا Ludogosie (الغابة المجنونة) ومربع دوبروجه Dobroudja الذي تؤلف مدينة تولبوخين Tolbukin عاصمته .

بلغاريا الوسطى أو الداخلية : وتتألف من زمرة من أحواض ذات أبعاد متفاوتة : وتكون خافسة بين منظومتين جبليتين ، ومنفتحة على حوض كبير باتجاه الجنوب والشرق ، وتؤلف ما كان يدعى في الماضي تراقيا Thrace وهي أكثر المناطق سكاناً وخصوبة . ويقع في الشمال الشرقي حوض صوفيا الذي يتعمق بين جبل ڤيتوزا Vitoŝa والسلاسل الصغرى لجبال ستارا پلانينا ، ويكون ميسور الاتصال نسبياً مع وادي نيزڤا Niŝava الصربي بواسطة عتبة سهلة الاجتياز . ويخترق نهر ايسكار الحوض ويجري باتجاه الدانوب . ويفسر وجود البلاد الصربية وعقدة الطرق الأفضلية والأرجحية التي اكتسبتها صوفيا على حساب تورنوڤو Tŭrnovo (بين صوفيا وساحل البحر الأسود) العاصمة البلغارية القديمة بعد استقلال عام ١٨٧٨ . كما يكون من الميسور الانتقال من حوض صوفيا نحو الأحواض الصغرى لوادي ماريكا العلوي (أو مارتيزا) ونحو سهول تراقيا في جنوب شرق البلاد ، وتتألف تراقيا من حوضات مقطّعة بشبكة قصيرة العناصر ، تتألف من أنهار تهبط من جبال رودوپ ، والتي تحزّ جرفاً صدعياً بديعاً escarpement de faille يتجه نحو الشمال ، ومن زمرة من أحواض آردا ، في الجنوب ، الذي يرفد نهر ماريكا فيما وراء الحدود ، أي في تركيا ، ومن

روافد أكثر طولاً وعرضاً ، وأكثر هدوءاً قادمة من جبال ستار پلانينا ومن جبال سترجاما Strjama ومن جبل تمدزا Temdža والتي تنساب في أحواض اطمائية بديعة . وتقدم كل هذه الأنهار مياهها للري الضروري في منطقة تقل أمطارها عن ٥٠٠ مم . ويسمح طول فصل الصيف والحر بزراعة الأشجار المثمرة ، والخضار الشرهة للماء مثل البندورة (طماطم) والفلفل الأحمر والبطيخ والشمام والكوسا ، والنباتات الصناعية مثل دوار الشمس والسمسم ، والتبغ ، والقطن ، والكرمة ولا سيما عند حافة جبل رودوپ . وهناك مدن ضخمة تسيطر على مناطق زراعية سائرة نحو التصنيع مثل آزينوڤغراد وكاردزالي في الجنوب ، وكازانليك (شرق صوفيا) عاصمة وادي تاندزها Tandžha الشهيرة بزراعة الورد التقليدية ، ومدينة ليڤسكيغراد Levskigrad في الشمال وستارا زاغورا (جنوب شرق صوفيا) وسكانها ١٣٥٠٠٠ نسمة ونوڤازاغورا وسليڤن (بين صوفيا والبحر الأسود) ١٠٠٠٠٠ نسمة في الشمال الشرقي ، ومدينة پلوڤديڤ Plovdiv (جنوب شرق صوفيا) وهي عاصمة إقليمية ويبلغ عدد سكانها ٢٧٥٠٠٠ نسمة ، وهي عقدة الطرق بين الغرب والشرق ، ويؤلف المعرض الدولي رمزها ، وتستقطب هذه المدينة الصناعات التحويلية للمنتجات الإقليمية : سيللولوز ، صناعات خشبية ، المنسوجات المعتمدة على الصوف والقطن والقنب والحرير المحلي والصناعات الغذائية ومصانع التبغ والصناعات الميكانيكية الصغرى .

أما بلغاريا الساحلية فتتألف من سهول منخفضة : تنصرف مياهها بواسطة أنهار ساحلية تصب في ليانات تؤلف مواقع لموانئ خلفية مثل ڤارنا Varna (٣٠٠٠٠٠ نسمة) وبورغاس (١٦٠٠٠٠ نسمة) . وهناك تيارات ساحلية تجلب لحقيات دانوبية وتشكل سهاماً رملية ، أو تومبولو ، وأشهرها تومبولو نيزيبار Nesebar الذي يعتبر موقعاً أثرياً . ونجد على كل جانب من الخلجان الصغيرة والعريضة ساحلاً ذا جروف تشير في شمال إقليم دوبروجه أو جبال ستارا

پلانينا إلى مهبط عتبة ستراندزا . ويوفر الصيد البحري وتجارة المساحلة أسباب معيشة موانئ صغيرة تقليدية ، غير أن معظم حركة التجارة البحرية يتمركز في ڤارنا وفي بورغاس ، وترتبط ڤارنا مع الداخل بواسطة قناة بمدينة ريكا دڤنجه مركز الصناعة الكيماوية . أما الميناء الثاني ، وهو بورغاس (١٦٠٠٠٠ نسمة) فيعالج النفط البلغاري المستغل من وادي كامجيجه Kamčija وكذلك النفط المستورد من الاتحاد السوڤيتي . أما الصناعات المرتبطة باستيراد المواد الخام فقد نمت وتوسعت فيه ويتم معظم نشاطه مع الاتحاد السوڤيتي . وقد سمح تنظيم استغلال الساحل ، الذي يشتمل على بلاجات بديعة ، على نمو سياحة بحرية هامة .

الاقتصاد :

النمو الاقتصادي : كانت بلغاريا تعدّ قبل عام ١٩٣٩ في عداد أكثر الدول البلقانية تأخراً . غير أن تقاليد الصناعة الحرفية وإنشاء التعاونيات الزراعية ، واستغلال بعض الموارد المعدنية سمحت لبلغاريا ، منذ ١٩٤٥ ، بأن تنطلق فوق قواعد لا بأس بصلابتها .

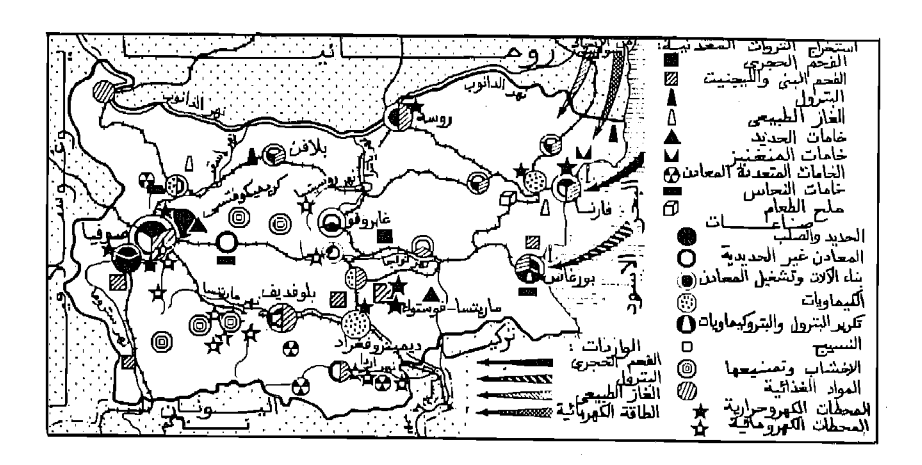
ولم تتعرض بلغاريا لمشكلات ديموغرافية خطيرة . ولا يكون نموها الطبيعي مفرطاً ، هذا كما هاجر بضع مئات الآلاف من الأتراك وبعض آلاف اليهود في خلال السنين التي أعقبت الحرب . ويظهر من التركيب القومي للسكان أن ٨٦٪ من السكان هم من البلغار إلى جانب ٨٪ من الأتراك الذين يكثرون في إقليم كاردازلي Kārdāzli ، في الجنوب ، و ٤٪ من النَّوَر (التزيغان) ومئة ألف من اليوماك Pomaks (بلغار مسلمين) في جبال رودوپ ، ومقدونيين وأرمن ويونان ورومان . كما يكون التوازن متحققاً بين المدن والأرياف ، وبين الصناعة والزراعة . هذا كما تقدمت نسبة التعليم بسرعة في كل مكان .

ويعود النمو الاقتصادي ، قبل كل شيء إلى العون السوفياتي الضخم على شكل هبات وقروض . ويعود الفضل في تجهيز الموانئ والخطوط الحديدية والتطوير الزراعي والتعديني ، في معظمه للاتحاد السوفيتي : مثل الكومبينات التعدينية الكبرى والطاقيّة في منطقة نهر ماريكا الذي يصب في بحر إيجه ، وكذلك قيام أول معمل للفولاذ « لينين » في مدينة ديمتروف (اليوم Pernik) ومصنع الصودا في ريكادڤنجا قرب ڤارنا . وتمت منذ عشرين عاماً إنجازات صناعية بناء على طلب السلطات البلغارية من شركات أوروپا الغربية : وهكذا قامت مجموعة شركات فرنسية بتجهيز قسم من صناعة البتروكيمياء في ميناء بورغاس ، وقامت شركة سيارات « رينو » الفرنسية بإنشاء سلسلة تجميع في موقع « R8 » طاقتها ١٠٠٠٠ سيارة في العام . وقامت شركة فرنسية بلغارية بتجهيز كومبينات لإنتاج الأسمدة الكيماوية ، وتقدم المؤسسات الفرنسية المعونة التقنية في مجال صناعة الخمور وفي تحويل المنتجات الزراعية .

وقد واكب التخطيط الاقتصادي ، مع بعض التأخير ، كل المراحل التي عرفها الاتحاد السوفيتي . فتعاقبت حتى عام ١٩٨٠ سبعة مخططات خمسية . وقد كانت الأفضلية الممنوحة للصناعة الثقيلة ضمن شروط عائدية ومرنة للغاية ، وتم تطبيق الاشتراكية بسرعة على الزراعة ، وهذا ابتداءً من حكومة زيڤكوف ، وذلك ضمن تدابير أكثر مرونة وليبيرالية : فجرى تخفيف الالتزامات الكولخوزية ورفع الأسعار الزراعية ، وتكوين مناطق اقتصادية كبرى تتمتع ببعض سلطات التقرير ضمن إطار اللامركزية ومساهمة المنظمات في إعداد ضوابط normes التخطيط .

وتلعب بلغاريا دوراً نوعياً ضمن إطار المؤسسات الكوميكون ولجانه المختصة . ومما لا ريب فيه أنها لم تتنازل عن إنتاجها من الفولاذ البالغ ٢,٥ مليون طن . غير أن اقتصادها الصناعي المختص يتجه بالأحرى نحو استغلال الخامات

غير الحديدية كالرصاص الذي يبلغ ١٢٥٠٠٠ طن والتوتياء ٩٠٠٠٠ طن ، وإنتاج المنسوجات بصورة كثيفة ، إذ يقارب إنتاج غزول القطن ٨٥٠٠٠ طن والمنتجات الزراعية كالمعلبات ، وخيوط الصوف ٣٤٠٠٠ طن . وقد تحددت أكثر القطاعات عائدية في الصناعة الميكانيكية بصورة جيدة من قبل الكوميكون : وهكذا عهد إلى بلغاريا بصنع قسط كبير من الأجهزة الكهربائية . ولا تزال ثلاثة أرباع تجارتها الخارجية تتم مع الاتحاد السوڤيتي . وينهض ميناء ڤارنا وبورغاس بالقسم الأعظم من حركتها مع ميناء أوديسّا السوڤيتي وموانئ البحر الأسود الأخرى، غير أن نصيب مبادلاتها مع الغرب ومع أقطار العالم الثالث في تزايد ، وتلعب بلغاريا دوراً متواضعاً فعلاً في عون المعسكر السوڤيتي للأقطار المتخلفة ، ولكنه دور لا بأس به فترسل الإطارات التقنية والمهندسين والأطباء نحو بلدان أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط ، وتساهم في المشاريع الزراعية ، وفي إنشاء المراكز الكهربائية والمصانع الميكانيكية (شكل ٤) .



صناعة بلغاريا

الشكل (٤)

حركات السكان الطبيعية

السنة	مواليد بالألف	وفيات بالألف	النمو بالألف
١٩٤٥	٢٤	١٤,٩	٩,١
١٩٥٠	٢٥,٢	١٠,٢	١٥
١٩٥٥	٢٠,١	٩	١١,١
١٩٦٠	١٧,٨	٨,١	٩,٧
١٩٦٥	١٥,٣	٨,١	٧,٢
١٩٧٢	١٥,٢	٩,٨	٦,٥
١٩٧٧	١٦	١٠	٦
١٩٨٠	١٥,٥	١٠,٥	٥

وكان عدد سكان البلاد عام ١٩٧٧ ٨,٨ ملايين و ٨,٩ ملايين في منتصف عام ١٩٧٩ و٨,٨٩ في ١٩٨١ .

وأخيراً سارت بلغاريا على نهج رومانيا ويوغوسلافيا في تنمية تجهيزها السياحي على نطاق واسع ، فقامت بحملات دعائية في الخارج ، كما تستقبل أعداداً متزايدة من السّواح الغربيين الذين يجلبون معهم القطع النادر ، وتنمّي تجهيزها على ساحل البحر الأسود وحتى في الجبال . ويساهم الدخل الذي لا يمكن إهماله من « الموارد غير المنظورة » في متانة ميزانها في المبادلات الخارجية . وهكذا استحقت بلغاريا اللقب الذي تطلق عليها أحياناً « سويسرا الأقطار الاشتراكية » .

التنظيم الإقليمي والإنتاج

لقد كانت نتائج السياسة الاقتصادية بطيئة في ابراز معالمها : فبعد فترة من « الإقلاع » ومصاعب ناجمة عن تدابير متوالية من إعادة التنظيم ، فإن نسبة التنمية والمؤشرات الاقتصادية ، أو أشكال الإنتاج الإجمالي ، حسب القطاعات ، تشهد على أن بلغاريا أصبحت بلداً يسير منذ عام ١٩٦٠ نحو تنمية سريعة بلغت ٧٪ سنوياً في ١٩٧٦ .

غير أن الزراعة لا تزال تؤلف فرعاً هاماً : ويتمركز ثلاثة أرباع الإنتاج في القطاع المدوّلن والتعاوني : فالدولة تدير بعض المزارع الكبرى المتخصصة . فتضم التعاونيات ، التي تدعى هنا « المستغلات الزراعية للعمل التعاوني » ، الأراضي والعديد من المستغلات الخاصة وتمتد عموماً على بضع قرى . وتكون مساحاتها الوسطى ٤٠٠٠ هكتار والتي تختلف باختلاف المناطق : فقد تبلغ مساحة بعض التعاونيات بضع عشرات الآلاف من الهكتارات في السهول وفي المناطق الرعوية . ويتكفّل المجلس الوطني للتعاونيات والذي تأسس في عام ١٩٦٧ بتنسيق الإنتاج ، وبتعميم التقنيات الجديدة ، ولا سيما استعمال الأسمدة ، وبتنمية التصنيع في الكومّونات التي ظلت زراعية . وقد بذل جهد عظيم في تنظيم المنحدرات على شكل مصاطب صغيرة للكفاح ضد انجراف التربة أو تنظيم تربية الماشية التي تؤدي لانحطاط الغابة ، ولا سيما مشاريع الري . ويبدو أن بلغاريا تتصدر الأقطار البلقانية من حيث المساحات المروية والتي تبلغ إجمالاً أكثر من مليون هكتار ، ويقع نصفها في السهل اللحقي وفي سهول الأنهار الرافدة للدانوب ، وهناك ٤٠٠٠٠٠ هكتار في حوض نهر ماريكا لوحده . وتتغذّى هذه القطاعات المروية من عدد كبير من البحيرات فوق التلال أو من سدود كبيرة الحجم في الأودية الجبلية ضمن جبال رودوپ وستارا پلانينا ، التي تقدم الطاقة الكهربائية فضلاً عن ذلك كنهر ايسكار ، باتاك ، ستودن كلادنك في جبال رودوپ ونهر الكساندار استامبو ليجسكي وديميتروف في جبال ستارا پلانينا . وقد أشرف تنظيم مجرى الدانوب على الانتهاء بفضل التعاون مع رومانيا على شكل بناء سدود كبيرة ، الأول في سافلة دوبروجه والثاني عند مدينة ايسلازسوموفيت . وتبدو نتائج السياسة الزراعية محسوسة في الإنتاج . فقد تضاعف مردود الحبوب ، دون أن تتزايد المساحة المزروعة كثيراً ، وعلى خلاف ذلك فإن المساحة المخصصة لزراعة الشوندر السكري قد تضاعفت خمس مرات ، كما ارتفعت المساحة المخصصة للأقطان ثلاث مرات ، وتمدد زراعات الخضار

كالبطاطا والبندورة والبطيخ والتبغ ودوار الشمس على خمس المساحة المزروعة ، ولكنها تقدم أكثر من ثلث الدخل الزراعي الإجمالي . ويتألف القطيع من عشرة ملايين رأس من الأغنام ، كما سمح التطور السريع في المزروعات العلفية بزيادة عدد القطيع البقري إلى حوالي المليونين أو ١٧٥٠٠٠٠ رأس في ١٩٧٩ .

بلغاريا تجهّز مناجمها : بعد أن كان هذا الإنتاج هزيلاً قبل الحرب العالمية الثانية شهد الإنتاج المذكور نهضة سريعة . وأصبح فحم الليغنيت المستخرج من حوض نهر ماريكا يوفر ثلثا الطاقة ، ويستخدم على الخصوص في مراكز حرارية عملاقة . وقد أدت التحريات الحديثة إلى استغلال مكامن الغاز الطبيعي في إقليم ڤاركا Varca والبترول من وادي كامجيجا Kamčija والذي ينقل بواسطة أنبوب طوله ١٦٠ كيلومتراً إلى ڤارنا . وتستخرج خامات الحديد من منطقة كريميكوڤسي . وقامت صناعة حديدية في البداية في پرنيك (ديمتروڤ سابقاً) ومن ثم كريميكوڤسي اعتماداً على الحديد المحلي وعلى فحم الكوك السوڤيتي . وتخلق الفلزات غير الحديدية أصالة الصناعات التعدنية البلغارية . وهكذا تقدم منطقة كاردازلي الرصاص والزنك كما ينتج ظهير ڤارنا المنغنيز ، غير أن إنتاج النحاس هو الأكثر أهمية ويتمركز في منطقة پريدوپ Pridop بين ستارا پلانينا وبين سارنينا پلانينا .

نمو السكان بالآلاف

السنة	السكان الإجمالي بالملايين	سكان المدن٪
١٨٨٠	٢,٠٠٨	١٦,٢
١٩٠٠	٣,٧٤٤	١٩,٨
١٩١٠	٤,٣٣٧	١٩,١
١٩٢٦	٥,٤٧٨	٢٠,٦

١٩٣٤	٦,٠٧٧	٢١,٤
١٩٤٦	٧,٠٢٩	٢٤,٧
١٩٥٦	٧,٦١٣	٣٣,٧
١٩٦٥	٨,٢٢٧	٤٦,٥
١٩٧٠	٨,٥٢٤	٥٢,١
١٩٧٧	٨,٨	٥٨,١
١٩٨١	٨,٨٩	٦٠

سكان المدن بالآلاف

المدينة	١٩٣٤	١٩٤٦	١٩٥٨	١٩٧٢	١٩٧٥
صوفيا	٢٨٧	٣٦٧	٦٦٨	٦٦٨	٩٦٥
پلوڤديڤ	١٠٠	١٢٦	١٧٠	٢٦٢	—
ڤارنا	٧٠	٧٧	١٢٧	٢٥٢	—
روز	٤٩	٥٣	٩١	١٦٣	—
ستارازاغورا	٣٠	٣٧	٦١	١١٨	—
پايڤين	٣١	٣٩	٦٢	١٠٨	—
سليڤن	٣٠	٣٤	٥١	٨٨	—
پرنيك	١٦	٢٨	٦٨	٨٢	—

التوزع المهني الاجتماعي ٪

	١٩٣٨	١٩٦٠	١٩٧٠
صناعة وبناء	١٠	٢٧	٣٨,٩
زراعة وغابات	٨٢	٥٦	٣٦
مواصلات ونقل	١,٥	٤	٤,٨

تجارة	٢	٤	٦,٤
تعليم وثقافة	١	٤	٦(١٩٦٨)
صحة	٠,٥	١,٥	٥ (١٩٦٨)
إدارة	١	٢	٢ (١٩٦٨)

الإنتاج الزراعي (آلاف الأطنان)

	١٩٣٩	١٩٥٦	١٩٧٣	١٩٨١
قمح	٢٠٠٣	١٧١٧	٣٠١٤	٤٤٢٩
ذرة صفراء	١٠٧٦	١٠٥٥	٢٨٥٠	٢٤٧٧
دوار الشمس	١٧١	١٩٣	٤٠٥	—
سكر الشوندر	٢٣٤	٩٤٣	١٦٨٤	(١٥٠٠٠٠ طن سكر)
بندورة	٤٣	٣٧٢	٦٧٥	—
بطاطا	—	٢٤٦٠٠٠	٣٤٥٠٠٠	٣٥٠٠٠٠ طن

استغلال الأرض ٪

السنة	المساحة المزروعة	محروث	مروج	أخرى	مراعي
١٩٣٩	٨٣,٧	٨٩,٨	٦	٤	١٦,٣
١٩٤٨	٨٤,٢	٩٠,١	٥,٥	٤,٤	١٥,٨
١٩٥٦	٨٥,٥	٨٩,٥	٥	٥,٥	١٤,٥
١٩٦٠	٨٦,١	٨٧,٧	٥,٣	—	١٣,٩
١٩٦٨	٨١,٧	٨٦,٤	٥,٢	٨,٤	١٨,٣

الإنتاج الصناعي

	١٩٣٨	١٩٤٨	١٩٥٦	١٩٧٣	١٩٨١
الكهرباء (مليارك و س)	٠,٢٧	٠,٥٥	٢,٤	٢٢	٣٦,٩
ليغنيت (مليون طن)	٢,٢	٤,٣	١٠،٨	٢٦,٣	٢٨,٩
بترول (مليون طن)	—	—	٠,٢٥	٠,٣	٠,٢٧٥
خام الحديد (مليون طن)	٠,٠٢	٠,٠٢	٠,٢٤	١	٠,٥٧
غاز (مليارم٣)	—	—	—	٠,٥	—
خام رصاص وزنك (ألف طن)	٥,٥	٢٢	١٠٩	١٨٥	١٨٦٠٠٠
نحاس (معدن)	—	—	٤,٦	٤٠	٦٢٠٠٠طن
فولاذ (م ط)	—	—	٠,١٣	٢,٢	٢,٤
إسمنت (م ط)	٠,٢	٠,٤	٠,٩	٤,٢	٥,٤

وهكذا قامت شروط تطور الصناعة الثقيلة والصناعة التحويلية : وبالطبع فإن التحويلية هي التي اكتسبت أكبر أهمية . وتتألف قيمة الإنتاج من ثلاثة فروع رئيسية هي : الصناعة الكيماوية ، والصناعة المعدنية الخفيفة والنسيج . وتتوسع مصفاة بورغاس وتكتمل ببناء كومبينا بتروكيماوية تنتج المواد البلاستيكية والمنسوجات التركيبية والمطاط . وقامت معامل أسمدة آمونياكية في ستارا زاغورا والفوسفاتية في ديمتروڤغراد (على نهر ماريكا) ، وكذلك قامت كومبينات كيماوية ضخمة مشتقة من نحاس منطقة پيردوپ والصودا في مصنع كارلماركس في مدينة ريكا دڤنجا والتي يتمركز فيها ثلاثة أرباع الإنتاج . وتكون صناعة المعادن أكثر تبعثراً نسبياً : فصناعة الفولاذ والمعادن غير الحديدية تمدّ صناعات البناء البحري في ڤارنا وبورغاس وكذلك المؤسسات المتوسطة الأبعاد في كل المدن تقريباً . أما صناعة المنسوجات فقد تبعثرت أخيراً

في زمرة من المصانع التي تقدم إنتاجاً ممتازاً كالسجاد والأقمشة الحريرية ، أو تتمركز في ثلاث كومبينات ضخمة تقدم إنتاجاً كتلياً يخصص قسم منه للتصدير (مثل كومبينا ماريكا) في مدينة يلوفديف ومصنع « ارنست ثالمان » في صوفيا ، والمصنع الحديث في غابروڤو (شمال شرق صوفيا) .

ويتمركز قسم هام من صناعة الاستهلاك الدارج في صوفيا . فهذه العاصمة ، التي يزيد عدد سكانها على المليون ، تؤمن ثلث القيمة الإجمالية من الانتاج الصناعي ، ويتمركز فيها نصف طلاب الجامعات والإطارات الإدارية ، واختصت بنصيب الأسد من الاستثمارات في مجال العمران والتجهيز العمراني . وهي أكبر مركز لتوزيع السياح ، والذين يقيمون فيها عن طيب خاطر قبل الاتجاه نحو البلاجات ، وأخيراً تتميز بأهمية نشاط مطارها ، وبالتسهيلات التي تقدمها للاجتماعات الدولية ، ويتجاوز الدور الذي تلعبه إطار بلغاريا .

نمو الدخل القومي

السنة	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٦٨
الدخل القومي	١٠٠	١٥١	٢٠١	٢٥٤

منشأ الدخل القومي ٪

الصناعة	٣٤	٤٦	٤٥	٤٩
البناء	٨	٧	٧	٩
زراعة وغابات	٣٠	٣٣	٣٤	٢٦
مواصلات	٥	٤	٤	٥
تجارة	٢٠	٩	٨	٨

السياحة بآلاف السياح

	أجانب في بلغاريا		بلغاريا في الخارج	
	١٩٦٠	١٩٦٨	١٩٦٠	١٩٦٨
الأقطار الاشتراكية	١٢٥	٩٨٣	٥١	٢٣٣
الأقطار الرأسمالية	٧٥	٨٠٠	٩	٤٥

المواصلات

تملك بلغاريا خطوطاً حديدية تمتد على ٦٢٥٥ كم ، وتمتد طرقها المعبدة على ٣٢٠٠٠ كم منها ٤٠٪ مزفّتة . وتبلغ حمولة أسطولها مليون طنة ثلثه من ناقلات النفط .

التجارة

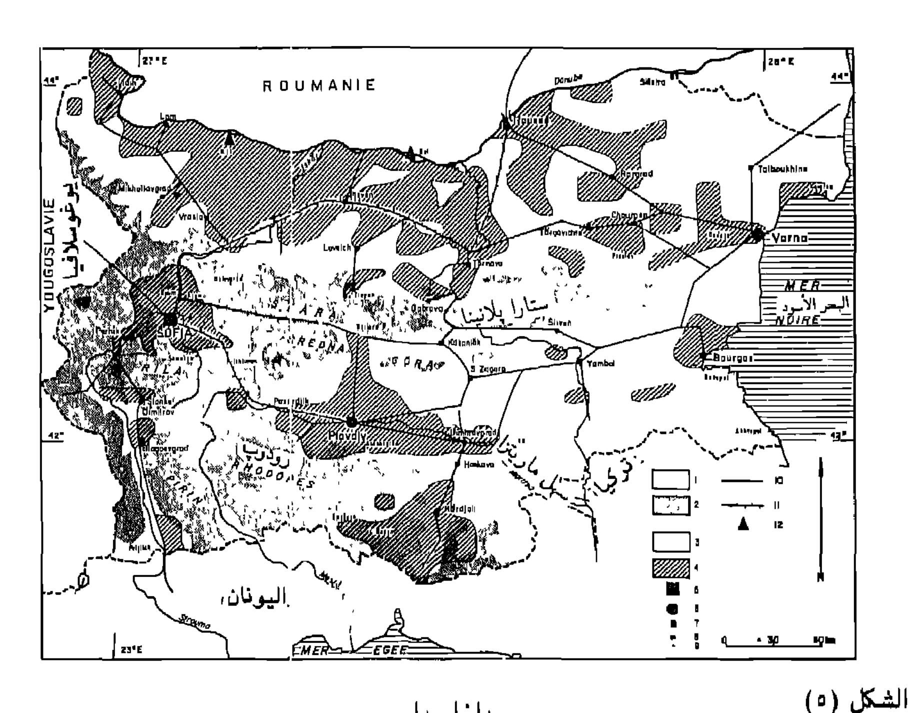
بلغت قيمة الصادرات في ١٩٨١ ٨,٩ مليارات ليف (٥ ليرات سورية) وكانت تتألف من مواد غذائية وتبغ ومنسوجات .

بلغت قيمة الاستيراد في ١٩٨١ ٨,٢ مليارات وكانت تتألف من سلع تجهيزية ومواد خام . وكان ٥٢٪ من مجموع تجارتها في عام ١٩٧٥ مع الاتحاد السوفيتي .

أحوال بلغاريا في مطلع الثمانينات

لا تنشر الاحصاءات عن هذه الدولة بصورة منتظمة . ويعتقد أن الخطة الخمسية قد نفذت بكاملها . وازداد الدخل القومي بمقدار ٦,٥٪ . وقد بلغت استثمارات أعمال التحديث وتجديد المؤسسات القائمة ٦ مليارات ليفا . ونذكر في عداد مؤسسات المشاريع الكبرى : توسيع مركز بورغاس الحراري ، وإقامة مصنع للالكترونيك في بلاغوفغراد ، والكابلات في رومان ، وكهربة الخط الحديدي بين صوفيا ومزدرا . وقد ازداد الانتاج الصناعي بنسبة ٦,٦٪ والزراعي ٧٪ رغم الظروف المناخية غير الموائمة وزاد إنتاج الحبوب بنسبة ١٠٪ وزادت التجارة الخارجية بنسبة ١١,٤٪ . ونمت الصادرات بسرعة تعادل ضعف سرعة نمو الاستيرادات . وتتلقى الأقطار الاشتراكية ٧٥,٦٪ من الصادرات وترسل إليها ٨١,٧٪ من

الواردات . ويكون ميزانها التجاري فائضاً مع الأقطار السائرة في طريق النمو وينكمش عجزها مع الغرب . واستقبلت بلغاريا ملايين سائح اجنبي . وتشير المصادر الرسمية إلى أن سوية المعيشة ارتفعت سنوياً بمعدل ٢٪ . وقد منحت المستغلات الزراعية استقلالاً ادارياً أكبر وكذلك للمركبات الزراعية الصناعية . وجرى إصلاح في إدارة الوحدات الصناعية . وتبذل بلغاريا جهوداً لتنويع مصادر طاقتها لأن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع الاستمرار في تحمل أعباء كل حاجات أقطار أوروبا الشرقية .



الشكل (٥)

بلغاريا

١ - ارتفاعات تقل عن ٥٠٠ م
٢ - ارتفاعات تزيد عن ٥٠٠ م
٣ - كثافة تقل عن ٧٥ نسمة كم٢
٤ - كثافة تزيد عن ٧٥ نسمة كم٢
٥ - مدينة تزيد عن مليون نسمة
٦ - مدينة تزيد عن ٥٠٠ ألف نسمة
٧ - مدينة تزيد عن ١٥٠٠٠٠ نسمة
٨ - مدينة وسطى
٩ - مدن صغرى
١٠ - خط حديدي
١١ - خط حديدي مكهرب
١٢ - مركز طاقة نووية

رومانيا
أو
جمهورية رومانيا الاشتراكية

إحدى دول أوروبا الشرقية مساحتها ٢٣٧٥٠٠ كيلو متر مربع ، كان يسكنها ٢١,٣٥ مليون نسمة في ١٩٧٥ و ٢٢,٤٦ مليون في منتصف عام ١٩٨٢ .

الإطار الطبيعي :

رومانيا الأصلية هي بلاد الكاربات : فهذه السلسلة ترسم فيها شكل حرف S واسع مقلوب وتقع فيها إحدى قممها العليا . وقد كانت المؤلفات السابقة تميز بين رومانيا داخلية ، في شرقي السلسلة ، تتشكل من أقاليم ڤالاخية ومولداڤية ، كانت خاضعة نوعاً ما للعثمانيين ، وبين رومانية خارجية تتألف من ترانسلڤانيا ومن إقليم بانات Banat ، واللذين عاشا حتى الحرب العالمية الأولى تحت النظام الهنغاري ، ضمن إطار الملكية المزدوجة ، والتي كان نموها الاقتصادي أكثر بروزاً .

غير أنه لم يعد لهذا التمايز أي معنى منذ أن تكونت الدولة الرومانية ، ومنذ أن اتجهت جهود النظام الحالي نحو القضاء على الفروق الإقليمية . هذا وتخترق الطرق العديدة جبال الكربات فضلاً عن عدة خطوط حديدية . وأهم الممرات فيها هي ممر البرج الأحمر ، أو ممر اولت OLT وسينايا الذي يصل بين بخارست وبراشوف . وهكذا سنحتفظ بالتقسيم الطبيعي المستند على التكتونيك والجيومورفولوجيا والجبال أو الأوروغرافيا .

الجبل الكارپاتي : وتحوي هذه السلسلة مشاهد شديدة التنوع ، وتتناثر ضمنها الأحواض والمنخفضات . لجأت إليها الأقوام الرومانية خلال ألف عام من الاجتياحات الغازية . وإجمالاً نلاحظ نوعاً من انعدام التناظر . فالنطاق الداخلي يضم نوى متبلورة ، مع غطاء من الحقب الأول والثاني ، أو دونما غطاء ، وكذلك مسكوبات بركانية . أما النطاق الخارجي فهو أكثر عنفاً بسبب انحداراته ، فقد نتج عن هجرة بطيئة باتجاه الانكباس Subsidence الجيوسنكلينالي المولداقي ، حيث تظهر سلاسل صغيرة تسود فيها صخور الفليش والتوضعات الحديثة . وتهيمن أغشية الجرف ذات الجبهات الشرقية مع مقدمة طليعية avant-pays مردومة بتوضعات رباعية تضم تشكيلات مسامية حيث تكمن فيها جيوب النفط والغاز .

ويظل مجموع السلسلة ثقيلاً بسبب قدم الالتواء ، في الكريتاسي ، وبسبب الحركات المتعاقبة والمتنوعة التي أدت إلى جنوح الكتل blocs التي كانت تؤلف هيكلها . ونظراً لطول فترة الهدوء التكتوني الذي أدّى لنشوء سطوح تسوية متدرجة ، فقد حفرت هذه السلسلة بأنهار مفروضة surimposées أو سبقيّة antécédantes ، مثل وادي اولت OLT المعقّد الذي يقدم مثالاً عن ذلك . وقد نجم عن التصابي الاپيروجيني الحديث تعمق الشبكة الهيدروغرافية فضلاً عن زحف جمودي اعترى أعالي القمم ، كما في جبال فيغاراش ، حيث لاتزال هناك أهرامات صخرية ماثلة ، وبحيرات جمودية وموررينات في الأودية العليا ، وتحتل جبال الكاربات ٣٧ ٪ من مساحة البلاد أي بين ٨٠٠ و ٢٥٠٠ م .

ويظهر انعدام التناظر أيضاً في المجال المناخي نظراً لأن السفح الترانسلفاني أكثر أمطاراً من الجزء الشرقي . غير أن لهذه القاعدة بعض الشذوذات ، مع انقلابات في الحرارة ، ورياح محلية ، وأهمية توجّه المنحدرات . ويقع الحد العلوي للغابة المختلطة ، والذي انخفض نتيجة حرائق الرعاة ، بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ م .

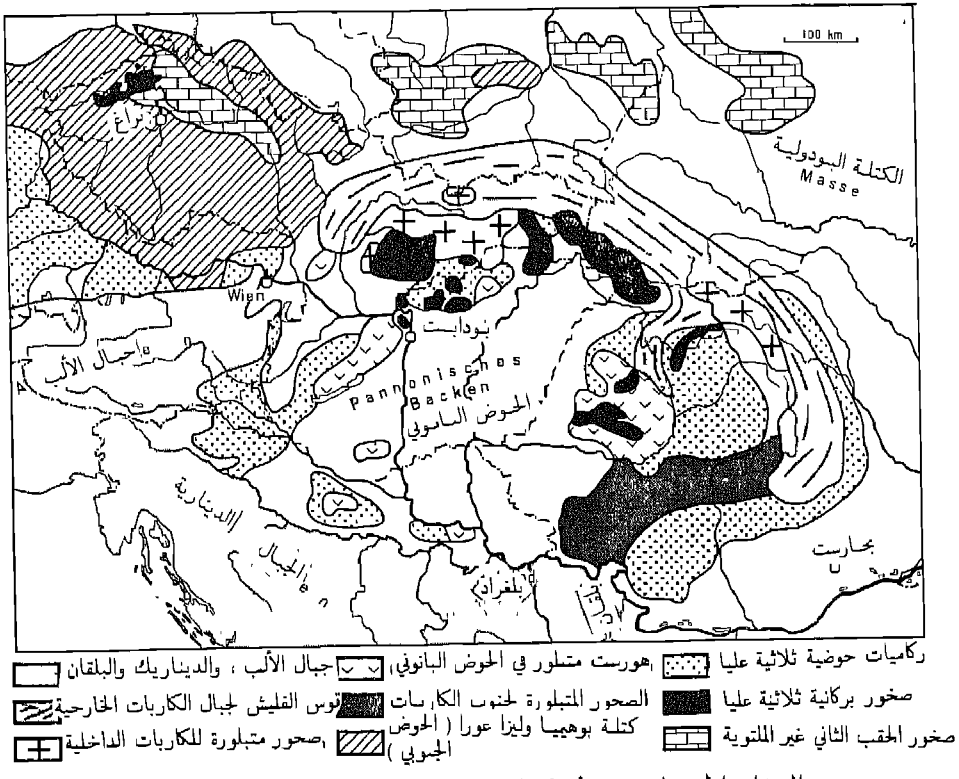
ويمتد فوق ذلك المستوى مرج ألبي ، وتحت ذلك تمتد غابة شـديـدة الكثـافـة حتى أوائل الـزراعـات بين ٦٠٠ و ٨٠٠ م ، نظراً لأن رومـانيـا هي أول قطر غـابي في أوروبا بعد الدول الاسكنديناقية .

هـذا وتشغل **الكاربـات الغربيـة** التي كانت تـدعى بيهور Bihor قـديمـاً ، وجبـال المعـادن ، ثلث مجموع جبـال الكاربـات ، وتـؤلف كتـلاً ثقيلـة ، قليلـة الممرات والأودية ، يقيم فيهـا ريفيون تسود بينهم الأنشطـة الرعويـة والغـابيّـة . ونلاقي هنا جماعات رومانية قديمة .

وتمثل **الكاربات الشرقية** نصف مسـاحـة السلسلـة ، ويتجـاوز ارتفـاعهـا المتـوسـط ١٠٠٠ م . ويظـل الشمال ، أي كتلـة مـارامـوريش ، مـوحشـاً نـوعـاً ورعـويـاً ، في حين يكـون أوسطهـا متميزاً بـأشكال بركانيـة مثـل دايـك ، ونـك Necks ، وفوهـات « كراتير » . وتـؤلف سـلاسـل مـولـداڤيـا أقـواسـاً متراصّـة ، ومنتصبة ، وعرة ، تتشكل من صخور رملية أو كلسية . ويطلق عليها في الجنوب اسم **كاربات الانعطاف** courbure (شكل آ) .

وتكـون **الكاربـات الجنـوبيـة** هي الأكثر ارتفـاعـاً بصـورة وسطيـة (١٣٧٠ م) ولهـا اتجـاه شرقي غربي قبـل أن تـنعطف عنـد النقطـة التي يجتـازهـا الدانوب من خانق « أبواب الحديـد » . ولا تزال أشكال الزحف الجمودي قويـة في منطقـة فـاراغـاش ، وهي إحـدى السلاسل الرئيسيـة ، وتتصف بعض سـلاسلهـا بانحدارات شديدة كجبل بوتشج المطل على سينـالي (شمال بوخـارست) وجبـال فاراغاش فوق سهل اولت Olt الداخلي ، وهنـاك حوضـات مثل پتروشـان ، تضم رسوبات ثنائية وثلاثية تحوي أغنى طبقات الفحم والليغنيت في البلاد .

وتوحّد جبال الكاربات أكثر مما تفرق لأن الشعب الروماني نفسـه هو الـذي استعمر هذه الجبال من الطرفين . فقد كانت الأحواض الداخلية والوديـان العليـا



البناء الجيولوجي في كتلة بوهيميا وليزا غورا وكتلة بلاد السوديت

الشكل (أ)

عبارة عن متاحف لغوية وفولكلورية ، مثلما كانت تقدم للجماعات الريفية ، مثلما تقدم في أيامنا ، الخشب والورق لكومبينات الخشب ، وقدمت ثروة غاباتها من أشجار صنوبر وايبيسيئا وشوح وزان . وتكون ينابيع المياه المعدنية المستغلة منذ عصور الداسيين Daces مبعثرة للغاية فيها . وإذا كانت تربية الماشية ، ولا سيا الأغنام المنتجعة والأبقار قد تقهقرت ، فلا تزال هناك اليوم تعاونيات لتربية الماشية وحظائر . وتضم الجبال العديد من العروق أو قطاعات التمعدن . وإذا كانت كمية الحديد ضئيلة نوعاً ما ، فمن الممكن العثور على الذهب والرصاص والزنك قرب بايا ماريه Baia Mare (الحمّام الكبير) في الشمال والكروم والمنغنيز

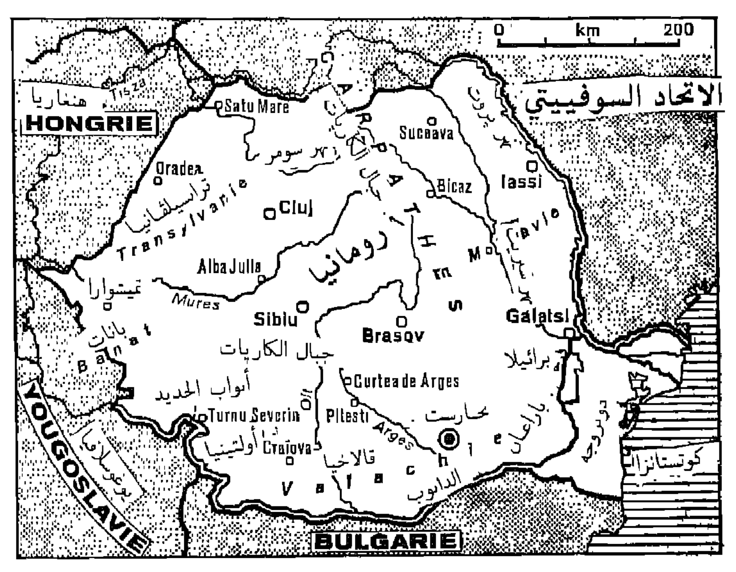
في الشمال ، والنحاس قرب أبواب الحديد والبوكسيت في الكارپات الغربية .

وبعد أن كانت الأنهار تستغل في تطويف الخشب بدأت الآن تعطي الطاقة الكهرمائية . فقد قامت مراكز على شكل درج فوق نهر بستريجا المولداڤي ولا سيا سد بيكاز ، وتلك التي تقوم على روافد الدانوب ، مثل نهر آرغش Argech أو ليلوترو Lélotru ، والعديد من السدود الأخرى والتي سترفع بصورة محسوسة النسبة المئوية من الطاقة الهيدروليكية إلى ١٠ مليار ك وس من أصل ٦٧ مليار ك وس في عام ١٩٨٠ هذا بالإضافة إلى إنتاج سد أبواب الحديد الذي يمثل ٥ مليار ك وس . وأخيراً تلعب جبال الكارپات دوراً كبيراً في السياحة رغم بعدها عن أوروبا الغربية .

أما إقليم **پودغوريا** Podgoria (أي البلاد الواقعة عند قدم الجبل) فيؤلف ماقبل الكارپات وما تحت الكارپات . ويتألف من تلال مقطعة في توضّعات البيمونت الطرية ، وهي مستزرعة كثيراً ، ومأهولة بقرى ضخمة متوغلة في مزارع الخوخ ، التي تنتج مشروباً قومياً يدعى « تويجا » ، مثلما يحوي هذا الإقليم ، ولا سيا فوق أراضي مولداڤيا واولتينيا Oltenea ، كروماً بديعة . وكثيراً ما كان إقليم پودغوريا مأوى ومَلجأ ، كما كان خلال الحرب العالمية الثانية ، واحتفظ بكثافات سكانية قوية زراعية وحرفية احتفظت بعادات رومانية . ويظل هذا الإقليم متميزاً بمدن وببلدان ضخمة هي مدن تماسّ .

الهضاب .

ولا تتجاوز ٦٠٠ م من الارتفاع وتظهر على كل من طرفي السلسلة . فالهضبة **الترانسلڤانية** (شكل ١) مؤلفة من زمرة من مستويات تسوية aplanissement ، ومن حوض رسوبي يشتمل على طيات ثاقبة diapirs وقباب dômes ، يستخرج منها الملح ولا سيا غاز الميتان ، الذي يضع إنتاجه رومانيا في



الشكل (١)

المرتبة الأولى في أوروبا الشرقية ، فيما عدا الاتحاد السوڤيتي . وعندما تفلح روافد الدانوب الكبرى مثل تيسزا وموريش وسومرش في تقطيع الهضبة في السافلة على شكل وديان عريضة فمعنى ذلك أننا دخلنا عندئذ في سهل ترانسلڤانيا .

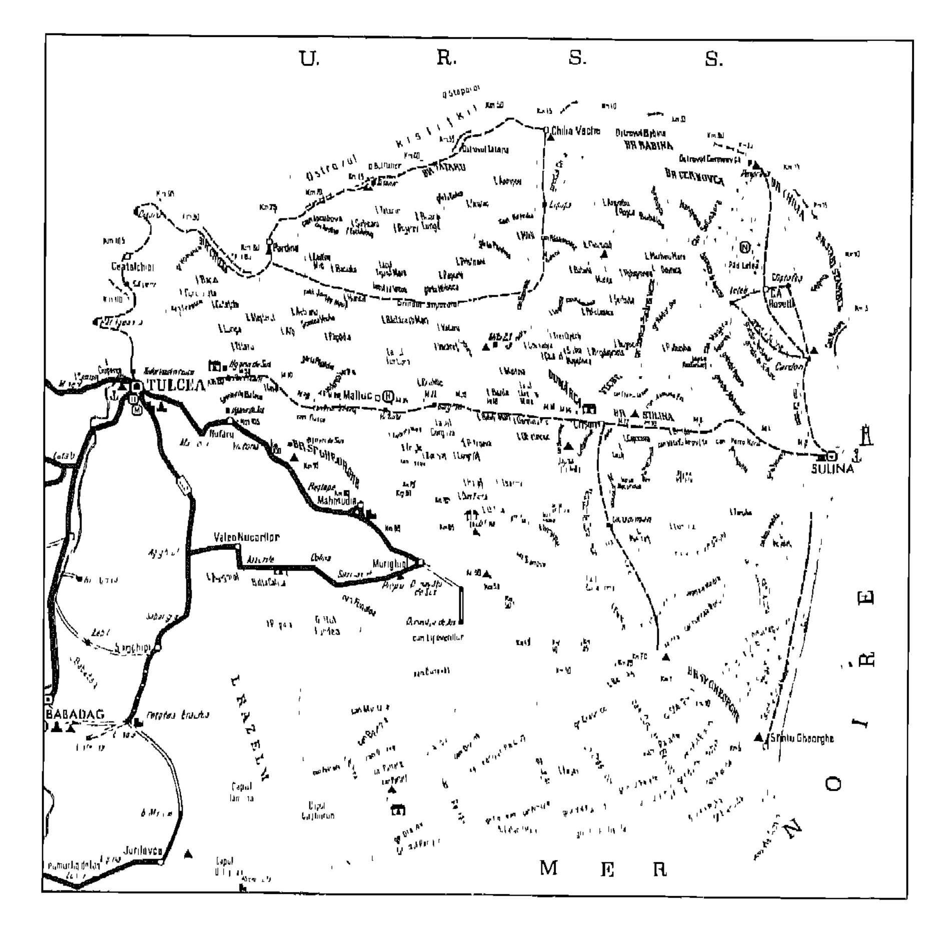
أما الهضبة الألداقية فهي مائدة مغطاة بتوضعات پليوسينية سميكة ، لم تتعرض للزحزحة من مكانها كثيراً ، ومقطّعة بواسطة روافد نهري سيريث Sireth وپروت Prut . وهذه بلاد غابات مستزرعة كثيفة الاستيطان على شكل قرى ضخمة .

أما إقليم **دوبروجه** فهو عبارة عن مائدة بين الدانوب والبحر الأسود ، ويظهر من الشمال على شكل أرومات جبلية . أما أقدم تكوينات رومانيا الواقعة إلى الجنوب من هضبة رتيبة ، فقد ظلت مدة طويلة أراضي رعي واسع ، والتي تقطّعت اليوم على شكل مستغلات واسعة تخص الدولة ، وهي عنبر رومانيا الحقيقي .

وتكون بدورها عبارة عن عنابر حبوب ولا تتميز بوضعها فحسب بل بشبكتها النهرية أيضاً وباتساع استغلالها مؤخراً . فسهول تيسزا Tisa ، التي تؤلف الشطر الأعظم من إقليم بانات Banat الروماني ، هي عبارة عن خلجان واسعة من السهل الپانوني إذ تتألف من مخاريط انصباب ومصاطب وشرطان لحقية أو مناطق مستنقعية ، أو ملحية ، تذكرنا بحواف السهل الهنغاري الكبير .

أما **السهل الروماني** فينطبق على أكثر المناطق انخفاضاً في شرق الكارپات : أي إقليم أولتينيا Olténie والأروقة الرطبة لروافد الدانوب وسهله اللحقي المسمى بالطا Balta . وتؤلف جميعاً مناطق معرضة للفيضان ولكنها تناسب الري . وتتعرض بعض السهول في ڤالاكيا ومولداڤيا لمناخ ذي اتجاهات سهبية . وتظهر الأراضي السوداء في شمال مولداڤيا وباراجان Bārāgān وهو سهب ذو أشواك ، وقد جرى تقسيمه الآن إلى مزارع حكومية كبيرة .

وتحتل رومانيا أربعة أخماس أكبر دلتا في أوروبا ، هو **دلتا الدانوب** ، وهو إحدى أكثر المناطق عزلة في أوروبا ، وأكثرها وحشة . ولا يزال مأهولاً بجماعة ليپوڤان Lipovans ، وهم من المؤمنين الروس القدامى الذين وجدوا ملجأً لهم في أراضي معظمها فيضية . وقد أصبح الدلتا مختبراً لتنظيم واستصلاح بيئة طبيعية ، مع محطة ومدينة جديدة هي ماليوك Maliuc فوق ذراع أو فرع سولينا . ويجري التخطيط هنا لإقامة محتجزات طبيعية ، أو حمى ، أو مناطق سياحية محمية ، ومساحات مخصصة لزراعات معينة ، وتصنيع صيد الأسماك ، ولا سيما حصاد الأقصاب بالحصادات ، والذي يتم في الربيع وينقل فوق أطواف مخصصة حتى كومبينا السيللولوز في مدينة برائيلا عند رأس دلتا الدانوب كما ستؤدي الملوحة الجديدة ، التي ستغذي كومبينا غالاتسي ، شرق بخارست ، إلى تغييرات جديدة (شكل٢) .



دلتا الدانوب

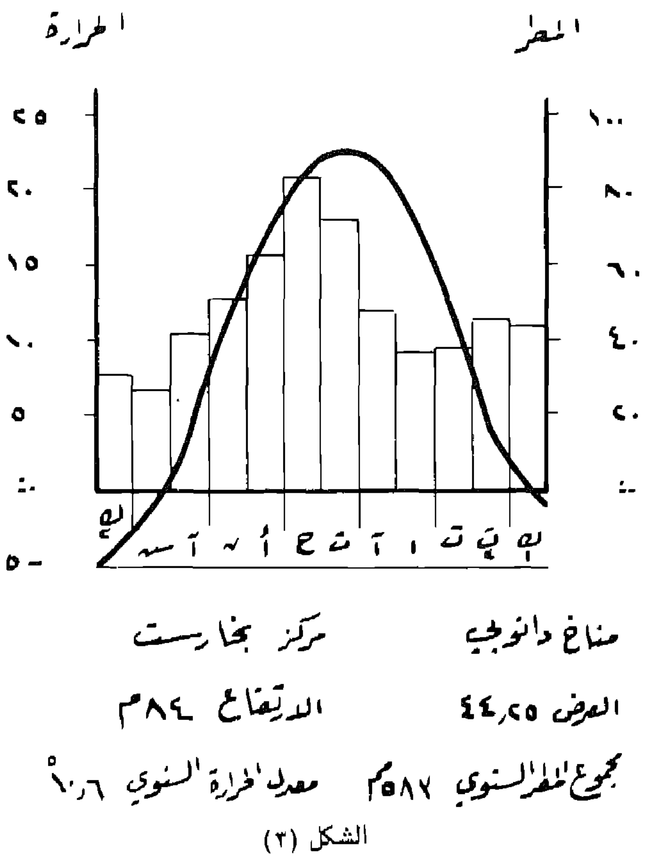
الشكل (٢)

الموقع والمناخ :

تقع رومانيا في منطقة انتقالية بين أوروبا الوسطى وأوروبا الجنوبية الشرقية في شمالي شبه جزيرة البلقان بين خطي العرض ٤٣ و ٤٨ ، أي في منتصف المسافة بين خط الاستواء والقطب الشمالي ، وبين خطي الطول ٢٥ و ٢٩ شرقاً ، فهي إذن في المنطقة المعتدلة الشمالية عند الحوض الأدنى لنهر الدانوب ويطل ساحلها الشرقي على البحر الأسود .

وتأتي رومانيا من حيث المساحة في المرتبة الثانية عشرة في أوروبا مما يجعلها في عداد الدول المتوسطة . وتتمتع رومانيا بمناخ معتدل قاري من جراء موقعها على الكرة الأرضية . ويتميز هذا المناخ بعدم وجود البرد القطبي الشديد والحر المداري المفرط . ويصل متوسط الحرارة السنوي إلى ١١ درجة على شاطئ البحر وفي جنوب البلاد (شكل ٣) ، و ٤ درجات في جبال الكاربات . ويستمر كل من الصيف والشتاء مدة تقارب أربعة شهور . أما الربيع والخريف فهما أقصر ولهما طابع انتقالي . ويتوزع التهطال ، من مطر وثلوج ، بشكل غير متساوٍ على صعيد المكان وليس على صعيد الزمان . فيصل معدل الهطول إلى ١٥٠٠ مم في جبال ريتيزات و ٣٠٠ مم ودون ذلك قرب سواحل البحر الأسود مما يمنح بعض المناطق طابعاً سهبياً . وتخضع جبال الكاربات وهضاب ترانسلڤانيا للتأثيرات المناخية في أوروبا الوسطى التي تظهر على شكل رياح رطبة باردة مصحوبة بأمطار غزيرة . ويتأثر المناخ في المناطق الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية بالرياح التي تهب من البحر الأبيض المتوسط ، وتكون الأمطار فيها دورية ، والحرارة لطيفة معتدلة . أما بقية البلاد ، أي السهل المواكب لنهر الدانوب وهضاب مولداڤيا ، وهضاب دوبروجا ، فتقع تحت تأثير مناخ أوروبا الشرقية ، حيث الطقس أكثر برودة وتفاوتاً كبيراً في درجات الحرارة بين شتاء قارس وصيف قائظ مع انخفاض في هطول الأمطار .

الأنهار : تنبع جميع الأنهار الرومانية من جبال الكاربات وتصب في نهر



الشكل (٣)

الـدانوب . ويتجـاوز طول بعض هـذه الأنهر مثل نهر پروت ، وطولـه ٩٥٠ كم ، ونهر موريش ، وطوله ٧٤٤ كم ، ونهر اولت ، وطولـه ٦٧٠ كم ، الكثير من الأنهـار الأوروبيـة الغربيـة ، ويشكل أكثر من ثلث طـول نهر الـدانـوب الإجمـالي ، أي ١٠٧٥ كم ، حـدود رومـانيـا في الجنـوب . ويتفرع الـدانـوب ، قبـل أن يصب في البحر الأسود ، إلى ثلاثة فروع تشكل الدلتا ، هذه المنطقة الفريدة من نوعهـا في أوروبا بجمالها الطبيعي ، وتنوع حيواناتها ونباتاتها .

البحيرات : يبلغ عدد البحيرات في رومانيا ٢٣٠٠ بحيرة ، غالبيتها تمتد على مسـاحـات محـدودة ، وتتوزع هـذه البحيرات في المنـاطق السهليـة وفي المنـاطـق

الجبلية ، ومنها ما يشكل حوضاً واسعاً مثل بحيرة « رازيلم » ومساحتها ٤١٥ كم٢ ، وبحيرة « سينوي » ومساحتها ١٧١ كم٢ ، وبحيرة «زمبيكا» ، ومساحتها ٥٤ كم٢ ، وبحيرة « باباداغ » ومساحتها ٢٥ كم٢ ، وتشكلت خلال العقود الأخيرة في رومانيا بحيرات اصطناعية من جراء احتباس المياه المتجمعة خلف السدود لتشغيل المحطات الكهرمائية الكبيرة .

الحيوانات والنباتات : وتتوفر في جميع مناطق الظروف المواتية لنمو بعض النباتات المتنوعة في غناها ، وتصل المساحة الإجمالية المغطاة بالغابات إلى ٦,٣ مليون هكتار ، أي ٢٧ ٪ من مجموع مساحة البلاد ، ويقع ٥٩ ٪ من الغابات في المناطق الجبلية حيث تنمو أشجار الصنوبر ، و ٣٠ ٪ في الهضاب حيث تنمو أشجار البلوط وأشجار الزان وغيرها ، و ١١ ٪ في السهول ، وتنمو فيها أشجار الصفصاف والحور . أما المراعي فتحتل ١٥٪ من مساحة البلاد . وينتشر قصب الغاب في دلتا نهر الدانوب على مساحة ٢٧٠٠ كم٢ ، أو ربع مساحة لبنان ، كما تشتهر الغابات الرومانية بوجود الحيوانات البرية التي يصل عدد أنواعها إلى ٣٦٠٠ نوع . ومن أشهرها تلك الموجودة في جبال الكارپات مثل العنزة السوداء ، والوعل ، والدب ، والهر البري ، والسمّور ، إلخ .. أما في دلتا نهر الدانوب التي يطلق عليها ، عن حق ، اسم « جنة الطيور » فنجد البجع وطير الفلامينغو والبط البري ، ونجد في سهول نهر الدانوب طير الدرّاج والسمّان إلخ .. ويعيش في المياه الرومانية أكثر من سبعين نوعاً من الأسماك ومن بينها الشبوط ، والسردين ، والسلور إلخ ..

السكان :

لقد تجاوز عدد سكان رومانيا ٢٠ مليون نسمة في عام ١٩٦٩ في حين لم يكن يزيد عددهم عن ١٤ مليون في ١٩٣٠ و ١٥ مليون في ١٩٤٨ و ١٧,٥ مليون في ١٩٥٦ و ١٩ مليون في إحصاء ١٩٦٦ و ٢١,٤٥ مليون في ١٩٧٦ و ٢٢,٠٦ في

منتصف ۱۹۷۹ ويقدر عدد سكان هذه البلاد ٢٢,٥ مليون في عام ١٩٨٢ .

وفي عام ١٩٧٣ بلغت نسبة المواليد ١٨,٢ لكل ألف من السكان ، وارتفعت ١٩,١ بالألف في ١٩٨٠ أما نسبة الوفيات فكانت في ١٩٨٠ ٩,٧ مقابل ١٠ بالألف في ١٩٧٧ ومقابل ١٩,١ بالألف في عام ١٩٣٨ . وبعد أن كانت نسبة وفيات الأطفال ١٧٩ لكل ألف مولود في عام ١٩٣٨ هبطت إلى ٣٨,١ بالألف في ١٩٧٣ وإلى ٣١ بالألف في ١٩٧٩ وبلغ الأجل المرتقب وسطياً ٧٠ سنة .

وتبلغ نسبة الذكور من مجموع عدد السكان ٤٩,٢ بالمئة وعدد الإناث ٥٠,٨ بالمئة . وكانت نسبة زيادة سكان البلاد في عام ١٩٧٤ ١,١ بالمئة سنوياً ، و ١ بالمئة فقط في ١٩٧٧ ، أي يزيد سكان البلاد سنوياً حوالي ٢٢٥ ألف نسمة ويتوقع أن يصل عدد سكان البلاد إلى ٣٠ مليون عام ٢٠٠٠ .

غير أن توزع سكان البلاد يشير إلى وجود مفارقات إقليمية ولكن دون إفراط . فالكثافة في محافظة جودتس ، وهي وحدة إدارية جديدة في الدلتا لاتزيد عن ٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع ، بينما ترتفع في وادي پراهوڤا إلى أكثر من ١٦٠ شخصاً . ولكن متوسط الكثافة العام حالياً ٩٤ نسمة في الكيلومتر المربع . وتعود نسبة النمو السريع للهجرات الداخلية إلى إقليم پودغوريا والسهول والأودية والمناطق الصناعية والمناطق العمرانية وفي الأحواض التعدينية .

ويمثل سكان المدن نصف سكان البلاد حالياً بعد أن كانوا خمس سكان البلاد عام ١٩٦٥ . ويكون التقسيم الإداري للبلاد الرومانية على الصورة التالية : المحافظة ، المدينة (البلدية) ، والبلدة (مجموعة قرى) . وفي رومانيا ٣٩ محافظة ، وبلدية بخارست ، عاصمة البلاد ، والتي تعتبر وحدات إدارية متكاملة من الناحية الاقتصادية والثقافية . أما المدن التي يبلغ عددها ٢٣٦ مدينة ، فإنها مراكز عمرانية يقطنها عدد كبير من السكان ، وذات قدرة صناعية وتجارية

واجتماعية وثقافية كبيرة ، واعتبرت ٤٧ من هذه المدن من البلديات لأهميتها الخاصة .

وتتكون البلدان التي يبلغ عددها ٢٧٠٦ بلدة ، من قرية واحدة أو من عدة قرى ، أما عدد سكانها فيصل إلى ٤٥٠٠ نسمة في المتوسط .

وقد احتفلت بلدية بخارست في عام ١٩٥٩ بذكرى مرور ٥٠٠ عام على إدراجها في الوثائق التاريخية ، وتنقسم إلى ٨ قطاعات ويزيد عدد سكانها عن ١,٧٥ مليون نسمة .

هذا وهبط عدد السكان الريفيين ، أو الزراعيين بين ١٩٥٠ و ١٩٧٥ من ٧١ ٪ من المجموع إلى ٣٩ ٪ في ١٩٧٥ كما ارتفع عدد السكان العاملين في الصناعة من ١٢ إلى ٢٥ ٪ في ١٩٧٠ وإلى ٣٠ ٪ في ١٩٨٠ .

ويكون ثلثا الهجرة الريفية لمصلحة المدن الصغرى والوسطى . غير أنه من الصحيح مع ذلك أن نلاحظ أن رومانيا تحوي عدداً كبيراً من المدن الجديدة المتوسطة الأحجام والتي تنجز أشكالاً بديعة من التطور الحضري ، كإقامة مجمعات كبيرة في أطراف المدن القديمة ، وازدواجية المدن القائمة شأن براشوف ، وإنشاء مدن صناعية من العدم ، ونشوء مدن عملاقة ساحلية تضم ماما يا ومنغاليا .

وبعد أن كان سكان المدن يؤلفون ٢٣,٤٪ عام ١٩٤٨ ارتفع الى ٤١,١٪ في ١٩٧١ وقرابة نصف السكان حالياً .

المدن الكبرى بآلاف السكان

	١٩٣٠	١٩٧٠	١٩٨٢
بخارست	٦٣٩	١٥٧٤	٢٠٠٠
كونستانسا	٥٩	٢٣٨	٢٨٠
پلويشتي	٧٩	٢١٧	٢٦٠

تيميشوارا	٩١	٢٠٦	٢٥٠
ياش	١٠٣	٢٠٤	٢٣٠
كلوج	١٠٠	٢٠٢	٢٥٥
كرايوڤا	٦٣	٢٠٢	٢٥٠
براصلاف	٥٩	١٨٥	٢١٥
غالاتس	١٠٠	١٨٥	٢٢٢
برايلا	٦٣	١٥٨	٢١٥
آراد	٧٧	١٥٨	٢٢٠
آدراديا	٨٢	١٢٧	٢١٣

هذا وتتخذ **الحركة الطبيعية** هنا صفات نوعية لأنها تنظم التطور الديموغرافي الإجمالي ، لأن هناك القليل من الهجرات ، فقد هاجر ٣٥٠٠٠٠ يهودي إلى فلسطين ، وبقي منهم ٩٥٠٠٠ موزعون على ٧٠ بلدية ، وقد ظلت الديموغرافيا الرومانية حتى الحرب العالمية الثانية ديموغرافية قطر ريفي فكانت نسبة التوالد ٣٠ بالألف مقابل نسبة وفيات تعادل ٢٠ بالألف . ولكن رومانيا ، بعد ١٩٤٥ ، سلكت تطوراً من نمط أوروبي ، فهبطت نسبة الوفيات فيها لأول مرة إلى مادون ١٠ بالألف في ١٩٦٥ ، ولكن نسبة التوالد انخفضت حتى مستوى خطير . فقد كانت نسبة الولادات ١٥ بالألف في ١٩٦٥ و ١٤,٣ بالألف في ١٩٦٦ ، وكان ذلك بلا ريب من تأثيرات التحضر وأزمة السكن ، وكذلك نتيجة قانون ليبرالي جداً عن الإجهاض (١٩٦٤) . غير أن قانون منع الإجهاض الذي ظهر فجأة في ايلول ١٩٦٦ أدّى فوراً إلى صعود نسبة في الولادة إلى أكثر من ٢٧ بالألف في ١٩٦٧ وظلت الأرقام هذه حتى ١٩٧٩ حول ١٩ بالألف . وبعد أن كانت أهرامات الأعمار منكمشة عند قاعدتها أخذت تزداد عرضاً ، ولو لوقت ما ، على الأقل والذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة يشكلون ٢٥ ٪ والذين يزيدون عن ٦٥ سنة ١٠ ٪. هذا ولا تعاني رومانيا من مشكلات **أقليات قومية** خطيرة مثل يوغوسلاڤيا ، لأن السكان الرومانيين يؤلفون أكثر من ٨٥ ٪ من السكان . أما

الروثينيون والأوكرانيون والبلغار والمجر والصرب فيشكلون جماعات متوطنة قرب حدودها هذا وتناقص عدد التزيغان (النور) من ٢٤٢٠٠٠ إلى ٥٥٠٠٠ فقط ، ويعيش ٥٢٠٠٠ صربي في إقليم بانات (في أقصى الغرب شرق بلغراد) . وهناك بعض الأتراك والتتر المسلمين الذين يعيشون على طول الساحل وكذلك بعض الجماعات الأرمينية التي تقيم في المدن الهامة والمراكز الصناعية .

والمشكلة الوحيدة هي مشكلة المجر الذين أعمروا ترانسلفانيا في عصر الملكية المزدوجة والذين احتفظوا بلغتهم وبثقافتهم والذين يؤلفون جماعات متراصة هامة كما في منطقة تيرغوموريش أو كلوج ، في الشمال الغربي . ولما كان عددهم يبلغ ١,٧ مليون نسمة فهم يشكلون ٨ ٪ من مجموع السكان . وقد منحت أوائل سنوات النظام الشيوعي بعض الميزات للأقليات : كالجامعة المزدوجة في كلوج والترخيص بظهور كل وسائل الثقافة ، ومنها الطباعة ، مع استقلال ذاتي للمنطقة المجرية القديمة في موريش وسميت « موريش أوتونوما ماغيارا » . ومنذ ١٩٥٦ وبعد أن انضم هنغاريو رومانيا لثورة بخارست قولاً وعملاً ألغيت بعض هذه الميزات . ولكن التلاحم يتم بواسطة الزيجات المختلطة مع أن الهنغاريين كاثوليك والرومانيون أرثوذكس ، وكذلك الخدمة العسكرية ، والانتقالات وتحولات الموظفين والهجرات الاجتماعية المهنية . ويؤلف المجر شطراً من الإطارات ، ولا سيما في بخارست حيث يبلغ عددهم بضع مئات الألوف .

وأخيراً لا تزال رومانيا القطر الشرقي الوحيد الذي يحتفظ بأقلية ألمانية قوية ، رغم أن عددها هبط من ٧٤٠٠٠٠ قبل الحرب إلى ٣٨٠٠٠٠ في عام ١٩٦٦ ، وهم أحفاد السكسون الذين كانوا يؤلفون جنود تكنات إقليم سيبنبورغن Siebenbürgen في ترانسلفانيا ، والمزارعين الذين قدموا خلال النصف الثاني من القرن ١٨ . ولا يؤلف الألمان مجموعاً متجانساً ، ولم يلعبوا ، كما في المناطق الأخرى ، دور « طابور خامس » ، فلهم مدارسهم وصحافتهم مما لا يجعل من

وجودهم مشكلة ويؤلفون ٢٪ من مجموع السكان .

أما حالة **الرومان في المهجر** فهي شائكة أكثر . ففي عام ١٩٤٠ نصت الاتفاقات بين هتلر وستالين على أن يستحوذ الاتحاد السوفييتي على الأراضي التي تؤلف اليوم جمهورية بسّارابيا التي تضم ٣ ملايين من السكان الناطقين باللغة الرومانية رغم عمليات الترويس . وفي الوقت ذاته تخلت بلغاريا عن مربع دوبروجا الهام . إذن هناك نوع من نزعة انضامية خفية بلا شك ، ولكنها يقظة ، وهي التي تفسر ، على الخصوص ، تطور العلاقات مع الاتحاد السوفييتي .

الاقتصاد :

من المؤكد وجود نوع من تناقض بين تنظيم الاقتصاد وبين السياسة الخارجية . ففي الداخل يظل التخطيط متمركزاً بقوة . كما تكون السياسة المتبعة كالتأميمات واشتراكية الأرض Collectiviration منقولة حرفياً عن الاتحاد السوفييتي (كالمخططات الخمسية منذ ١٩٦٦) . وهناك مخطط طويل الأمد يحدد الأهداف في مادة الكهربة . وقد ظهر إصلاح خلال السنوات الأخيرة ، ولكنه تدريجي وخجول متردد ، مع بعض الأرجحية الممنوحة للفئة ب من الصناعات ، وإنشاء « مراكز صناعية » تضم صناعات متكاملة أفقياً ، ومنح حق الاستقلال في مجال السعر ، وتحفيز عن طريق الانتفاع وإقامة علاقات خارجية لبعض المؤسسات ، ومنح بعض الميزة لما تبقى من القطاع الخاص ، ومساهمة أكثر مرونة في القرارات المحلية ، والتخلص من المؤسسات غير المجزية . ولكن يمكن القول والتأكيد ، نظراً للأفضلية الممنوحة للصناعات الثقيلة ، وشدة هيمنة الحزب ، بأن رومانيا تظل أكثر الدول الاشتراكية تمسكاً بالنظام الشيوعي وتقيّداً به .

ومن الصحيح القول أن القطر قد انتقل خلال ربع قرن من مرحلة زراعية رعوية إلى مرحلة صناعية رغم صفات العهود القديمة التي لا تزال موجودة . وقد تم

تجاوز حصة نسبية تزيد عن ٥٠ ٪ من الإنتاج الصناعي من الإنتاج الكلي خلال مخطط ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠ ، مقابل دون ٣٠ ٪ قبل ١٩٤٠ ، ويعود ذلك إلى تزايد فروع تحويل المواد الأولية أكثر من ازدياد إنتاج الوقود والطاقة . وتحتل رومانيا المرتبة الخامسة في العالم في ميدان إنتاج **الغاز الطبيعي** ، كما أنها هي إحدى أوائل الدول في مجال التجهيز النفطي والمشتقات الكيماوية من النفطا naphta والغاز . وقد بلغت نسبة التزايد السنوي في الناتج القومي ، بين ١٩٥١ و ١٩٧٠ ، ٩,٤ ٪ سنوياً و ٦,٢٪ عام ١٩٧٩ ، كما تزايد النمو الصناعي بحوالي ١٢ ٪ وارتفع الدخل الفردي إلى ٧٠٠ أو ٨٠٠ دولار في ١٩٧٠ ويقارب حالياً ١٢٠٠ دولار ؛ وهنا ندرك أبعاد الجهود المبذولة .

القطاعات

الزراعة : وتمثل فرعاً أصيلاً من حيث أشكالها ومن حيث وتائر اشتراكية الأراضي Collectivisation . وفي أوائل سنوات ما بعد الحرب ظهر تطبيق التدابير التقليدية : كمصادرة الأراضي غير المزروعة ، وممتلكات نبلاء الروس القدامى الكبرى ، وتوزيع مقاسم صغيرة على ملايين الفلاحين من الذين لا يملكون أرضاً أو محراثاً ، كما تمت مصادرة الممتلكات التي تزيد عن ٥٠ هكتاراً ، وكانت مساحتها ١,٥ مليون هكتار كلياً . ولهذا السبب تكون حصة قطاع الدولة الذي يضم مستغلات إنتاجية ، ومحطات تجريبية ، ومدارس ، تكون هنا أكثر ارتفاعاً من المناطق الأخرى من العالم الاشتراكي لأنها تؤلف ٣٠ ٪ تقريباً . وتمتد هذه المستغلات الحكومية ، الجيدة التجهيز ، على مئات بل آلاف الهكتارات ، في إقليم بانات ، اولتينيا ، ڤالوكيا ، ودو بروجا . ولكن اصطدمت جماعية الأرض أي اشتراكيتها ، فيما بعد ، بمقاومة الفلاحين المتوسطين في التلال ، ورعاة الجبال ، وهكذا تمّ ابتداع شكل مرن يدعى « الرابطة » compagnonnage . وقد انتشر هذا النظام منذ ١٩٥٢ وبلغ حده الأقصى من الاتساع في ١٩٥٩ ، وتلاشى في

أيامنا هذه تماماً ، كي يترك مكانه لتعاونيات من نمط اشتراكي ، تغطي ثلثي المساحة الزراعية تقريباً ، ولكنه يتسامح ، حسب المناطق والمزروعات ، بأشكال مختلفة لا تقترب كثيراً من الكولخوز . وفضلاً عن ذلك احتفظت الدوائر الجبلية بما يعادل ربع أو ثلث مساحة الأراضي الخاصة على شكل مستغلات فردية . وفي عام ١٩٦٢ فرغت السلطات من عملية اشتراكية الأراضي ، ولكن ظل الكثير من الأشكال التعاونية ، فزادت مرونتها كما أدت المكننة إلى طرد العديد من الفلاحين القدامى نحو المدينة والذي يعبر عنه توزع قطاعات العمل .

نوع الفعالية	١٩٣٠	١٩٥٦	١٩٦٦	١٩٦٧
قطاع أولي (زراعة وغابات)	٧٦,٧	٦٩,٧	٥٧,١	٥٣,٨
قطاع ثاني (صناعة وبناء)	٨,٥	١٦,٦	٢٤,٦	٢٧,١
قطاع ثالث (تجارة . نقل . تعليم . خدمات)	١٤,٨	١٣,٧	١٨,٣	١٩,١
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وتكمن الأصالة أيضاً في توسع مشاريع الاستصلاح الكبرى : كالاحتفاظ بالثروة الحراجية عن طريق ترجيح الراتنجيات والغرس والتحريج ، والكفاح ضد انجراف التربة الذي يخرب ثلث رقعة المساحة العامة ، وتنفيذ تقنيات الحواجز الغابية الواقية في إقليم دوبروجا ، والتي يبدو تأثيرها موضع شك ، وتحلية الأراضي اللحقية ، أو مناطق الصرف الداخلي ، وتجفيف وتصريف مياه الأراضي الفيضية ، وهو مشروع لمّا ينته بعد ، لأن فيضانات عام ١٩٧٠ أدت إلى تخريبات شديدة ، وتثبيت الكثبات المتحركة في إقليم بانات والدلتا ، وأخيراً تنفيذ الري في الأراضي التي تنال دون ٥٠٠ مم من المطر ، فارتفعت المساحة المروية من ٤٠٠٠٠ هكتار قبل الحرب كي تبلغ الآن أكثر من مليون هكتار . وأصبحت حقول الرز ومزروعات البستنة مروية حالياً . وهكذا تحددت القطاعات المروية في إقليم بالكا ، ودوبروجا و أولتينيا (جنوب غرب) .

وتقدم منظمة الفاو ، وشركة تنظيم واستغلال الرون واللانغدوك الفرنسية CNARPRL معونتها . ولا يزال توزع المناطق المروية حالياً شديد التبعثر .

هذا كما يمكن أيضاً قياس أهمية الإنتاج الزراعي . فقد كان النمو محسوساً بالنسبة للقمح والذرة الصفراء والمزروعات « التقنية » وتربية الماشية . كما لم تطرح الزراعة إطلاقاً مشكلات الإنتاج ذاتها كما في الأقطار الاشتراكية الأخرى كما أن توزيع المواد الزراعية يتم بصورة عادية تقريباً . هذا وتصدر رومانيا المعلبات والمنتجات المعتمدة على الحبوب وعلى تربية الماشية . ويمثل الرصيد الغابي الذي يمتد على حوالي ٢٧٪ من مساحة البلاد رصيداً سليماً تماماً ، من الطراز الأول ، وتستطيع رومانيا أن تصبح أحد أكبر المنتجين الأوروبيين من الخشب المعاكس ومن الألواح ومن السيللولوز والورق . وتحتل الأراضي الصالحة للزراعة ٤١٪ من مساحة البلاد ، وتغطي الحبوب ٧٩٪ منها ، لأن حصة المزروعات الصناعية لم تتسع بما فيه الكفاية . ويمثل الإنتاج النباتي ٥٥٪ من الإنتاج الكلي وتنتج رومانيا أكثر من ٢٢ مليون م٣ من جذوع الخشب .

كما أن تربية الماشية لم تحقق كل النجاحات المنتظرة من التربية ضمن الحظائر والتي لا تزال محدودة . ولا يتجاوز إنتاج البقرة من الحليب ١٨٠٠ ليتر بالعام . غير أن تربية الأغنام من نوعي مورينوس وقره كول لا تزال مشهورة بالصوف أكثر مما تشتهر باللحم . هذا وتكون الطيور الداجنة وفيرة جداً .

أما إنتاج الحبوب فلا يعود لزيادة المردود ، الذي لا يزال بحدود ٢٤ كنتالاً مقابل ٣٥ كنتالاً بالنسبة للذرة الصفراء ، بمثل ما يدين بالفضل لاتساع المساحات المزروعة بالحبوب . وهكذا تعتبر رومانيا بلاد الحبوب والثمار والنباتات الخاصة . هذا وتمتد المساحات الشاسعة المزروعة قمحاً وذرة صفراء فوق الهضاب وفي السهول ، مثلما دخل الشوندر السكري والبذور الزيتية ، كدوار الشمس والخروع في الدورة الزراعية . وانتشرت زراعة فول الصويا بعد ١٩٦٤ . وتحتل زراعة

التبغ جزءاً صغيراً من السهول الدانوبية . وتظل زراعة القطن محدودة فارتفعت من ٨٠٠٠ طن في عـــام ١٩٣٨ إلى ٣٢٠٠٠ طن في ١٩٦٨ وذلـــك بسبب رداءة نوعيته . ويقدم الرز إنتاجاً يبلغ ٦٠٠٠٠ طن . ولم تمارس زراعة الأعلاف الاصطناعية كالفصة والبرسيم إلا بعد الحرب . وتقدم الزهور والنباتات العطرية والطبية من حيث القيمة جانباً لا بأس به من الإنتاج الزراعي .

وأخيراً يفتخر الرومانيون كثيراً بكرومهم ، التي ترسل قسماً من إنتاجها من الخمور نحو الأقطار الاشتراكية الأخرى ، والتي تقوم في بعض السهول مثل سهل مورڤاتلار في دوبروجا ، وكومبينا پلوايشتي ، وپودغوريا (غرب مولداڤيا) وجبال الكاربات المنعطفة . أما الكرمة المزروعة في الحدود الشمالية القصوى ، كما في كوتناري قرب ياشي ، على حدود مولداڤيا ، فهي تقوم فوق التلال الجيدة التهوية والمحمية . وتحتل كروم السهول الحديثة أولتينيا السفلى وحوض مورش ، وضواحي المدن اليانونية ، حيث تنتج خموراً عادية وعنب المائدة . وتحتل رومانيا المركز الثامن أو التاسع بين الدول المنتجة للخمور التي تقارب ٨,٧ ملايين هكتولتر .

ولا تزال الزراعة تستخدم الكثير من الأيدي العاملة في أوقات جزئية ، وقد بدأ استعمال الأسمدة الكيماوية منذ حوالي خمسة عشر عاماً ، كما تضطر التعاونيات الهزيلة إلى التجمع على شكل مستغلات الدولة . وكان هدف الدولة يرمي لبلوغ المكننة الزراعية رقم ١٢٠٠٠٠ جرار (تراكتور) في ١٩٧٥ أو جرار واحد لكل ٩٠ هكتار ، وهو رقم يبدو قليلاً حتى في قطر جبلي كرومانيا . ومن المؤسف أن يكون هذا القطاع الاقتصادي شبه مهمل بالنسبة للصناعة . غير أن مدراء الاقتصاد لا ينسون بأن الزراعة تؤلف قطاعاً يقدم نصيباً لا بأس به من العملة الصعبة ، وتظل فرنسا مثلاً ، أحد مستوردي الإنتاج الزراعي والمواد النسيجية من رومانيا .

المنتجات الزراعية الرئيسية ملايين الأطنان

المادة	١٩٣٨	١٩٧٣	١٩٨١
القمح	٢,٦	٥,٣	٥,٨
شوفان	٠,٥	٠,١١	٦٠٠٠٠
ذرة صفراء	٤	٩	١,٦
شعير	٠,٦	٠,٨	٢,٥
شوندر سكري	٠,٤	٤,٤	٥,٤
بطاطا	٠,٦	٢,٧	٤,٥
دوار الشمس	-	-	٠,٧
تبغ	-	-	٠,٠٣٨

ملايين رؤوس الماشية

	١٩٣٨	١٩٧٣	١٩٨١
الأبقار	٣,٥	٥,٧	٦,٢
أغنام	٩,٨	١٤,٣	١٥,٨
خنازير	٢,٣	٨,٨	١١,٥

الصناعة : نستشف من قوائم الإنتاج الطاقي والصناعي تقدماً متسارعاً . فقد زاد حجم المؤسسات على شكل كومبينات ، لأن ٥٩٪ من الأيدي العاملة تشتغل في مؤسسات صناعية يعمل فيها أكثر من ١٠٠٠ عامل مأجور . وتمثل المؤسسات التي يعمل فيها أكثر من ٥٠٠٠ عامل ٢٪ من العدد ولكنها تستخدم ١٥٪ من الأيدي العاملة ، وتقدم ١٦٪ من قيمة الإنتاج . وبالطبع لقد كان التمركز أكثر تحققاً بالفعل في الفروع المسماة « ثقيلة » وبعد أن كانت تستورد ٩٥٪ من مكائنها وادواتها عام ١٩٣٨ أصبحت في ١٩٧٤ تكفي نفسها بمعدل ٧٠٪ وأصبح انتاج ١٥ يوماً في الصناعة في ١٩٧٤ يعادل انتاج سنة كاملة قبل الحرب العالمية الثانية .

الطاقة : وتأتي في الدرجة الأولى من البترول (حوالي الثلث) والغاز (٤٠٪) والفحم الذي يتألف قسم لابأس منه من الفحم الحجري أو ١٨٪ في حين

لا يزال نصيب الطاقة الهيدروليكية ضعيفاً حتى دخول مركز أبواب الحديد مرحلة الإنتاج : وكان إنتاج الكهرباء عام ١٩٧٥ بحدود ٥٣,٦ مليار ك وس ، وبلغ ٦٥ مليار في ١٩٧٩ بعد أن كان ١,١ مليار في ١٩٣٨ ، معظمها حرارية . وقد تعرض إنتاج البترول ذاته لتغيرات . فقبل الحرب العالمية الثانية كان أكثر من ٩٠٪ يأتي من حقول پلوايشتي ومن ثم بلغت أعمال الحفر طبقات الوقود السائل في أولتينيا (أواسط البلاد) Ticeleni-Bilteni ، وفي شمال مولداڤيا ، بحيث أصبح إنتاج حوض پلوايشتي يمثل أقل من نصف إنتاج لم يزد بصورة محسوسة منذ الثلاثينات وتظهر عليه ملامح الاستنزاف .

ويعود تاريخ استغلال غاز ترانسلڤانيا لسنوات ما بعد الحرب ، فهناك حقل واسع جداً يمتد في الثلث الواقع بين كلوج - ترغو - موريش - سيبيو . وهناك شبكة من أنابيب غاز تغذي القرى والمدن والصناعات الكيماوية (راتنجيات résines ، مواد بلاستيكية ، مواد تركيبية) . ولا تضم مصافي البترول المبعثرة مؤسسات ضخمة ، لأن طاقة أضخمها ٥ ملايين طن ، ولكنها تكون مصحوبة ، كما هو الحال في شمال مولداڤيا ، بمؤسسات بتروكيماوية حديثة ، وأخيراً يغذي الغاز مراكز حرارية لإنتاج الكهرباء . وتبلغ طاقة تكرير النفط ٢٠ مليون طن .

الإنتاج الصناعي بملايين الأطنان

المادة	١٩٣٨	١٩٥٥	١٩٧٣	١٩٨١
الليغنيت	٢,٠٩	٥,٩١	١٦,٥	٢٧
الفحم	٠,٢٩	٣,٣٥	٦,٦	٨,١
البترول	٦,٦١	١٠,٥٥	١٤,٢	١١
غاز طبيعي (مليون م٣)	١,٨٦	٦,١٦	٣٧,٨٦	٢٨,٥
حديد خام (١٠٠٠ طن)	٦٨	٢٠٢	٩٥٠	٦٠٥
منغنيز خام (١٠٠٠ طن)	٢١,٧	٩٣,٢	٢٧,٧	٢٨

فولاذ (مليون طن)	٠,٢٤٨	-	٨,١٦	١٣,٧
ألمنيوم (مليون طن)	-	-	٠,١١	٠,٢٣٠
إسمنت (مليون طن)	-	-	١١,٤	١٤,٦

وتنتج رومانيا خامات البوكسيت ٦٥٠٠٠٠ طن من إقليم بيهور ، والرصاص والزنك الذهبي من إقليم باياماريه ، وبعض الكروم والنيكل .

وتكمن مشكلة السنوات القادمة في الافتقار إلى النفط والغاز . ولا يجوز الاعتماد على زيادة في الإنتاج لأن المدخرات محدودة . وقد تركت رومانيا بمعزل عن أنبوب بترول الصداقة ، ولكنها تتطلع إلى استيراد نفط الشرق الأوسط بواسطة ميناء كونستانسا .

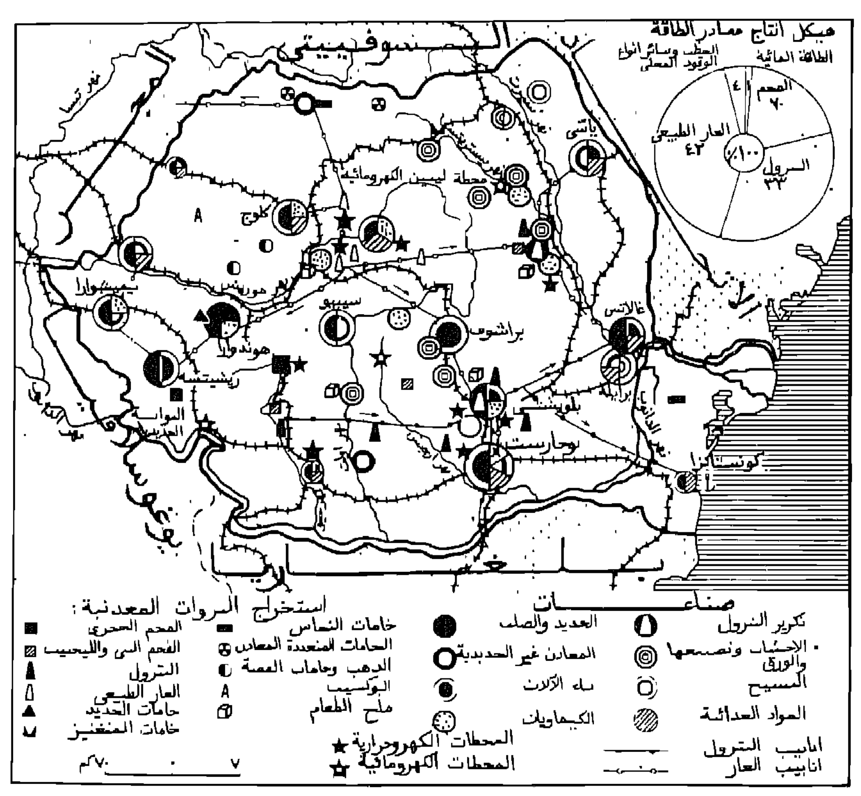
ولهذا تبذل عناية خاصة للبحث عن مصادر أخرى للطاقة : فثلث الفحم يتمركز في وادي جيو Jiu لأن الباقي يتركز في ترانسلفانيا وفي مولداڤيا . وتعلق آمال كبيرة على حوض شيلا Schela الجديد في اولتينيا . ولكن البلاد تضطر لاستيراد الفحم الصالح للكوك وفحم الكوك وعلى الخصوص من الأقطار الاشتراكية . وسيؤدي تجهيز الأنهار الكارپاتية كهرمائياً إلى زيادة نصيب الطاقة الكهرمائية التي لا يزيد مقدار المستغل من الطاقة الكامنة عن ١٢٪ . ويقدم سفح جبال الكاربات الشرقي ٩٠ بالمئة من الطاقة الكامنة . وبعد أن تم بناء مراكز نهر بيستريجا جرى بناء مراكز نهر اولت . وهناك مخطط لبناء ٢٢ مركزاً . ولكن أعظم إنجاز كان مركز أبواب الحديد على الدانوب ، وهو أقوى مركز في أوروبا ، والمجهز نصفه لحساب يوغوسلاڤيا . وهناك خطة لبناء مركز آخر روماني يوغسلافي ، وهو مركز « جرداب الثاني » في سافلة الأول ، ومركز مشترك مع بلغاريا في موقع ايسلاز سوموڤيت ، وإلى سافلة ذلك ، بناء مركز أو أكثر من المراكز الكهربائية الدانوبية .

أما على مستوى الإنجازات النووية ، فقد طلبت رومانيا عوناً تقنياً من

الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أو من أوروبا الغربية ، ويتم بناء مصنع بين بوخارست وبين الدانوب . وهكذا ترتسم معالم سياسة نووية للطاقة غير مندمجة كثيراً في منظومة الكوميكون . وتصدر رومانيا فائض تيارها الكهربائي باتجاه هنغاريا وسلوفاكيا .

الفروع الأخرى : تقع الصناعات الكبرى أولاً في أحواض تقليدية . فتقع الصناعات الحديدية في مدينة ريشيزا Resita وفي مدينة هوندوارا Hune doara في غرب البلاد ، والصناعات المعدنية غير الحديدية المحدثة في بايا ماريه ، في الشمال . وقام معمل جبار للجرارات والشاحنات في براچوف ، مصحوب بصنع رولمانات تؤمن ثلاثة أرباع حاجات الإنتاج الروماني . وتتلوها بعدئذٍ بؤر الصناعة الجديدة التي أنشأها النظام وهي الكومبينا الكيماوية في تيروغو موريش (جنوب شرق كلاج) والصناعات الخفيفة في أياشي : منسوجات ، مضادات حيويات ، وغذائية ، والكومبينات الكيماوية في بورزچتي ، وفي جورجيو ، وفي جيور جلادج أو ساڤينستي Sāvinesti والمنشآت الجديدة في كرايوڤا : مكائن ، قاطرات ، كومبينا كيماوية ، وكومبينا أخرى للأسمدة في تورنو ماغوريله Turnu Māgurele على الدانوب ، ومركبات الألمنيوم في سالاتينا وفي تولسيئا ، ومصنع تجميع السيارات في پيتشتي Pitesti ، لأن البلاد أنتجت عام ١٩٧٥ مقدار ٦٨٥٠٠ سيارة سياحية و ٣٣٦٠٠ سيارة صناعية في ١٩٧٩ وقد أنتجت رومانيا اوائل سياراتها السياحية في ١٩٦٧ بمساعدة شركة رينو الفرنسية . ولكن أكثر الأمثلة روعة هما مثالي بوخارست وغالاطي (شمال دلتا الدانوب) ففي بخارست كانت تسود الفروع النسيجية والغذائية . غير أن الفرع الرئيسي (في العاصمة) أصبح مركزاً لصناعات ميكانيكية أو ثلث الإنتاج الوطني ، والصيدلي (الثلثين) والطباعي (٧٥٪) والكيماوي (١٥٪) . وفي ١٩٦٠ ظهر مشروع بناء كومبينا غالاطي ذات الدورة الكاملة وتتلقى قسماً من خامات الحديد من

كريفو ئيروغ عن طريق الدانوب وكونستانسا ؛ ومن الجزائر ومن موريتانيا والبرازيل . وقد بلغ إنتاج هذا المصنع ٥ ملايين طن في ١٩٧٥ ، ويعمل في هذا الكومبينا ٣٠٠٠٠ عاملاً . وعلى أثر بناء ميناء جديد عند مرفد نهر سيريت Siret (قرب برائيلا) يستفيد من تيار العالية والسافلة الدانوبي ، ولا سيما في الميناء القريب من برائيلا ، وهو غالاطي ، فسيكون بالتالي البؤرة المحركة للصناعة الثقيلة . وفضلاً عن ذلك تنتج رومانيا المكائن الزراعية ، والمطاط التركيبي ، وأكثر من نصف مليون طن من الصودا الكاوية أو ٥٦٦٠٠٠ طن عام ١٩٧٥ ، ومعجونة الورق ، ومقدار ١٧٥٠٠٠ طن من خيوط القطن ، و ٦٥٠٠٠ طن من خيوط الصوف (شكل ٤) .



الشكل (٤) صناعة رومانيا

الانفتاحات الخارجية :

لقد أصبح دور الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٦١ متناقصاً بصورة محسوسة في تطوير إنتاج رومانيا ، إذ تزايد الطلب على المعونة الفنية من الشركات الأجنبية ضمن إطار التحديث والرغبة في نوعية الإنتاج . وهكذا تأكد الاستقلال تجاه الجارة الكبرى . وأصبحت رومانيا هي القطر الاشتراكي الذي يطلب العون من الغرب أكثر من سواه . ومما لا ريب فيه لاتزال حصة أقطار الكوميكون هامة ، إذ ترتبط رومانيا بالاتحاد السوفييتي في مادة النقل النهري وفي التزود بالمواد الأولية ، كما عقدت اتفاقات عديدة ولا سيما مع الأقطار الاشتراكية الصناعية . ولم تنقص حصة الكتلة الاشتراكية خلال أول مخطط خماسي في السبعينات ، وهناك مشروع لتمديد أنبوب نفط يمون بلغاريا بالنفط السوفييتي عن طريق رومانيا . ولكن هذه المعونات أو الميزات لا تحصل عليها رومانيا دون مقابل ولهذا تتعامل رومانيا مع الأقطار الاشتراكية الأخرى على قدم المساواة ، فتضعها في موقف التنافس مع الأقطار الغربية على مستوى الأسعار والنوعية التقنية . وقد احتفظت ، على خلاف الأقطار الأخرى من الكتلة الاشتراكية الأخرى ، بعلاقات تجارية وثقافية مع ألبانيا ، ولا سيما مع الصين الشعبية .

وتتزايد مكانة التجارة الخارجية مع الأقطار الرأسمالية في كل عام ، وذلك في ميدان الحجم على الأقل ، وتأتي ألمانيا الاتحادية بعد الاتحاد السوفييتي كأول مصدّر لرومانيا وأول زبائنها بين أقطار الغرب .

أما إيطاليا التي لها صلات قربى ووشائج نسب مع الرومانيين فتحتل المرتبة الثالثة في المجموع . وتتعادل بريطانيا مع فرنسا في التجارة الخارجية الرومانية . وتمارس فرنسا نفوذاً ثقافياً ، ولكن المبادلات الاقتصادية تظل محدودة لانعدام التكامل في المنتجات . وعلى كل حال فقد أقام هذان القطران مؤسسات مشتركة : كالبنك المختلط الفرنسي الروماني ، ولجنة مشتركة للتعرف على

الأسواق ، والعون التقني للعالم الثالث ، وقامت مؤسسة رينو بإنشاء مصنع تجميع السيارات في بيتشتي Pıtesti ، وأقامت مؤسسة فرنسية مركزاً حرارياً عملاقاً في كرايوڤا ، كما تبنّت شركة بيشني Pichney مصانع الألمنيوم الجديد في سالاتينا . كما تقوم الشركة الوطنية للصناعات الجوية بتقديم قطع لصنع الطائرات المروحية . وهناك أمثلة عديدة عن ذلك . أما العلاقات مع يوغوسلاڤيا فهي من مستوى سياسي . فكثيراً ما يتلاقى رجال السياسة ، كما أن تدشين السد المشترك في مضيق أبواب الحديد جرى بصورة احتفالية . وتقوم علاقات جديدة مع الأقطار البعيدة كالبرازيل وإسبانيا رغم الاختلاف الايديولوجي . وتساهم اليابان في إقامة مصانع حديثة من البلاستيك والألمنيوم . وتمنح رومانيا بصورة متزايدة المعونة للأقطار النامية في الشرق الأوسط والمغرب والهند فترسل الآلات والخبراء .

الاستقلال :

وتعود هذه الرغبة في الاستقلال بلا ريب إلى عمق أصالة الشعب الروماني المؤلف من جزيرة لاتينية في قلب عالم الصقالبة ، وإلى فتوحات الاتحاد السوڤييتي وإلى استغلاله هذا البلد ، الذي ظل لفترة من الزمن في عداد أعداء الاتحاد السوڤييتي . وقد تحرضت هذه الرغبة على أثر مخطط ڤاليڤ الذي يرمي إلى تحييد أو لاقومية منطقة تضم بلا ريب جزءاً من بسارابيا ومن بلغاريا . ولكن على الخصوص شطر كبير من الأرض الرومانية ، أي بلاد السهول ، ولكن السوڤيات نفوا وجود هذا المخطط ذاته . وقد تم الإفصاح والتنويه عنه في دورات جلسات الكوميكون ، ولا سيا في بخارست عام ١٩٧١ ، حيث ظهرت اختلافات بين رومانيا وبقية الكتلة ، وقد تجلّى ذلك في تحفظات واضحة ، وبالرفض المتكرر ، وحتى الموقت ، في الانضمام لمؤسسات الكوميكون ، كالبنك الدولي للاستثمارات . ويتجسّد ذلك بطلبات الانضمام إلى منظمات دولية تضم « أكثرية » من الأقطار الرأسمالية . وهكذا أمكن قبول عضوية رومانيا في GATT (الاتفاق

العام للتعرفة والتجارة) منذ ١٩٧١ . وفي ١٩٧٢ طلبت من الجماعة الأوربية الاقتصادية الاستفادة ، بصفتها قطراً قليل التطور ، من نظام يدعى « الأفضليّات المعمّمة » . وفي أيلول من العام نفسه طلبت أن تشكل جزءاً من صندوق النقد الدولي وفي البنك العالمي ، إلى جانب يوغوسلاڤيا ، وهما القطران الاشتراكيان الوحيدان . كما سمح لها منذ عام ١٩٧١ بالاستفادة من القروض العامة التي تقدمها الولايات المتحدة بواسطة بنك « الاستيراد والتصدير » . وقد استقبلت كل هذه المحاولات بامتعاض شديد من جانب الاتحاد السوڤييتي ، ولكن رومانيا ليست من الأقطار « المحتلة » من قبل القوات السوڤياتية ، ويماثل وضعها في الكتلة الشرقية ، وضع فرنسا ، في الحلف الأطلنطي .

عوامل الإشعاع

تفترض مثل هذه السياسة الاستقلالية ، المدعومة بتحالف وثيق مع يوغوسلاڤيا ، وجود قوة معنوية نادرة لدى المسؤولين وتتطلب مساندة الشعب الروماني . وكان من نتائجها انفتاح البلاد للمؤثرات الثقافية الغربية مثلما قبلت الاستدانة من العملات الغربيّة الصعبة ، شأن يوغوسلاڤيا ، أو تبذل جهداً متزايداً للحصول عليها . وتصدر رومانيا الخشب والمنتجات الكيماوية مثلما أوجدت وكالات دولية للتجارة لها أسماء ذات مغزى مثل Romenergo, color, Azoexport مثلما تكثر من اللقاءات والمؤتمرات . وقد فتح معرض بخارست لأول مرة في عام ١٩٧٠ واشتركت فيه ٨٠ شركة أجنبية ، معظمها جاءت من أوروبا الغربية ، وتشترك رومانيا في أكثر من ٥٠ معرضاً في كل القارات ولكن لديها مصادر أخرى للعوائد .

الطريق الدانوبي : وبعد أن ظل هذا الطريق في حالة نزع استرد نشاطه . ويزيد طول الدانوب الروماني عن ١٠٠٠ كم . غير أن الحمولة المنقولة عليه لا تزيد كثيراً عن ٥ ملايين طن ، تكون ١٥ ٪ منها دولية . هذا كما لا يحتل

الأسطول الروماني سوى المرتبة الخامسة بين الأساطيل الدانوبية . ويدل نشاط حركة الموانئ التقليدية مثل تورنو سيڤيرين ، وجيورجيو ، وبرائيلا عن اتجاهات اقتصادية عتيقة : خشب ، حبوب ، مواد بناء . غير أن الوضع آخذ في التغير بسرعة لأن ميناء سولينا البحري المردوم سيسترد نشاطه بعد حفر قناة جديدة . أما ذراع سولينا فهو هدف لصيانة مستمرة . أما ميناء تولسينا فقد أضاف إلى كومبينته السمكية مصنعاً للألمنيوم . وأصبح ميناء غالاتسي يستقبل سفن شحن دولية تحمل فلزات الحديد .

أما ميناء ترنو مارغوريليه Turnu Măgurele فقد ارتفعت حركته من أقل من ٠,٥ مليون طن في ١٩٧٠ إلى ٢,٥ مليون طن في ١٩٧٥ . أما سدّ أبواب الحديد فقد زاد غاطس السفن عن ٣ أمتار ، وتم إلغاء القناة الجانبية Sip . وأصبح طريق الدانوب يتحمل ، حتى بلغراد على الأقل ، سفن شحن حمولتها ٥٠٠٠ طن . وهكذا زادت الحمولة ، ومن ثم العائدات ، بصورة محسوسة خلال مخطط ١٩٧١ - ١٩٧٥ .

لكن ميناء **كونتسانسا** ، وهو ميناء شبه راكد سابقاً ، أصبح مستورداً للخامات المعدنية والبترول . وبعد أن كانت البحرية الرومانية لا تتجاوز إطلاقاً سواحل البحر الأسود ، أخذت تحتل مكانتها في البحر الأبيض المتوسط وفي المحيط الأطلنطي . وارتفعت حمولة سفنها التي شيّدت في ترسانات وطنية ، أو مستوردة من الخارج ، إلى ١,٣٦ مليون طن في ١٩٧٥ أو ٧٧٧٣١٠ طنة . هذا وقد توسعت كونستانسا بحفر أحواض جديدة ، وتستطيع ترسانة بناء السفن لوحدها ، فيها ، أن تبني ناقلات خامات معادن من حمولة ١٥٠٠٠٠ طن . وراحت الخطوط المنتظمة تتزايد باتجاه أوروبا الغربية ، وانطلقت سفن الجرف لصيد الأسماك تقصد البحار البعيدة . وأصبح أكثر من ثلث حركة السفن يتم فوق ذراع سولينا الدانوبي (فرع الدلتا) بواسطة سفن تحمل راية أجنبية . أما حركة

ميناء غالاطي فتزيد عن ٦ ملايين طن . أما كونستانسا فقد تجاوزت لأول مرة حمولة ١٥ مليون طن في عام ١٩٧٠ .

هذا وتملك رومانيا أكثر من ١٢٠٠٠ كم من الخطوط الحديدية و ٨٠٠٠٠ كم من الطرق ، والطرق الملاحية النهرية البالغة ١٦٦٠ كم .

هذا وتمثل **السياحة** مورداً لم يعط بعد كل ثماره ، ذلك أن عدد السواح يقل عن مستوى بلغاريا ، أي يتراوح بين ٣ و ٤ ملايين أجنبي في العام ، وصعد العدد إلى ٥ ملايين في عام ١٩٧٥ وبلغ عائد السياحة الصافي ٦٠ مليون دولار في عام ١٩٧٠ لوحده . أما نصيب السواح الغربيين ، الذين يجلبون العملات الصعبة ، فيأتي الألمان في طليعتهم والذين يمثلون الثلث . ولكن تطوير مركز **ماما يا** ، وهو محطة عالمية ، وانزلاق المجموعات السياحية الكبرى نحو جنوب كونستانسا يعمل على زيادة طاقة الاستقبال . وقد قامت سلسلة انترناسيونال الأمريكية ، ببناء فندق مهيب في بوخارست ، كما عملت في هنغاريا وبلغاريا سابقاً . ويستقبل مطار كونستانسا الصغير خطوطاً مباشرة مع الخارج . وتقوم مؤسسة السياحة القومية ONT Carpati بفتح فروع لها في الأقطار الغربية . وتستدعي المناطق الجبلية تهيئة سياحية مسبقة ، كما تستطيع المحطات المائية المعدنية الحارة ، وأديرة شمال مولداڤيا ، أن تستقبل أعداداً أكبر من الأجانب بفضل دعاية وطنية . وهناك إمكانات لرحلات بحرية على الدانوب انطلاقاً من النمسا ، كما تستطيع مدن المراحل الإقليمية استقبال أعداد أكبر من السواح .

هذا وقد كان تجديد شباب الاقتصاد الريفي ملحوظاً في خلال السبعينات بمبادهات تلفت الأنظار ، كتدشين مطار جديد في أوتوبني Otopeni قرب بخارست بطاقة مقدارها أكثر من مليون مسافر في العام . وتشغيل جرداب Djerdap ومعامل التصفيح في غالاطي . وكان مخطط النصف الأول من عقد السبعينات يرمي لإنتاج أكثر من ١٠ ملايين طن فولاذ وقد تحقق ذلك مع وتيرة

نمو وطني تبلغ ٩٪ سنوياً ، ومضاعفة أو زيادة الإنتاج الألكتروني ثلاث مرات ، وكذلك الألياف والمطاط التركيبي ، والأسمدة وزيادة إنتاج الألمنيوم ٣ مرات دون تعديل عميق في توجيهات التخطيط ، التي تمنح ثلاثة أرباع الاستثمارات للطاقة والكيمياء والميكانيك وتطوير صناعة البناء كي تقدم ١٠٠٠٠٠ شقة حضرية في العام وزيادة الإنتاج الزراعي .

وتستهدف المخططات ، منح سلع الاستهلاك الأفضلية بحيث لاتكون رومانيا أحد أقطار الكوميكون الأقل سيارات لأنها تنتج سيارات متنوعة تزيد عن ١٢٥٠٠٠ في العام .

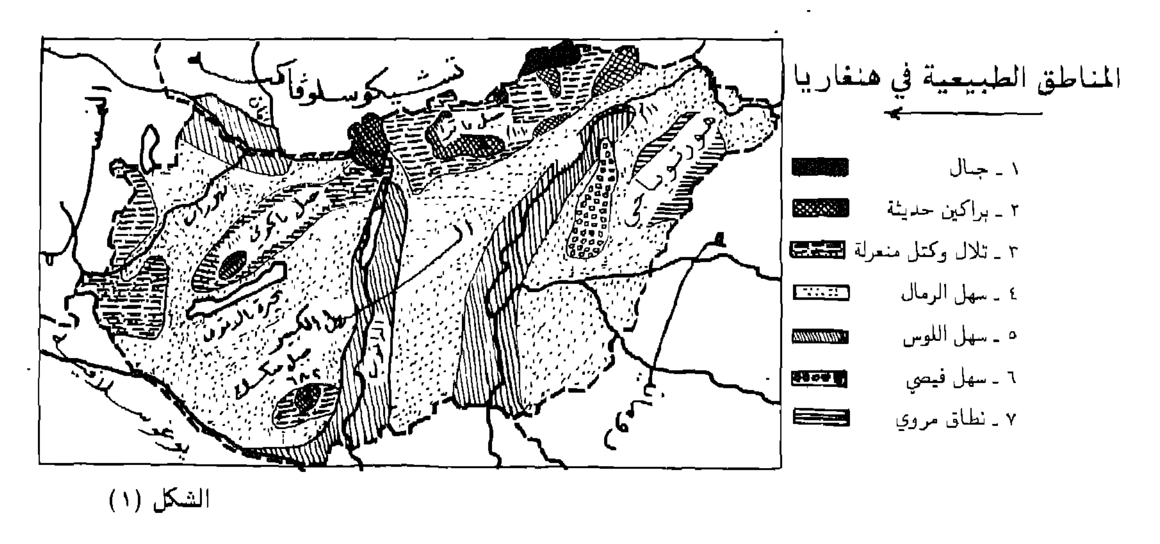
وهكذا تشهد رومانيا منذ ١٩٦٠ نهضة حقيقية مع أنها قطر أوروبي متوسط الأبعاد وظل في الظل منذ ١٩٤٥ ، ولكنه شهد توسعاً متسارعاً في سائر فروعه الاقتصادية الحديثة منذ ١٩٧٠ وليس هذا أكثر من أعجوبة في دولة عرفت كيف تعوض عيوب موضعها الجغرافي .

وأخيراً يتعادل ميزانها التجاري تقريباً فهي تصدر النفط والإسمنت والمنتجات الزراعية والأخشاب والجرارات كي تستورد الحديد الخام وفحم الكوك وسلع الاستهلاك وبلغت قيمة صادراتها في ١٩٨١ ٥٣,٨ مليار لو مقابل ٥٩ مليار لو للواردات .

هنغاريا (المجر)

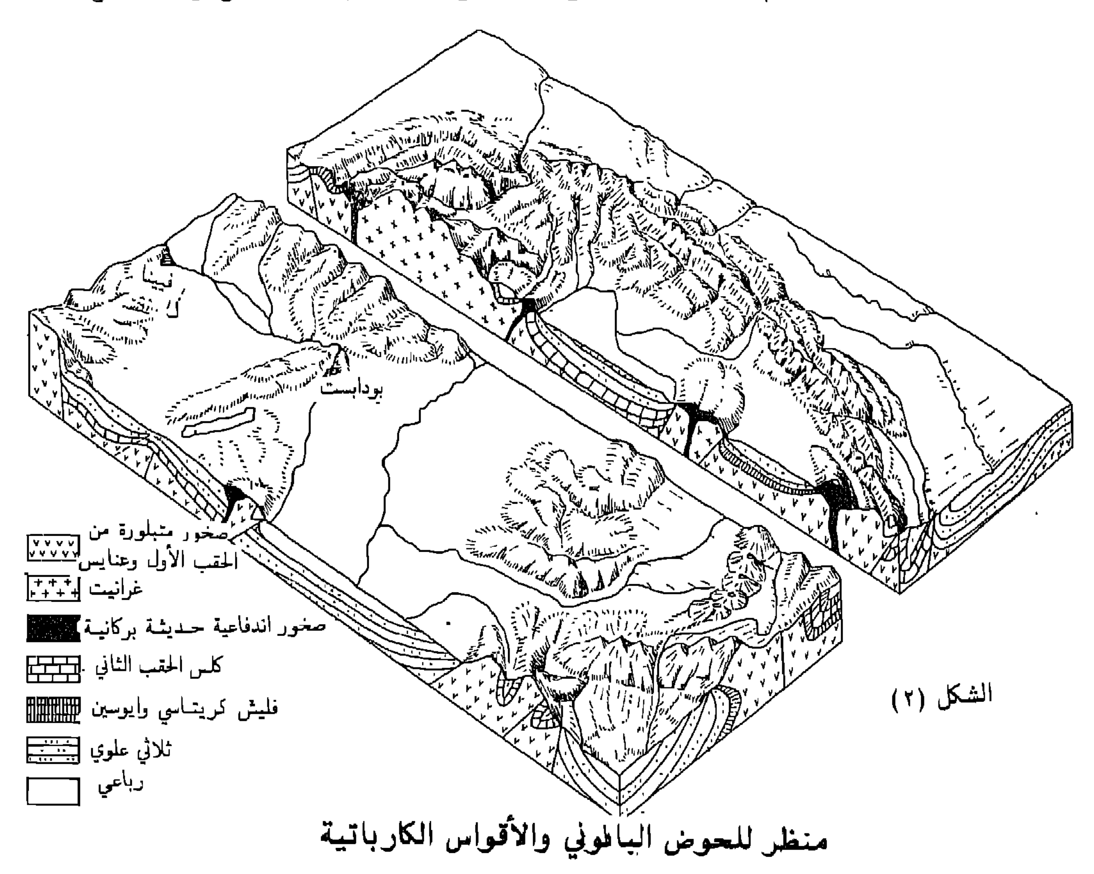
دولة في أوروبا الشرقية مساحتها ٩٣٠٣٠ كم٢ . سكانها ١٠,٧ ملايين في ١٩٧٩ و ١٠,٤ ملايين في نهاية ١٩٦٨ . عاصمتها بودابست وسكانها ٢,١ مليون نسمة .

البيئة : تحتل هنغاريا وسط السهل البانّوني والقسم الأعظم منـه ، والـذي لا زال يدعى حوض **الدانوب الأوسط** أو **الحوض الكاربـاتي** . ولا ترتفع أكثر من ثلاثة أرباع البلاد عن ٢٠٠ متر والقسم الذي يزيد عن ٤٠٠ م لا يتجاوز ٢ ٪ فقط من المساحة العامة . وتقع أعلى قمة في البلاد في كتلة جبال ماترا والتي يبلغ ارتفاعها ١٠١٥ م فقط . وفي هذه البلاد السهلية تؤدي أقل فروق الارتفـاع وأقل الاختلافات البيدولوجية إلى اختلافات ملحوظة في المشاهد الطبيعية « لاندشافت » . وتلعب التلال والجبال المتوسطة هنا دوراً اقتصادياً أكثر أهمية من أي مكان آخر (شكل ١) .



الشكل (١)

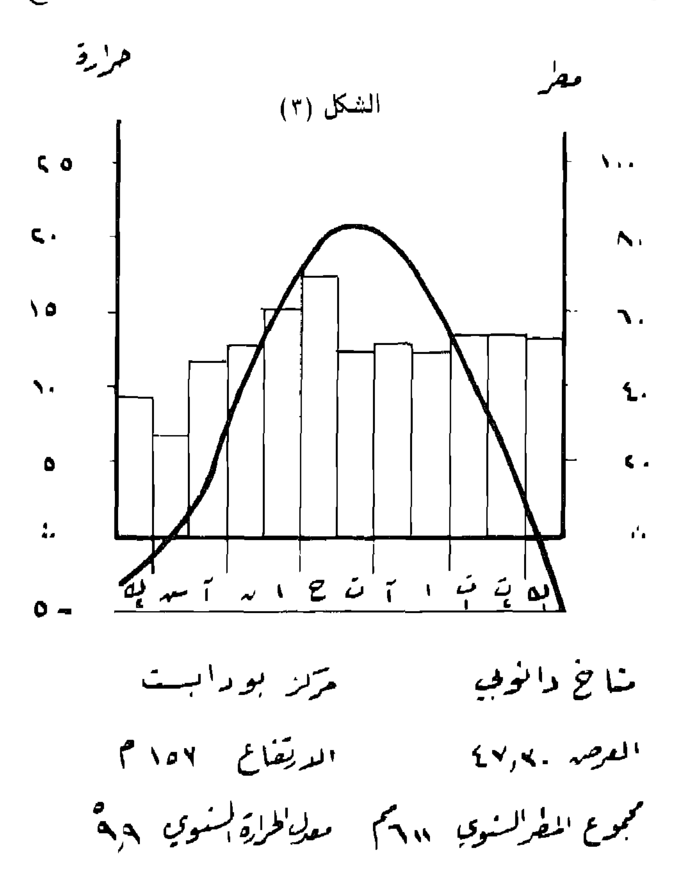
ويتألف الحوض البانوني من حوضة انكباس subsidence واسعة ، وحيث تظهر الركيزة أحياناً على أعماق تربو على عدة كيلو مترات ، وقد امتلأت بالرسوبات البحرية والبحيرية ، من ثلاثية ورباعية ، تزيد سماكتها عن ١٠٠٠ متر (شكل٢) ، ولكن يبدو هذا السهل أكثر تنوعاً مما نتوقع من خلال نظرة سريعة على الخارطة . وفضلاً عن ذلك يؤدي المناخ ، وهو قاري نموذجي ، لظهور تنوعات عديدة . ويهبط مجموع التهطالات التي تبلغ المتر في الغرب وفوق الجبال إلى مادون ٥٠٠ مم في الجنوب الشرقي . ويقع الحد الأقصى المطري في بداية الصيف ، وتهطل الأمطار على شكل عواصف سخية ، تتبخر مياهها أو



الشكل (٢)

منظر للحوض البانوني والأقواس الكارباتية

تتسرب ؛ أي أنه نظام مطري يوائم زراعة الذرة الصفراء (شكل ٣) . كما يظهر من السعات السنوية التي تبلغ ٢٥ درجة لوجود صيف حار جداً وشتاء قارس . ويؤدي عدم الانتظام في مقادير الأمطار بين السنوات إلى ظهور مفارقات في مردود الحبوب . ويصبح الري في شرقي الدانوب أمراً لاغنى عنه باعتباره عاملاً مساعداً ، وأحياناً ضرورياً ، وحتمياً . غير أن طول الفترة الإنباتية وسخونة الصيف وعذوبة خريف متأخر توائم جميعاً زراعة الحبوب . وقد أعطت زراعة الكرمة ، لأن هنغاريا تشتهر بصناعة خمر شهير يدعى توكاج ، والثمار الجنوبية ، ومحاولات زراعة محاصيل شبه مدارية ، أقول أعطت بعض النتائج ، وكذلك



البذور الزيتية والفواكه ، إذ نجحت زراعة الخروع ، وبعض أشجار التين واللوز والدرّاق والمشمش ، نجاحاً مرموقاً ، في حين أهملت زراعة القطن بينما استقرت زراعة الرز فوق الترب القلوية .

المناطق الجغرافية وتنظيمها :

ترتصف عناصر التضريس الثلاثة : أي السهول والتلال والجبال على طرفي نهر الدانوب .

فالسهل الكبير أو آلفولد Alföld قد تم ردمه بواسطة الدانوب ونهر تيسزا وروافدهما ، التي ظلت حتى عهد قريب منا تترنّح فوق لحقياتها الخاصة . وهكذا تمثل الهضاب الرملية الواقعة بين الدانوب وتيسزا Tisza مخروط انصباب قديم لنهر الدانوب وحيث تشكلت الكثبان . أما منطقة نيرسيغ Nyirség فهي عبارة عن مخروط انصباب ضخم نتج عن نهر تيسزا الأعلى ، وحيث تكون الكثبان المتحركة مفصولة عن بعضها بعضاً بأحواض مستنقعية صغيرة . ويؤلف كلا المخروطين أكثر الأجزاء السهلية ارتفاعاً وأكثرها جفافاً . وبعدئذ يرسم نهر تيسزا ، على العكس ، سهلاً فسيحاً عرضة للفيضان . وقد سمح بناء السدود عليه وتجفيف مستنقعاته ، وإقامة سدود تخزينية في العاليه بتقليص مخاطر فيضاناته . ويقوم رافداه : كوروس وماروس بتقديم المياه الضرورية للري . وتغطي الرمال واللحقيات الدقيقة من أصل غضاري ، وأغشية اللوس سطح السهول التي تكون تربتها ذات نوعيات متباينة ، وهكذا تظهر فيها الأراضي السوداء والترب القلوية أو السولونتيز وترب المصاطب الأكثر جفافاً . وهكذا تتمايز مناطق معينة مثل كومانيا الكبرى أو ناجيكونساغ Nagykunsàg المتصفة بالمستغلات الزراعية الكبرى ، ومنطقة هورتوباجي Hortobağy التي ظلت موحشة لمدة طويلة ، تتجول فيها قطعان الخيل والخنازير والوز فتشكل البوسزتا Puszta أو « الصحراء القفراء » والتي أصبحت اليوم أرض الفولكلور في أعين السواح الأجانب . ويرسم

الدانوب ، أخيراً ، شريطاً بديعاً من المصاطب في السهل الفيضي تغطيه غابات فاتنة وحيث تحولت الأجزاء الطوربية (المخثّات) والأذرع النهرية المهجورة ، والبحيرات المجففة ، والأكواع النهرية القديمة ، إلى مزارع أو مروج .

ويؤلف السهل الكبير أحد أبهى المناطق الزراعية في أوروبا والسائر نحو التحول . فقد ابتدأت عملية الاسترداد وإعادة الاستيطان ، بعد الفتوحات التركية والاستيطان التركي ، ابتدأت بتطور « مدن زراعية » واستعمار من قبل الفلاحين المجر والصوآبيين الألمان ، وتم تبعثر الدساكر أو « تانياس Tanyas » بعد تنظيم المشاهد الطبيعية بصورة عقلانية : كالصرف والري بفضل قناة نهر تيسزا الكبرى ، وزراعة الأكاسيا والحور ، وتوسيع الأراضي المحروثة على حساب المراعي الهزيلة ، واستغلال أغشية المياه الباطنية ، وإعادة ضم التايناس وإنشاء « قرى مركزية » وتثبيت الكثبان المتحركة .

أما **السهل الصغير** أو كيزالفولد Kisalföld فيمثل حوضة أخرى واقعة في الغرب ، أي فيما وراء الدانوب ، ويحده من الغرب أذيال كتل جبال الألب الشرقية ، ولا سيما جبل سوبرون Sopron وكوسزغ Köszeg . وقد تم ردم هذا السهل بواسطة العديد من الخاريط الدانوبية ، والذي ينقسم ويتلقّى نهر رابا Rába الذي يشكل العديد من الأذرع . ولا تزال بعض البحيرات ، مثل فيرتو Fertö ، التي تمتد أيضاً في أراضي النمسا لتتخذ اسم نوسيدل Neusiedl ، والمستنقعات ، شاهدة على عدم استقرار الصرف . وهناك بعض التلاع البركانية والأجزاء العليا من مخاريط الانصباب والمصاطب العليا ، والتي تحمل غابات استزرعت بصورة جزئية . وتكون الزراعة الكبرى ممكنة فوق الأراضي السوداء والترب السمراء .

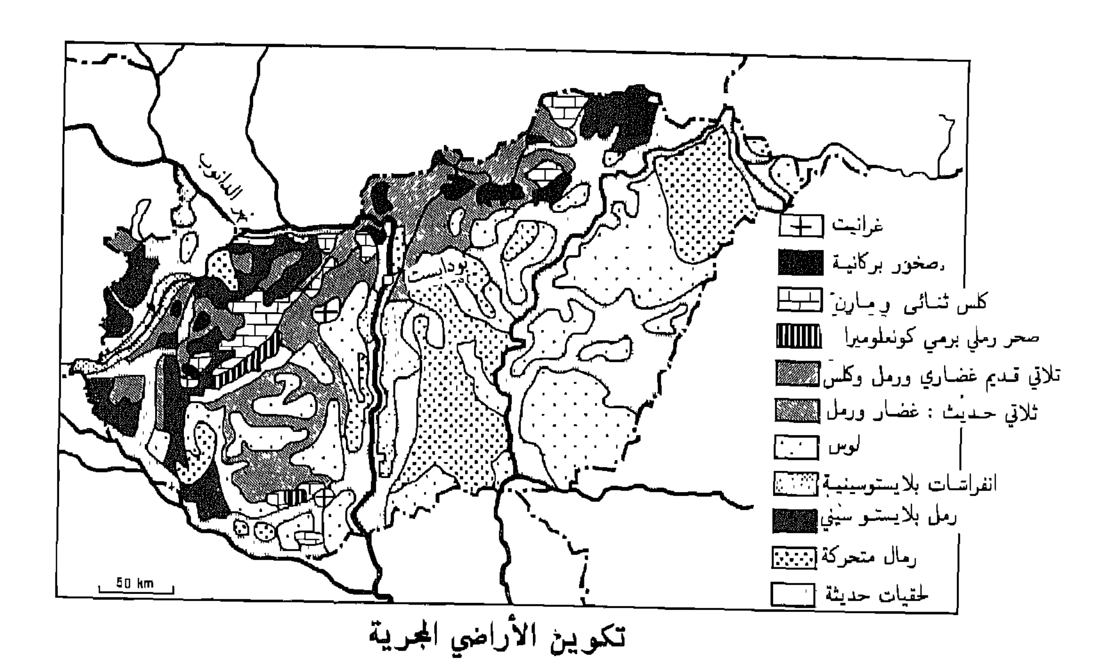
وتحتل **هنغاريا التلية** القسم الأعظم من بلاد ما وراء الدانوب . وقامت شبكة هيدروغرافية شديدة الكثافة ، ترفد نهر الدراڤا وبحيرة بالاتون والدانوب ،

بتقطيع كتلة ثخينة من التوضعات البحرية المستورة باللحقيات ، وبالرمال ، وباللوس ، وشكّلت بلاد زالا Zala في الغرب ومنطقة سوموجي Somogy وتولنا Tolna بين الدانوب وبحيرة بالاتون ، التي تحتل قاع حفرة تكتونية غير متناظرة asymétrique على طول ٧٧ كم وعرض يتراوح بين ٦ و ١٤ كم ، ويكون لها من الشمال الغربي سفح منتصب نسبياً وبعض النتوءات البركانية كشبه جزيرة تيهاني ، في حين نجد في الجنوب الشرقي ضفة منبسطة ، مستنقعية وتشتمل على بلاجات رائعة .

وتنتصب في الجنوب كتلة جبل مكسك Mecsek القديمة إلى ارتفاع ٧٠٠ م ، وهي قطعة من ركيزة نهضت واحتفظت بقسم من غطائها الرسوبي ، المؤلف من هضاب كلسية . ويستخرج منها فحم صالح لصنع الكوك وخام اليورانيوم ، والبوكسيت من التلال الواقعة إلى الجنوب قليلاً ، وهي تلال ڤيللاني Villányi .

ويعتبر مجموع بلاد ماوراء الدانوب المغطى بالغابات المتزرعة ، والمتمتع بمناخ أكثر عذوبة نسبياً منطقة الزراعة المتعددة وتربية الماشية المتنوعة . وقد ساهم الكفاح ضد حت التربة ، واستصلاح الأودية المنخفضة مثل زالا ، وميزوفولد Mesöföld بين بحيرة بالاتون والدانوب ، والذي يجتازه نهر سيو Sió المقنّون canalisé ، وتحسين الترب ، أقول : ساهم في تحول هذه المنطقة .

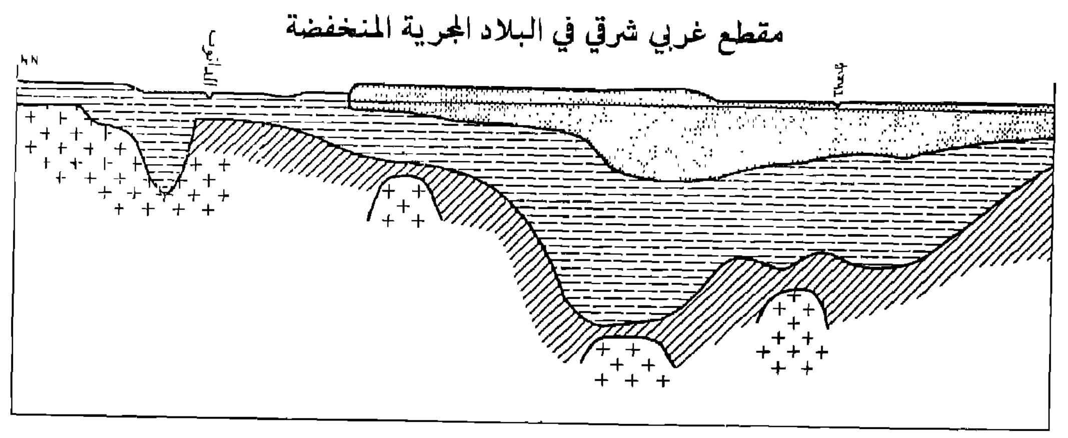
هذا وتؤلف **الجبال** ظهرة متجهة بصورة تقريبية من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ويخترقها الدانوب بواسطة كلوز cluse وبذلك يشطرها إلى زمرتين : ففي الغرب تتألف جبال ماوراء الدانوب من هورستات Horsts تنتسب للحقب الأول (شكل ٤ و٥) ، ومغطاة بتوضعات من الدور الثاني ، وتقطعها حفر ذات اتجاه عرضاني ، وتحوي بقايا سطوح حتّية متدرجة تشرف على حادور glacis بديع . وتنتسب القمم المسوّاة جداً بين ٦٠٠ و ٧٥٠ م . ويبدو



تكوين الأراضي المجرية

الشكل (٤)

مقطع غربي شرقي في البلاد المجرية المنخفضة



توضعات فيضية نهرية لما بعد البانوني ، توضعات بحرية ثلاثية حديثة ، جذور جبلية من الأزمنة الأولى والوسطى ، غرانيت

الشكل (٥)

جبل باكوني أكثرها امتداداً ، ويتألف من هضاب كلسية ودولوميتية ، مع نتوءات بركانية ، ومستور بغابة كثيفة مع حوضات داخلية وأودية مزروعة . أما جبل ڤيرتس Vértes المفصول عن جبل باكوني بحوض مور Mór فهو أكثر انخفاضاً وتتقدمه جبال ڤيلنس Velence في الجنوب الشرقي ، والتي تنتصب فوق بحيرة صغيرة . وتطلق تسمية دونازوغ على زمرة كتل جبلية صغيرة يشطرها الدانوب : وهي جيريكسه Gerecse وپيليس Pilis الكلسية ، وجبل فيزيغراد Visegrád المحقون بنتوءات بركانية . وتحوي هذه الجبال المتوسطة ثلاثة نماذج من المكامن المعدنية : فحوم سمراء وليغنيت من الحقب الثالث في قاع الأحواض ، ومنغنيز وبوكسيت ترتفع مخزوناته إلى أكثر من ٨٠ مليون طن .

وتظهر في الشرق كتل جبلية تدعى « الشمالية » ، تنتسب إلى النطاق الداخلي من جبال الكارپات . وتكون الارتفاعات الوسطى فيها أكثر سموّاً ، والحت فيها أكثر عنفاً ، مما أدى لظهور أشكال أكثر عنفواناً ، وتكون الأحواض الداخلية أكثر عمقاً . ويفسر الارتفاع والوضع برودة الطقس نسبياً ورطوبة المناخ ، بحيث نجد هنا أجمل غابات هنغاريا . وتتصل الكتل الجبلية بالسهل الكبير بواسطة سهول سفحية (بيمونت) مؤلفة من تلال محززة ، وبجادورات glacis وبمصاطب معرَّضة للجنوب والتي تحمل مزارع الأشجار المثمرة والكروم وأهمها توكاج . ويجب أن نميز نمطين من الجبال ، من ناحية الهورستات ذات الأرضية الأولية والمغطاة بزمرة كلسية سميكة تقدم أشكالاً كارستية بديعة كما في موقع بوك Bükk وجبل بورسود Borsod ، ومن ناحية أخرى نجد بقايا البركنة الأيوجينية ولا سيا البليوسينية مع مسكوبات لابية ناتجة عن براكين طباقية ، وتشكلات الطف tufs وبأرتال من دايكات dykes حزّزها الحت . وهكذا تتمايز مشاهد متنوعة مثل بورزسوني Börzsöny و Cserhät وزيميلن Zemplen مع كراتير لاكّوليتية . وهناك حوضات وأودية عميقة تعمل على تقطيع الكتل

الجبلية ، مثل أودية نهر ايپولي ipoly عند الحدود السلوفاكية وأحواض وأودية ساجو Sajó وهرنيد Hernéd رافدي نهر تيسزا . وتضم مكامن فحم تعود للحقب الثالث بينما يشتمل حوض ساجو على خام الحديد .

وتلعب هذه الجبال المتوسطة دوراً رئيساً في الاقتصاد الهنغاري ، فهي تقدم الخشب والمياه والخامات المعدنية ، مثلما تعمل مع كتلة مكسك على تمركز بؤر صناعية قادرة على أن تتكافأ مع تمركز بوداپست المفرط .

السكان والاقتصاد :

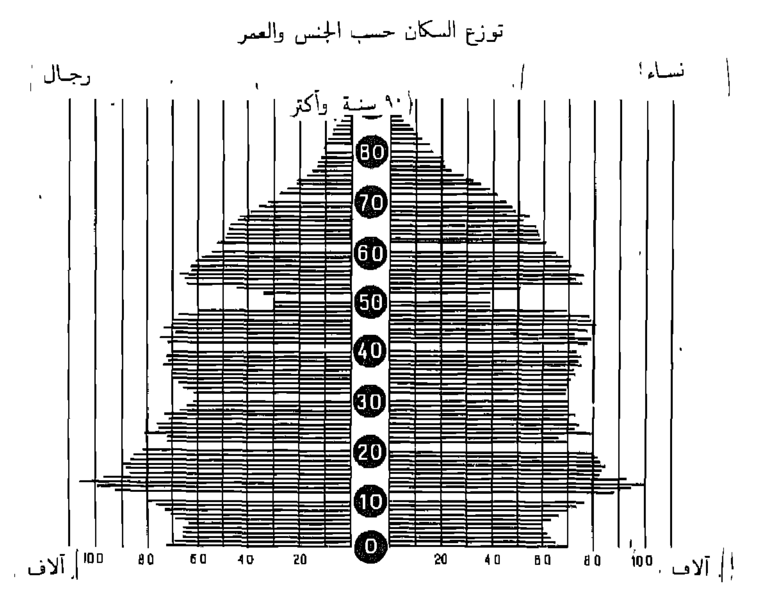
تكمن المشكلة الهنغارية النوعية في عملاقية العاصمة پودابست ، التي تحوي مع أرباضها حوالي خمس سكان البلاد . وتنجم القضية طبعاً عن تركة القرن التاسع عشر ، عندما كانت الدولة الهنغارية تمتد ، ضمن إطار الامبراطورية النمسوية المجرية ، على رقعة مساحية أكثر اتساعاً : إذ كانت العاصمة تسيطر على بلاد أكثر مساحة وأكثر سكاناً وأكثر تنوعاً . وتشابه پودابست ڤيينا في أنها ظلت رأساً ضخماً جداً فوق جسم ضامر . وفضلاً عن ذلك فإن التخطيط المتمركز خلال سنوات مابعد الحرب قد عمل على مبالغة هذا العيب الموروث عن الماضي . وهكذا نالت پودابست أكثر من نصف استثمارات البلاد خلال هذه الفترة ، كما أن نصيبها من الأيدي العاملة الصناعية لم يقل عن ٥٠٪ إلا في خلال الستينات . وقد أعطت الجهود الرامية إلى كبح هذا النمو بعض النتائج ، ولكن العاصمة تستأثر بالقسم الأعظم من السكان العاملين المؤهلين ، والإطارات والمثقفين . وهناك أربع مدن أخرى تحوي كل منها أكثر من ١٠٠٠٠٠ نسمة ، ولكنها لاتضم سوى ٦٪ من مجموع السكان . ويتصف توزع الكثافات السكانية بوجود أشكال من انعدام التساوي ، فأضعف الكثافات ، ٦٠ نسمة كم٢ أو أقل من ذلك في بعض الدوائر ، تقع في منطقة مابين نهري تيسزا والدانوب ، وفي منطقة هورتوباجي ، والكومّونات الزراعية في السهل الكبير أو في تلال سوموجي Somogy ، أما الكثافات التي تفوق ١٠٠ فتقع في المناطق الصناعية فوق الظهرة الجبلية وفي كيزالفولد Kisälfold . وقد نتجت الهجرات الداخلية ، الشديدة في قوتها ، في أعقاب الانتهاء من اشتراكية الأراضي الزراعية وبعد تصنيع الأحواض المنجمية .

والطابع الثاني المميز هو بطء النمو السكاني . وبعد أن تجاوز عدد سكان البلاد ١٠ ملايين نسمة في ١٩٦١ ، لم تربح هنغاريا سوى مليون نسمة بين ١٩٣٩

و ١٩٦٩ ، في حين تضاعف عدد السكان بين ١٨٦٩ و ١٩٣٩ . ولا تستطيع خسائر الحربين العالميتين تفسير هذا التباطؤ ، فسكان البلاد لم يتزايدوا إلا بمعدل ٠,٥٪ سنوياً بين ١٩١٠ و ١٩٢٠ وتناقص عدد السكان بمقدار ٠,٥٪ بين ١٩٤١ و ١٩٤٩ . ونتج ذلك من الخسائر العسكرية والمدنية الناجمة عن حصار بودابست الطويل في ١٩٤٥ ، يضاف إلى ذلك تسفير الجاليات الألمانية وهجرة شطر كبير من يهود البلاد . وبعد أحداث عام ١٩٥٦ حدثت هجرة سياسية تجاوزت ٢٠٠٠٠٠ نسمة . وقد كان التناقص المحسوس جداً في الولادات عاملاً هاماً . وقد كانت نسبة التوالد في بداية هذا القرن لاتزال مماثلة لأي قطر ريفي آخر ، أي بين ٣٠ إلى ٤٠ بالألف ، ولكن راحت تتناقص منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وفي أعقاب نهضة قصيرة بعد ١٩٤٥ هبطت إلى مادون ٢٠ بالألف بعد ١٩٥٥ وإلى ١٥ بالألف بعد ١٩٦٠ وإلى ١٣ بالألف في ١٩٦٢ ولكنها ارتفعت إلى ١٣,٣ بالألف عام ١٩٨١ مقابل نسبة وفيات تعادل ١٣,٥ بالألف . أما النسبة في بودابست ، وهي أقل ارتفاعاً من نسبة الوفيات فتقع دون ١٠ بالألف في بعض السنين ، وكان الفائض القومي دون ٣ بالألف عام ١٩٦٢ وفي ١٩٦٥ كي يتوقف تماماً ويتناقص في ١٩٨١ . وقد اتخذت تدابير تحث على التناسل ساهمت إلى حدٍ ما في تحسين وضع كان يبعث على القلق . ولكن تظل هنغاريا إلى جانب ألمانيا الديمقراطية بين بلاد الكوميكون ذات فائض سكاني يعتبر من أكثر أمثاله انخفاضاً (شكل٦) .

ولكن في مقابل ذلك تكون سوية الحياة ، والحالة الصحية والثقافية من أكثرها ارتفاعاً : فقد انخفضت نسبة الأميين بين الذين تزايد أعمارهم عن ١٠ سنوات إلى مادون ١٠٪ بعد الحرب ، وإلى أقل من ٤٪ بعد ١٩٦٠ . وهناك طبيب واحد لكل ٦٠٠ نسمة وهي نسبة عالية تفوق بعض دول أوربا الغربية .

ويبدو السكان متجانسين من وجهة النظر الدينية ، ففي البلاد أكثر من



هرم سكان هنغاريا في ١٩٧٠

الشكل (٦)

مليوني كالڤيني ولوثري و ١٥٠٠٠٠ يهودي و ٤٠٠٠٠ ارثوذكسي ، أما الباقي فهم من الكاثوليك ، وكذلك نجد التجانس من وجهة النظر اللغوية .

هذا ولا تمثل الأقليات القومية سوى ١,٧٥ من مجموع السكان . فهناك ٥٠٠٠٠ ألماني أو ١,٩٪ مقابل ٥٠٠٠٠٠ قبل الحرب العالمية الثانية ، و ٢٦٠٠٠ من النَوَر و ٣٨٠٠٠ صربي وكرواتي أو ١٪ ، و ١٦٠٠٠ روماني . ويقطن كل من هذه المجموعات الأخيرة بجوار الحدود الجنوبية والشرقية .

السياسة والبنى الاقتصادية

تعتبر هنغارية منذ ٢٠ عاماً أكثر أقطار الكوميكون ليبيرالية في المجال الثقافي والاقتصادي . ولقد خضعت حتى أزمة ١٩٥٦ إلى أحد أكثر الأنظمة استبداداً ومركزية . وفي خلال أوائل المخططات ، الثلاثي بين عام ١٩٤٧ و ١٩٤٩

والخماسي بين ١٩٥٠ و ١٩٥٤ استهدف المسؤولون أهدافاً مفرطة في تطلعاتها ترمي للانتقال ، في وقت قصير جداً ، ودون امتلاك الوسائل اللازمة ، من وضع قطر زراعي ، كان يعتبر أحد عنابر قمح أوربا الوسطى قبل الحرب ، إلى مستوى عال في التصنيع مع منح الأولوية للصناعة الثقيلة على غرار الاتحاد السوڤيتي . وهكذا أنيطت بالزراعة مهمة تأمين معيشة المدن لأكثر . وقد أدى الإصلاح الزراعي في ١٩٤٥ إلى توزيع الملكيات الكبرى الاقطاعية التي كانت تمتد على أكثر من ثلث مساحة البلاد . بيد أن التعاونية الجماعية Collectivisation المتسارعة والقسرية بين ١٩٥٠ و ١٩٥٣ لم تأخذ بعين الاعتبار الشرائط الجغرافية والاجتماعية في المستغلات الصغيرة التي انضمت بالقوة في تعاونيات . وفي وسط عام ١٩٥٣ كانت ثلاثة أرباع الأراضي المزروعة مجتمعة في قطاع الدولة والقطاع الاشتراكي . وقد أدت هذه الحركة إلى تناقص محسوس في الإنتاج الزراعي مما دفع لظهور أول حركة في اتجاه التخلي عن اشتراكية الأرض في نهاية العام ذاته .

الحركة الطبيعية بالألف

السنة	ولادات	وفيات	الفائض
١٩٤٩	٢٠,٦	١١,٤	٩,٢
١٩٥٥	٢١,٤	١٠	١١,٤
١٩٦٠	٢١,٧	١٠,٢	٤,٥
١٩٦٥	١٣,١	١٠,٧	٢,٤
١٩٦٧	١٤,٦	١٠,٧	٣,٩
١٩٧٠	١٤,٧	١١,٦	٣,١
١٩٧٧	١٨	١٢	٦
١٩٨١	١٣,٣	١٣,٥	٠,٢ بالألف

تطور عدد السكان الكلي

نهاية القرن ١٨	٢,٧ مليون
١٨٤٠	٤ مليون
١٩٢٠	٨ مليون
١٩٣٩	٩,٢ مليون
١٩٤٦	٩ مليون
١٩٥٠	٩,٣ مليون
١٩٥٥	٩,٨ مليون
١٩٦٠	٩,٩ مليون
١٩٦٥	١٠,١ مليون
١٩٧٠	١٠,٣ مليون
١٩٧٤	١٠,٤ مليون
١٩٨١	١٠,٧ ملايين

المدن التي يفوق عدد سكانها ١٠٠٠٠٠ نسمة بالآلاف

	١٩٠٠	١٩٢٠	١٩٤٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٩
بودابست	٨٦١	١٣٣٢	١٨٠٤	١٨٥٠	١٩٤٠	٢١٠٠
ميسكولك	٦١	٨٥	١١٤	١٤٣	١٨٠	١٩٦
دبروسن	٧٠	٩٨	١١٩	١٣٠	١٦٠	١٨٢
بيكس	٥٣	٥٨	٨٨	١١٥	١٤٠	١٦٢
سزيجد	٦٨	٨٣	٩٢	٩٩	١٢٠	١٦٧

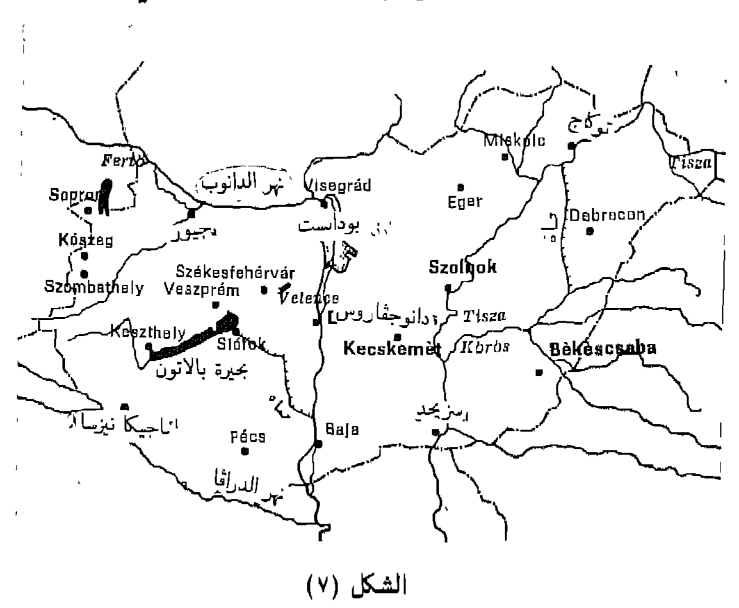
وفي الوقت نفسه كان النسق المفرط في نمو الصناعة مصحوباً بارتفـاع تكاليف الإنتاج ، وبانقطاعات في التموينات ، وبندرة في سلع الاستهلاك وبـانخفـاض في القدرة الشرائية . وصدرت توجيهـات متنـاقضـة ولا سيا خلال سنتي « السيـاسـة الاقتصـاديـة الجـديـدة » في ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ لتعجز عن تصحييح وضع أدت صفتـه الكارثية إلى تمرد عام ١٩٥٦ .

وجاءت الفترة الثانية لتفتتح عصر « الإصلاح الاقتصادي » أو « الميكانيكية الجديدة » ، فأعيد إلى القطاع الخاص حتى عام ١٩٥٧ ـ ٥٨ نصف المساحات المزروعة وثلثا التعاونيات . وجاءت مرحلة جديدة في اشتراكية الأراضي Collectivisation لتسمح بإعادة الانتساب إلى التعاونيات بصورة أكثر مرونة ، مستفيدة من امتيازات الدولة ، وتركت حرية أكبر لمالكي القطع الفردية ، وللمستغلين المختصين في تربية الماشية ، والكرمة ، والمزروعات الثمرية والبستنة . وتركت المخططات الثلاثية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٠ والخماسية من ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ ومن ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠ ، مكاناً أكثر اتساعاً للصناعات الاستهلاكية والبناء والنقل ولرفع مستوى حياة السكان . كما كانت مصحوبة بحرية أكبر في التسيير ضمن المؤسسات ، وبأشكال تثير الاهتمام لدى العمال بإنتاج مؤسساتهم ، وبإصلاح الأسعار ، وبرفع الإنتاجية ، وبنمو سريع في القطاعات الحديثة من الصناعة : وهكذا فإن مستوى الإنتاج الصيدلاني في ١٩٦٦ كان أعلى بمقدار ١٤ مرة عن إنتاج ١٩٥٨ . وأصبحت هنغاريا لأول مرة تنتج الخيوط التركيبية والمطاط التركيبي والمواد البلاستيكية « اللدائن » في عام ١٩٦٢ .

وتفترض هذه السياسة الجديدة وجود انفتاح أوسع باتجاه الخارج وفي الداخل وبذل جهد نحو اللامركزية والتهيئة الإقليمية . وهكذا تقدم هنغاريا ضمن أقطار الكوميكون نمطاً للتخصص الإقليمي في الإنتاج الزراعي ، وتم جزء من تطور السهل الكبير على التهيئة العقلانية للمستغلات . وقد سمح تقلص السكان الريفيين الذين كانوا في الماضي مبعثرين في تانياس « دساكر » ببناء قرى مركزية ، وإنشاء مناطق مروية انطلاقاً من قناة الشرق الكبير ، المشتقة من سد تيسزالوك Tiszalök ، مثلما سمح بإنشاء مناطق زراعية محددة بمنظومات زراعة وتربية ماشية وبكلفة الإنتاج . وراحت تتجه المدن الضخمة ذات السكان الريفيين ، نحو التصنيع نتيجة مفعول مزدوج : تحويل المواد الزراعية محلياً وإقامة مصفاة بترول وصناعة بتروكيمياء في حوض سزيجد Szeged .

وأخذت مدينة بودابست تكبح من جماح توسعها الصناعي والديموغرافي . وتسعى سياسة تهيئة الأراضي نحو تطوير المناطق التقليدية القائمة على الفحم مثل بيكس Pécs وكوملو Kömlö في الجنوب ، وميسكولك Miskolc في الشمال وباكوني فيما وراء الدانوب ، وبإقامة صناعات حديثة في مدن الأقاليم . وهكذا أصبحت مدينة székes Fehérvár مركزاً كبيراً لصناعة الالكترونيات (شكل ٧) ،

المنظومة النهرية والمدن الرئيسية في هنغاريا



الشكل (٧)

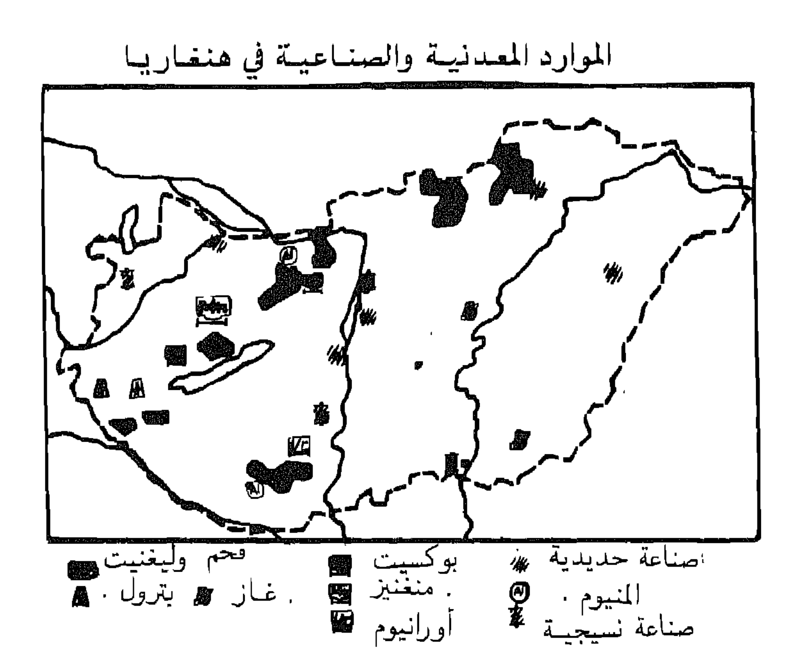
مثلما اختصت مدينة غيور Györ بصناعة عربات النقل ، وقام مشروع نووي على الدانوب . ونشأ في مدينة قامت دفعة واحدة . فوق مركز قديم نوعاً ما ، وهي دانوجقاروس Danaújváros ، مركز لصناعة الحديد ، مثلما قامت مدن جديدة فوق فعاليات أكثر تنوعاً : وهكذا أصبحت مدينة lfninvéros لينينقاروس مدينة الكيمياء وصناعة الخيوط . وتأخذ المخططات بعين الاعتبار التأخر الذي أصاب مناطق التلال في الجنوب الغربي ، والمناطق الرملية والمستنقعات فيما وراء الدانوب ، وهرم الصناعة الفحمية ، وظهرت مخططات

تهيئة لاستغلال الدانوب والمواصلات ، كما ظهرت علامات تجارية جديدة ، وتختص هنغاريا في الصناعات الخفيفة ، ضمن إطار « تقسيم دولي » للعمل .

توزع المنتجات

لقد اتجهت هنغاريا ، نظراً لحرمانها أو لعدم كفاية الطاقة والمواد الأزلية نحو صناعة المنتجات ذات الاستهلاك الواسع ، والكثيرة التنوع ، والموزعة بصورة منسجمة على أنحاء البلاد .

العجز الطاقي : تفتقر البلاد للطاقة ، لأن مدخراتها من الفحم لا تتعدى ٣٠٠٠ مليون طن منها ٨٠٪ (ونسبة مماثلة من الإنتاج) هي عبارة عن فحوم سمراء وليغنيت ذات قدرة حرارية ضعيفة . وقد أصبح الإنتاج أقل عائدية تدريجياً ، وموزعاً على عدد كبير من الأحواض والآبار (شكل٨) ، وقليل الميْكنة ، وذا إنتاجية ضئيلة . ويتطور الإنتاج حالياً كما هو الحال في أوربا الغربية . وبينما كانت هنغاريا تفتخر عام ١٩٦٠ بزيادة إنتاجها من الليغنيت حسب وتيرة متسارعة ، إذ كان إنتاجها منه عبارة عن عدة ملايين من الأطنان قبل الحرب ، أصبح يزيد عن ٢٢,٨ مليون طن في ١٩٨١ ، ولكنه لا يعادل أكثر من ٨ إلى ١٠ ملايين طن من الفحم الحجري ، فإن الإنتاج هذا أصبح راكداً كما راح عدد عمال المناجم يتناقص ، ولم يستمر استخراج الفحم إلا من النوعية الجيدة مثل فحم مكسك Mecsek (هو من Komló الذي يؤمن ربع الطاقة الحرارية في البلاد) والذي لا يزيد انتاجه عن ٣ ملايين طن . أما القسم الأعظم من إنتاج أحواض الظهرة Dorsele فيستهلك محلياً ضمن مراكز حرارية ذات قدرة كبيرة مثل مركز تاتابانيا Tatabánya ، وڤارپالوتا Várpalota أو يستخدم كمادة أولية في صناعة الكاربوكيمياء ، التي نمت بشكل مدهش خلال المخططات الأولى . ولكننا نكون بالواقع تجاه قطاعات من صناعات تقليدية تخلق « بلاداً سوداء Black countries » لا يتمنى الناس توسعها . أما فحم الكوك فيستورد من بولونيا ومن



الشكل (٨)

الاتحاد السوڤيتي بالقطارات أو بواسطة الدانوب . أما الطاقة الكهرمائية فلا تحقق سوى جزء ضئيل جداً من الإنتاج الكلي للطاقة ، وينتج أول مركز كهرمائي وهو مركز تيسزالوك Tiszalök مقدار ٢ مليار ك وس من أساس طاقة كهرمائية تقدر بحوالي ٢٤ مليار ك وس ولكن بناء سد على الدانوب في موقع ناجيماروس Nagymarös في الشمال فلا زال بحالة مشروع .

والاعتماد الطاقي الرئيسي المساعد يجب أن يكون على الوقود السائل : فالنفط الذي كان مستغلاً قبل الحرب في سهل دراڤا Drave قد نضب معينه ، ولكنه تدفق في عدة نقاط من السهل الكبير ، ولا سيما في أطراف مدينة سزيجد Szeged منذ حوالي ١٥ عاماً . وإذا كان الإنتاج السنوي قد تزايد فإن المدخرات الأكيدة تبدو متواضعة . وتعالج المصفاة الجديدة التي قامت قرب سزيجد الإنتاج المحلي الذي بلغ مليوني طن في ١٩٨١ . أما مخزونات الغاز الطبيعي فهي أعظم

بكثير وبلغ الإنتاج ٥,٧ مليارات متر مكعب في نهاية السبعينات .

وتكتمل هذه الموارد الوطنية باستيرادات كثيفة من الاتحاد السوفيتي بطريق الدانوب وبواسطة أنبوب « الصداقة » الذي تضاعفت طاقته وبواسطة أنبوب « الأخوة » للغاز . وأصبح أكثر من ثلث إنتاج الطاقة الكهربائية يأتي من حرق الوقود السائل . وقد ارتفعت طاقة المركز الحراري المزدوج بمؤسسات تكرير وبتروكيمياء ، والواقع إلى الجنوب من العاصمة ، في مدينة سزازهالموباتّا Százhalomabatta من ٦١٥ مليون واط إلى ١٤٠٠ مليون واط بحيث يحقق ربع الإنتاج الحراري الكهربائي في البلاد .

وأخيراً فإن هنغاريا تندمج بشكل طيب ضمن منظومة ارتباط كهربائي في أوربا الوسطى : فهي تتلقى سدس التيار المستهلك بواسطة خط ٤٠٠ Kr قادم من الاتحاد السوفيتي عبر مدينة موكاتشيڤو وترلي إلى تحقيق مبادلات مع النمسا ومع تشيكوسلوفاكيا .

المنتجات الصناعية الرئيسية

	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨١
الكهرباء مليار ك وس	٧,٧	١٤,٥	٢٤,٥
ليغنيت م ط	٢٦,٥	٢٧,٨	٢٢,٨
فحم حجري	٣	٤	٣
بترول م ط	١,٢	١,٩	٢
غاز طبيعي مليار م٢	٠,٣	٣,٥	٦,٥
خام الحديد (١٠٠٠ طن)	١٠٦	١٦٠	١٠١
خام المنغنيز (١٠٠٠ طن)	١٢٠	—	٣٠٠
بوكسيت (١٠٠٠ طن)	١١٩٠	٢٠٢٠	٢٩٠٠
آلومين (١٠٠٠ طن)	٢٣٠	٤٤٠	—

الميوم (١٠٠٠ طن)	٥٠	٦٦	٧٤
فولاذ (مليون طن)	١١٨٠	٣١٠٠	٣,٦
إسمت (مليون طن)	١٥٥٠	٢٧٧٠	٤,٦
مواد تركيبية (طن)	—	٥٥٠٠٠	٢١٣٠٠
ألياف تركيبية (طن)	—	٥٥٠٠	—
جرارات زراعية (وحدة)	٢٦٠٠	١٨٠٠	—
شاحنات (وحدة)	٢٥٠٠	٣٨٠٠	—
باصات (وحدة)	١٨٠٠	٦٠٠٠	—
موتوسيكل (وحدة)	٥٧٥٠٠	٣٤٨٠٠	—
جهاز تلفزيون (وحدة)	٢١٠٠٠٠	٣٧٠٠٠	—
ثلاجات (وحدة)	١٧٠٠٠	٢٤٤٠٠٠٠	—
خيوط قطنية (طن)	—	—	٥٨٨٠٠

الفلزات والصناعات المعدنية

هذا وتتصف هنغاريا بفقرها بالخامات المعدنية . فهي تستغل كمية صغيرة من النحاس والرصاص والزنك ؛ ولكنها تحتل المرتبة الثالثة في أوربا بعد الاتحاد السوفيتي ورومانيا في إنتاج المنغنيز قرب اوركوت Urkút في إقليم باكوني ، ولكن قسماً ضئيلاً من الإنتاج هو الذي يعالج محلياً ، لأن الباقي يصدر نحو الاتحاد السوفيتي ، وكذلك حال خامات الأورانيوم التي نجهل كل شيء عنها .

هذا ولا يكون إنتاج خامات الحديد الواقعة في رودابانيا Rudabánya قليل الأهمية . فقد سمح منذ عصر تقنيات حديد الفونت على الحطب بنمو صناعة معدنية حديدية في إقليم ميسكولك وفي وادي ساجو . ولكن الكومبينا الحديدية الرئيسية « لينين » تعتمد على الخام الأوكرايني المنقول بالخط الحديدي وعلى فحم الكوك البولوني والتشيكي . وقد قامت البؤرة الثانية لصناعة الحديد ، رغم

العديد من المصاعب ، على ضفاف الدانوب في بلدة دانوجڤاروس ، وهو مثال وحيد في أوروبا الوسطى لصناعة حديد على الماء ، لأن الخامات والحديد الخردة والكوك تستورد جميعاً بالطريق المائي ، وقد قامت إلى جانبه مدينة جديدة تحوي ٣٥٠٠٠ نسمة . بيد أن الإنتاج الكلي من الفولاذ الذي ارتفع من مليون طن إلى أكثر من ٣,٤ ملايين طن بين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٤ وإلى ٣,٩ ملايين في ١٩٧٩ لا يدرك المستوى الأوروبي ولا يحول دون هنغاريا واستيراد منتجات الصناعة الحديدية (شكل ٩) .

ويؤلف البوكسيت الثروة المعدنية الرئيسية في البلاد . فهو يكثر ضمن صخور باكوني الكلسية ، كما أن استخراجه الذي ابتدأ قبل الحرب ، وتسارع خلال فترة الاحتلال الألماني ، يضع البلاد في المرتبة الثالثة في أوروبا . وتتمركز المناجم في مناطق آجكا ، وغانت Gánt . وهكذا تؤمن هنغاريا إذن إنتاجاً طيباً من الآلومين ، وهناك أربعة معامل ضخمة تعالج ثلثي الخامات : وهي معمل آجكا ، وطاقته ٠,٥ م ط ، وڤارپالوتا (جنوب غرب العاصمة) و آلماسفوزيتو Almaśfüzito و موزغاجياروڤار Mosonmagyaróvár ، ولكن العوز إلى الطاقة الكهربائية يقسر هنغاريا على إرسال الآلومين نحو الأقطار المجاورة ، أي نحو سلوڤاكيا (زيار Ziar) أو نحو الاتحاد السوڤيتي الذي يعيد إليها قسماً من إنتاج الألمنيوم الذي حققه ، إذن تكون المشكلة هي التوصل إلى استقلال طاقي وتقني في صناعة الألمنيوم ، التي ستجعل من هنغاريا منتجاً أوروبياً كبيراً ، ومع أن إنتاج البوكسيت يقل قليلاً بحوالي الثلث عن إنتاج فرنسا ، فإن إنتاج الألمنيوم لا يبلغ سدس إنتاج فرنسا ، ولم يتجاوز الإنتاج خلال ٢٠ سنة ٧٢٠٠٠ طن في ١٩٧٩ ، ويقع المصنع الكبير لإنتاج الألمنيوم في سزيكسفهيرڤار (ج غرب العاصمة) .

تخصص الإنتاج الصناعي

تعتبر هنغاريا إذن بلد الصناعات التحويلية . فتبدو بعض الصناعات

بنية قطاعات الصناعة الاشتراكية ونسبة نموها المئوية (١٩٥٠ - ١٩٧٣)

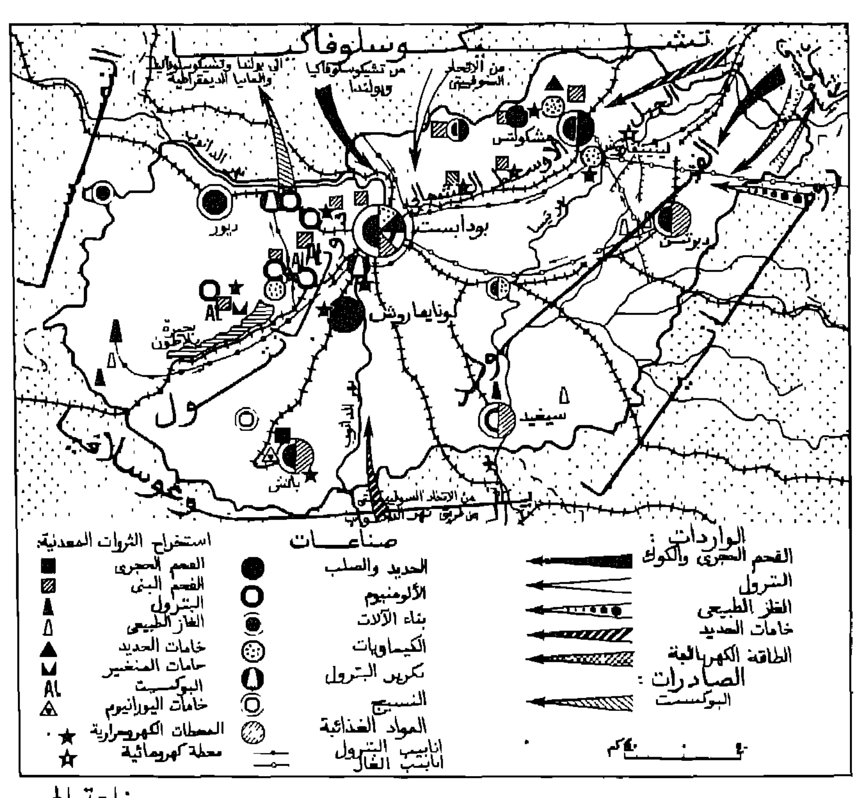
الصناعة الغذائية 1950: 9,6 — 1973: 20,7
الصناعة الخفيفة 1950: 20,7 — 1973: 17,3
الكيمياء 1950: 4,2 — 1973: 11,7
مواد البناء 1950: 5,4 — 1973: 3,2
الصناعة الميكانيكية 1950: 17,3 — 1973: 25,5
الصناعة المعدنية 1950: 11,2 — 1973: 10,3
الطاقة الكهربائية 1950: 5,1 — 1973: 3,5
الفحم 1950: 26,5 — 1973: 4,4

هنغاريا

الشكل (٩)

تقليدية ، كصناعة الخشب والجلد والمطاحن والتصبير (المحفوظات الغذائية) والسكر والتقطير المرتبطة بالنشاط الريفي . وتتوطن هذه الصناعات في كل المدن التي هي مراكز لمناطق زراعية ، ولا سيما في السهل الكبير ، حيث تكون المصانع متوسطة الأبعاد . أما الأنشطة الأخرى فترتبط بدور العاصمة التاريخي ، كعاصمة وبؤرة استهلاك متميز (شكل ١٠) : منسوجات ، ترسانات بحرية على الدانوب ، تحويل منتجات مستوردة بالطريق النهري ، صناعة ورق وسيللولوز ، طباعة ونشر .

وهناك مؤسسات صناعية تشهد على خطوات هنغاريا نحو التقدم حتى قبل



الشكل (١٠)

١٩٤٠ وعلى رغبتهـا في الانخراط في زمرة الـدول المتـوسطـة النمـو في أوروبـا الوسطى ، والتي تقدم المكائن والأدوات الزراعية نحو الأقطار التي لا زالت ريفيـة في الجنوب الشرقي وفي البلقان . وتتصف بودابست تقليدياً بأنها مدينة المؤسسـات المعدنية الصغرى والوسطى والتي تدور في فلك ورشة كسيبل Czepel (شكل ١١)

ومنذ ذلك الوقت اختصت هنغاريا ، ضمن إطار التخصص في الصناعـات في داخل الكوميكون ، بالمنتجات المهيأة للتصدير نحو الأقطار الاشتراكية المجاورة أو نحو دول العالم الثالث .

وتحقق الصناعة الميكانيكية أكثر من ٣٠٪ من قيمة الإنتاج الصنـاعي الإجمـالي في البلاد . وفضلاً عن الإنتاج المتنوع للصناعة المعدنية الحديدية والألمنيوم ، فـإن هنغاريا تقدم إنتاجاً قوياً من المكائن الصانعة للصنـاعـة التعـدينيـة والكيمـاويـة والنسيجية وأبراج الخراطة Tours والرولمانات .

وتعتبر أكبر منتجي دول الكوميكون في ميدان وسائل النقل : ففيها مصـانع الدراجات النارية في ايجر Eger شمال شرق العاصمة ، وصناعة الحافلات في مؤسسة ايكاروس للباصات Ikarus التي تنتج في بودابست مقدار ٧٠٠٠ وحـدة في العـام ، والقاطرات وعربات القطـار في غيور Györ في الشمال الغربي (كومبينـا رابـا) وتم اتفاق مع مؤسسة شركة رينو الفرنسية وشركة مان Man الألمانية لإنتـاج محركات ديزل وقطع السيـارات . وعلى خلاف يـوغـوسـلافيـا ، وتشيكـوسلـوفـاكيـا ، أو بولونيا ، فإن هنغـاريـا لا تفكر في صنع أو في تركيب السيـارات السيـاحيـة ، إذ اكتفت باستيرادها من بلاد الكوميكون ومن إيطـاليـا ومن فرنسـا ومن ألمـانيـا . وتعتبر مدينة دبريسن Debrecen مركز ميكانيك الآلات الدقيقـة المماثلـة لشركـة زايس الألمانية ولا سيما في مضمار إنتاج الآلات الطبيـة .

هذا وقد نمت الصناعات الكهربـائيـة والالكترونيـة . وأصبحت البلاد تحقق نصف إنتـاج الكـوميكـون من أجهـزة التلفـزة ، وقسماً هـامـاً من البرادات

(الثلاجات) ومكائن الغسيل ، والراديو ، وإجمالاً الأجهزة الكهربائية المنزلية . ويعتبر مصنع ڤيديوتون Videoton في مدينة سزيكسفيهر اڤار (جنوب العاصمة) أحد أهم أمثاله في إنتاج وسائل الاتصال عن بعد .

ولقد تمخضت الصناعات الكيماوية الثقيلة عن صناعة خفيفة من أكثر مثيلاتها تنوعاً . فتتمركز صناعة الكربوكيمياء فوق أحواض الفحم الأسمر ، ولا سيما مركز تاتابانيا الضخم ، حيث يستخرج ثلث كمية الفحم وفي الجبال الشمالية ، وتجنح البتروكيمياء لاحتلال مكانها . وابتداء من الستينات صنعت هنغاريا لأول مرة الألياف التركيبية ، والمواد البلاستيكية ، والمنتجات الصيدلانية والأسمدة . وقد أصبحت مدينة سزيجد مركز صناعة المنتجات الآزوتية والمطاط ، أما بوداپست وديبريسن (في أقصى الشرق) فهي مركز الصناعة الصيدلانية التي تعمل بالتنسيق مع المختبرات السويسرية الكبرى ، أي شركتي سيبا وساندوز . هذا وتستقبل بورسود Borsod الغاز الطبيعي من السهل الكبير ومن ترانسلڤانيا ، وتأخذ على عاتقها بالتضافر مع الكومبينتين الجديدتين « سزازهالومباتّا » و « لينينڤاروس » تأمين القسم الأعظم من إنتاج متمركز إلى حد كبير . أما صناعة الكيمياء النفطية ، والتي لاتزال متواضعة ، على المستوى الأوروبي فإنها تنمو بسرعة على أثر استيراد الغاز .

ويعتبر تقدم هذه الصناعة مع مفعول الانجذاب entrainement أفضل ورقة في لامركزية قطاع صناعي يستطيع أن يبتعد عن العاصمة بوداپست ، كي يتوطّن في منطقة ريفية ، وأن يستخدم أيد عاملة فائضة ، وأن يعمل على تقليص هجرة ريفية ، في الوقت الذي يعمل فيه على تحسين مستوى المعيشة المحلي : تلك هي السياسة التي اتبعت ابتداءً من مخطط ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ .

تحسن استهلاك الفرد المجري بين ١٩٣٤ و ١٩٦٧

المادة	١٩٣٤ ـ ١٩٣٨	١٩٥٠	١٩٦٧
اللحم	٣٣,٢ كغم	٣٤,٣ كغم	٥١,٦ كغم
البيض	٩٣ بيضه	٨٥ بيضه	٢٠٢ بيضه
السكر	١٠,٢ كغم	١٦,٢ كغم	٣٢ كغم
كاكاءو	١٥٠ غرام	٥٤ غرام	٧٠ غرام
قهوة	٢٣٤ غرام	٥٧٠ غرام	١٠٣١ غرام
الجعة	٣,١ ليتر	٨,٣ ليتر	٥٠ ليتر
الطحين	١٤٤,٧ كغم	١٤١,٢ كغم	١٣٠,٨ كغم
البطاطا	١٣٠ كغم	١٤١,٢ كغم	٨٤,٦ كغم

زراعة تقوم على التنويع

لم تعد هنغاريا حصراً عبارة عن قطر منتج للحبوب مع مردود هزيل يقل عن ١٠ كنتالات قبل ١٩٤٠ ومجالاً لتربية واسعة للماشية . فلم يبق لهذا النوع من التربية وجود في سهل هورتوباجي (شرق نهر تيسزا) حيث لا يكون للاحتفاظ بقطعان الخيل والخنازير شبه الوحشية والأوز أكثر من أهمية فولكلورية وسياحية . أما الحبوب ، من قمح وشوفان وجاودار وشعير ، والتي كانت تنتشر على أكثر من مليوني هكتار قبل ١٩٤٠ فقد انكمشت مساحتها إلى الربع ، ولم يعد القمح يحتل سوى خمس المساحة المزروعة ، والذرة الصفراء الربع ، ولكن المردود يزيد عن ٢٠ كنتالاً بالهكتار . ومنذ ١٩٤٥ أصبحت هنغاريا تعاني من عجز خفيف في إنتاج الحبوب الصالحة لصنع الخبز ، ولكنها زادت من إنتاج الذرة الصفراء والذرة العلفية الخضراء لتأمين حاجات تربية الماشية .

وهكذا تحولت المساحات المخصصة للحبوب لإنتاج البذور الزيتية (دوار الشمس) والأعلاف الجديدة ، وإلى بطاطا وخضار حقلية . وأخيراً امتد نطاق

الري في كل مكان فزاد عن ٣٠٠٠٠٠ هكتار عام ١٩٧٠ واتسعت المزروعات الخاصة . وأخذت زراعة الرز تتقهقر والتي كانت قائمة فوق الترب القلوية ، ويغطي القطن بضع عشرات الآلاف من الهكتارات في الجنوب ، ولكن زراعته في تراجع لأنه يتطلب مصدات للرياح الباردة . أما الخضار الصيفية كالبندورة والفليفلة الحارة (فلفل) والحلوة فتغطي المساحات التي استزرعت حديثاً فوق الرمال والكثبان المثبّتة . هذا وتكاثرت الأقفاص الخضراء لإنتاج التقاوي والزهور بين نهري الدانوب وتيسزا وحول المدن ، ويغذي إنتاج التبغ مصانع ضخمة . وتظل الكرمة الممتازة ، حول توكاج ، والتي تكون خمورها متنوعة ، تظل متشبثة فوق التلال ، في حين امتدت الكروم الجديدة فوق الأراضي الرملية وزادت من إنتاج الخمور الدارجة من ٣ إلى ٥,٣ ملايين هكتوليتر ، وأصبح الاتحاد السوفييتي هو المستورد الأكبر للخمور المصدّرة من كل الأقطار الاشتراكية .

إنتاج الحبوب والمزروعات الأخرى بملايين الكنتالات

	قمح	جاودار	شعير	شوفان	ذرة	شوندر سكري	بطاطا
متوسط ١٩٣١/٤٠	٢٢	٧,١	٦,٣	٢,٩	٢١,٨	٩,٦	٢٠
متوسط ١٩٥٠/٥٧	١٠	٦,٨	٧	١,٨	٢٣,٩	٢٠	٢٠
متوسط ١٩٥٨/٦٢	١٨	٣,٤	١٠	١,٨	٣٢	٣٦	٢٢
متوسط ١٩٦٨/٧٠	٣٢	٢	٨	١	٤٤	٣٢	١٥
١٩٧٩	٣٧	١,١	٧	٩	٤٧	٤٢	١٦

أما النباتات الصناعية فقد اندمجت في دورة زراعية كانت شديدة البساطة في الماضي . وهكذا يزرع الشوندر في كيزالفولد (الشمال الغربي) والبذور الزيتية والتبغ في نييرسيغ Nyirség في أقصى الشرق من البلاد . أما مزارع الأشجار المحمية بحواجز غابية من شجر السنط (الآكاسيا) فقد اجتاحت مناطق

اشتهرت سابقاً بعقمها في سهل تيسزا (هورتوباجي) وفوق الكثبان ، لأن إقليم نييرسيغ أصبح منتجاً للتفاح من النوعية الممتازة . وفي الوقت ذاته راحت تربية الماشية الصناعية تتمركز في مزارع عملاقة تضم بضعة آلاف رؤوس الأبقار أو عشرات الآلاف من الطيور الداجنة ، وتحوي البلاد مليوني رأس من البقر وأكثر من هذا العدد من الأغنام أو ٢,٨ مليون رأس و ٨ ملايين خنزير وتنتج من الحليب ٢,٤ مليون طن ومن اللحم ١,٣ مليون طن ، ويعتبر إنتاج لحم الخنزير منتشراً منذ القديم ، كما ازداد إنتاج لحم الثيران والبيض والطيور والحليب والزبدة بصورة محسوسة وأصبح اليوم يسمح بتصدير يعادل تقريباً استيراد المنتجات المدارية . ونمت صناعة جديدة مرتبطة بالكومبينات الزراعية : مثل مصانع الألبان والأجبان والمعلبات .

وتيرة النمو ومستويات المعيشة

لقد كان نمو القطاع الصناعي أكثر تسارعاً بكثير من القطاع الزراعي ، شأنه في كل أقطار الكوميكون . وهكذا تحقق الصناعة أكثر من نصف الدخل القومي منذ ١٩٦٥ . وتشهد وتائر النمو منذ الحرب العالمية الثانية على تطور يبعث على التفاؤل ، إذا ماأخذنا بعين الاعتبار أزمة ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ ونتائجها . وتقارب نسبة النمو وسطياً ٧ ٪ بين ١٩٥٦ و ١٩٧٠ مقابل ٤,٥٪ في دول أوروبا الغربية ، و ٨٪ في اليابان .

وتشهد قرائن تقدم مستوى المعيشة بالنسبة لأمثالها في الأقطار الاشتراكية عن رغبة في زيادة حجم سلع الاستهلاك والانتقال من مرحلة الكمية إلى مرحلة الكيفية . وقفزت وتيرة بناء المساكن من ٣٥٠٠٠ في الخمسينات إلى أكثر من ٦٠٠٠٠ منذ ١٩٦٦ منها أكثر من ٤٠٠٠ تخص القطاع الخاص . أما النسبة الخاصة للمُؤتَرة motorisation فهناك سيارة خاصة لكل ٣٠ شخصاً ، وهي من أكثر مثيلاتها ارتفاعاً في الأقطار الاشتراكية بعد ألمانيا الشرقية ويوغوسلافيا .

ويقدر أن الدخل القومي للفرد قفز من ٦٠٠ دولار في بداية الستينات ، إلى حوالي ١٠٠٠ دولار في ١٩٧٠ وإلى قرابة ١٧٠٠ في بداية الثانينات ، أي يقع في موقع وسيط بين دخل الفرد النمسوي وبين دخل الفرد في الدول البلقانية .

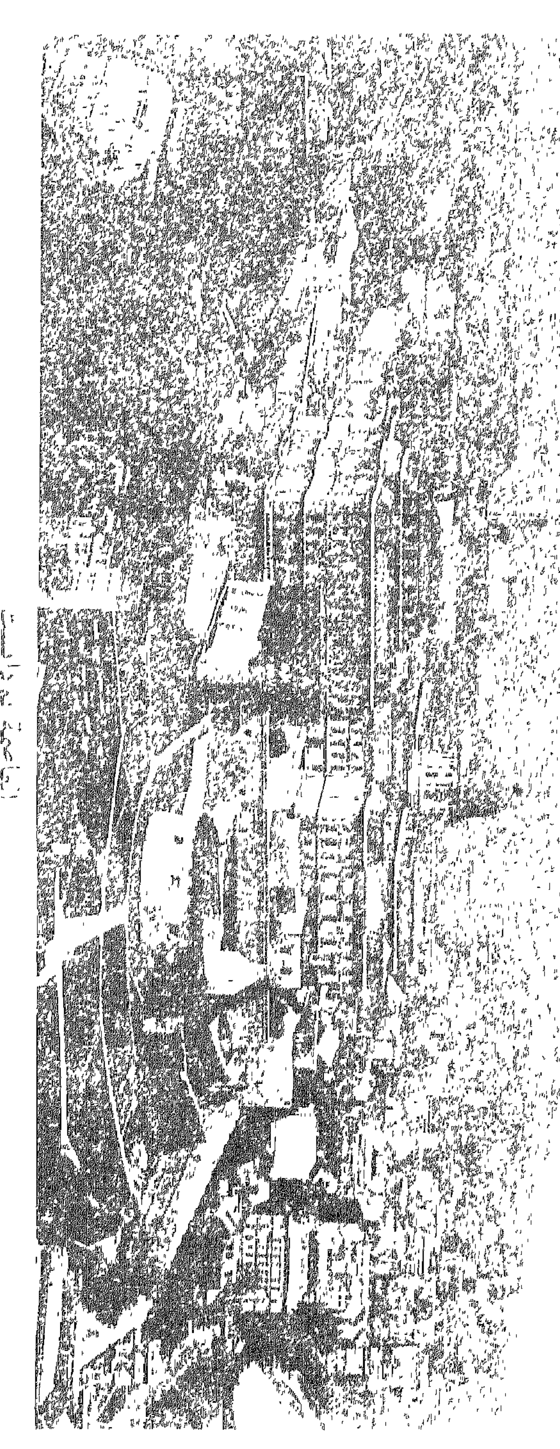
المواصلات والتجارة :

وتحوي هنغاريا ١٣٧٠٠ كم من الخطوط الحديدية ، و ٣٢٠٠٠ كم من الطرق المعبدة ، و ١٦٩٠ كم من الطرق النهرية الصالحة للملاحة .

ولا تتعادل صادراتها البالغة ٢٩٩ مليار فورنت مع استيرادها البالغ ٣١٤ مليارات فورنت إذ تصدر المكائن والبوكسيت والمنسوجات والأدوية وتستورد الفحم والنفط والكوك ومكائن وسلع التجهيز .

وضع هنغاريا في مطلع الثانينات

يبدو الوضع الاقتصادي هزيلاً إذا لم يرتفع الدخل القومي بأكثر من ٢٪ والانتاج الصناعي بأكثر من ٣,٥٪ في حين تبدو الزراعة راكدة . واستناداً الى الأرقام الرسمية بلغ التضخم السنوي ٩٪ وبعض المصادر تقدم رقم ٢٠٪ . وظهر شعار الدعوة الى التقشف واستدانت الدولة ٢٥٠ مليون دولار من السوق الاوروبية لمواجهة مشكلاتها الاقتصادية . وتابعت هنغاريا سياسة الشركات ذات الرأسمال المشترك ، وكانت اولاها في ١٩٧٤ شركة ڤولكوم Volcom التي كانت ستنتج سيارات بالتضافر مع شركة ڤولڤو السويدية ولكن الانتاج لم يبدأ إلا في ١٩٧٨ في مصنع قام في مدينة سبشل Csepel . وفي ١٩٧٩ قام البنك الدولي المركزي الاوروبي الذي هو عبارة عن مشاركة بين بنك هنغاريا الوطني و ٦ بنوك من اوروبا الغربية واليابان : ومهمته الاولى تمويل العمليات التجارية مع الغرب الذي يمثل ٤٠٪ من المبادلات الهنغارية وكذلك مع الدول السائرة في طريق النمو ومع دول الكوميكون . ولا ينفك العجز التجاري مع بلدان اوروبا الغربية عن الاستفحال وتحتل هنغاريا المرتبة الثالثة بين الأقطار الاشتراكية من حيث عجز الميزان التجاري فتأتي بعد بولونيا والمانيا الديموقراطية .

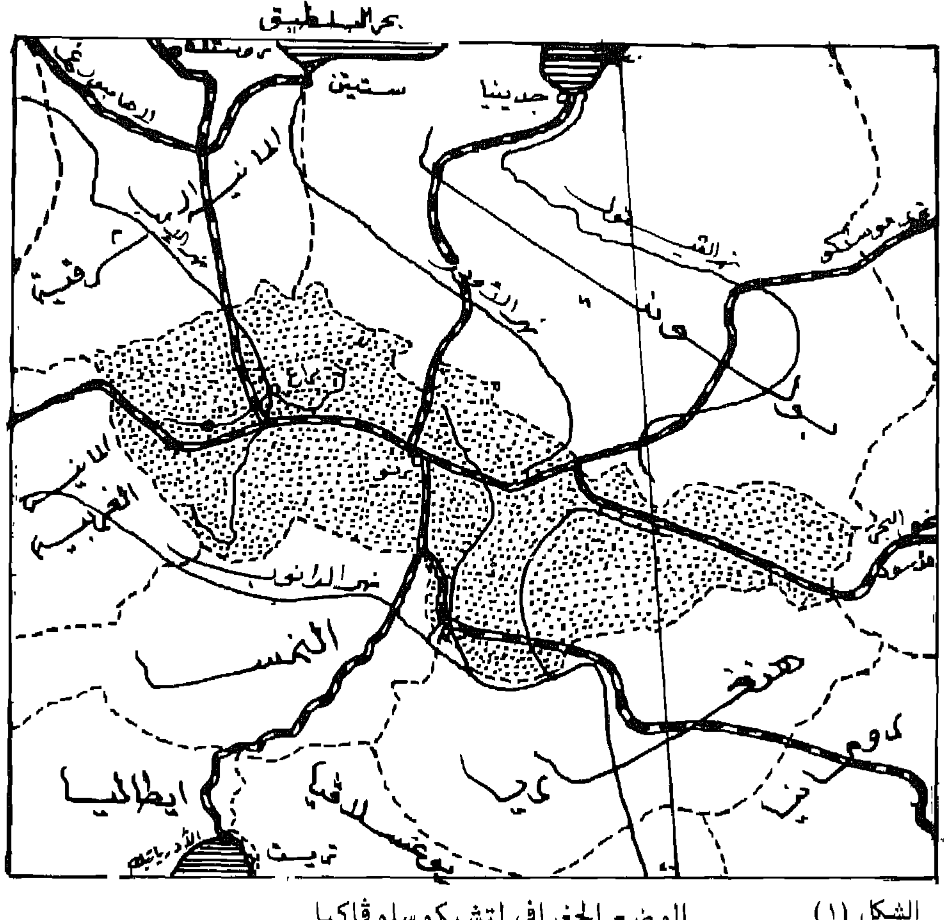


العاصمة بودابست

الصورة (١١)

تشيكوسلوفاكيا

دولة قارية في أوروبا الوسطى ، مساحتها ١٢٧٨٧٦ كم٢ ، وكان عدد سكانها في منتصف عام ١٩٧٩ ١٥٢٤٧٠٠٠ نسمة مقابل ١٤,٤ مليون في ١٩٧٥ .



الشكل (١) الوضع الجغرافي لتشيكوسلوفاكيا

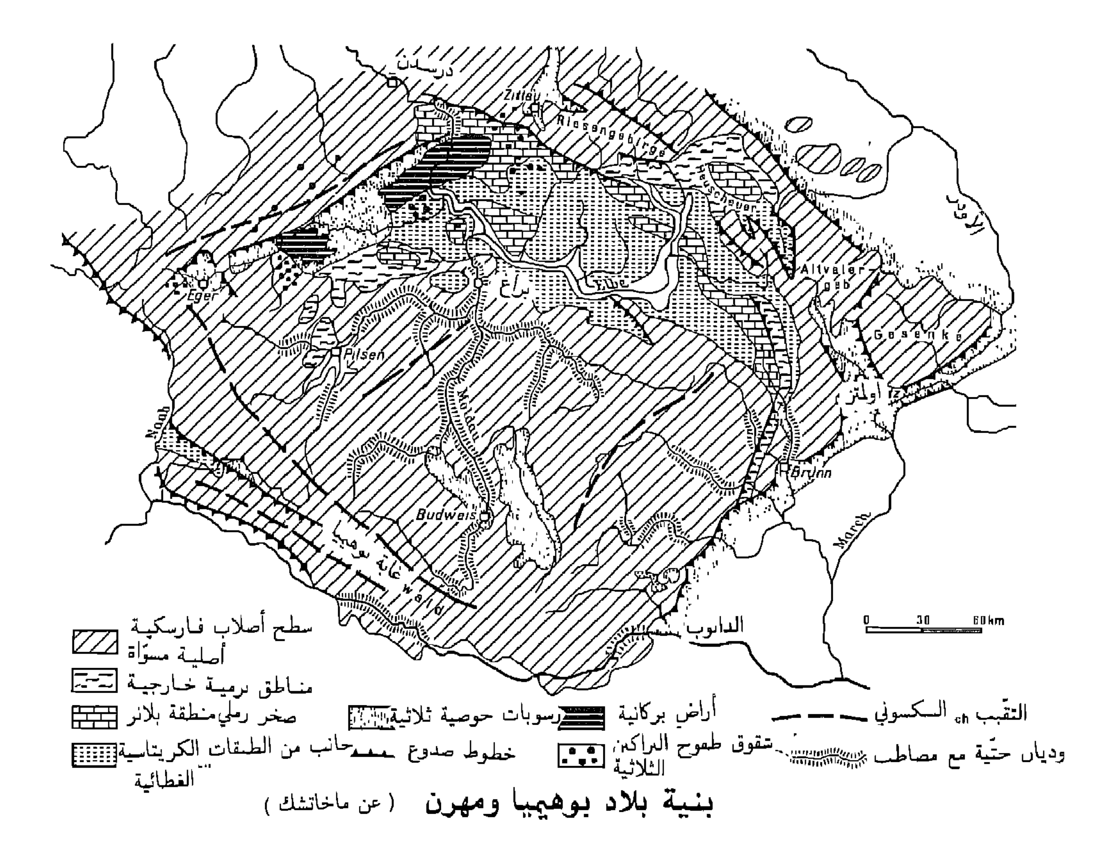
البيئة الطبيعية :

هي دولة اتحادية اشتراكية تضم جمهورية التشيك والموراف الاشتراكية ، وجمهورية سلوفاكيا الاشتراكية . والواقع فإن وضع التضاريس الطبيعي والأنهار يعمل على تجزئتها إلى ثلاثة أقسام :

المجموعات الكبرى الثلاث : إن القسم الأول هو أكثرها غنى واتساعاً ، وهو **بوهيميا** التي تضم العاصمة وتقدم لوحدها نصف الإنتاج الزراعي والصناعي في البلاد . ولقد استفادت ضمن إطار الملكية النمساوية المجرية قبل ١٩١٨ من استثمارات خاصة تفسر وجود المصانع وتوطّنها .

أما من الناحية الفيزيقية فإن بوهيميا تشمل المجال المسمى « الرباعي البوهيمي » وهو تعبير جغرافي فيزيو ـ قومي واستراتيجي في الوقت ذاته . وهكذا تتألف الحافة الجبلية من جبال وهضاب قديمة مع غطاء رسوبي ، أو دون غطاء ، جانحة ، ومحززة بشبكة هيدروغرافية قديرة (شكل٢) .

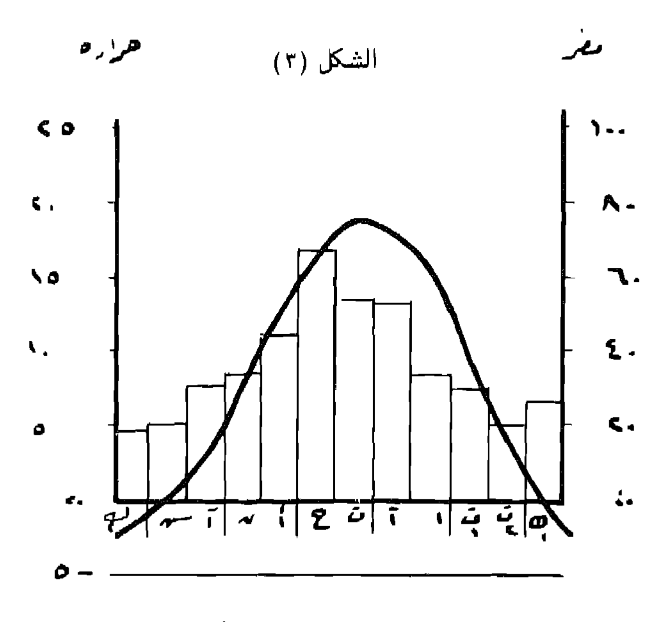
ويتراكب في وسط هذا الرباعي الأضلاع quadrilatère عنصران : فمن ناحية نجد بين نهر صوماڤا Sumava ونهر لاب (الإلب) زمرة من هضاب تؤلف تضاريس أپالاشية أو شبه أپالاشية حيث تجنح حواجز الكوارتزيت لتغطس تحت براغ : تلك هي برادي Brady (التلال) ، الكثيفة الغابات والمغطاة بالمراعي وبالحقول الهزيلة ، ونجد من الناحية الأخرى ، أي في شرق نهر لاب (الإلب) ، منطقة پولابي Polabi وهي حوض تكتوني مردوم بطبقات رسوبية . ويتحدد هذا الميزاب في منخفض يتراوح عرضه بين ٣٠ و ٤٠ كم وطوله ١٠٠ كم ، ويكون تارة رطباً في قاع الأودية وتارة جافاً فوق المصاطب المستورة بتربة اللوس . وتبلغ النسبة المئوية الصالحة للزراعة هنا أعلى نسبة لها في تشيكوسلوفاكيا ، والتي كانت تستأثر بالأراضي الخصيبة قبل نشوء المزارع الكبرى الاشتراكية . تلك هي منطقة أجمل مستغلات الدولة وأفضل التعاونيات .



بنية بلاد بوهيميا ومهرن (عن ماخاتشك)

الشكل (٢)

هذا وتؤلف **موراڤيا** بين هذه المرتفعات ، وبين أوائل الأقواس الجبلية ، أخدوداً طويلاً وعريضاً ، مردوماً بتوضعات نيوجينية ، وتخترقها شبكة هيدروغرافية كثيفة ، جيدة التغذية ، هي شبكة نهر الموراڤا ، الذي يرفد الدانوب ، إلى الشرق من ڤيينا . وتشكل هذه المنطقة منطقة انتقالية بين الغرب والشرق ، وعلى الأخص بين الشمال والجنوب : ففي الجنوب يصبح المناخ حاراً جداً خلال الصيف والخريف (شكل ٣) ، وتستفيد من ذلك زراعة الذرة الصفراء والأشجار والمثمرة والكرمة ، أما في الشمال فإن نظام الزراعة ، حيث تسود البطاطا والجاودار ، يذكرنا بالنظام الزراعي السائد في الأراضي الفقيرة الرديئة



مناخ بولوني - باريسي   مركز براغ

العرض ٥٠,٥   الارتفاع ٢٠٨م

مجموع المطر السنوي ٤٤٧مم   معدل الحرارة السنوي ٨,٨°

في بوهيميا . وتكون نوعية الترب هنا من أفضل مثيلاتها في كل تشيكوسلوفاكيا مما يفسر مستويات ، أو سافات Strates المزروعات القديمة التي تتنضّد فوق بعض المواقع . وهنا تظهر مستغلات الدولة أو أفضل التعاونيات تسييراً . وتلعب المدن مثل أولوموك ، على نهر المورافا وپريروف Přerov وزنوجمو Znojmo دور مدن أسواق تماسية . ويشهد وجود معرض برنو Brno ، التي تضم ٣٧٥٠٠٠ نسمة ، الدولي الكبير على سعة المبادلات بين الشمال والجنوب ، وبين الجبال والسهول ، وبين الشرق والغرب (شكل ٤) . وسيصبح هذا الحوض المورافي في الثانينات ممراً لقناة اتصال تربط الدانوب في الجنوب مع نهري أودرا (الأودر) والإلب في الشمال . وأخيراً فإن القسم الشمالي من مورافيا التاريخية ، والمسمى **سيليزيا التشيكية** ، هو أول حوض صناعي في البلاد .

جمهورية ألمانيا الديمقراطية
R. D.
DRESDE دريسدن
WROCLAW وروكلاو
POLOGNE بولونيا
CRACOVIE كراكوفيا
Liberec ليبريك
USTI
Krkonoše
Kruchne Hory
Most
Karlovy Vary كارلوفيفاري
Kladno
Labe
HRADEC-KRALOVÉ
Orlické hory
PRAGUE براغ
Pardubice
Havlíčkův Brod
PLZEŇ بلزن
Klatovy
Šumava
Tábor
Jihlava
Vltava
CESKE BUDĚJOVICE
Prostějov
Olomouc
OSTRAVA
Český Těšín
تشيكوسلوفاكيا
BRNO برنو
Znoimo
Gottwaldov
جبال تاترا
Zilina
Poprad
Prešov
KOŠICE
BANSKA BYSTRICA
Lučenec
Carpates
Piestany
Vah
Nitra
BRATISLAVA براتيسلافا
Nove Zamky
مورافا
U.R.S.S.
Danube
VIENNE
هنغاريا
النمسا
AUTRICHE
BUDAPEST بودابست
HONGRIE
جمهورية ألمانيا الاتحادية
0 100 200 km

الشكل (٤)

أما سلوڤاكيا : فهي ثاني جمهورية اتحادية . فهنا نجد الكثير من العناصر « البشرية » (لغة ، تاريخ ، دين) بالإضافة إلى عوامل طبيعية تجعلها تختلف عن بلاد التشيك والموراڤ . تلك هي بلاد الكارپات ، حيث يتولد أول قوس جبلي ، هو الكاريات الصغرى ، في براتيسلاڤا كي يدير تحدبه نحو الشمال ويؤلف في نقاطه العليا الحدود البولونية التشيكوسلوڤاكية .

أما في الجنوب فإن جبال **تاتراس** السفلى ، أو تاتريس Tatrys ، لا تتجاوز ٢٠٠٠ م إطلاقاً . وتقدم أمثلة طيبة عن تضريس جوراسي ، ملتوي ومائدي ، منخور بمغاور تجتذب العديد من السواح ، كمغارة دوبشينا Dobšiná . وتكون هذه البقاع الكلسية مسبوقة ، قبل السهل الپانّوني ، بالجبال المعدنة métallifères السلوڤاكية التي تشكل مع مرتفعات شمالي هنغاريا ، التي تقترب منها وتشبهها ، الجزء الداخلي من القوس الكارپاتي . ونجد بين جبال تاتراس العليا والسفلى أخدود ڤاه Váh الجبار ، المؤلف من أحواض ومن ممرات ، ويتجه في جزئه السفلي نحو سهل الانكباس الپانّوني . وتمثل السهول السلوڤاكية ، المأهولة فعلاً بالمجريين ، خلجاناً من البحر الپانّوني والتي نجد فيها كل العناصر الهامشية لسهل ما بين الكارپات الفسيح : كمخاريط الانصباب ، والأودية ذات المصاطب ، والتلال النيوجينية التي تحمل كروم العنب ومزارع الأشجار المثمرة فوق طبقات اللوس الرقيقة ... ذاك هو الجزء السلوڤاكي الذي يزيد استيطانه السكاني ، في حين تظل بلاد الجبال ، المهجورة جزئياً ، موئل الحطّابين ومربّي الماشية وهواة رياضة التزلق على الجليد .

قوميات تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٢١

	مليون	النسبة المئوية
التشيك والسلوفاك	٨,٨١٩	٦٤,٧
روثينيون	٠,٤٧٧	٣,٥
ألمان	٣,٢١٨	٢٣,٦
هنغاريون	٠,٧٦١	٥,٦
يهود	٠,١٩	١,٤
بولونيون	٠,١١	٠,٨
متنوعون	٠,٠٣٥	٠,٢

الاقتصاد :

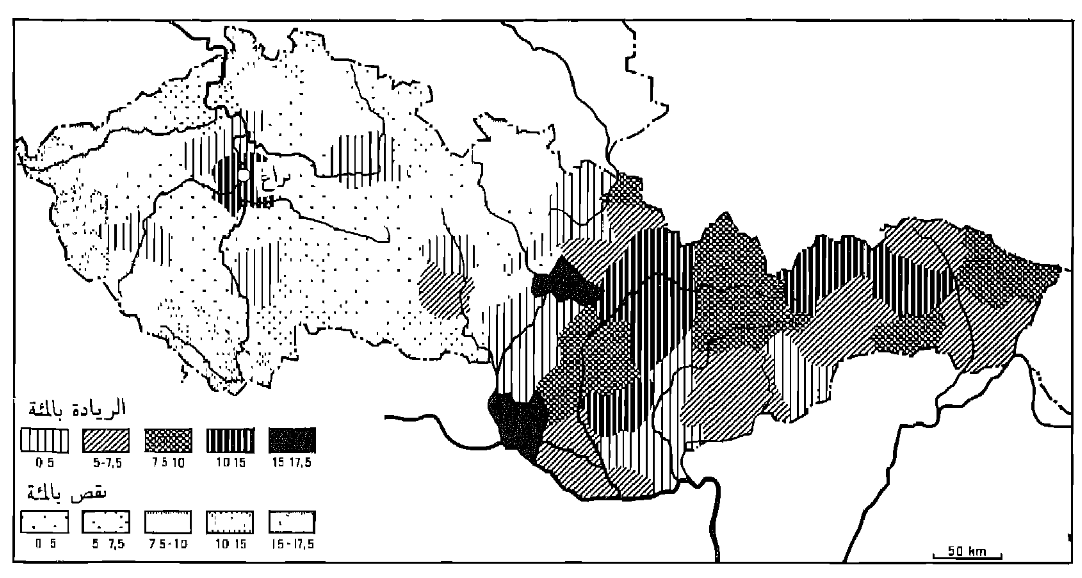
الزراعة : وهو قطاع إنتاجي غني نسبياً . وتمثل الزراعة التشيكوسلوفاكية ، في قلب العالم الاشتراكي ، أحد النماذج التقليدية عن التطور من الرأسمالية إلى الاشتراكية في الأراضي . وتتميز بالطابع التدريجي في القضاء على الملكية الخاصة . ففي فترة مابين الحرب العالميتين كانت المستغلات الواسعة جداً نادرة : إذ جرى إصلاح زراعي خلال العشرينات . وظلت سلوفاكيا بلد الملكية الصغيرة الغابيّة والرعوية والزراعية . وكانت توجد في موراڤيا وفي بوهيميا بورجوازية ريفية وسطى وصغيرة متشبثة بأراضيها . وهكذا كان الإصلاح الزراعي بعد الحرب العالمية الثانية بطيئاً في بداياته ، لأن النظام الاشتراكي لم يظهر للعيان فعلاً إلاّ في عام ١٩٤٨ . وجرى تحديد المساحة القصوى المسموح بها للمستغلة برقعة ٥٠ هكتار . وهكذا تمت مصادرة بضع مئات الألوف من الهكتارات ، كما نالت بضعة آلاف من العائلات حق تملك أراضٍ زراعية . غير أن هذا الرقم كان أقل ارتفاعاً مما كان عليه في أقطار الكوميكون الأخرى . هكذا كما تم الاستيلاء على مستغلات كان يملكها ألمان السوديت ولا سيما بعض الأملاك الكنسية والبورجوازية . وهكذا تشكل قطاع الدولة الذي بلغ حدّاً من أكثر

أمثاله ارتفاعاً في بلد اشتراكي بحيث أصبح يغطي خمس مساحة الرقعة الزراعية ، ومن الصحيح القول أن نصيب الغابات ضخم . ومن ناحية أخرى تبدو تشيكوسلوفاكيا البلد الذي عرف ، أكثر من سواه ، كيف ينظم عملية الانتقال بين الملكية الخاصة والملكية الاشتراكية ، وذلك بالتعريف وبالتحديد ، وفي التشريع وفي الوقائع ، بين أربعة نماذج من التعاونيات ، وهي نماذج متميزة حسب درجة اشتراكية الأراضي ، والقطيع ، والأبنية ، فتكون الاشتراكية كلية شاملة في النموذج العلوي ، وضعيفة جداً ، أو منعدمة في النموذج الأدنى ، وكذلك حسب عائديتها وكيفياتها modalités أي حسب الرأسمال المسدّد في النموذج الأدنى ، وحسب يوم العمل ، كما في الكولخوز ، في النموذج الأعلى . وكانت المراحل الانتقالية بين نمط وآخر بطيئة نوعاً ما . وهكذا أمكن توزيع كل الأراضي منذ عام ١٩٥٨ ، وأصبحت أراضي التعاونيات تغطي ٧٧٪ من المساحة الزراعية ، أو وسطياً ٦٠٠ هكتار لكل وحدة ، ولكن نصفها فقط ينتسب للنمط العلوي .

ومنذ عام ١٩٥٨ اتخذت تدابير أكثر مرونة ، بسبب المصاعب التي عانى منها الاقتصاد التشيكي ، ولا سيما في مجال تموين المدن ، تدابير اتخذت لمصلحة التعاونيات في صدد الرسوم والالتزامات الإجبارية . وظهرت مؤسسات جديدة ، مثل المركّبات الزراعية ، التي تضم مستغلات الدولة وتعاونيات ، ومحطات المكائن وصناعات زراعية . وتتمتع المستغلات الزراعية الفردية بامتيازات من الدولة . ويقدّر أن ١٧٪ من القطيع الكلّي ، وحوالي ٤٠٪ في سلوفاكيا ، لا يخضع للنظام الاشتراكي ، مما يسهّل الإنتاج الفردي من الحليب ومن الزبدة . أما الدوائر الجبلية في سلوفاكيا فلم تخضع للنظام الاشتراكي إلا بنسبة ٧٠٪ من الأراضي الزراعية أو حتى أقل من ذلك بكثير في بعض الكومّونات . وهكذا نلاحظ ، كما لاحظنا في الدول الاشتراكية الأخرى ، ملامح تدابير جدية تعمل على تراخي النظام التشاركي ومنحه بعض المرونة حسب الظروف المحلية .

وقد كان لهذه التدابير فائدة اجتماعية ، فقد قامت فعلاً على حقائق اقتصادية ، لأن هذه البلاد لا تنجو من الأزمة الزراعية الكبرى التي تعاني منها كل بلاد أوروبا الشرقية . فالقطاع الزراعي لا يمثل من الدخل الإجمالي سوى ١٤٪ ، بدلاً من ٤٠٪ قبل الحرب العالمية الثانية ، كما لم تعد الزراعة توفر العمل لأكثر من خمس السكان ، بعد أن كان يعمل فيها ثلثهم قبل ١٩٤٠ ، كما كان تقدم الإنتاج في أخفض معدلاته بالموازنة مع أقطار اشتراكية ذات أساس اقتصادي زراعي . فقرينة ١٩٦٩ من إنتاج الحبوب (أساس ١٠٠ في ١٩٥٠) لم تزد عن ١٤٠ وفي مجال القمح عن ١٦٠ . أما القطيع البقري فكانت قرينته ٩٨ أي قل عدده . ولا تمثل الاستثمارات الزراعية في الاستثمارات الإجمالية سوى ١٥ إلى ٢٠٪ . أما قيمة الإنتاج الحيواني فلا تمثل سوى نصف قيمة الإنتاج الكلي . ولا يزال استهلاك الأسمدة هزيلاً ، كما أن المساحة الوسطى التي يحرثها جرار بقوة ١٥ حصان بخاري لا تزيد عن ٢٠٠ هكتار من الأراضي المحروثة . ومن الممكن بالطبع تفسير هذه المآخذ برداءة نوعية الترب ، والتي تزداد رداءة بقلة التسميد ، وبالسنين العجاف الناتجة عن الفياضانات أو الجفاف ، والتي لا تسلم منها تشيكوسلوفاكيا ، ولا سيما سلوفاكيا ، شأن كل أوروبا الوسطى . ولكن هناك أسباباً أخرى عميقة يجب أن نتعرض لها في المجال الاجتماعي . فالنفور من الريف وحياته يكون هنا أشد من بقية الأقطار الاشتراكية . وقد تمت عمليات تحويل ضخمة من الأيدي العاملة المختصة من القرى إلى البؤر الصناعية ونحو المدن الجديدة . وتكون ظاهرة العامل ـ الفلاح ، والزراعة في الوقت الجزئي نامية جداً ، وعلى الخصوص في سلوفاكيا . وأخيراً فإن هناك العديد من الأراضي المهجورة (شكل ٥) .

وتقوم العلاجات المقترحة على عقلنة نماذج وأنظمة الزراعة وتربية الماشية . وهكذا صنعت خرائط لقواعد استغلال الأرض (التربة) ، وخرائط كادسترية تنصح بأفضل طرائق توطين أنواع المزروعات . وهكذا ظهرت خارطة وطنية ،



التحولات السكانية في تشيكوسلوفاكيا بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠

الشكل (٥)

مبسّطة تكشف للعيان عشرة نماذج من المناطق الزراعية ، فتغطي مناطق تربية الماشية للحليب واللحم المختلطة ، إلى حدٍ ما ، مع زراعة الحبوب ، إقليم پولابي Polabi وحوض بلزن Plzeñ (جنوب غرب العاصمة) ومورافيا الشمالية والوسطى ، ووادي ڤاه Váh الأوسط ومنطقة كوزيس Košice في الشرق .

أما مناطق تربية الماشية الأكثر فقراً ، وذات الزراعة المختلطة ، مع تربية ماشية صغرى ، وزراعة بطاطا وجاودار ، وعوائد إضافية من صناعات غابيّة ، فتمتد على كل جبال بوهيميا والكارپات والتي لا تزال تتعرض لحركات فصلية انتجاعية .

أما في « خلجان » السهل الپانوني ، وفي مورافيا وسلوفاكيا ، فنجد زراعة الذرة الصفراء وتربية الخنازير والأشجار المثمرة والكرمة ، فوق منحدرات سلوفاكيا الوسطى والشرقية ، وأخيراً فإن بؤر الزراعات المختصة تبرز من هذا

المجموع الرتيب نوعاً ما : مثل التبغ في سلوڤاكيا وفي موراڤيا ، وحشيشة الدينار في منطقة زاتك Žatec وفي وادي أوهرة Ohře . هذا ونشهد انكماشاً في رقعة الأراضي المزروعة التي تترك بوراً ، أو للمراعي أو للغابات وحيث تتكاثر أحواض تربية الأسماك ، وقرى الخيام والبيوت الريفية ، في حين تعتبر السهول الغنية بالطمي (الغرين Limon) أو باللحقيات كعنابر حبوب ومناطق زراعة وتربية ماشية حثيثين . بيد أن مطالب مستهلكي المدن هي أكبر من الإنتاج وتضطر البلاد لاستيراد سلع غذائية ، ولا سيما الحبوب ، من كندا والولايات المتحدة ، وذلك في السنوات الرديئة .

تشيكوسلوڤاكيا المناجم : تعتبر تشيكوسلوڤاكيا إحدى أغنى دول أوروبا بالموارد المنجمية وذلك فوق رقعة صغيرة نسبياً . ولكن ليس لأكثرها سوى فائدة محدودة ، كمناجم الحديد ذات المحتوى المتوسط ، والمبعثرة في حوض بلزن Plzěn وفي سلوڤاكيا الشرقية ، وخامات نادرة تسببت في غنى الباحثين عن الذهب ورجال المناجم من سكسون أو سلوڤاكيين الذين تركوا مناجم شبه مهجورة ولا زال بعضها مستغلاً في بوهيميا المركزية وفي سلوڤاكيا الوسطى ، وخامات غير حديدية موجودة في مكامن متعددة المعادن ، فهناك القليل من الرصاص والزنك في الكتل القديمة ، والقصدير والتنغستين في جبال المعادن Krušné Hory في بوهيميا والأثمد في سلوڤاكيا الوسطى ، والنحاس في شمال غرب بوهيميا وفي سلوڤاكيا الشرقية . ولم يبق سوى القليل من كل ذلك ، فالإنتاج الوطني يبدو ضعيفاً جداً ، وهناك متاحف تشير هنا وهناك إلى أوجه النشاط القديمة ، ويبدو أن الأورانيوم يستغل لوحده لمصلحة الاتحاد السوڤييتي .

ويؤلف الفحم الثروة الرئيسية المنجمية ، وهكذا يحقق الليغنيت إنتاجاً أكثر غزارة من الفحم ويعادله من حيث الطاقة ، وتكون بعض مكامن الليغنيت متمركزة جداً : مثلاً في الأحواض النيوجينية عند حضيض جرف صدع Faille

الجبال المعدنية أو المعـادن Métallifères ، وحيث يستخرج الليغنيت أحيـانـاً على المكشوف ، لأن التربة الزراعية الواقعة فوق الطبقات الصـالحـة للاستغلال تكون رقيقة جداً ، مثل حوض سوكولوف ، شوموتوف ، موستا ، دوشكوف ، والممتـدة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي . أمـا المكامن الأخرى فتكون أقـل اتسـاعـاً وأقل إنتاجية . وتتبعثر إمـا في بوهيميـا : قرب ليبريـك Liberec ، وبوديجوفيس Budêjovice وشركـه Cēské ، أو في سلـوڤـاكيـا ، في منطقــة بـانسكا بيستريكا Banska Bystrica حيث يكون أهم المنـاجم هو منجم هنـدلـوڤـا Handlová المـزوّد بوسائل حديثة بعد الحرب .

أمـا الفحم فيكون لحسن الحـظ أكثر تمركزاً بكثير ، فتستخرج بضعـة ملايين من الأطنـــان من أحـواض صغيرة مثـل كـلادنـو Kladno ومن ضـــواحي بلــزن Plzeñ ، وحوالي ٢٠ إلى ٢٥ مليون طن من مكامن سيليزيا أو من شمال موراڤيـا . وقد جرى استغلال فحم سيليزيـا من وقت بـاكر جـداً ، أي خلال النصف الثـاني من القرن التاسع عشر ، بفضل تضافر الأريستوقراطية المحليـة مع بنـك روتشيلـد في ڤيينا . وقد أدى ذلـك لنشوء بلاد سوداء Black Country يكون فيهـا كل شيء ملوثاً من تربة وماء وهواء . ويبلغ الذخر ١٠ مليارات طن حتى عمق ١٥٠٠ م ممـا يجعل سيليزيا التشيكوسلوڤـاكيـة ثـاني حوض في أوروبـا الشرقيـة ، بعـد حوض سيليزيا البولونية ، الواقعة إلى الشمال منها . وقد تمركزت إدارات الإنتـاج فيقـدم بعضها ٢ مليون طن . وقد أدّى وجود هـذا الحوض على نمو صنـاعـة حـديـديـة ، وفحميـة كيماويـة محليـاً ، وهـو مثـال نمـوذجي عن التـوطين المـوروث من القرن التاسع عشر . ولا تزال صناعة استخراج الفحم النموذج الحي عن الصناعـة الثقيلـة في البلاد . وتكون حصة الفحم والليغنيت في البنية القوميـة للمحروقـات راجحـة والتي كانت تبلـغ أكثر من ٨٣ ٪ في ١٩٦٥ وهبطت إلى ٧٥ ٪ في ١٩٧٠ في حين ارتفـع نصيب الـوقـود السـائـل من ١٢,٩ إلى ٢١,٩ ٪ . وفي أواخر الستينـات كان

الفحم والليغنيت يمثلان نسبة ٧٥,٨ ٪ في الحصيلة الطاقية الكلية ، والنفط ١٩,٣ ٪ والغاز الطبيعي ٢,٥ ٪ والطاقة الهيدروليكية من ١ إلى ٢ ٪ .

ولكن يظل الليغنيت هو أكبر مصدر للكهرباء . ولما كان عديم الجدوى الاقتصادية في حالة نقله ، يكون ، على العكس ، قادراً على تقديم طاقة رخيصة ، هذا إذا كانت المراكز الحرارية قائمة قرب المناجم ، كما هو الحال في شمال بوهيميا ، أو هنولوفا في سلوفاكيا . وتكون هذه الأحواض ، شأن حوض سيليزيا ، مقراً لمراكز حرارية كبيرة الاستطاعة ، تترابط فيما بينها ومتواصلة حسب نظام الترابط الداخلي interconnection في الكوميكون ، المسمى مير (أي السلام) والذي تقع إدارته المركزية dispatching الخاصة به في براغ .

وقد أعطى النفط بعض الأمل ، إذ تستخرج منه بعض مئات الآلاف من الأطنان في حوض مالاكّي Malacky شمال براتيسلافا ، وفي منطقة هودوتان إلى الشمال من ذلك ، في موراڤيا السفلى ، وهنا يكون الغاز هو المتفوق في هذه المستغلّة .

والواقع فإن القسم الأعظم من النفط المستهلك يأتي عن طريق أنبوب « **الصداقة** » الذي وصل براغ ولما وراء براتيسلافا ، وبواسطة أنبوب الغاز « **الأخوة** » الذي يجتاز سلوفاكيا مع بعض التفرعات ، وعلى كل لا يبدو أن المقادير النفطية السوفياتية قادرة على التزايد . وهكذا تلعب تشيكوسلوفاكيا دوراً رئيسياً في مشروع أنبوب « **آدريا** » الذي ينطلق من الساحل الآدرياتيكي ، ويصل هنغاريا ، وربما إلى سلوفاكيا ، والذي يستطيع أيضاً استقبال البترول القادم من هامبورغ .

وقد أعاقت هذه السياسة ، بالإضافة إلى « أسطورة » الفحم الذي سلطت عليه الأنوار كثيراً خلال الخمسينات ، أقول أعاقت التجهيز الهيدروليكي . ولكن في

الحقيقة هناك القليل من الأنهار الصالحة لبناء مراكز كهرمائية كبرى . وهكذا أمكن تجهيز نهر ڤاه Váh السلوڤاكي على شكل درج من المراكز يصل عددها العشرين . كما تم حجز نهر ڤالتاڤا Valtava في بوهيميا في عدة نقاط حتى الحدود النمسوية في عالية براغ . وإذا استثنينا عدة سدود صغيرة ، فلا نجد في البلاد أي تجهيز كهربائي آخر يخطط له في المستقبل . وإجمالاً يبلغ الإنتاج السنوي بضعة تيراواط[1] tèrawatts ساعية ، أو ٧٠ مليار ك وس في ١٩٨٠ .

وأخيراً فإن تشيكوسلوڤاكيا تعتبر إلى جانب ألمانيا الديمقراطية ، بلا ريب ، أكثر البلاد الاشتراكية تقدماً في أوروبا الوسطى في مضمار الطاقة النووية . وقد تمت إقامة أول مركز في سلوڤاكيا ، شمال شرق براتيسلاڤا في موقع جاسلوڤسكه بوهونيس Jaslovské Bohunice .

ميزات الصناعة

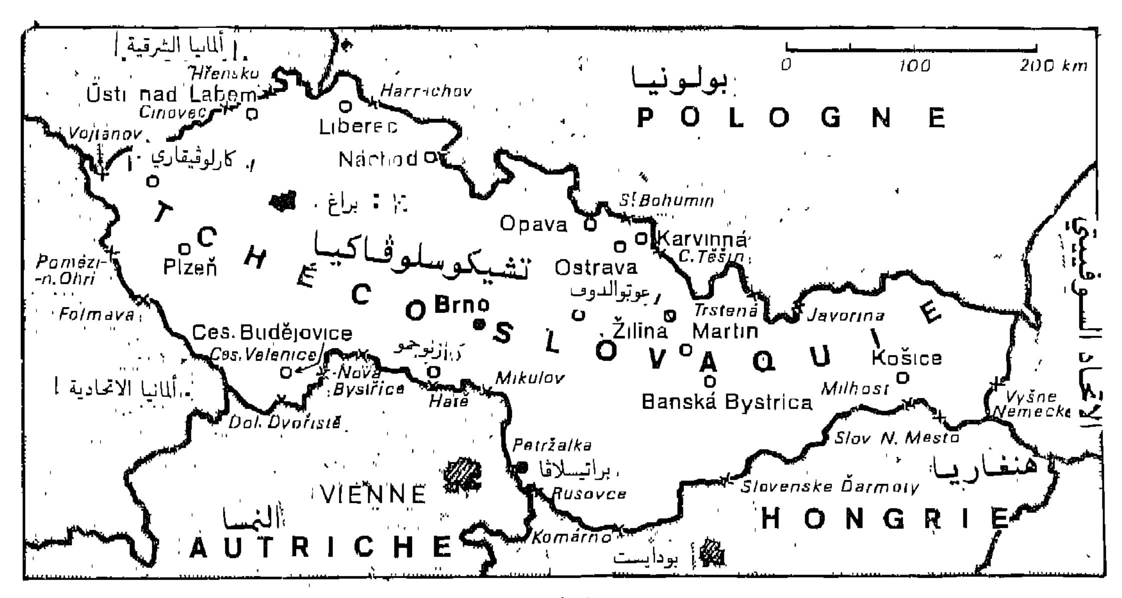
تملك تشيكوسلوڤاكيا ، وهي قطر متقدم صناعياً ، كل نماذج الصناعة القديمة والحديثة ، والمتوطنة فوق المناجم وبجوار الطاقة أو في المراكز العمرانية . ولهذا سيكون من نافلة القول إعطاء تعداد ووصف دقيقين ، ولهذا سنلحّ على كل ما هو تشيكوسلوڤاكي نوعياً .

وسنتعرض أولاً لقطاعين كبيرين من الصناعة الثقيلة . فتمثل الصناعة الحديدية ، مع كل المصنوعات المعدنية ٤٠٪ من القيمة الإجمالية للإنتاج الصناعي . ويصل الإنتاج الذي تضاعف أكثر من خمس مرات ، منذ الحرب العالمية الثانية ، إلى معدلات ، بالنسبة لكل مواطن ، هي أكثر مثيلاتها ارتفاعاً ، أو أكثر من ١٥ مليون طن سنوياً من الفولاذ لعدد معادل من السكان ، أو طن من الفولاذ لكل

---

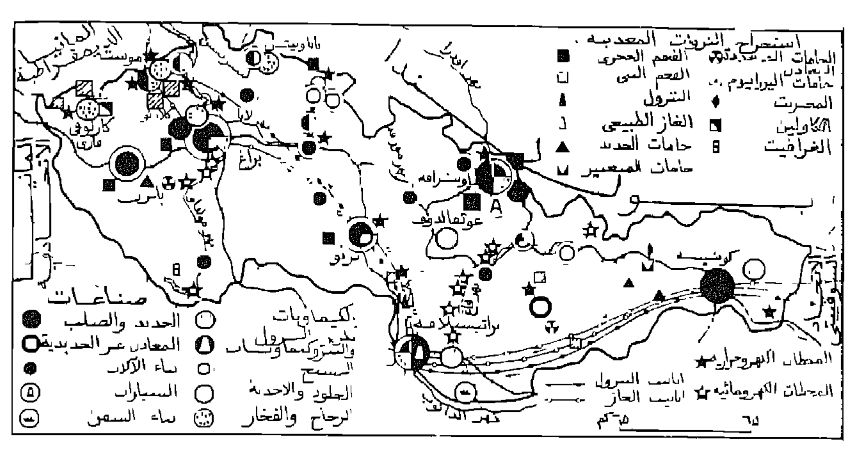
(١) تيرا : كاسعة توضع أمام اسم وحدة فتضربه بمقدار تريليون مثل ($١٠^{١٢}$) . والتريليون هو مليار مليار أو مليون مليون ، أي $١٠^{١٨}$.

مواطن ، وتكون صناعة الفولاذ من أكثر الصناعات تمركزاً . وإذا استثنينا بعض المراكز الصغرى المنعزلة ، مثل بلزن Plzen وكلادنو ، فإن المجموع يصدر عن الحوض السيليزي (أو ٧٥٪) ومن إقليم كوزيس أو كوشيتسه Košicc (في أقصى الشرق) (شكل ٦) . أما في سيليزيا فقد تمّ فيها تحديث الصناعة الثقيلة التقليدية : فقد أضيف إلى الأفران الستة العالية في ڤيتكوڤيس Vitkovice وإلى معامل التصفيح ومعامل القضبان الموزعة حتى كوانسيس Kuñcice ، مركزا Têšin تيزين وترينك Třinec . إذن تقوم هذه الصناعة الحديدية فوق الفحم ويأتي الحديد الخام من أوكرانيا . أما في الكومبينا الحديدية في سلوڤاكيا الشرقية ، أي في كوزيس Košice فإن الكوك والحديد يأتيان سوية من الاتحاد السوڤيتي . وهذه الكومبينا هي إحدى المراكز الكبرى التي أقامها الكوميكون مؤخراً مثل كومبينا Nowa Huta في بولونيا .



الشكل (٦)

هذا ولا تملك تشيكوسلوڤاكيا سوى القليل جداً من مراكز الصناعة غير الحديدية ، ولكن إنشاء كومبينا الألمنيوم في زيار ناد هرونوم Ziar nad Hronom يشهد بصدق على صورة من التعاون بين هنغاريا التي تنتج البوكسيت والتي تفتقر للكهرباء وبين سلوڤاكيا التي تقدم التيار الكهربائي من مراكزها الحرارية ومن مراكز وادي ڤاه Váh الكهرمائية (شكل ٧) .



صناعة تشيكوسلوڤاكيا

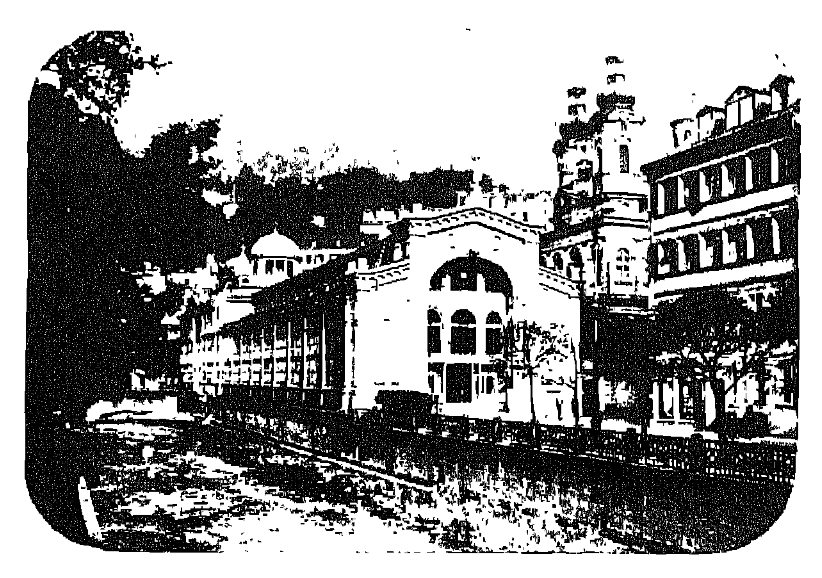
الشكل (٧)

أما القطاع المشتق من الصناعة المعدنية الثقيلة فهو صناعة المكائن من كل الأنماط ، والتي اكتسبت البلاد في ميدانها على شهرة عالمية حتى أن إنتاج بعض الفروع يصدّر معظمه للخارج ، وحتى نحو البلاد غير الاشتراكية : مثال ذلك القاطرات والشاحنات في براغ ، والتجهيز الكهربائي والكهرميكانيكي في بلزن ، والسيارات السياحية (سكودا) في مدينة ملادا بولسلاڤ Mladá Boleslav والآلات النسيجية في منطقة ليبيرك . وتحقق العاصمة براغ مع ضاحيتها خمس هذا الإنتاج الذي يضم فضلاً عن ذلك ، صناعة الأسلحة من كل النماذج ، لأن تشيكوسلوڤاكيا هي إحدى أكثر أقطار أوروبا الشرقية تصديراً للسلاح .

وهناك نمط آخر من الصناعة الثقيلة هو الكيمياء . وتقوم صناعة الكاربو كيمياء فوق مناجم الليغنيت أو بجوارها كما في موست Most ولتڤينوڤLitvinov (منتجات تركيبية) وفي اوستيناد لابم Ústinad Labem وفي ديشن Dèčin (كيميا معدنية وتركيبية) أو بجوار مراكز الاستهلاك ، كصناعة الأسمدة في پاردوبيس Pardubice والمنتجات الصيدلانية في براغ .

أما الصناعة الناشئة عن النفط والغاز فتقوم حالياً في براتيسلاڤا وفي بضع مدن صغرى في سلوڤاكيا . وقد كان مرور أنبوب النفط وأنبوب الغاز السوڤيتيين عاملاً قديراً في تصنيع البلاد . ففي عاصمة سلوڤاكيا تتألف كومبينا سلوڤنافت Slovnaft من مصفاة ومن مصنع بتروكياوي . وأصبحت سلوڤاكيا إحدى مناطق أوروبا الشرقية التي تنتج الخيوط التركيبية والمواد البلاستيكية بمقادير مماثلة لتلك التي تنتجها بؤر أوروبا الغربية الصناعية .

وأخيراً تتميز تشيكوسلوڤاكيا ، ضمن قائمة كل المنتجات الصناعية ، بستة فروع من صناعة مرتبطة بتحويل منتجات الأرض وباطنها : وعن هذا أمكن تجديد التقاليد الموروثة بتقنيات حديثة . هذا ويوفر خشب غابة بوهيميا صفائح الخشب ومواد البناء ، والمادة الأولية لصناعة السيللولوز وكذلك الدمى السلوڤاكية وأقلام بوهيميا . أما القطن فقد كان سبب نشوء بؤرة ليبيرك Liberec النسيجية في شمال بوهيميا ، كما كانت الأحذية تصنع قبل الأحذية المطاطية في مصنع أقامته شركة **باتا** في مدينة غوتوالدوڤ Gottwaldov ، واسمها القديم زلين Zlin (في وسط البلاد) والذي جرى تأميمه . هذا ويؤلف الكاءولان المادة الأولية لصناعة الخزفيات ولا سيما البورسلان ، في شمال غرب وشمال شرق بوهيميا . هذا كما تحكّمت الرمال ورمال الغابات في توطين معامل الزجاج في شمال بوهيميا ، حيث برزت أبرز وأنبل مظاهرها في مصانع كريستال الشهيرة في كارلوڤي ڤاري أو كارلسباد سابقاً (صورة ١) ، ومظهرها الأقل أهمية في مصانع الزجاج بشتى أنواعه



محطات المياه المعدنية بكارلسباد

الصورة (١)

في منطقة جابلونـك Jablonec . وأخيراً تنتج تشيكوسلوفـاكيـا الجعـة الشهيرة في مدينة بلزن وتصدرها حتى الولايات المتحدة .

المشكلات الداخلية الكبرى :

التطور الديموغرافي : تكون كثافة السكان شديدة جداً ، فتبلغ ١٢٠ نسمة بالكيلو متر المربع حالياً ، كما تبدو البلاد منسجمة الاستيطـان بـاستثنـاء الجبـال . وإذا كانت نسبة الوفيات قد هبطت إلى ١١,٧ بالألف في ١٩٨١ فـإن التوالـد الـذي سجل قفزة بعـد الحرب راح ينحـدر بـانتظـام إلى ١٥ بـالألف في ١٩٧٠ وإلى ١٥,٥ بالألف في ١٩٨١ أي أن النمو السكاني يقل عن ١ بالألف سنوياً أو ٠,٣٨ بالألف ، أي يحتاج سكان هـذه البلاد لقرن ونصف كي يتضـاعف عـددهم حسب النسق الحـالي . ويمكن تفسير هذا التطور بصعوبـات السكن ، رغم حجم وعـدد المـدن الجـديـدة ، والاهتمام بـالرفـاهيـة قبـل المـولـود ، وظهـور نـوع من الابتعـاد عن

تعاليم النصرانية في المناطق التشيكية والموراڤية والذين تقل سرعة تكاثرهم عن سلوڤاكيا التي هي جبلية وكاثوليكية .

ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ أشكال اتزان هنا لم تبلغها الأقطار الاشتراكية الأخرى . وتكون هيمنة العنصر النسائي ضعيفة ويتوزع مجمل السكان عادة بين مختلف الكومونات ، المعروفة بحجمها . وهكذا نجد أن ٤٣٪ من السكان يقيمون في قرى يقل سكانها عن ١٠٠٠ نسمة وأكثر من ٣٢٪ في تجمعات تزيد عن ١٠٠٠٠ نسمة ، وتقارب نسبة سكان المدن حالياً ٧٠٪ بعد أن تجاوزت نسبة ٥٥٪ في بداية السبعينات . ولكننا نكون تجاه مدن صغرى أو مدن متوسطة الأبعاد . كما هبط عدد المزارعين إلى ١٥٪ في حين نما القطاع الصناعي وقطاع الخدمات بسرعة تفوق القطاعات الأخرى فبلغ القطاع الصناعي ٤٨٪ والخدمات ٣٧٪ . ولهذا السبب يستطيع هذا القطر أن يتباهى ببناء سريع لمدن جديدة ، هي بوتقات رتيبة نوعاً ما بنمطها ، ولكنها استطاعت أن توفر السكن بسرعة لفائض سكان الأرياف ، ويعيش قرابة ٦٠٠٠٠٠ نسمة في هذه المدن ، التي يحوي بعضها أكثر من ٥٠٠٠٠ نسمة . ويؤلف التشيك ٦٣،٢٪ والسلوڤاك ٣٠٪ وغير السلاف ٦٪ من مجموع سكان البلاد .

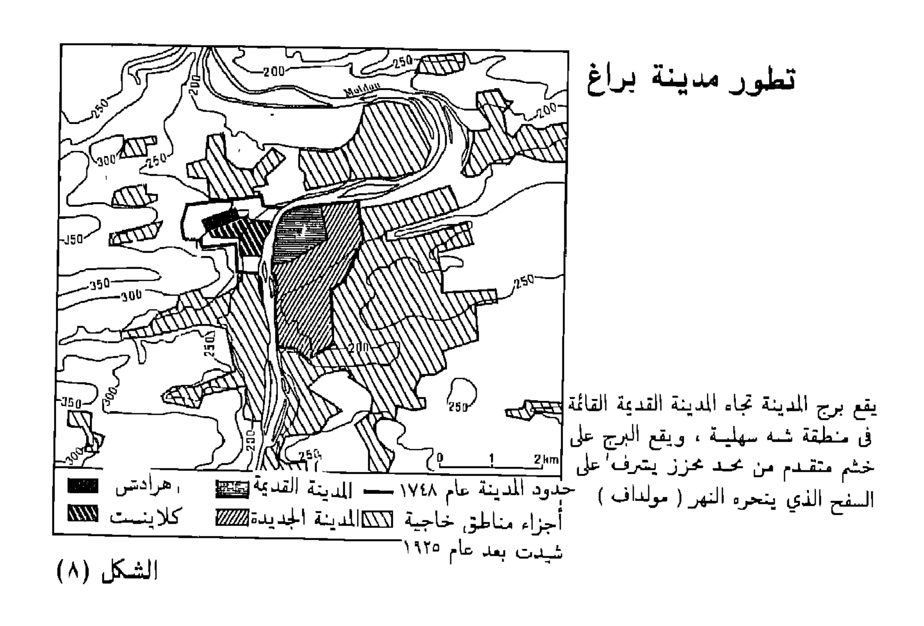
براغ

وهناك مشكلة أخرى مطروحة بسبب النمو البطيء نسبياً للعاصمة ، والتي لا يتجاوز سكانها مع الأرباض ١،٢٥ مليون نسمة . غير أن براغ تعتبر مع ذلك مدينة الفتنة والمهابة الكبرى في أوروبا الوسطى أو « المدينة الذهبية » .

ويقدر عدد السواح الذين يبيتون في براغ سنوياً ببضعة ملايين ويتألف معظمهم من القادمين من الأقطار الاشتراكية ، ولكن براغ هي المكان المفضّل لإقامة المعارض والمؤتمرات واللقاءات الدولية . وفيها يقوم مقر الاتحاد النقابي الدولي منذ الحرب العالمية الثانية ، وجامعاتها أهم مثيلاتها في سائر

تشيكوسلوفاكيا . وتجذب تظاهراتها الفنية مثل « أيار الموسيقي » عدداً كبيراً من الهواة . وهناك شطر كبير من السكان يعيش من خدمات ثلاثية عليا .

ولكن هناك عاملان لم يشجعا على نمو براغ (شكل٨) . فمن ناحية لاتعتبر العاصمة مدينة صناعة ثقيلة ، كما أنها بعيدة نوعاً ما عن المؤسسات الصناعية الكبرى في سيليزيا . وهي تقع في سافلة هذه الصناعة ، ولكنها تتقاسم الصناعة المعدنية والصناعات الخفيفة مع مدن أخرى . ومن ناحية ثانية ظلت مدينة كبرى في بوهيميا . بيد أن بلزن Plzeň ومدن الشمال تمارس جاذبيتها على السكان . هذا وتعتبر المدن المورافية والسلوفاكية ، ولا سيما براتسلاڤا ، منافسة للعاصمة والتي لا يتزايد سكانها إلا ببطء شديد . أما المدن الجديدة فقد استحوذت على السكان الناتجين عن فيض الريف أو المدن الصغرى . وتضم مدينة برنو ٣٧٠٠٠٠ نسمة وبراتسلاڤ ٣٣٥٠٠٠ نسمة وأوستراڤا ٣١٠٠٠٠ نسمة وكوزيس ١٨٠٠٠٠ وبلزن ١٦٠٠٠٠ نسمة .



يقع برج المدينة تجاه المدينة القديمة القائمة فى منطقة شبه سهلية ، ويقع البرج على خشم متقدم من حد محزز يشرف على السفح الذي ينحره النهر (مولداف)

الشكل (٨)

المناطق الغابية

ولا يزال مصيرها يطرح مشكلة أخرى ، وهي مشكلة قديمة تعود لأكثر من ٦٠ عاماً ، وهي مشكلة إعادة إعمار البلاد هذه ، لأن معظم الألمان والبالغ عددهم ٣ ملايين ، والذين كانوا يحتلون هذه المناطق ، والتي ظلت تحمل لمدة طويلة اسم السوديت ، قد طردوا ونزحوا إلى ألمانيا الغربية أو إلى ألمانيا الشرقية .

وقد كانت إعادة الإعمار من جهود التشيك في الداخل ، من السلوفاكيين ومن مهاجرين قدم . وهكذا استوطن أكثر من ٣ ملايين سلافي (صقلبي) هذه المناطق التي أصبحت خاوية من السكان . وقد لوحظ بسرعة وجود اختلافات في الاستيطان ، وفي الكثافة ، وفي النمو من ناحية ، بين مختلف المناطق الغابيّة ، وبين المناطق المذكورة والمناطق الداخلية من ناحية أخرى . وقد أصبحت الكثافات السكانية أعلى مما كانت عليه قبل الحرب في كل المناطق المنجمية والصناعية : كأحواض الليغنيت عند أقدام الجبال المعدنية ، وبؤرة مدينة بلزن الصناعية ، وهي مدينة ممر نهر الإلب Labe ، ومدن الشمال مثل ليبريك وجابلونك . وفي مقابل ذلك تكون الكثافات دون ما كانت عليه قبل الحرب ، في مناطق أخرى ، فتنعدم المدن الضخمة في هذه البلاد ، كما تقتصر الصناعة على صناعة الخشب في منطقة Krkonoše ، أو جبال العمالقة ، وفي غابة بوهيميا .

المنتجات الرئيسية للبلاد في الزراعة

المادة	١٩٨١	١٩٦٨
القمح	٤,٤ مليون طن	١,٤ مليون طن
الشعير	٣,٥ مليون طن	١,٢ مليون طن
شوندر سكري	٨ مليون طن	٧ مليون طن
بطاطا	٣,٥ مليون طن	٧ مليون طن
أبقار	٥ مليون رأس	٤,١ مليون رأس
خنازير	٧,٩ مليون رأس	٥,٣ مليون رأس

الطاقة

المادة	١٩٨١
فحم حجري	٢٧,٢ مليون طن (اوستراقا - كارقينا)
ليغنيت	٩٥,٢ مليون طن (موست - سوكولوف)
غاز طبيعي	٠,٦ مليار م٢
طاقة كهربائية	٧٣,٤ مليار ك وس

الصناعة

المادة	١٩٨١
الفونت	١٠ مليون طن
الفولاذ	١٥,٢ مليون طن
إسمنت	١٠,٦ مليون طن
سيارات سياحية	١٨٠١٠٠
سيارات نفعية	٨٥٦٠٠
جرارات	٢٣٠٠٠
غزول قطنية	١٣٦٠٠٠ طن
غزول صوفية	٦٣٢٠٠ طن
جعة	٢٢,٦ مليون هكتولتر

وقد أمكن إيجاد تقنيات مختلفة للاقتصاد المحلّي للاحتفاظ بالسكان أو جذبهم : مثلما عملت الدولة على تشجيع تربية الماشية ، ولا سيما الماشية الصغيرة ، وإنشاء مراكز صناعة حرفية صغرى للجلد ، والخشب ، والزجاج ، وتجهيز رياضي للصيف والشتاء ، على شكل محطات صغيرة ، وبناء أفضل شبكة لطرق السيارات للحث على السياحة ، وتحسين مراكز الصيد في الفسحات الغابية ... وهكذا يبدو أن قسماً من مرحلة التحويل الاقتصادي قد أنجزت .

المشكلة السلوڤاكية :

وهي أكثر المشكلات حدة . فهناك اختلافات عميقة نوعاً ما تفرق بين

القطرين اللذين يؤلفان الدولة التشيكوسلوفاكية : فاللغة السلوفاكية تحوي العديد من الاختلافات عن اللغة التشيكية ، وبينما ظلت الديانة الكاثوليكية منتشرة جداً في سلوفاكيا ، نجد أن البروتستانتية هي التي تسود في المناطق التشيكية ، كما أن ظاهرة الإلحاد تكون شبه عامة .

وتتميز الديموغرافية السلوفاكية بنسبة عالية من التوالد ، ولا سيما في الجبال ، حيث تتفوق على الديموغرافية التشيكية . وهكذا نجد أنه في عام ١٩٠٠ كان في البلاد التي تؤلف تشيكوسلوفاكيا الحالية ٢٢٪ من السلوفاكيين . وارتفعت هذه النسبة إلى أكثر من ٢٦٪ في ١٩٥٠ وتتجاوز أو تقارب ٣٣٪ اليوم . ويضطر قسم من السكان السلوفاك للهجرة نحو المناطق التشيكية . إذن نستطيع أن نتعرض لنمط إقليمي من التخلف ، أو التأخر ، يكون للتاريخ في ذلك النصيب الأوفى من المسؤولية . والواقع كانت البلاد السلوفاكية تحت هيمنة بودابست ضمن إطار المملكة الهنغارية النمساوية التي تلاشت بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد نمت بسرعة تقل عن البلاد التشيكية التي كانت تستفيد من رساميل ڤيينا . كما أن بيروقراطية بودابست وأشراف المجر أهملوا المنطقة ، واقتصروا على استغلال المواد الأولية ، وقسروا السكان على الهجرة كي يعملوا حمّالين في كل مدن الامبراطورية أو في الأعمال المنزلية : كصناعة الأخشاب ، والألعاب ، والمنسوجات القليلة الأجور . هذا كما تذمر الناس من الطابع « الاستعماري » لبوهيميا وبراغ عندما اندمجت سلوفاكيا في الدولة الجديدة . ومن المؤكد أن البلاد السلوفاكية لعبت دور خزان أيدٍ عاملة . ولا داعي للدهشة إذا ماعرفنا أن سلوفاكيا التي استفادت من تفتيت تشيكوسلوفاكيا على أيدي النازيين في ١٩٤٠ ، ولم يكن لها من رد فعل سوى صيغة « الحماية » أو الاستقلال الوهمي تحت وصاية الرايخ . ولكن صوت السلوفاكيين لم يسمعه أحد بحق وحقيقة إلا على أثر أحداث براغ في ١٩٦٨ ذلك أن الدستور الجديد يمنح الجمهورية السلوفاكية مزايا واسعة ضمن الاستقلال الذاتي .

والواقع تكمن العلاجات الناجعة في التصنيع وفي التحضّر العمراني اللذين سيسمحان لسلوفاكيا أن تبلغ مستوى بوهيميا . كما كفّت سياسة الحكومة المركزية عن محاباة المناطق التشيكية تسهيلاً لتدفق الاستثمارات نحو سلوفاكيا . وتتخذ هذه السياسة مظاهر عدة : فقد شيدت عدة كومبينات من الصناعة الثقيلة مثل سلوفنافت في براتيسلافا ، وكومبينا الألمنيوم في زيار ناد هونوم ، والكومبينا الحديدية في سلوفاكيا الشرقية في مدينة كوزيس Košice كما تمّ تبنّي أسلوب يقضي بازدواجية المصانع ، في الوقت ذاته . فكل معمل في الأرض التشيكية والموراقية له نظيره ، أو « صنوه » في الجمهورية السلوفاكية . وهكذا أسست شركة باتا Bata في غوتوالدوف مصنعاً آخر في پراتيزانسكه السلوفاكية . وقد تمّ إمداد هذا المصنع بالطاقة بعد بناء المراكز الكهرمائية المتدرجة على نهر ڤاه Váh ومن أنبوب نفط ومن أنبوب غاز . كما تم منح مناجم جديدة لفحم الليغنيت والحديد . وقامت صناعات خفيفة متزايدة يقصد منها تشغيل الأيدي العاملة النسوية والكثيرة العدد ، ولا سيما في ميدان صناعة النسيج والغذاء وأشغال البلاستيك .

وهكذا وفي خلال مدة تقل عن ٢٠ عاماً زاد نصيب الاستثمارات المخصصة لسلوفاكيا ، بالموازنة مع الاستثمارات الإجمالية في الجمهورية التشيكوسلوفاكية ، زادت من ٢٠ إلى ٣٠٪ ، غير أن هذه النسبة لا تزال دون نسبة السكان .

غير أن علامات التبدلات العميقة تبدو متكاثرة كالتحسن والتوسع العظيم في القرى الجبلية ، أو في السهل الپانوني بفضل البيوت المبنية حديثاً ، وحركات هجرة متأرجحة أوجدت أشكال زراعة ذات وقت جزئي وبور اجتماعي ، وبناء قرى جديدة معدّة لإيواء عمال الكومبينات الكبرى ، وهكذا أصبحت مدينة كوزيس Košice الجديدة تعادل في أبعادها وسكانها مدينة كوزيس التقليدية . وأخيراً فإن انفتاح البلاد لسياحة كثيفة في تاتراس العليا والدنيا سمح بقيام

وظائف جديدة ، وأدى للإمساك بالشبان في الجبل وإلى تحوّل في النشاط الرعوي البدائي .

تشيكوسلوڤاكيا والعالم

تكون علاقات هذه الدولة مع الدول المجاورة ، وأوروبا ، والكوميكون ، وبقية العالم شديدة الأهمية بالنسبة لها ، لأنها تستطيع أن تتطور دون معونة وتعاون جيرانها والدول العظمى .

ويجب أن نطرح أولاً **مشكلة ديموغرافية** ، أو بالأحرى عرقية . فمن ناحية لا تزال هناك أقليات أجنبية في البلاد : فهناك العديد من الألمان : عجزة ، شيوخ ، عائلات لم تتعاون مع حركة السوديت ، والهنغاريون الذين تناقصوا قليلاً عما كانوا عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم لا يزالون كثيري العدد في بعض الدوائر أو بعض الكومّونات أو يؤلفون الأكثرية في السهول البانونية . هذا كما أن الاتفاقات التي عقدت بعد الحرب لم تفلح في تحقيق التبادل بين التشيكوسلوڤاكيين في هنغاريا وبين مجر تشيكوسلوڤاكيا . والواقع اقتصر هذا التبادل على بضع مئات الآلاف من الأشخاص . ولا يتمتع هنغاريو سلوڤاكيا بأي استقلال ذاتي ، ولكن لا يبدو أن هناك مشكلة خطيرة تثير الاهتمام . ومن ناحية أخرى لا تزال بضع مئات الآلاف من المهاجرين التشيك ، في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين ، تعيش في أمريكا الشمالية وكذلك في أوروبا الغربية . والقليلون جداً هم الذين لبّوا نداء عام ١٩٤٥ كي يعودوا لإعمار المناطق الحدودية مع ألمانيا ، غير أن العلاقات ظلت قائمة بين العائلات في داخل البلاد وبين المغتربين .

وتتصف تشيكوسلوڤاكيا ، شأن هنغاريا ، بين أقطار الكوميكون ، في أنها **دولة قارية** ، مما اضطرها للبحث عن نوافذ بحرية في الأقطار المجاورة . وهكذا

تحقق قسماً من استيرادها وتصديرها بواسطة ميناء **ريجيكا** اليوغوسلافي ، هذا كما تستخدم الدانوب كطريق مائي للوقود السائل وخامات الحديد القادمة من الاتحاد السوفيتي . كما تستفيد من ميناء حر في المركّب البحري لميناء سيزين البولوني ، وهناك تتم أكبر نسبة من حمولة البضائع . وليس لها الكثير من العلاقات الهامة مع موانئ جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، مثل ميناء روستوك ، في حين يؤمن ميناء هامبورغ عند مصب نهر الإلب قسماً من حركتها التجارية البحرية ، والتي يقوم بها أسطول صغير يحمل العلم التشيكوسلوفاكي . وتلعب الخطوط الحديدية دوراً مهيماً في غالبية الحركة التجارية مع الخارج ، فقد عملت من حيث عددها ونوعيتها على كسر طوق عزلة هذه الدولة ، إذ يبلغ طول شبكتها الحديدية ١٣٣٠٠ كم ، وطول طرقها المعبدة ٧٣٢٧٦ كم وطرقها الملاحية النهرية ٤٨٣ كم .

وتشكل **السياحة** أحد أشكال العلاقات الخارجية التي تنمو أكثر من سواها : فهناك عدة مئات الآلاف من العائلات التشيكوسلوفاكية التي تقضي عطلتها الصيفية على ضفاف بحيرة بالاتون في هنغاريا ، أو على السواحل المشمسة للأقطار الاشتراكية الجنوبية ، مثل يوغوسلافيا وعلى الخصوص رومانيا وبلغاريا . وفي مقابل ذلك فإن القليل من التشيكوسلوفاكيين الذين لديهم القدرة على الإقامة في أوروبا الغربية . هذا ويقصد هذه البلاد سنوياً أكثر من ٣ ملايين سائح معظمهم من السوفيات ، بيد أن حصة السواح الغربيين الذين يجلبون العملة الصعبة تتزايد باستمرار فزاد عددهم عن المليون ونصف في مطلع الثمانينات . وتبذل الدولة جهوداً كبيرة لاجتذاب أكبر عدد من الغربيين : كافتتاح مكاتب لوكالة السفر « شدوك Çedok » في البلاد الأجنبية ، وعقد اتفاقات رحلات Safaris في غابة بوهيميا ، وتنمية التخييم والسكنى لدى الأهالي ، وتنظيم احتفالات ومؤتمرات . ويمثل هذا المورد ما بين ٤٠ إلى ٥٠ مليون دولار صافٍ سنوياً ،

ولكنـه رقم يقـل كثيراً عن أربـاح الأقطـار الاشتراكيـة الجنـوبيـة . ولكن هنـاك تقـدير متزايـد لكل أشكال حمـايـة الطبيعـة التي يعمل التشيكوسلوڤـاكيـون على تطويرها : ففي البلاد ثلاث « حدائق وطنية » واسعة و « مناطق لحماية المشاهـد الطبيعية » وقرابة ٤٠٠ محتجزة réserves طبيعية محميـة ، والتي تغطي إجمـالاً ١٠٪ من مساحة سلوڤاكيا و ٤,٧٪ من مجمل مساحة الجمهورية العامة .

وأخيراً **فـإن وضع** تشيكوسلوڤـاكيـا في قلب **الكوميكون** هو أمر معروف للجميع . فهي تمثل ثـاني أو ثـالث شريـك من حيث الأهميـة . فهي تتعـاون مع سائر مؤسسات الكوميكون التي تتخذ مقرها فوق أراضيها ، وكذلـك مع العـديـد من اللجان ، وتحتل مكانة هـامـة في منظمتي الاستثمـار وقـد انقـادت بسهولـة إلى ضوابط التخطيط . كما تقدم عوناً تقنياً نـاجعـاً للـدول الأقل تقـدمـاً ضمن مجموعـة الكوميكون ، مثلما احتلت مكانة فريدة فيما يدعى « التقسيم الاشتراكي » للعمل ، وتختص صنـاعتهـا في الصنـاعـة الحـديـديـة ، وصنـع وسـائـل المواصلات والكهرميكانيـك ، وفي الأسلحـة وصنع المكائن . ولكن تظـل تشيكـوسلـوڤـاكيـا شـديـدة التبعيـة للاتحـاد السوڤيتي في مجـال الوقود السـائـل وفحم الكـوك وخـام الحديد والمواد النسيجية والمطاط. كما احتلت أخيراً مكانتها في تقديم العون للأقطار المتخلفـة . وتقـل حصتهـا في مجـل العـون الاشتراكي عن ١٠٪ . ولكن تشيكوسلوڤـاكيـا تستقبـل وتهيىء بضعـة آلاف الطـلاب والإطـارات الأجنبيـة ، وتبيع مصانع « مفتاح بـاليـد » وترسل للبلاد الأجنبيـة بعثـات على شكل منقّبين وتقنيين ، وتشيد أبنية ضخمة في الهندسة المـدنيـة كالجسور والخطوط الحـديـديـة والسـدود إلـخ .. ، ولا سيما في بلـدان الشرق الأوسـط وأفريقيـا الشماليـة وآسيـا الجنوبية .

وبعد أن ظهرت في البداية أزمة اقتصادية تحولت فيما بعد إلى أزمة بنيويـة ، قـادت إلى أزمـة عـام ١٩٦٨ ، عـاد الاتحـاد السوڤيتي فـأمسـك بـزمـام الأمـور في

تشيكوسلوفاكيا ، وهو الذي يقدم لها كمية كبيرة من الطاقة ومن الأقوات ومن المواد الخام . ولهذا يكون من الصعب على أي قطر اشتراكي التخلص من وصاية « الشقيقة » الكبرى . وتقدم تشيكوسلوفاكيا عن هذا الولاء والتبعية مثالاً فريداً في تعبيره .



منظر ڤنسنلاس من المتحف الوطني

الصورة (٢)

جمهورية ألمانيا الديموقراطية

لقد ولدت الجمهورية الألمانية الديموقراطية عن الحرب العالمية الثانية . وتدين لهذه الحرب بإطارها الأرضي ، وبنظامها الاجتماعي ـ السياسي ، وباتجاهاتها الاقتصادية القومية والدولية .

أما حدود جمهورية ألمانيا الديموقراطية فقد نتجت مباشرة عن التقلبات الخطيرة التي فرضت طابعها على كل أوروبا الوسطى في أواسط الأربعينات .

وتحيط هذه الحدود برقعة أرضية مساحتها ١٠٨٠٠٠ كم٢ تمتد من بحر البلطيك شمالاً حتى جبل ارزغبرغه جنوباً والذي يفصلها عن تشيكوسلوفاكيا . أما حدودها الشرقية التي تفصلها عن پولونيا فتسير من الشمال إلى الجنوب ، وتنطبق على مجرى نهر الأودر ورافده النياسّه ، في حين تكون الحدود الغربية مطابقة للجبهة التي بلغتها الجيوش السوڤياتية في عام ١٩٤٥ . ومن غرائب الصدف أن هذه الحدود الأخيرة الناجمة عن مرحلة حربية تحدّد دولة لا تفتقر للوحدة . فهي تنطبق على بلاد الإلب ، التي كانت ضعيفة التصنيع في عام ١٩٣٩ ، ومأهولة في معظمها بألمان من أتباع المذهب البروتستانتي . وجاء دستور الدولة الاشتراكية ليدعم هذه الوحدة ويزيدها متانة (شكل ١) .

وقد ولدت دولة **ألمانيا الديموقراطية الشعبية** رسمياً بتاريخ ٧ تشرين الأول ١٩٤٩ أي بعد أربعة شهور من نشوء جمهورية ألمانيا الغربية الاتحادية . وكان ذلك خاتمة تطور أوجد دولاً مستقلة في مناطق الاحتلال الحليفة



الشكل (١)

والسوفياتية لبلاد الرايخ التي شُطرت إلى جزأين . وبقي كيان برلين الذي يواجه برلين غربية مع برلين شرقية ، ليذكرنا بوحدة ألمانيا القديمة .

أما من **الناحية السياسية** فإن دستور ١٩٤٩ ينظم « دولة ديموقراطية معادية للفاشية » وهي أول مرحلة من الثورة . أما دستور ١٩٦٨ فيشير إلى المرحلة الثانية وذلك بإعلانه عن « دولة اشتراكية » . وقد اكتمل هذا الدستور

وتعدّل بقانون جديد في عام ١٩٧٤ الذي يحدد « دولة العمال والفلاحين الاشتراكية ... التي تقودها الطبقة العاملة وحزبها الماركسي اللينيني » . وهكذا راحت تتشكل أمة اشتراكية ألمانية في جمهورية ألمانيا الديموقراطية . ويعبر تفوق الحزب الاشتراكي الموحّد الدور القيادي للطبقة العاملة ، كما أن بقاء تعدد الأحزاب يعبر عن التعقيد الاجتماعي في جمهورية ألمانيا الديموقراطية .

أما من **الناحية الاقتصادية** فإن البنية الاشتراكية تكون هي أيضاً متأكدة بشكل واضح :

ـ فترتفع نسبة وسائل الإنتاج التي يملكها الشعب إلى ٩٧ ٪ . أما القطاع الخاص فيقتصر على الحرفيين الأحرار والتجار المستقلين وأعضاء المهن الحرة . وتتجلى هذه الملكية الاشتراكية على شكلين :

١ ـ الملكية الاشتراكية لسائر الشعب والتي تسود في قطاعات الصناعة والمواصلات والتجارة والمصارف .

٢ ـ الملكية الجماعية من النمط التعاوني ، والتي تتمركز على الخصوص في الزراعة والتجارة والصناعة الحرفية .

ـ ويعتبر التخطيط أداة التنظيم الاقتصادي ، وتكون البرامج الخمسية متناسقة من حيث التواقت مع خطط الأقطار الاشتراكية الأخرى ضمن إطار الكوميكون . وابتداءً من عام ١٩٦٦ شددت الخطة الرابعة على النظام الاقتصادي الجديد ، مما يذكرنا بالتدابير التي اتخذت في الاتحاد السوفييتي ضمن إطار الإدارة الجديدة للاقتصاد ، بحسبان الصناعة هي دعامة الاقتصاد .

وبعد أن مضى ثلث قرن من الزمن على إنشاء جمهورية ألمانيا الديموقراطية من لاشيء ، أصبحت اليوم دولة اشتراكية بكل مافي الكلمة من معنى ، وتحتل المرتبة التاسعة بين دول العالم الصناعية ، وهي أكثر دول أوروبا الشرقية ثراءً .

لقد احتفلت جمهورية ألمانيا الديموقراطية في السابع من تشرين الأول من عام ١٩٧٩ **بالعيد الثلاثين لنشوئها** . فقد أصبحت تحتل من الآن فصاعداً مكانة بين الدول الصناعية العشر الأولى في العالم ، وإذا نظرنا إلى العوامل الأساسية فقد كانت هي أيضاً مسرحاً « لمعجزة اقتصادية حقيقية » . فالعامل في مدينة درسدن مثلاً يتمتع بمستوى حياة أعلى بمرتين من العامل المماثل في مدينة كييف الأوكراينية في الاتحاد السوفييتي . ففي خلال ثلاثين عاماً بلغت جمهورية ألمانيا الديموقراطية هدفين أعظمين حددتها لنفسها وهما : اشتراكية وسائل الإنتاج ، وتحسين نظامها الاقتصادي المبرمج .

دليل التجارة الدولية . تشرين الأول ١٩٧٩

مساحتها : ١٠٨٠٠٠ كم٢ أو المرتبة ١٠٢ في العالم .

سكانها : ١٦٧٤٠٠٠٠ نسمة أو المرتبة ٣٧ في العالم (١٩٨١) .

كثافة ١٥٥ نسمة كيلو متر مربع . نسبة التوالد ١٤ بالألف . نسبة الوفيات ١٣,٩ بالألف . نسبة وفيات الأطفال ١٤ بالألف أو عشر الحرائر . الأجل المرتقب ٧٢ سنة . ٧٦ ٪ من السكان في المدن . النمو السكاني ١ بالألف سنوياً .

المساحة الزراعية المفيدة : ٦٢٩١٠٠٠ هكتار أو ٥٨ ٪ من المساحة العامة ، منها الأراضي المزروعة ٤٦ ٪ من المساحة الكلية .

السكان العاملون حسب قطاعاتهم

قطاعات النشاط	السكان العاملون	الدخل القومي
الزراعة والغابات	١٠,٨ ٪	١٠ ٪
الصناعة	٥١,٦ ٪	٧٠ ٪
الخدمات	٣٧,٦ ٪	٢٠ ٪

المدن العشر الأولى في جمهورية ألمانيا الديموقراطية (عام ١٩٧٧)

المدينة	عدد السكان	وفي عام ١٩٦٤
١ ـ برلين	١١١١٣٩٨ نسمة	١٠٧١٤٦٢
٢ ـ لايبزيغ	٥٦٥١٧٨ نسمة	٥٩٥٢٠٣
٣ ـ درسدن	٥١١٢٢٣ نسمة	٥٠٣٨٥٩
٤ ـ كارلماركس ستاد	٣٠٩٤٥٧ نسمة	
٥ ـ ماجدبورغ	٢٨٠٥٧٠ نسمة	٢٦٥١٤١

٦ ـ هالله / ساكس	٢٣٣٠٤٩ نسمة	٢٧٤٤٠٢
٧ ـ روستوك	٢١٩٠٣٥ نسمة	١٧٩٣٥٢
٨ ـ إرفورت	٢٠٦٢٩٣ نسمة	١٨٩٧٧٠
٩ ـ بوتسدام	١٢٣٢١٠ نسمة	١٠٩٨٦٧
١٠ ـ زويكّاو	١٢٢٢٣٤ نسمة	١٢٨٥٠٥

السكان الحضر ٧٦ ٪

السكان الريفيون ٢٤ ٪

المخططات في جمهورية ألمانيا الديموقراطية

المخطط الأول ١٩٥١ ـ ٥٥ : مضاعفة الإنتاج الصناعي بالموازنة مع عام ١٩٣٦ .

المخطط الثاني ١٩٥٦ ـ ٦٠ : تحقيق قواعد الاشتراكية في جمهورية ألمانيا الديموقراطية .

المخطط الثالث ١٩٥٩ ـ ٦٥ : مخطط سباعي للإصلاح والتعديل .

الاقتصاد لا يساير الوتيرة المتسارعة المرسومة .

التنسيق التواقتي بين مخططات جمهورية ألمانيا الديموقراطية مع مخططات الاتحاد السوفييتي وبلاد الكوميكون .

المخطط الرابع ١٩٦٦ ـ ٧٠ : وهدفه تحقيق النظام الاقتصادي الجديد .

المخطط الخامس ١٩٧١ ـ ٧٥ والمخطط السادس ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ : تسارع التنمية بفضل التقدم التقني ، وتسيير أفضل واندماج أكثر اندفاعاً في مجموعة الكوميكون .

نهاية عزلة جمهورية ألمانيا الديموقراطية دبلوماسياً

ـ ٧ تشرين الأول ١٩٤٩ تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية .

ـ ٢٤ حزيران ١٩٤٨ ـ ١٢ آذار ١٩٤٩ حصار برلين .

ـ ١٩٥٠ انتساب جمهورية ألمانيا الديموقراطية إلى الكوميكون .

ـ ٢١ كانون الأول ١٩٧٢ توقيع المعاهدة الأساسية بين جمهورية ألمانيا الديموقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية تعترف بالحدود الغربية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية . أما برلين فلها وضع خاص بين الدول الأربع الكبرى والمتعاقد عليه في ٣ أيلول ١٩٧١ .

ـ ١٨ أيلول ١٩٧١ : قبول جمهورية ألمانيا الديموقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية في منظمة الأمم المتحدة .

ملاحظة : كان عام ١٩٧٢ عام نهاية العزلة الدبلوماسية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية تجاه العالم الغربي .

في ١٩٧١ كان لجمهورية ألمانيا الديموقراطية علاقات دبلوماسية مع ٣٠ دولة .

في ١٩٧٣ كان لجمهورية ألمانيا الديموقراطية علاقات دبلوماسية مع ١٠٠ دولة .

في ١٩٧٨ كان لجمهورية ألمانيا الديموقراطية علاقات دبلوماسية مع ١٢٤ دولة .

البيئة الطبيعية : دولة من أوروبا الوسطى :

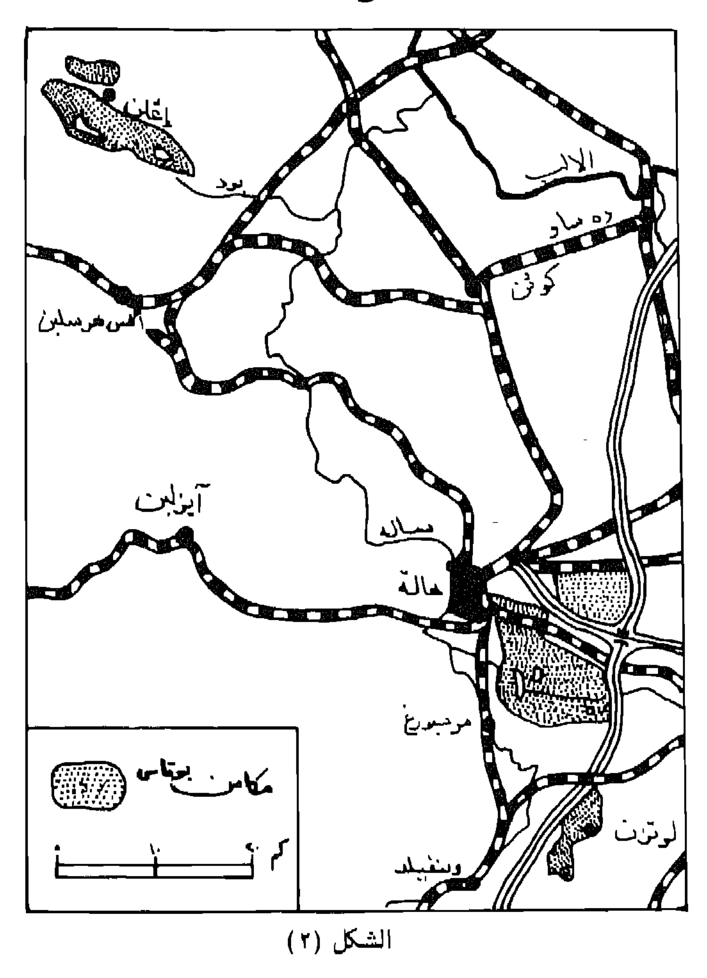
على الرغم من امتلاك جمهورية ألمانيا الديموقراطية واجهة ساحلية تمتد على ٣٥٠ كيلو متر تنفتح من خلالها على بحر البلطيك فإنها تظل مع هذا متوغلة بعمق في مجموع أوروبا الوسطى ، فهي تشترك معها بصفات التضريس والمناخ والترب وبظروفها الاقتصادية .

- **بتضريسها** : ذلك أن جمهورية ألمانيا الديموقراطية تؤلف جزءاً متماً من أوروبا الوسطى ، فهي تملك اثنين من المجالات الثلاثة التي تميز أوروبا الوسطى من الجنوب إلى الشمال .

ففي الشمال يحتل **السهل الجرماني البولوني** ثلاثة أرباع الرقعة الوطنية . وتقدم تقاطيع الأرض هنا ملامح عميقة عن الطابع الذي فرضته الجموديات الرباعية ، وتتصف برتابة كبيرة إجمالياً مع ارتفاع متوسط لا يزيد عن ٢٠٠ متراً . أما من الناحية التفصيلية فنجد أن المورينات الحديثة تميز المناطق الشمالية حيث تنتشر العراقيب البلطية « درروملين » الممتدة من مكلمبورغ إلى پوميرانيا حيث تنتشر التلال ذات البحيرات العديدة التي تتخلّلها . أما السهل الكبير ذو الترب الغضارية القليلة الخصوبة ، فتكون الأودية فيه ذات مرتسم كثير التفرع توجّهها التوضعات المورينية التي تشهد على تقهقر الجموديات ، مثلما تتميز هذه الأودية بقيعانها اللحقيّة (الإطمائية) ذات القاع العريض ، المنبسط ، والمستنقعي . وتستغل المزروعات المتنوعة هذه الفوارق ، وتظل الهضاب الواسعة هي المنظر الأساسي في المشهد الجغرافي .

وإلى الجنوب من ذلك تتوغل جمهورية ألمانيا الديموقراطية **في النطاق الهرسيني من أوروبا الوسطى** ، حيث تتناوب الجبال ذات الأشكال

الثقيلة ، والقليلة الارتفاع ، مع سهول تتمدد فيا بينها . وهي كتل جبلية قديمة ، براها الحتّ[1] ، وتبدو اليوم مغطّاة بالغابات . وهكذا تقتسم جمهورية ألمانيا الديموقراطية هذه المشاهد مع جيرانها مثل مرتفعات الهارز وجبال تورنج (مع ألمانيا الاتحادية) وارزغبرغه (مع تشيكوسلوفاكيا) وتتراكم الثروات المعدنية ، كفحم الليغنيت ، والبوتاس ، والملح الصخري ، عند أقدام هذه المرتفعات في حوضات تتوسط بين مرتفعات تورنج وساكس (شكل ٢) . وتنتشر على سطح



الشكل (٢)

(١) وتقابل كلمة érosion الأجنبية وقد ترجمت إلى تأكّل وتآكل ، وتحات ، وتعرية إلخ ...

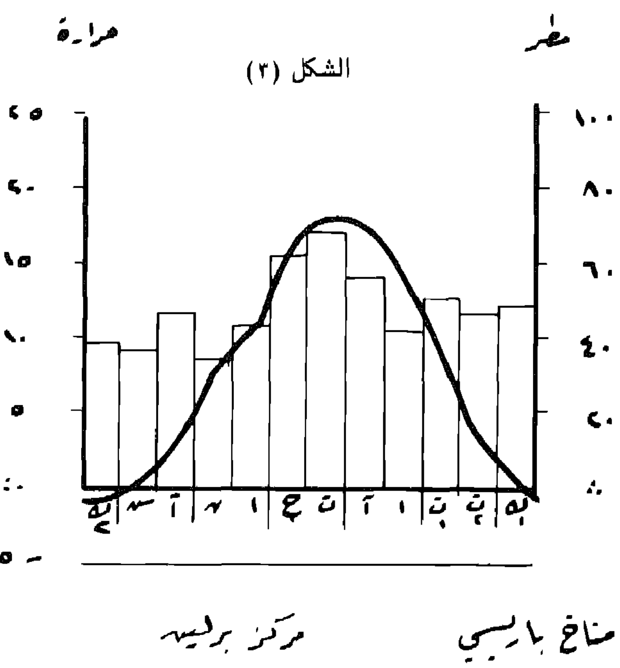
الأرض توضعات اللوس والتي هي امتداد لنطاق البورد Börde الخصيب في ألمانيا الغربية ، وهنا نجد أفضل الأراضي الزراعية جودة وغنى في جمهورية ألمانيا الديموقراطية .

وهكذا يقدم الإطار الطبيعي تضاداً بين الأراضي الزراعية الفقيرة في الشمال وفي الوسط وبين المناطق الجنوبية الأكثر ثراء والمتجهة نحو الصناعات الثقيلة .

وتأتي **المعطيات المناخية** لتوضّح ولتزيد هذا التباين بين الشمال والجنوب ، ذلك أن جمهورية ألمانيا الديموقراطية تخضع لمناخ أوروبا الوسطى المعتدل . ففي بوتسدام ، وهي إحدى ضواحي برلين ، يكون المتوسط الحراري السنوي ٨,٥ درجات (- ٧ في كانون الثاني و ١٨,١ في تموز) ويكون مجموع التهطال السنوي ٥٨٥ مم ويستمر تساقط الثلج ثلاثين يوماً خلال الفصل البارد (شكل ٣) .

تلك هي نتيجة المجابهة بين المؤثرات المحيطية والقارية التي تجعل من أوروبا الوسطى نطاقاً انتقالياً مناخياً واسعاً ، ويكون تصادف الحر الصيفي مع الرطوبة ، وموجات البرد الحادة خلال الشتاء من الملامح القارية . ويؤدي عدم استقرار الجو إلى تطاول الربيع والخريف مما يزيد التفاوتات الحرارية والتهطالية بين عام وآخر وبالتالي يؤدي لنتائج مشؤومة على الزراعة .

وفي مثل هذه الأوضاع تتخذ الفروق المناخية مدلولاً كبيراً ، فهي التي تحدد التضاد بين **الشمال البلطي** الذي يكون بالفعل أكثر اعتدالاً ورطوبة ، وأكثر « بحرية » وبين **السهل الداخلي** الذي يكون وفير الأمطار أيضاً ولكن ذا درجات حرارة أكثر تنافراً ، **وجنوب هرسيني** حيث تكون المرتفعات الباردة والمطيرة مختلفة عن الحوضات الداخلية المحمية والمتمتعة بأوضاع مناخية أفضل .



مناخ باريسي مركز برلين

العرض ٥٢,٢٠ الارتفاع ٥٠م

مجموع المطر السنوي ٥٨٠مم معدل الحرارة السنوي ٨,٥°

مواعيد إزهار أشجار التفاح

- السهل الكبير الداخلي : ٣٠ نيسان إلى ٩ أيار ، تأثير قاري مع تسخن سريع .
- ساحل البلطيك : من ١٠ إلى ١٩ أيار ، تأثير بحري ، وربيع متأخر .
- جبال الجنوب : بعد ١٩ أيار وذلك لتأثير الارتفاع .

فروق مناخية في جمهورية ألمانيا الديموقراطية (من الشمال إلى الجنوب)

المراكز	درجة العرض	الارتفاع أمتار	الحرارة الوسطى	الحد الأقصى	الحد الأدنى	التهطال مم
شويرين	٥٣,٦ شمالاً	٤٠	٨,٦	٢٩,٦	٦ -	٦٤١
بوتسدام	٥٢,٤ شمالاً	٣٦	٩	٣١,٩	٩,٣ -	٦٦٣
كارلماركس ستاد	٥٠,٥٠ شمالاً	٣٠٩	٨,٢	٢٧,٧	١٢ -	٨٦٦

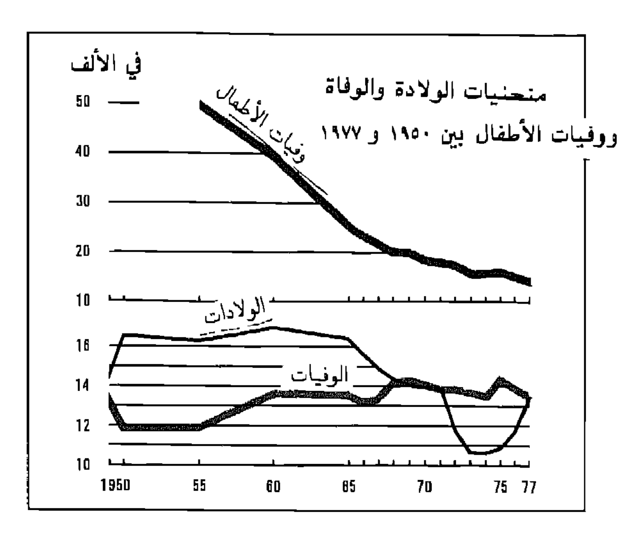
التباين بين الجبال والحوضات الداخلية

المحطة	الارتفاع	الحرارة الوسطى	حرارة كانون الثاني	حرارة تموز	التهطال مم
بروكن (هارز)	١١٥٠ م	٢,٢	– ٤,٥	١٠	١٦٧٨
أرفورت (تورنج)	٢١٩ م	٧,٨	– ١,٦	١٦,٩	٥٢٨

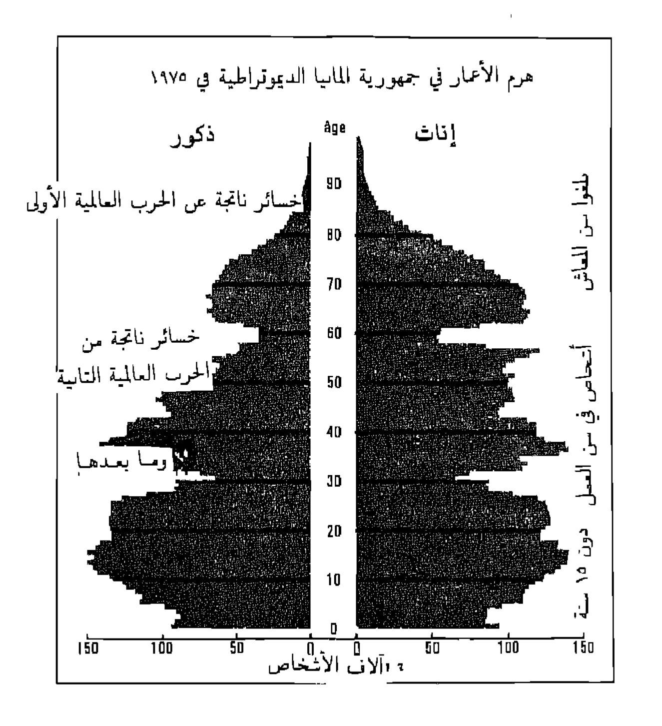
المشكلات السكانية

لقد تطورت مشكلات السكان في جمهورية ألمانيا الديموقراطية منذ ثلث قرن من الزمن . غير أنها لا تزال تحمل طابع الحرب العالمية الثانية التي تمخضت جمهورية ألمانيا الديموقراطية عنها مباشرة .

فشعب ألمانيا الشرقية يحمل علامة الحرب بشكل مباشر ، ذلك أن تبدلات الحدود كانت مصحوبة بنزوح سكاني كثيف . فقد أعيد ضم الأقليات وأصبح سكان جمهورية ألمانيا الديموقراطية اليوم **متجانسين بشكل ممتاز** . ويتعلق التطور الديموغرافي بحركة السكان الطبيعية . وقد كانت **الهجرات** في الواقع جماعية في فترة ما بعد الحرب حتى بناء « جدار برلين » في شهر آب ١٩٦١ . وإذا كانت جمهورية ألمانيا الديموقراطية قد استقبلت ٤٢٤٠٠٠ ألماني ، فقد غادرها ٢,٦ مليون ألماني مستغلّين سهولة الانتقال بين القطاع الشرقي والقطاع الغربي من برلين ، وذلك خلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٠ و ١٩٦١ . وهكذا لوحظ تناقص في مجموع السكان بلغ ٩ ٪ على الرغم من تزايد طبيعي إيجابي بينهم . وقد كان هذا النزيف خطيراً لأنه كان يمسّ على الخصوص البالغين الشبان الذين قامت جمهورية ألمانيا الديموقراطية بتكوينهم المهني ، وكان البعض منهم على مستوى عال . وفي الحقيقة لم ينهض الخط البياني العددي السكاني منذ عام ١٩٦١ إطلاقاً ، لأننا نشهد في الوقت ذاته **انهياراً في التوالد** ، في حين تظل نسبة الوفيات مرتفعة بسبب شيخوخة السكان . وفي قطر كهذا ظل الإجهاض فيه محظوراً عملياً حتى عام ١٩٧٢ فإن هذا التوالد الضعيف (شكل ٤) يكون نتيجة النقص في أجيال الحرب العالمية الثانية (شكل ٥) ، والنقص في عدد الرجال ، وللمكانة الهامة التي تحتلها النسوة في الحياة الاقتصادية ، ولصعوبة التوفيق بين الحياة المهنية والحياة



الشكل (٤)



الشكل (٥)

العائليـة . وقـد أدى تبنّي سيـاسـة تشجيع النسل منـذ وقت قريب إلى تحسّن في نسبة التوالد . وهكـذا لم يتوقف عـدد سكان جمهوريـة ألمـانيـا الـديموقراطيـة عن التناقص منذ ٣٠ عاماً . ويعبر شكل هرم الأعمار الشاذ عن التـاريخ الـديموغرافي المعذّب في هذا البلد .

وقد كان لهـذه المعطيـات انعكاسـاتها على بنـاء اقتصـاد حـديث ضمن إطـار اشتراكي يمنح الأولوية للصناعة .

وهكذا لا تتوقف مكانة المرأة العاملـة عن التوسع ، فهي تمثل ٥٠٪ من السكان العاملين حالياً ، وهناك الكثيرات في كل القطاعات المهنية بل ويسيطرن على نطاق واسع في مجال الخدمات ، وقد أدت هـذه الأفضليـات الاقتصـاديـة إلى تطور في مصلحة أنشطـة القطـاع الثنـائي والثلاثي الـذي يقود إلى ارتفـاع نسبـة التحضّر : لأن ٧٦٪ من الألمان الشرقيين يعيشون في المدن . ويؤدي وضع الإطـار الديموغرافي في هذا البلد إلى **أزمة في الأيدي العاملة الريفية** . وتعبر خارطـة الكثافات بشدة عن هذه الظواهر (شكل٦) . فالمناطق المأهولة كثيراً هي المناطق الصنـاعيـة ذات نسبـة التحضر المرتفعـة ولا سيما إقليم السـاكس وتـورنـج . وعلى العكس فإن المناطق الريفيـة التقليـديـة تظل قليلـة السكان مثل : مكلمبورغ ، پـوميرانيـا الغربيـة ، وقـد عمـل التطـور الاقتصـادي أيضـاً على تعميـق هـذه **المفارقات المكانية** .

وتطبع المميزات النوعيـة الشـديـدة لسكان جمهوريـة ألمـانيـا الـديموقراطيـة بصورة عميقة سائر مشاهد حياة هذه البلاد .

البنية الاجتماعية المهنية لدى السكان العاملين

العمال والمستخدمون بما في ذلك المتدربون	٨٩,١٪
أصحاب التجارة مع مساهمة الدولة	٠,٣٪

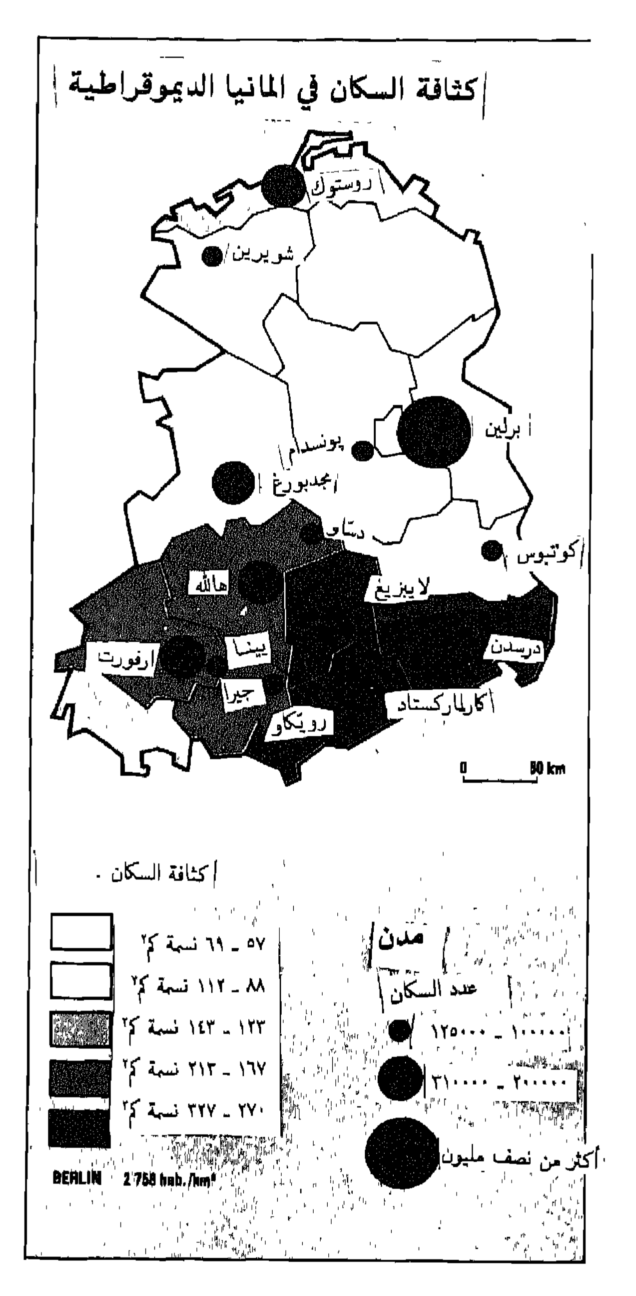
العاملون في البستنة وزراعة الخضار لحسابهم والحرفيون والتجار بالجملة والمفرق (القطاعي) والعمال المستقلون	١,٨٪
أعضاء تعاونيات الإنتاج	٨,٨٪

البنية المهنية

الصناعة	٤٨٪
الزراعة والغابات	١١٪
الخدمات	٤١٪

مكانة النساء في الحياة النشيطة

١٩٦٠	٤٥٪
١٩٧٠	٤٨,٢٪
١٩٧٧	٥٠٪


كثافة السكان في المانيا الديموقراطية
روستوك
شويرين
برلين
بونسدام
مجدبورغ
دساو
كوتبوس
هالله
لايبزيغ
درسدن
ارفورت
ينا
جيرا
كارلماركستاد
رويكاو
0 50 km
كثافة السكان .
٥٧ ـ ٦٩ نسمة كم٢
٨٨ ـ ١١٢ نسمة كم٢
١٢٣ ـ ١٤٣ نسمة كم٢
١٦٧ ـ ٢١٣ نسمة كم٢
٢٧٠ ـ ٣٢٧ نسمة كم٢
BERLIN 2 758 hab./km²
مدن
عدد السكان
١٠٠٠٠٠ ـ ١٢٥٠٠٠
٢٠٠٠٠٠ ـ ٣١٠٠٠٠
أكثر من نصف مليون

الشكل (٦)

المشكلات الزراعية

لقد شهدت دول الديموقراطيات الشعبية في أوروبا الوسطى ، بعد عام ١٩٤٥ ، مشكلات زراعية على قدر كبير من الخطورة ، وقد شملت هذه المشكلات القسم الشرقي من الرايخ الذي ستتشكل منه جمهورية ألمانيا الديموقراطية المتصفة بالملكية الزراعية الواسعة ، فقد كان هناك الكثير من الفلاحين الذين لا يملكون الأرض أو ما يكفي منها . ولهذا كان الاهتمام الأكبر منصرفاً نحو الإصلاح الزراعي .

وقد أخذت عملية الإصلاح الزراعي انطلاقتها منذ عام ١٩٤٥ وذلك قبل نشوء جمهورية ألمانيا الديمقراطية ذاتها . فألغيت الملكيات الكبرى - أي الجونكرز - أي ملكيات الأمراء التوتونيين السابقين ووزعت على فقراء الفلاحين . تلك هي **أول مرحلة** في الإصلاح ، وهكذا أنشئت أول ديموقراطية فلاحية ، مؤلفة من صغار الملاكين الذين كانت ملكياتهم تتراوح بين ٥ و ٢٠ هكتار حسب المناطق ، في حين كانت مزارع الدولة لا تؤلف أكثر من ٦ إلى ٧٪ من رقعة الأرض الزراعية . وبدأت **المرحلة الثانية** في عام ١٩٥٢ وكان الغرض منها هذه المرة تطبيق الاشتراكية على الزراعة لاعتبارات سياسية ، أي لتجنب عودة تكوين رأسمالية الريف ، ولاعتبارات تقنية ، لوجود مكائن غاية في الإتقان والنجاعة ، ولكن الحقول صغيرة جداً ، ولاعتبارات اقتصادية لأن النظام التعاوني يسمح للدولة الإشراف على الإنتاج بشكل أفضل .

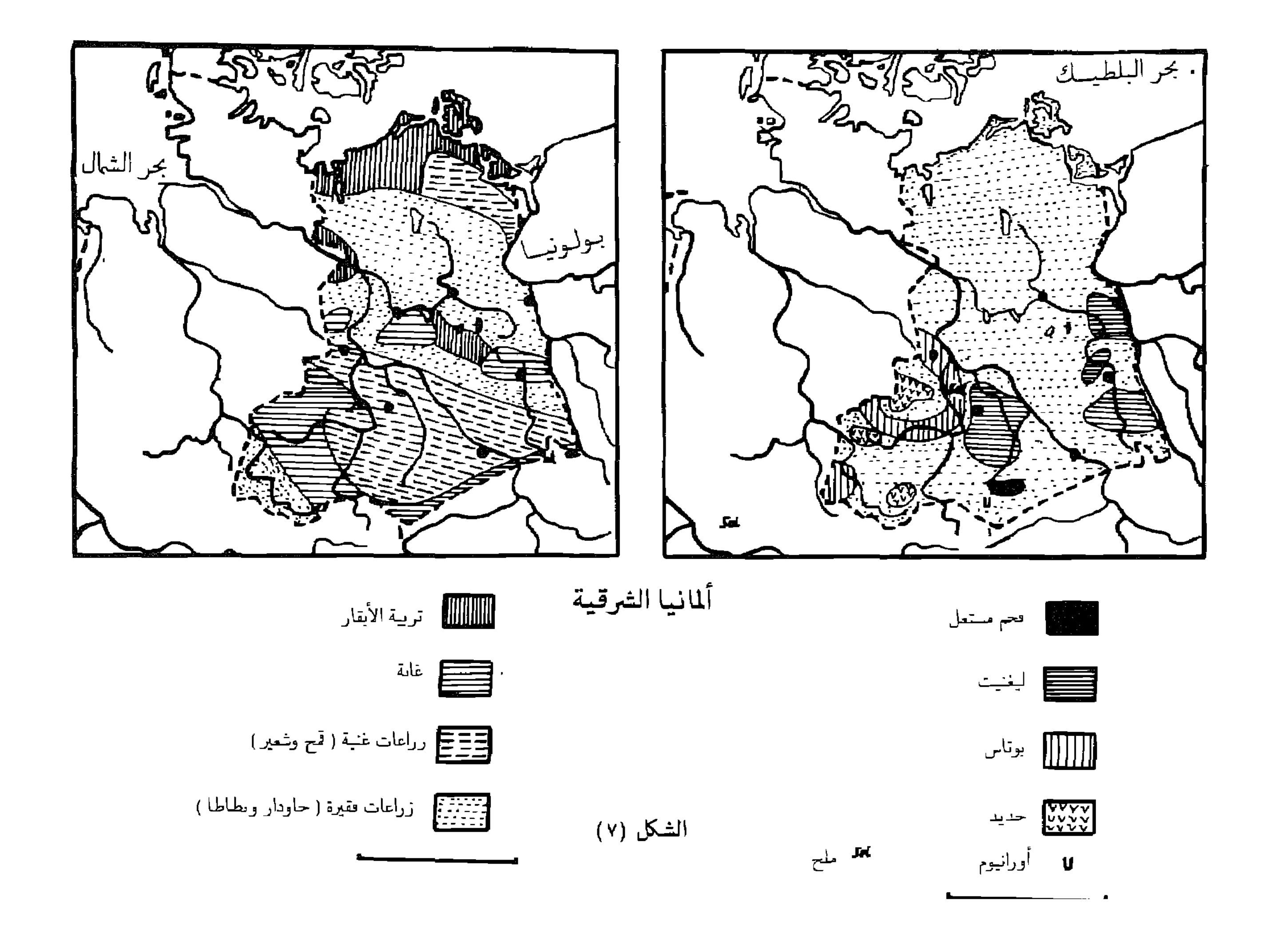
وقد تمخضت هذه الحركة المتمدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ عن نشوء **التعاونيات** المسماة من مستوى ١ و ٢ أو ٣ حسب درجة اشتراكيتها . وأدت إلى

تجميل الأراضي وضمّها ، وأصبحت التعاونيات عبارة عن مستغلات كبيرة تبلغ مساحتها وسطياً ٢٨٠ هكتاراً في ١٩٦٠ كي تبلغ ١٠٠٠ هكتار في ١٩٧٨ واستطاعت أن تقوم باستغلال ٨٦٪ من المساحة الزراعية المفيدة .

وهكذا أصبحت الزراعة مندمجة بقوة في اقتصاد البلاد الاشتراكي . وتستخدم الزراعة ، على غرار الزراعة السوفياتية ، كقاعدة لتراكم الرأسمال الضروري للتصنيع المتسارع .

غير أن **المشكلة الزراعية** لاتزال مع ذلك **مطروحة على صعيد الإنتاج** . فبين ١٩٥٠ و ١٩٧٧ زادت المنتجات الزراعية من ٢٠ إلى ٣٠٪ ، و ٨٠٪ بالنسبة للبذور الزيتية ، مثلما زاد عدد القطيع البقري أربع مرات ، وعدد الخنازير ست مرات . غير أن حصة الزراعة في الاقتصاد القومي هبطت ، إذ تناقصت من ١٥,٥٪ في عام ١٩٦٥ إلى ١٠٪ في ١٩٧٧ . أما فيما يتعلق بالاستقلال الغذائي ، أو الأمن الغذائي ، فقد بلغ اليوم ٨٠٪ . غير أن الميزان التجاري الزراعي الذي كان خاسراً حسبما هو معهود في الماضي اقترب الآن من حد التوازن . وتبذل جهود حالياً لجعل الزراعة « فرعاً من الصناعة » وذلك بالتغلب على العوائق عن طريق زيادة **الإنتاجية** وبالتالي **تكثيف** طرائق الإنتاج ، والمكننة ، واستعمال الأسمدة بشكل كثيف ، واصطفاء الأنواع النباتية والحيوانية ، والاستعانة بالأغذية المركبة للماشية ، والتي سمحت بزيادة المردود ، فبعد أن كان مردود الحبوب ٢٦ كنتالاً بالهكتار في الستينات ارتفع الآن إلى ٣٥ كنتالاً مقابل ١٠ وسطياً في العالم العربي . ويذهب **تمركز التعاونيات** في الاتجاه ذاته . ويكون هذا مصحوباً بتقسيم **وبتخصّص العمل** . فهناك تعاونيات لتحسين التربة ، وأخرى لصيانة الأدوات الزراعية ، ومراكز زراعية وكيماوية وأخيراً ومنذ ١٩٧٦ ، تعاونيات زراعية صناعية (شكل ٧) .

وهكذا أصبحت الأرض « مصنعاً للإنتاج » تندمج دوماً أكثر فأكثر في مجموع


بحر البلطيك
بحر الشمال
بولونيا
ألمانيا الشرقية
فحم مستعل
ليغنيت
بوتاس
حديد
أورانيوم
ملح
تربة الأبقار
غابة
رراعات غنية (قمح وشعير)
زراعات فقيرة (حاودار وبطاطا)

الشكل (٧)

الاقتصاد ، ويأتي تقارب أنماط الحياة لدى القرويين من الحضر ليقدم شاهداً آخر على ذلك .

أسباب عديدة للضائقة الزراعية : لاتزال الأرضيّة الزراعية واسعة نوعاً ما لأن ٥٨٪ من رقعة الأراضي قابلة للزراعة ولكنها فقيرة : ونطاق البورد Börde هو وحده الذي يقدم أراضٍ غرينية غنية . وتكون الشروط المناخية قاسية : ويشهد شتاء عام ١٩٧٨ ـ ٧٩ على ذلك والذي تسبب في محاصيل رديئة . ويضاف إلى ذلك مشكلات تقنية بالنسبة للأيدي العاملة . فقلة العاملين في الصناعة يجعل الأرض خزاناً يستمد منه اللازم ، ومن ذلك تناقص مستمر في عدد العاملين في الزراعة .

المساحة الزراعية المفيدة في عام ١٩٧٧

٦٢٩١٢٠٠	هكتار أو ٥٨٪ من المساحة الكلية
منها ٨٦٪	تستغل من قبل التعاونيات
و ٩٪	تستغل من قبل مرارع الدولة
و ٥٪	من قبل مرارعين مستقلين

العاملون في الزراعة بالآلاف

١٩٤٩	٢٥٠٠٠٠٠ نسمة
١٩٥٠	٢٢٤٢٠٠٠ نسمة
١٩٦٠	١٣٠٤٠٠٠ نسمة
١٩٧٨	٨٦٧٠٠٠ نسمة

الاشتراكية الزراعية

حصة المساحة الزراعية المفيدة التي يستغلها المزارعون الاشتراكيون

السنة	النسبة ٪	السنة	النسبة ٪
١٩٤٩	٥,١	١٩٦٥	٩٣,٩
١٩٥٠	٥,٧	١٩٧٠	٩٤,٢
١٩٥٥	٣٧,٣	١٩٧٥	٩٤,٦
١٩٥٩	٤٨,٣	١٩٧٧	٩٤,٧
١٩٦٠	٩٢,٥		

التركيب الاجتماعي للسكان العاملين في الزراعة عام ١٩٧٧

٨٧٣٥٠٥ عاملاً منهم ٦٨٪ في القطاع التعاوني

٣١٪مأجورون من الدولة

١٪مستقلون

تطور الحركة التعاونية

السنة	عدد التعاونيات	المساحة الزراعية المفيدة بآلاف الهكتارات
١٩٥٢	١٩٠٦	٢١٨
١٩٥٥	٦٠٤٧	١٢٠٣,٨
١٩٦٠	١٩٣١٣	٥٤٠٨,١
١٩٦٥	١٥١٣٩	٥٤٥٥,٢
١٩٧٠	٩٠٠٩	٥٣٩٢,٤
١٩٧٥	٤٦٢١	٥٤٠٥,٦

تطور المنتجات الزراعية

	آلاف الأطنان			آلاف الوحدات		
السنة	الحبوب	منها قمح	بطاطا	شوندر سكري	أبقار	خنازير
١٩٥٥	٣٠٤١	٤٩٥	٣٤٣٠	٤٩١٤	٣٧٩٣	٨٣٦٧
١٩٦٥	٢٢٢٠	٦٠٣	٣٨٢٠	٥٣٨٩	٤٦٨٢	٨٧٥٩
١٩٧٠	٢٤٧٨	٨٢٧	٤٥٥٤	٥١٢٥	٥١٧١	٩١٩٨
١٩٧٥	٢٩٤٠	٩٧٦	٤٦١١	٦٢٧٥	٥٥٨٥	١١٥١٩
١٩٨١	٨٩٤٦	٣٢٢٦	١٠٥٠٠	٧٩٨٠	٥٧٧٢	١٢٨٧١

المردود بالكنتال/هكتار

	حبوب	شوندر سكري	بطاطا
١٩٤٩	١٨	١٧٦	١٤٢
١٩٧٧	٣٥	٣١٩	١٧٦

الإنتاجية

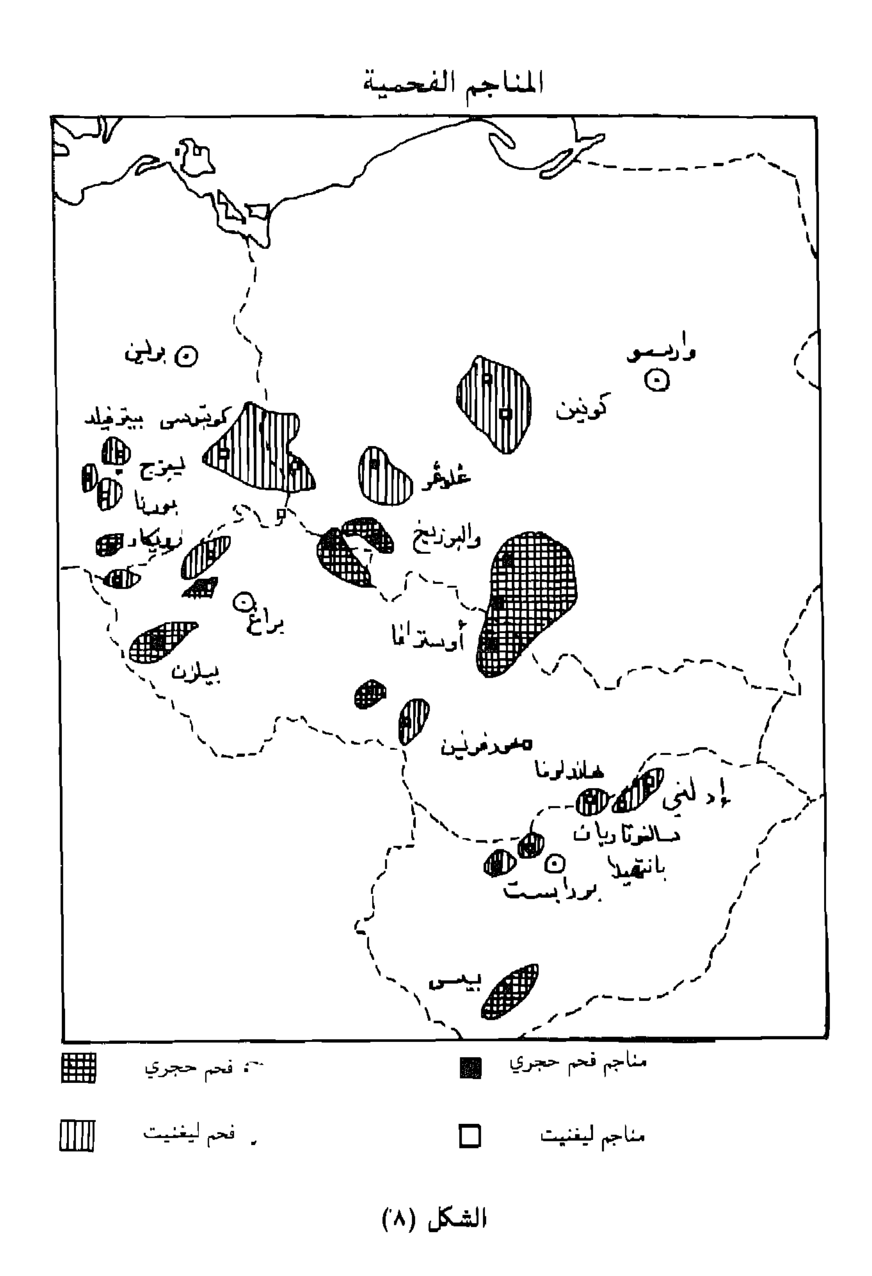
الأشغال الضرورية لإنتاج ١٠٠ كغم من الحبوب

١٩٥٠	في المستغلات العائلية	٦ ساعات
١٩٦٥	في المستغلات التعاونية	٢ ساعتان
١٩٧٨	في المستغلات المتصنّعة	٠,٥ ساعة

المشكلات الصناعية

تشكل الصناعة الطليعة المتقدمة بين أوجه النشاط النشاط المختلفة في الجمهورية الديمقراطية الألمانية ، وهي التي جعلتها أفضل دول أوروبا الشرقية من حيث ارتفاع سوية المعبشة . فهي توفر العمل لحوالي ٤٨٪ من القوى العاملة وتقدم ٦٠٪ من الدخل القومي .

غير أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية فقيرة في مصادر الطاقة التقليدية . فالطاقة الكهرمائية الكامنة ضعيفة جداً كما أن التقسيم السياسي لم يترك لألمانيا الشرقية أكثر من حوض فحمي صغير ، هو حوض زويكّاو عند السفوح الدنيا لمرتفعات ارزبيرغه الذي يتجه حالياً نحو التقهقر ، وبعض جيوب بترولية عند الحدود البولونية . **وفي مقابل ذلك تكون جمهورية ألمانيا الديمقراطية غنية بالليغنيت** : فقد أصبح هذا الفحم الثلاثي ، رغم انحطاط نوعيته ، قاعدة الحياة الصناعية (شكل ٨) ، فأوجد اقتصاد ليغنيت حقيقي « الذهب الأسمر » وجعل ألمانيا الشرقية أول دولة منتجة له في العالم . ولما كان على عمق قليل ، فإن استخراجه ، الذي يتم دائماً من مقالع مكشوفة ، في ثلاثة أحواض هي : الساكس ، لوزاس ، براندبورغ ، يكون دائماً قليل الكلفة وآلياً . ويستهلك خمس إنتاجه في إنتاج الكهرباء الحرارية في مراكز جبارة واقعة فوق الأحواض ذاتها . وكان الاكتشاف العظيم هو الذي حدث في عام ١٩٥١ والذي سمح بتحويل فحم الليغنيت إلى فحم كوك صالح للاستعمال في الصناعة المعدنية ، وهكذا أصبح معمل الكوك العملاق في لوشامّر Lauchammer الواقع على مسافة ٥٠ كيلومتراً شمال درسدن يسمح بنمو صناعة حديدية وصناعية معدنية في ألمانيا الشرقية . وكان الوقود الصلب يوفر في عام ١٩٦٠ مقدار ٧٥٪ من استهلاك

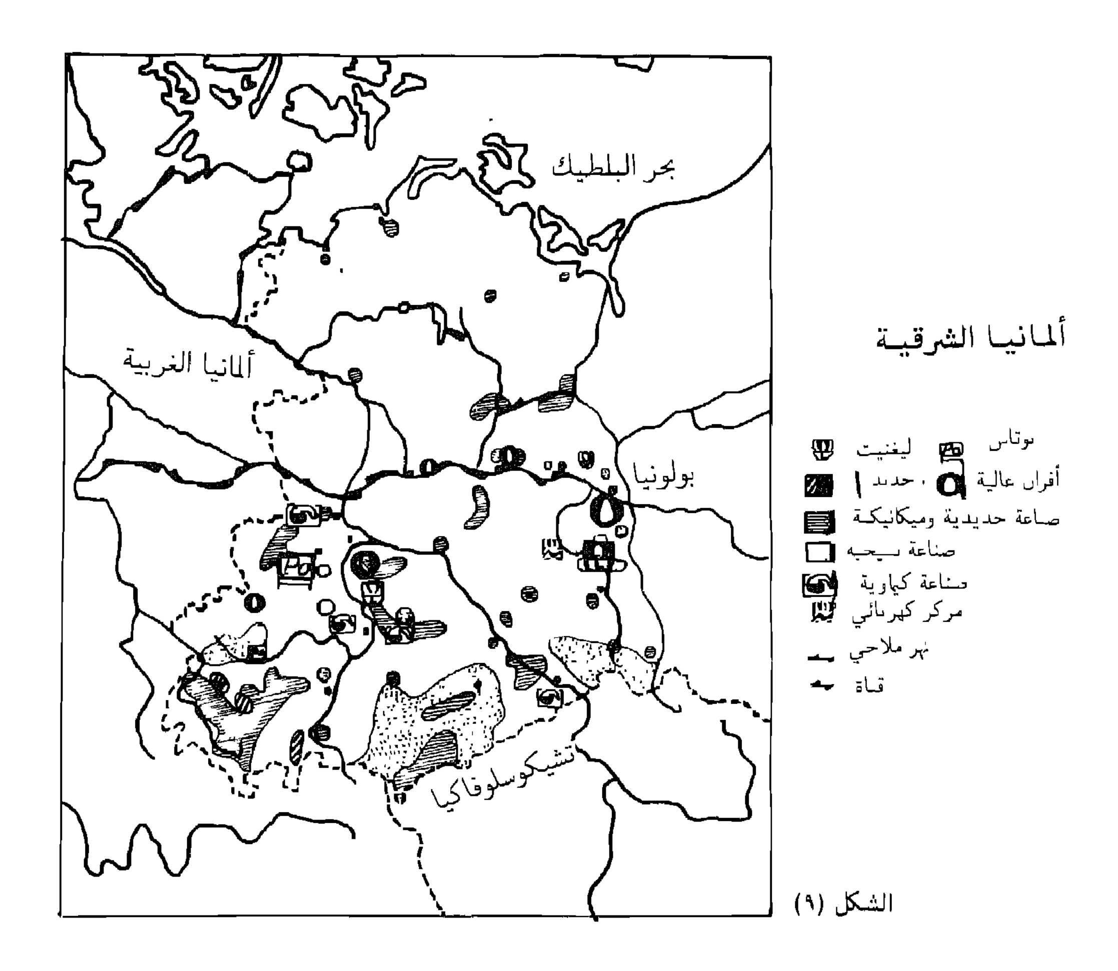

المناجم الفحمية
وارسو
كونين
براغ
أوستراوا
بيلزن
بودابست
بيس
فحم حجري
مناجم فحم حجري
فحم ليغنيت
مناجم ليغنيت

الشكل (٨)

الطاقة . وهكذا طرحت **مشكلة إعادة تكييف الطاقة** . فالاتحاد السوفييتي يقدم الوقود السائل الضروري ولكن أزمة النفط المعاصرة جعلت تبعية جمهورية ألمانيا الديمقراطية ثقيلة الوطأة ، لأن الاتحاد السوفييتي يقدم البترول بمقادير محدودة وبأسعار تواكب الأسعار العالمية . وهكذا أصبح على جمهورية ألمانيا الديموقراطية أن تبحث عن مصادر تموين أخرى ، وأن تطور برنامجاً نووياً وأن تقتصد في الطاقة . وهكذا كان نمو الإنتاج الصناعي في عام ١٩٧٩ بمقدار ٥,٥٪ مع زيادة في الطاقة لا يزيد عن ١,٧ .

صعوبة الانتقال من صناعة تجهيزية إلى صناعة متنوعة : لقد حظيت الصناعة التجهيزية بالأفضلية من خلال المنظور الاشتراكي ، ذلك لأن هذه الصناعة تمثل ثلثي صناعة ألمانيا الديموقراطية ، سواء من حيث عدد العاملين فيها أو من حيث قيمة منتجاتها : فالصناعة الحديدية تبدو متواضعة ، في حين تشهد الصناعة المعدنية غير الحديدية نهضة حالية مما جعل ألمانيا الشرقية ثامن دولة منتجة للنحاس ، وفي مقابل ذلك تكون الصناعة الكيماوية والصناعات الميكانيكية والكهركيماوية من أكثر الفروع الصناعية نمواً ، ويتجه التطور الحالي نحو تحديث أكثر تقدماً . وقد بلغت الأتمتة الصناعية نسبة ٤٣٪ في عام ١٩٧٧ بعد أن كانت ٣٣٪ في عام ١٩٧٠ مما سمح بزيادة الإنتاجية ، وبالتالي إمكانية مواجهة الافتقار للأيدي العاملة ، لأن ٦٠٪ من نمو الإنتاج يعود إلى تحسين الإنتاجية . وتظل النوعية الاهتمام الآخر في الوقت الحاضر لأن عليها أن تسمح بمواجهة المنافسة في الأسواق الخارجية ، وقد وصلت إلى ذلك بصورة تدعو للدهشة في مختلف المجالات ، كالبصريات والألعاب .

وتضطر جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، شأن الدول الصناعية الكبرى الأخرى ، إلى زيادة صادراتها على حساب استهلاكها الداخلي . وذلك للتصدي للمشكلات التي تطرحها أزمة الطاقة المعاصرة (شكل ٩) .



الشكل (٩)

العوائق العديدة في وجه الصناعة : لقد كان هذا الجزء الترقي من ألمانيا قبل الحرب العالمية التابية قليل التصنيع ، باستثناء صناعات الدقة ولا سيا البصريات ، وفضلاً عن ذلك كانت المعارك ضارية جداً في ألمانيا الشرقية مما أدى إلى تخريبات شديدة ، زادها استفحالاً قيام السوفيات بتفكيك المصانع ونقلها لبلادهم . وفي عام ١٩٤٦ كان الإنتاج الصناعي لا يزيد عن ٤٢٪ مما كان عليه في سنة ١٩٣٦ . وكانت الإدارة الاشتراكية تتمثل في إقامة دولة صناعية جديدة إلى جانب تنمية صناعية منهاجية ترمي لإعطاء الدولة الجديدة حقيقتها الاقتصادية . ولكن جمهورية ألمانيا الديموقراطية أصبحت مقطوعة عن قواعدها الصناعية في الغرب كالرور . وبلاد نهر الرين . وهكذا قامت صناعة من لا شيء .

النهضة الصناعية (١٠٠ قرينة ١٩٦٠)

١٩٥٠	٣٤	١٩٧٠	١٨٣
١٩٥٥	٦٥	١٩٧٥	٢٤٩
١٩٦٠	١٠٠	١٩٧٨	٢٩٠
١٩٦٥	١٣٣		

حصيلة الطاقة (اقتصاد قائم على فحم الليغنيت)

	الفحم	البترول	الغاز	الكهرباء
١٩٦٠	٪٧٥,٧	٪٧,٨	٪٩,٣	٪٧,٢
١٩٧٥	٪٦١,٢	٪١٩,٣	٪٧,٨	٪١١,٧

قائمة الإنتاج في عام ١٩٨١

الأمثلة	المكانة أو الصفة
الليغنيت ٢٦٠ مليون طن	الدرجة الأولى في العالم
الكهرباء ٨,٨ مليار ك و س	٩٩٪ منها من أصل حراري
فولاذ ٧,٤ ملايين طن	الدرجة ١٨ في العالم
سيارات سياحية ١٨٠٠٠٠	الدرجة ١٥ في العالم
سيارات نفعية ٤١٤٠٠	الدرجة ١٦ في العالم

المبادلات الخارجية

لقد كان **نمو المبادلات الخارجية** متوازياً مع النهضة العامة في اقتصاد ألمانيا الشرقية . فمنذ عام ١٩٥٠ زادت قيمة تجارتها عشر مرات . ففي البداية كان على جمهورية ألمانيا الديموقراطية أن تستورد المواد الأولية ، ومصادر الطاقة ، وأدوات التجهيز الضرورية لبناء صناعتها الخاصة . أما اليوم فقد تحولت ألمانيا الديموقراطية إلى ورشة صناعة تحويلية جبارة ، إذ أصبحت ثلاثة أرباع صادراتها تتألف من مكائن صانعة ووسائل نقل ، وسلع التجهيز ، التي تدعى سلع الاستهلاك الدائم . غير أنها تثابر على استيراد مواد أولية ومصادر الطاقة التي تفتقر إليها والتي تؤلف ٤٠٪ من قيمة مجمل استيرادها . وهكذا تتصرف جمهورية ألمانيا الديموقراطية كبلد صناعي يشتري منتجات خام ويبيع منتجات مصنوعة . ويؤدي تطور الاقتصاد الدولي الذي يرفع من سعر المستوردات إلى سياسة تنمية في الصادرات . ويظهر أن على التجارة الخارجية ، التي أصبحت تمثل ٢٠٪ من الدخل القومي في ألمانيا الشرقية ، أن تستمر في نموها .

وتحقق الأقطار الاشتراكية أكثر من ٧٠٪ من التجارة الخارجية مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية : وتأتي البلدان أعضاء جماعة الكوميكون في طليعتها حيث تحقق ثلثي المبادلات ، ويكون وزن الاتحاد السوفيتي حاسماً لأنه يشكل ٣٦٪ من مجموع التجارة الخارجية ، وإذا كان تفوق التجارة مع أقطار الشرق يعبر بالطبع عن اختيار سياسي فهو يشكل أيضاً حقيقة اقتصادية ، فمنذ عام ١٩٧١ كان برنامج بوخارست الرامي إلى « تعميق ، واتقان ، وتعاون ، وتنمية » يجنح نحو اندماج اشتراكي دولي مندفع أكثر فأكثر ضمن إطار تقسيم دولي اشتراكي للعمل . ويؤدي التطور الداخلي في كل من هذه الأقطار الأعضاء في

الكوميكون إلى تقوية هذا المنظور . ويشجع التقدم الصناعي لكل من هذه البلدان على المبادلات بالتوازي مع الوزن الاقتصادي لبلدان الكوميكون التي توصلت إلى تقديم ثلث الإنتاج الصناعي العالمي . وهكذا تجد جمهورية ألمانيا الديموقراطية في الشرق شركاء متوائمون أكثر فأكثر مع حاجاتها وكذلك مع أسواقها . ويأتي التنسيق بين المخططات وإقامة المصرف الدولي للاستثمارات ، والمنظمات الدولية الاشتراكية التي توحّد المنتجات مثل : منظمة الذرة الدولية ، والنسيج الدولي والكهرباء الدولية ، وأخيراً ضرورة تبنّي سياسة طاقيّة مشتركة فوق ركيزة صلبة ، أقول تأتي كل هذه لتقوية المبادلات بين جمهورية ألمانيا الديموقراطية ودول كتلة الكوميكون والتي أصبحت تؤلف ألمانيا الشرقية ضمنها الورشة الأكثر فعالية وبصورة متزايدة .

وبالتوازي مع ذلك راحت المبادلات مع الغرب تتزايد اتساعاً :

فمنذ ١٩٦٠ أصبحت المبادلات مع الأقطار الصناعية الرأسمالية تتزايد من حيث الحجم بمقدار الضعف كل خمسة أعوام ، أما من حيث القيمة فهي تمثل ما بين خمس وربع التجارة الخارجية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية . ولكن استناداً إلى تعبير أريك هونيكر ، رئيس مجلس وزراء الدولة ، فإن هذه التجارة هي «**شارع وحيد الاتجاه**[1] » فالمبادلات تظل تشكو من العجز بانتظام ، كما جاء التطور الحالي في أسعار مصادر الطاقة والمواد الأولية ، والغلاء التضخمي في المنتجات الصناعية الغربية ، أقول جاء ليزيد في هذا الاتجاه نحو العجز في الميزان التجاري . كما أن **اتفاقات التبادل** بين جمهورية ألمانيا الديموقراطية وأقطار الغرب تتجه نحو التقهقر . أما الانفراج السياسي الدولي ، كاتفاقات هلسنكي في عام ١٩٧٥ ، ومرونة المعاملات التجارية ، فلن تستطيع أن تشكل تعويضاً كافياً .

---

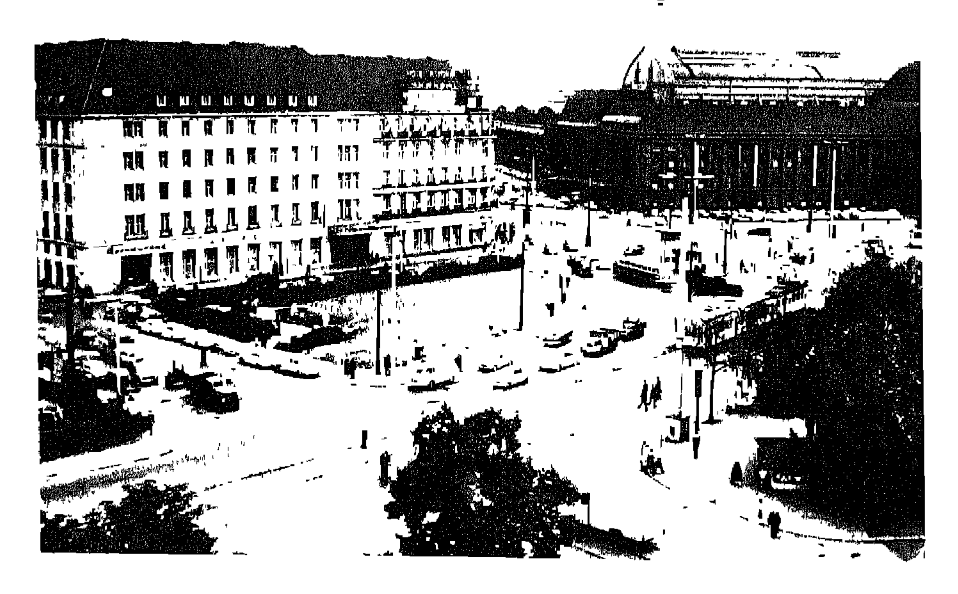
(١) هذا باستثناء المبادلات بين جمهوريتي ألمانيا الغربية والشرقية ، وهي الأكثر أهمية ، والتي تعتبر متوازنة على الأمد الطويل .

لقد أدى النمو الاقتصادي في جمهورية ألمانيا الديموقراطية إلى نهضة عظيمة في **المبادلات الخارجية** ، والتي تبدو اليوم مدفوعة بعاملين متناقضين ظاهرياً : فمن ناحية هناك اندماج مندفع أكثر فأكثر ضمن إطار الكوميكون ، هذا بالتوازي مع علاقات متنامية مع أقطار العالم الغربي ، وأخيراً فإن العلاقات مع الغرب تبدو أمراً لا مندوحة عنه ، ولكنها عسيرة باعتبار الالتزامات التي تشدها لتنمية المبادلات مع الأقطار الاشتراكية .

تجارة خارجية متنامية بمليارات الماركات

١٩٥٠	٣,٧
١٩٦٠	١٨,٥
١٩٧٠	٣٩,٦
١٩٧٧	٩١,٧
١٩٨٠	١٢٠

وبلغت قيمة صادراتها في عام ١٩٨٠ مبلغ ٥٧,١ مليار مارك وكانت تتألف من مكائن وتجهيز ووقود ومنتجات كيماوية . وبلغت مستورداتها في السنة ذاتها ٦٢,٩ مليار مارك وكانت تتشكل من فحم كوك ، بترول من الاتحاد السوفيتي ، ومواد صناعة ، ومواد غذائية .



مدينة لايبزيغ : فندق أستوريا والمحطة الرئيسية

الصورة (١)

پولونيا

يستنـد استمرار بقـاء پولونيـا على وجود **قوميـة** سـلاڤيـة ، وكاثـوليكيـة ، تتمحور حول نهر الڤستولا ، وانصهرت في بوتقـة تـاريخ مـأسـاوي . وقـد اشتقت عبارة « پولونيا » أو « پولند بـالإنكليزيـة » و « پولسكا » في اللغـة المحليـة ، من كلمة « پولييه » أي سهل ، لأن مشاهدها الطبيعية توحي بالآفاق الواسعة الممتدة في أوروبـا الوسطى ، والممتـدة بين الكتل الجبليـة القـديـة في الجنـوب وبين بحر البلطيـك ، ولكن تفتقر لأي تخم طبيعي سـواء من الشرق أو من الغرب . ونظراً لحرمـان الأقـوام الپـولـونيـة ، التي تفصـل الجرمـان عن السـلاڤ ، فقـد خضعـوا **لتقلبات تاريخية** لانهاية لها (شكل ١) .

وبعد أن سيطرت الدولـة الپولونيـة في القرن الســادس عشر على البرزخ الجغرافي الممتـد من بحر البلطيـك إلى البحر الأسود تعرضت للضعف بسبب طيش الطبقـة النبيلـة الفـوضـويـة ، فتـلاشت من الخارطة السياسية في عـام ١٧٩٥ وتوزعت أراضيهـا بين پروسيـا والنمسـا وروسيـا . ولكنهـا انبعثت من جديد في عام ١٩١٩ ولكن سرعان ماوقعت بين النازيـة الجرمـانيـة وبين الشيوعيـة الروسيـة ، وعـانت الأمرين من ويلات حرب ١٩٣٩ ووجـدت نفسهـا في ١٩٤٥ وقـد زحـزحت نحـو الغرب بسبب الحـدود الجديدة ، وتبنت اقتصاداً من نمط اشتراكي على غرار الاتحاد السوڤييتي[1] .

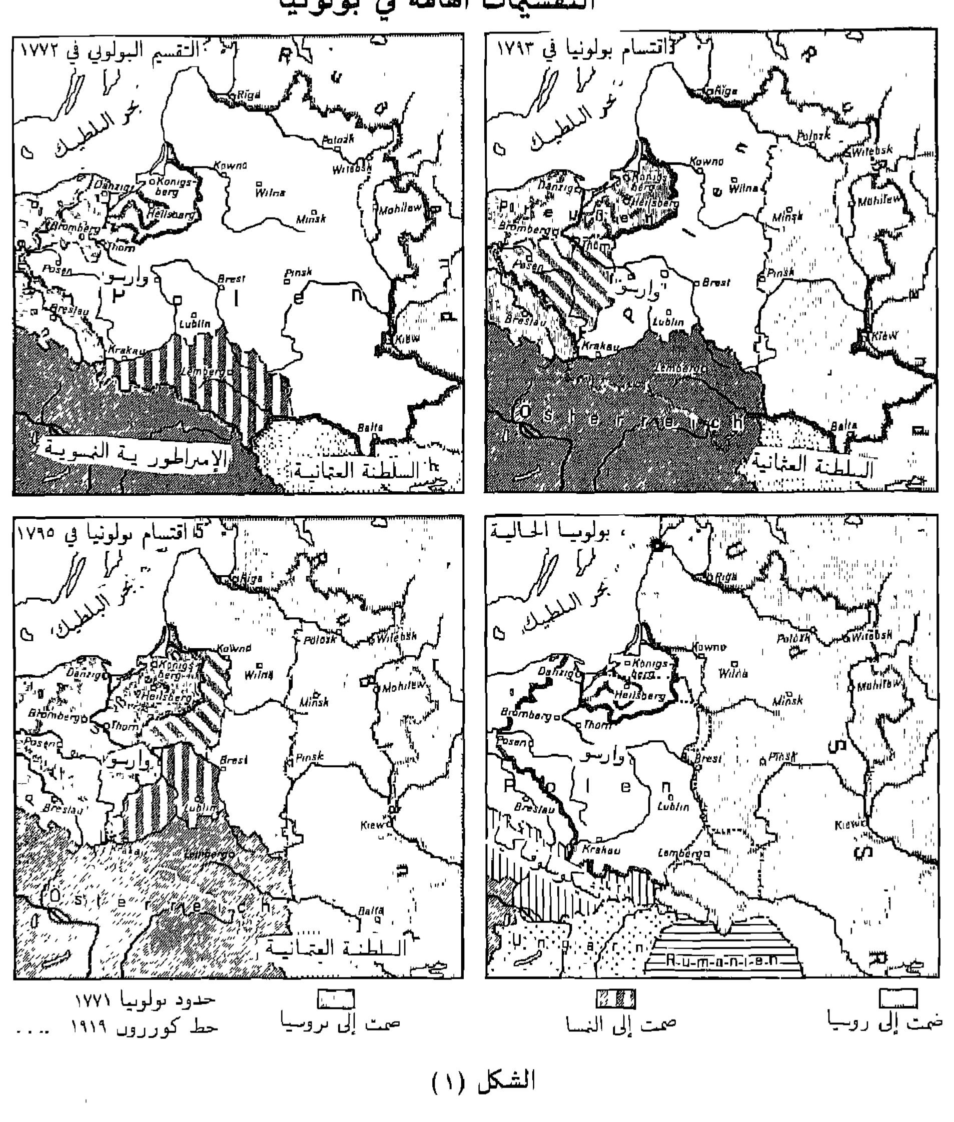
---

(١) نذكر كتال عن التخريب مالحق بالعاصمة فارسوفيا :

بلغ عدد القتلى في العاصمة وحدها ٢٠٠٠٠٠ قتيل وحجم أنقاض الأبنية المتهدمة ٢٠ مليون متر مكعب :

جسور الطرق والخطوط الحديدية	١٠٠٪	شبكة خطوط الترامواي	٨٥٪
المؤسسات الصناعية	٩٠٪	الترامواي	٨٥٪
المتاحف والمستوصفات	٩٠٪	تمديدات الغاز	٤٦٪
الأبنية الأثرية	٩٠٪	شبكة المياه	٣٠٪

التقسيمات الهامة في بولونيا

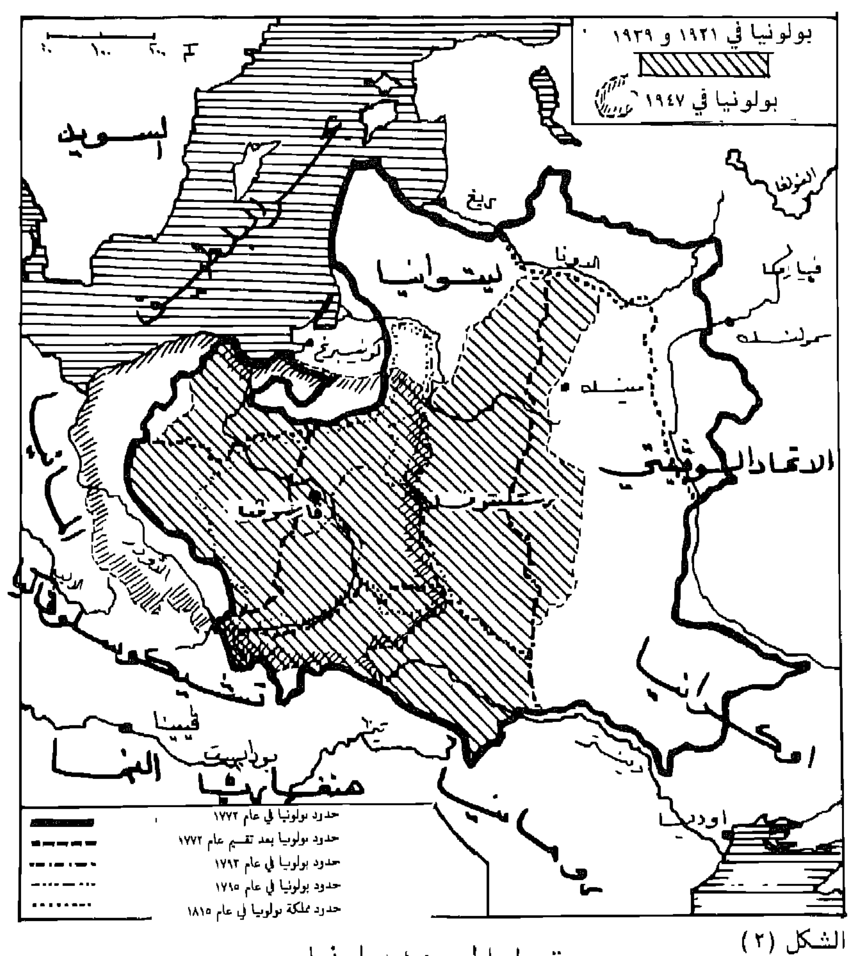


الشكل (١)

=			
مسارح ودور سيما	٩٥٪	كسوة الشوارع	٣٠٠٪
عمارات سكنية	٧٢٪	اشجار الحدائق العامة	٦٠٪
مدارس ومعاهد عليا	٧٠٪		

أولاً : شكل پولونيا الحالية

تبدو پولونيا الحالية ، التي تكون أصغر رقعة من عـام ١٩٣٩ ، أفضل تمـاسكاً من الماضي بسبب حدودها الأكثر انتظاماً ، وبسكانها الأكثر تجانساً ، وباقتصادها المتنامي الأفضل توازناً (شكل ٢) .



الشكل (٢)

تبدل الحدود : بولونيا

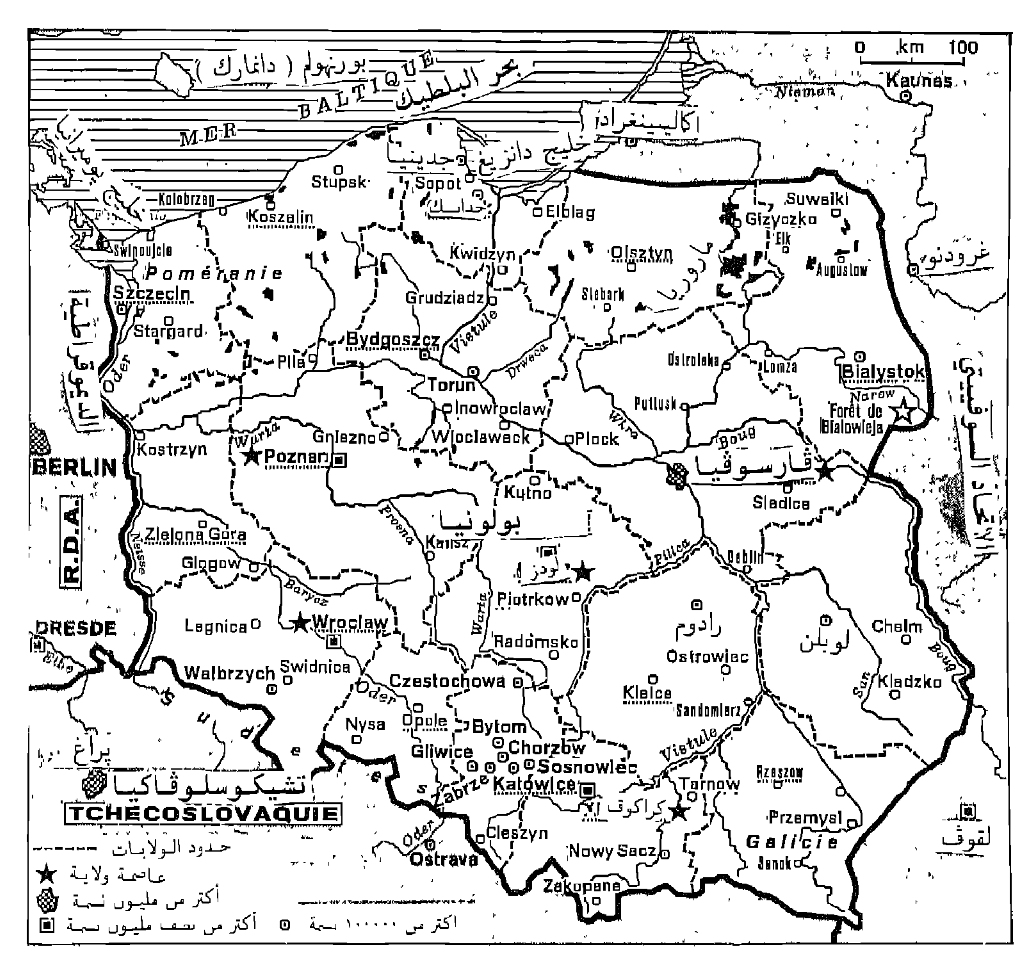
إطار أصغر رقعة : لقد انكمشت رقعة پولونيا التي كانت تمتد على مساحة ٣٩٠٠٠٠ كم٢ في عام ١٩٣٩ إلى ٣١٢٠٠٠ كم٢ في شهر آب ١٩٤٥ ، بعد أن تخلت للاتحاد السوڤييتي عن حوض الپريپيت والدنيستر في الشرق ، واللذين تعوّضا جزئياً بضم قسم من پروسيا الشرقية في الوسط ، ومقاطعة بومروز (پوميرانيا) حتى الأودرا (الأودر) وسيليزيا حتى نهر نيزا (نييسّه) في الغرب ، وقد نتج عن هذه التعديلات زحزحة حدودها لمسافة ٣٠٠ كم باتجاه الغرب (شكل٣) .

التعديل الديموغرافي

لقد ارتفع عدد سكان پولونيا في عام ١٩٣٨ إلى ٣٥ مليون نسمة وكان يتشكل ثلثهم حينذاك من عناصر أجنبية : ألمان في الغرب ، وأوكرايِنيين ، وروس بيض ، وليتوانيين في الشرق ، ومن يهود في المدن . ولقد نتج عن زحف الألمان في عام ١٩٣٩ ثم عن تراجعهم في ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ فناء ستة ملايين من سكان البلاد . وفي ١٩٤٥ تخلصت بولونيا من سلاف الأراضي الشرقية في مقابل مليوني بولوني نزحوا نحو بولونيا الجديدة . أما في الغرب فلم تكن الأراضي التي انتزعت من ألمانيا تضم في عام ١٩٣٨ أكثر من مليون بولوني مقابل ٨,٥ ملايين ألماني غادر آخرهم هذه المنطقة في عام ١٩٤٦ باتجاه ألمانيا الديموقراطية .

وهكذا وعلى الرغم من عودة معظم البولونيين من سكان أوروبا الوسطى إلى وطنهم ، فقد نتج عن ارتفاع عدد القتلى خلال الحرب والهجرات بعدها إلى تقليص عدد سكان بولونيا إلى ٢٤ مليون نسمة في عام ١٩٤٦ . ولكن كان في مقابل ذلك تكوين **سكان متجانسين في حالة نمو متصاعد** كما يدل على ذلك الجدول التالي :

السنة	النمو الطبيعي	نسبة التوالد بالألف	نسبة الوفيات بالألف	عدد السكان بالملايين
١٩٤٦	١١	٢٥	١٤	٢٤
١٩٦١	١٣	٢٠,٧	٧,٦	٣٠
١٩٧٧	١١	٢٠	٩	٣٥,١
١٩٨١	٩,٧	١٨,٩	٩,٢	٣٥,٩

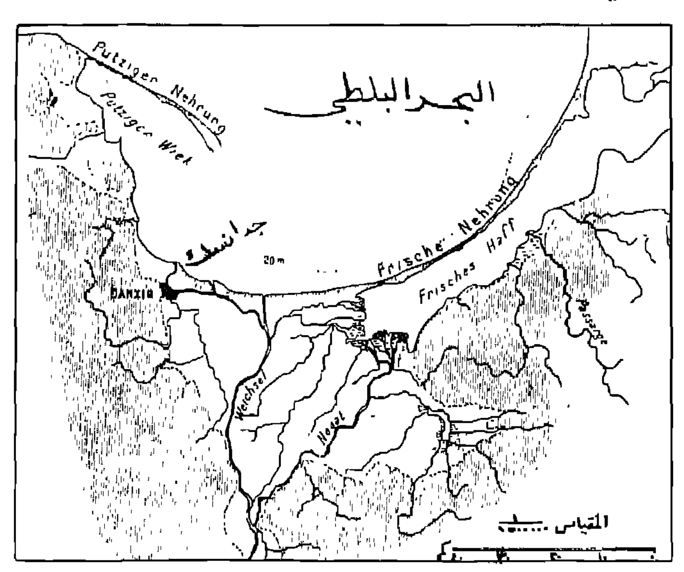


الشكل (٣)

وهكـذا كان سكان بـولـونيـا يتزايـدون في ١٩٦١ بمقـدار نصف مليـون نسمـة سنوياً مما يقارب وضعهم الحالي . وبعد أن كانت كثـافـة السكان في بولونيـا عـام ١٩٦١ تسـاوي كثافة سكانهـا في ١٩٣٨ أو ٩٦ نسمـة في الكيلو متر مربع ارتفعت في ١٩٨٢ إلى ١١٥ نسمـة كم٢ . هـذا وتكـون المنـاطـق الجنـوبيـة الأكثر تضـاريس ، والترب الأكثر غنى ، والصنـاعـات الأكثر نشـاطـاً ، تكـون هي الأكثر ازدحـامـاً بالسكان من التلال الشمالية ومن السهل الأوسط . وعلى كل لاتزال بولونيـا تشكو من قلـة الأيـدي العـاملـة التي لاتتنـاسب مع متطلبـات نهضتهـا الاقتصـاديـة المتصاعدة .

تآخذ جديد وحيوية جديدة

كانت بولونيـا تؤلف في عـام ١٩٣٩ دولـة من نمـط عتيق ، سـواء لبقـاء البنى الاجتماعية التقليديـة أو لضعف اقتصـادهـا ولا سيما في مجـال الصنـاعـة . وكان ممر الفستولا الأدنى ، أو ممر دانتزيغ ، الذي ظل بأيدي الألمان ، لايحقق لهـا أكثر من نافذة ضيقـة جـداً على بحر البلطيـك (شكل ٤) . وبعـد تخريبـات الحرب ظهرت بولونيا الجديدة في مواجهة اقتصاد جديد .



الشكل (٤)

يضم **شكل بولونيا الرباعي** نافذة على بحر البلطيك تمتد على مسافة ٥٠٠ كم فضلاً عن نهر الڤستولا ونهر أودرا (الأودر) . أما أسس اقتصادها فقد أصبحت أكثر غنى **وأفضل توازناً** في الوقت ذاته أما القسم المبتور منها في الشرق فلم يحرمها إلا من الغطاء الغابي في جبال الكاربات ، وأراضي إقليم ڤولينيا الخصيبة ، وبترول إقليم غاليسيا المحاذي لجبال الكربات ، والبوتاس ، في حين أن ما ربحته بولونيا من الغرب يضم ، على خلاف ما سبق ، المساحات الصالحة للزراعة في حوض نهر الأودرا ، وأصبح إقليم **سيليزيا** بولونياً برمته ، وهو عبارة عن منطقة زراعية غنية يصلح ثلثا مساحتها للزراعة فضلاً عن حوض فحمي كبير ومتعدد المعادن .

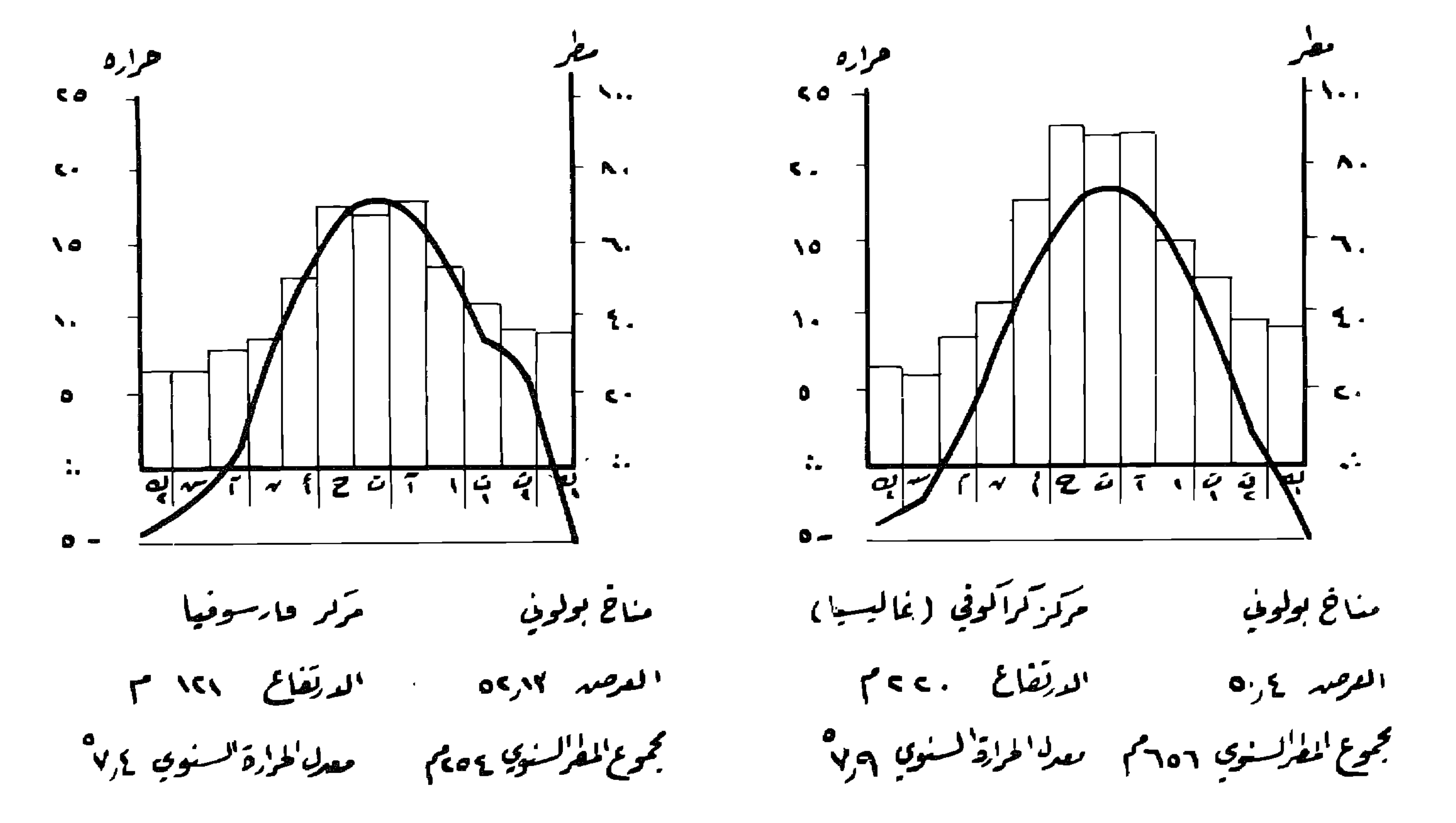
وتتجه بولونيا اليوم نحو اقتصاد حثيث على غرار الاتحاد السوڤييتي مثلما تدار أمورها حسب تخطيط واضح ودقيق جداً بحيث أصبحت تعتبر الآن في عداد **الدول الصناعية الكبرى** في أوروبا .

ثانياً ـ المناطق البولونية

الوحدة الطبيعية :

تتمتع بولونيا ، التي ينتسب أربعة أخماسها إلى مجال **السهل الأوروبي الكبير** ، بنوع من وحدة طبيعية في الطابع الأصيل لمناخها القاري ، وفي جريان معظم مياه أراضيها نحو نهر الڤيستولا (ويسلا) .

ويتصف **المناخ البولوني** بفصلين مختلفين بصورة أكثر وضوحاً بكثير من مناخ ألمانيا الغربي . **فالشتاء** بارد ، ففي العاصمة ڤارسوڤيا يكون متوسط كانون الثاني – ٣° ، مع حدود دنيا وسطى تنخفض إلى – ٢٠° ، ولكنه قليل الرطوبة ، فإذا كان الثلج يمكث على الأرض مدة ٨٠ يوماً وسطياً ، فإن طبقته تظل رقيقة ، إذ كثيراً ما تسطع شمس باهرة فوق الأرياف البيضاء والأنهار متجمدة . أما **الصيف** فحار ، ففي ڤارسوڤيا ذاتها يكون متوسط شهر تموز ١٨° مع حدود قصوى وسطية تصل إلى ٣٢° ، ولكن تتخلله أمطار عاصفية إذ يهطل في ڤارسوڤيا في شهري تموز وآب مقدار ١٥٠ مم من أصل مجموع سنوي يبلغ ٥٣٠ مم (شكل ٥) .


مطر
حرارة
مناخ بولوني
مركز كراكوفي (غاليسيا)
العرض ٥٠٫٤
الارتفاع ٢٢٠م
مجموع المطر السنوي ٦٥٦مم
معدل الحرارة السنوي ٧٫٩°
مناخ بولوني
مركز فارسوفيا
العرض ٥٢٫١٢
الارتفاع ١٢١ م
مجموع المطر السنوي ٥٥٤مم
معدل الحرارة السنوي ٧٫٤°

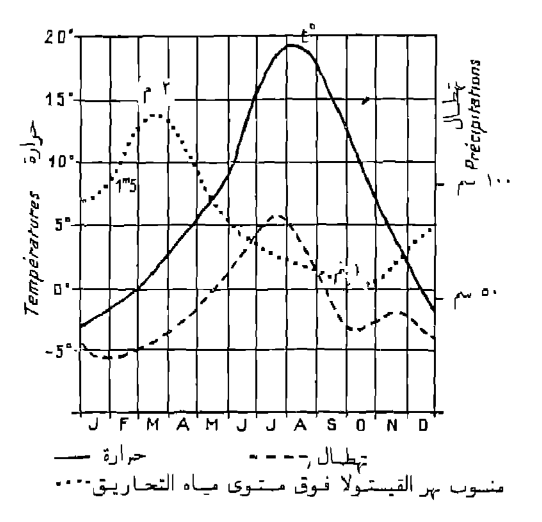
الشكل (٥)

ويشير قصر أمد الربيع إلى هذا التضاد الفصلي : « فقد ذاب الثلج في سائر الأنحاء خلال أسبوعين ، وانفكّ جليد الأنهار .. أما في الأرياف فإن يقظة الأرض تنبعث بصورة فتّانة ، فالبراعم تتفتح وتغدو كل الأشجار خضراء في مدة لا تتجاوز الأسبوعين ، وتغطي الأزهار سطح المروج ، منبثقة من تربة لا تزال تحمل بعض البقع المتباعدة من الثلج » « عمانوئيل دومارتون »

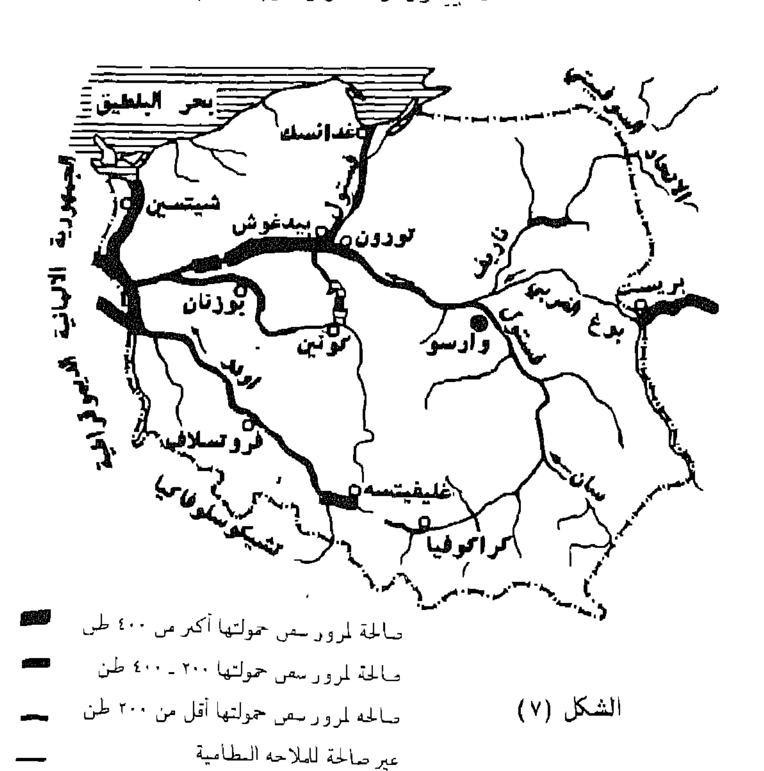
وينطلق نهر الفيستولا ، أو ويسلا ، من الخاصرة الشمالية لجبال الكربات ، ويمتد طوله على مسافة ١١٠٠ كم .

ويكاد هذا النهر يجري كلياً في السهل فعلى مسافة ١٠٠٠ كم من مصبه يزيد ارتفاعه عن ٣٠٠ م فوق سطح البحر . وتؤدي قلة انحداره وتطابق فصل الأمطار مع شدة الحر إلى جعل هذا النهر لا يصرّف سوى ٣٠ ٪ من المياه الهاطلة فوق حوضه السفحي bassin-versant الفسيح الذي يمتد على ٢٠٠٠٠٠ كم٢ ، أي أكثر اتساعاً من حوض نهر الرين . وتنتشر في سرير النهر خلال شهر أيلول العتبات الرملية أكثر فأكثر كما يصبح عمق قنوات المياه المتفاغمة ضئيلاً مما يجعل الملاحة على النهر مستحيلة وذلك حتى بالنسبة للمراكب المنبسطة القاع . وابتداءً من شهر تشرين الأول يأخذ النهر بالانجماد ليلاً ويصبح تماسك الجليد شاملاً في كانون الأول . أما في شباط فيحدث أول انتفاخ لمستوى مياه النهر والذي يؤدي إلى إنهاض قطع الجليد عند حافات قنوات المياه ويكدسها عند ركائز الجسور وعند منعطفات الأكواع (شكل٦) . وهكذا يكون نهر الفيستولا غير صالح للملاحة خلال ٤ إلى ٥ شهور (شكل٧) .

غير أن بولونيا تشتمل ، مع ذلك ، على بعض **عناصر التنوع** . فقارية المناخ ورتابة الفصول تستفحلان من الغرب باتجاه الشرق ، وتوحي المشاهد ، أكثر فأكثر ، بمناظر روسيا الأوروبية . ولكن الطبغرافيا هي التي تحدد من



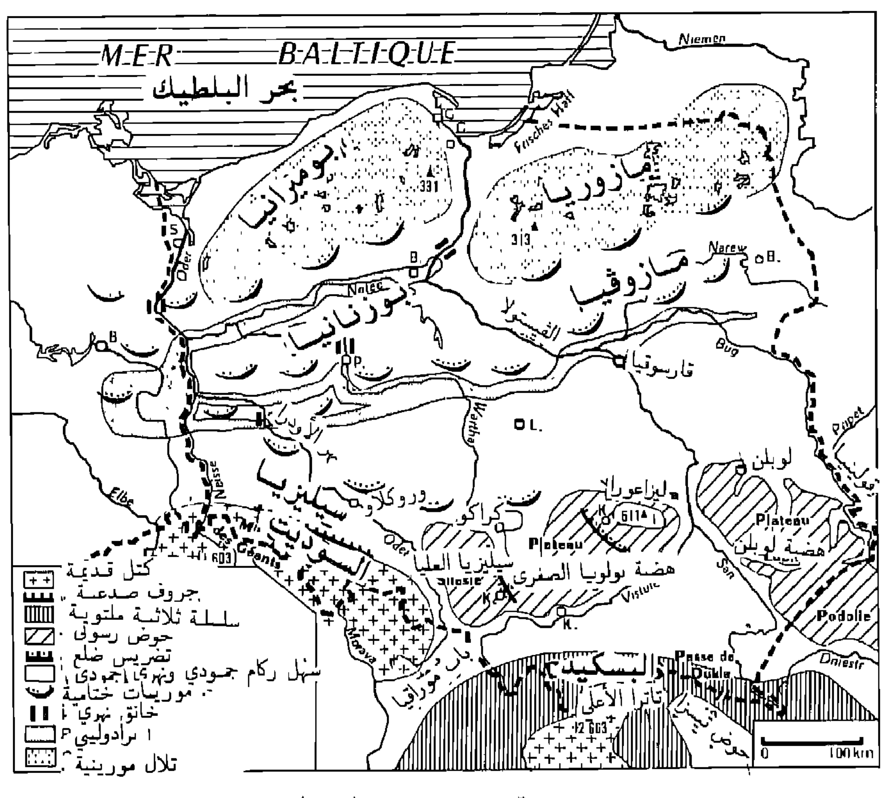
الشكل (٦) فارسوفيا الحرارة والأمطار ومنسوب مياه نهر الفيستولا



صالحة لمرور سفن حمولتها أكثر من ٤٠٠ طن
صالحة لمرور سفن حمولتها ٢٠٠ ـ ٤٠٠ طن
صالحه لمرور سفن حمولتها أقل من ٢٠٠ طن
غير صالحة للملاحه النظامية

الشكل (٧)

الجنوب إلى الشمال ، بكل وضوح ، منطقة معقدة مؤلفة من هضاب وحوضات ، وسهلاً مركزياً ، وبلاد تلال تطيف ببحر البلطيك (شكل ٨) .



بنية وتضريس بولونيا

الشكل (٨) .

الحاجز الجبلي الجنوبي

يتميز التخم السياسي الفاصل بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، على الرغم من شكله العشوائي في تفاصيله ، والناتج عن تعقيدات عرقية ، أقول : يتميز بوجود مرتفعات ينفتح من خلالها **باب مورافيا** الذي يقود إلى حوض الدانوب . أما في الغرب فتمتد كتلة جبال السوديت التي تفصل نهر الأودرا عن نهر الإلب . وإلى

الشرق تمتد جبال الكاربات البولونية التي تحدد الأراضي التي تصرّف مياهها باتجاه بحر البلطيك بواسطة نهر الفيستولا ، أو نحو البحر الأسود حيث يقوم به كل من نهر الدنيستر ونهر تيسزا .

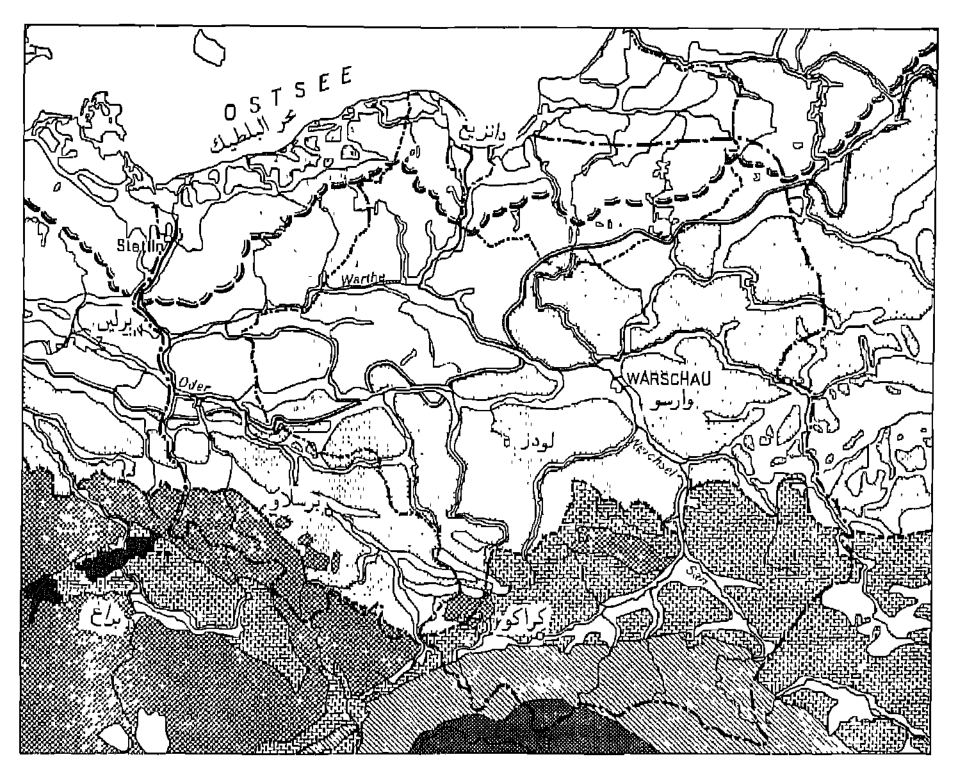
تؤلف **جبال السوديت** ، كتلة من صخور قديمة جانحة باتجاه الجنوب الغربي ، وتشرف بواسطة جرف صدعي على وادي نهر الأودرا (الأودر) . ولا تأخذ أشكالها الثقيلة المدورة بعض الارتفاع إلا في الجزء الغربي المسمى **جبال الجبابرة** ١٦٠٣ م . وتحتوي هذه المرتفعات المغطاة بالغابات موارد معدنية متنوعة ، **كالنيكل ، والكروم** ، **والزرنيخ** ، **والنحاس** في منطقة بولسلافيك Boleslawiec ، **والأورانيوم** في **جيلنا غورا** . ويعطي حوض فالبريش Walbrych **الفحمي** ، الذي يتصف بعسر استغلاله ، فحماً يصلح جزئياً لتحويله إلى فحم كوك ويعمل على توطين صناعة غازية ومعدنية يتنافر تمركزها مع تبعثر الصناعات النسيجية التقليدية في السوديت .

أما **جبال الكاربات البولونية** فهي أكثر تعقيداً ، فهناك كسرة ضيقة من الكتلة الغرانيتية لجبال **تاترا العليا** تسمو إلى ٢٥٠٣ م وتمنح بولونيا مشاهدها الألبية الوحيدة ، فإلى هنا تنتجع المواشي صيفاً لاستغلال المروج الجبلية التي تعقبها بعد ارتفاع ١٥٠٠ م غابات المخروطيات المسماة داكوبيان ، وفي هذه المنطقة تقع محطة هامة للرياضة الشتوية ومستراض النزهات التعبية ، وتنتشر إلى أسفل منها مرتفعات **البسكيد** Beskides ، على طرفيْ ممر دوكلا Dukla الذي يؤدي إلى وادي تيسزا Tisza . وتتألف مرتفعات **بسكيد الغربية** ، وهي طليعة مؤلفة من صخور رملية ملتوية ، من تيه من تلال ثقيلة ومن أودية عريضة . وحوالي ارتفاع ٤٠٠ م يتناثر السكان في دساكر (أو دشْرات) حول بعض البلدان الصغيرة ، وهي مدن أسواق ويتجه الاقتصاد نحو تربية الأبقار التي تستهلك لحومها ومنتجاتها في مدينة كراكو وفي مدن سيليزيا ، وقد قامت سلسلة هامة من مصانع أحذية في مدينة نووي تارغ Nowy Targ . أما جبال **بسكيد الشرقية** ، فهي أقل ارتفاعاً ، ولكنها أكثر أحراجاً وأقل سكاناً . ولا تملك بولونيا أكثر من قسم ضيق لأن بلاد الروتينيا Ruthène ، فيما وراء نهر سان San ، مع مركز بوريسلاف البترولي ، قد ألحقت بالاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية . أما التنقيبات البولونية العديدة بين سانوز وجاسلو فقد تكشفت عن وجود الغاز أكثر من البترول .

منطقة الهضاب والأحواض

نجد على طرفي هضبة بولونيا الصغرى ، التي لا ترتفع عموماً عن ٥٠٠ م ، نجد منخفضين عريضين يهبطان إلى مادون ٢٠٠ م . ففي الغرب يصرّف ممر سيليزيا

مياهه بواسطة نهر الأودرا ، أما في الشرق فيقوم الحوض المثلثي الشكل الذي تنساب مياهه نحو أعالي نهر الڤيستولا بمحاذاة هضبة لوبلن التي لا يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ م (شكل ٩) .



١ ـ وديان هولوسينيه ٢ ـ صفائح العصر الجليدي الحديث البلايستوسيني (فورم وفستولا) ٣ ـ صفائح بلايستوسيه من الجموديات القديمة بعضها مستور باللوس ٤ ـ جذور جبال قديمة متبلورة . ٥ ـ صحور ثلاثية ومن الدور الثاني غير ملتوية ٦ ـ الفليش الكارباتي . ٧ ـ الأجزاء الداخلية من الكاربات صخور أولية وثنائية وبراكين قدمة ٨ ـ مناطق بركانية ثلاثية .
٩ ـ مرحلة حدود توقف الزحف الجمودي الفستولي ١٠ ـ المورين الفستولي الأكثر تقدماً
١٢ ـ الحدود الشرقية للمناطق الالمانية الواقعة تحت الإدارة البولونية والتي اقتطعت بموجب إتفاقية الصلح .
١٣ ـ حدود بولونيا بعد الحرب العالمية الثانية .

خارطة عامة جيولوجية وجيومورفولوجية لمناطق حوض نهر الأدور والفستولا

الشكل (٩)

هذا وتحدد **هضبة لوبلن** مشاهد هضبة پودوليا الأوكرانية ، ذات الشكل المائدي . غير أن **هضبة بولونيا الصغرى** ، ذات البنية الهرسينية ، تكون ذات طبغرافية متنوعة في تفاصيلها في الشمال الشرقي ، أي تظهر أعرافاً أپالاشية من صخور الكوارتزيت ، وهي وعرة ذات جروف ومستورة بالغابات ، وترتفع إلى ٦١١ م في جبل **ليزا غورا** Lysa Gora ، أما في الوسط ، فتكون الصخور الكلسية الجوراسية ، التي تنبثق على شكل ضلع (كويستا) متواضعة ، والواقعة بين الطبقات الرسوبية في بولونيا الصغرى البحتة ، تكون غنية بخامات الحديد . وفي الجنوب الغربي يتكشف محدّب anticlinal سيليزيا المفرّغ عن طبقات كاربونيفيرية ، وعن رسوبات ترياسية غنية بالرصاص وبالزنك .

أما **المنخفضان** اللذان جرى ردمها خلال الحقب الثلاثي حتى عمق كبير ، أي منخفض الڤيستولا ومنخفض الأودرا ، فتغطيها التوضّعات السطحية الجليدية ، فتكون رملية في الشمال ، لوسيّة في الجنوب ، والتي يقطعها نهر الڤيستولا والأودر على شكل مصاطب متدرجة .

وتشتمل هذه المنطقة على **أراضٍ زراعية غنية** . فتقدم هضبة لوبلن ، ومنخفض الڤيستولا ، ومنخفض سيليزيا على الخصوص ، ترباً من أصل ريحي ، هي اللوس Lioess ، أو متشكلة محلياً بتأثير المناخ ، وهي التشرنوزيوم . فهناك **زراعة حثيثة** ، موروثة في سيليزيا من عهد الملاكين الألمان الكبار في القرن التاسع عشر ، تعتمد دورة زراعية ثنائية يتناوب فيها القمح مع الشمندر السكري ، مثلما تتقدم فيها المزروعات العلفية مع تربية الماشية . وتسمح رطوبة الصيف وحرارته بزراعة التبغ وبالقيام ببعض التجارب المقتبسة عن الاتحاد السوڤييتي : وهي القطن والبذور الزيتية كالخروع ، ونباتات لبنيّة (ساغيز) أو ذات ألياف ، مثل الكيناف Kénaf . ولا نعثر فوق هضبة بولونيا الصغرى على ثراء القرى السيليزية الكبرى ، الممتدة في وسط أرياف ذات حقول مفتوحة ، إلا فيما ندر ، أو في القسم الواقع في السافلة aval ، ذو الترب الرملية من المنخفضين المذكورين ، ولكن تملك المنطقة إجمالاً أكثر من نصف القدرة الزراعية الوطنية .

هذا وتقوم **الزراعة السيليزية** ، الحيوية بالنسبة للاقتصاد البولوني ، فوق قاعدة من أصل طبيعي ومن أصل بشري . يمتد **حوض سيليزيا الفحمي** فوق مساحة تربو على ٥٠٠٠ كم٢ ، ويقدر

ذخره الذي يهبط حتى عمق ١٥٠٠ م بحوالي ١٥٠ مليار طن ، منها ١٠ ٪ صالحة لصنع الكوك ، وذات ميزات استغلالية ميسورة للغاية ، مما يجعل منها ثالث حوض فحمي في أوروبا ، بعد حوض الرور الألماني ، ويوركشاير الإنكليزي وقد ارتفع إنتاج البلاد من الفحم إلى ١٦٢,٩ مليون طن في عام ١٩٨١ .

أما **احتياطي الحديد** في بولونيا الصغرى ، في موقعي كزستوشووا وكيلس ، فيقدر بحوالي ٣٠٠ مليون طن ، ولكن الإنتاج لايزيد كثيراً عن ٣٠٠٠٠٠ طن من المعدن الصافي في السنة . وتقع مناجم فحم الليغنيت في كزستوشووا الذي يزيد إنتاجه السنوي عن ٤٠ مليون طن ، والزنك وإنتاجه ٢٠٩٠٠٠ طن ، والرصاص ٨٤٠٠٠ طن في سيليزيا العليا ، والنحاس في كيلس ، والملح الصخري والصودا في ويليكزكا ، كما تكتمل قائمة ثروات بولونيا بذكر الغضار الناري ورمال الزجاج ومواد البناء الجيدة مما يؤلف مجموع ثروات نادراً ما نجد لها مثيلاً في أوروبا .

وقد كان استغلال هذه الثروات ميسوراً **لشدة كثافة الاستيطان** ، ولوجود عاصمتين إقليميتين قديمتين هما **كراكوو** ، التي كانت تدعى كراكوفيا سابقاً ، وهي قلعة بولونيا تجاه السلاق الشرقيين ، **ووراكلاو** ، واسمها السابق برسلو ، التي كانت في الماضي حصناً جرمانياً متقدماً ، وجاءت الصروف التاريخية أخيراً في القرن التاسع عشر على شكل استعمار ألماني نتج عنه نمو الصناعات النسيجية ، والاحتلال النمساوي الذي تمخض عن نمو مدينة كراكوو .

ويمنح **الفحم** الذي يستخرج من دائرة يبلغ نصف قطرها ٣٠ كم حول مدينة **كاتوويس** ، منظر « بلاد سوداء » لمجموعة عمرانية تضم قرابة ٣ ملايين نسمة ، ومركزها مدينة **كاتوويس** التي تحوي ٤٦٠٠٠٠ نسمة ، ومدناً صغرى مثل بيتوم وغليويس . ويؤدي إنتاج ٢٠٠ مليون طن من الفحم فيها إلى تمركز الطاقة الحرارية والصناعة الكيماوية الثقيلة ، في حين تكون الصناعة الكماوية المتخصصة مبعثرة حتى نهر الفيستولا ، كالبنزين التركيبي في اوسو ويسم ، وفي دووري ، ولما وراء مدينة كراكوو ، والمطاط التركيبي في ديبيكا

أما **الصناعات الحديدية** فتتمركز في مصانع ضخمة جداً ، تتوزع بين الحوض الفحمي : كاتوويس ، شورزو ، وبين مناجم الحديد في كزستوشووا (اوتشستوخونا) ومراكز الاستيطان في نوواهوتا على مسافة ٢٠ كم من كراكوو . وتحوي هذه المراكز الأخيرة ، على الخصوص ، الصناعات المعدنية كما في كراكوو ووركلاو مثلما تتمركز فيها الصناعات النسيجية التي كانت مبعثرة في الماضي : كصناعة القطن في سوسنوويك وفي وركلاو ، والصوف في بيلسكوبيالا وكاتوويس وكزستوشووا . وتسود ظاهرة التبعثر على صناعة الزجاج والبورسلان والأخشاب والجلود والصناعات الغذائية . وإجمالاً يتوزع نصف الصناعات المعدنية البولونية وربع عمال النسيج بين نهر الفيستولا وجبال

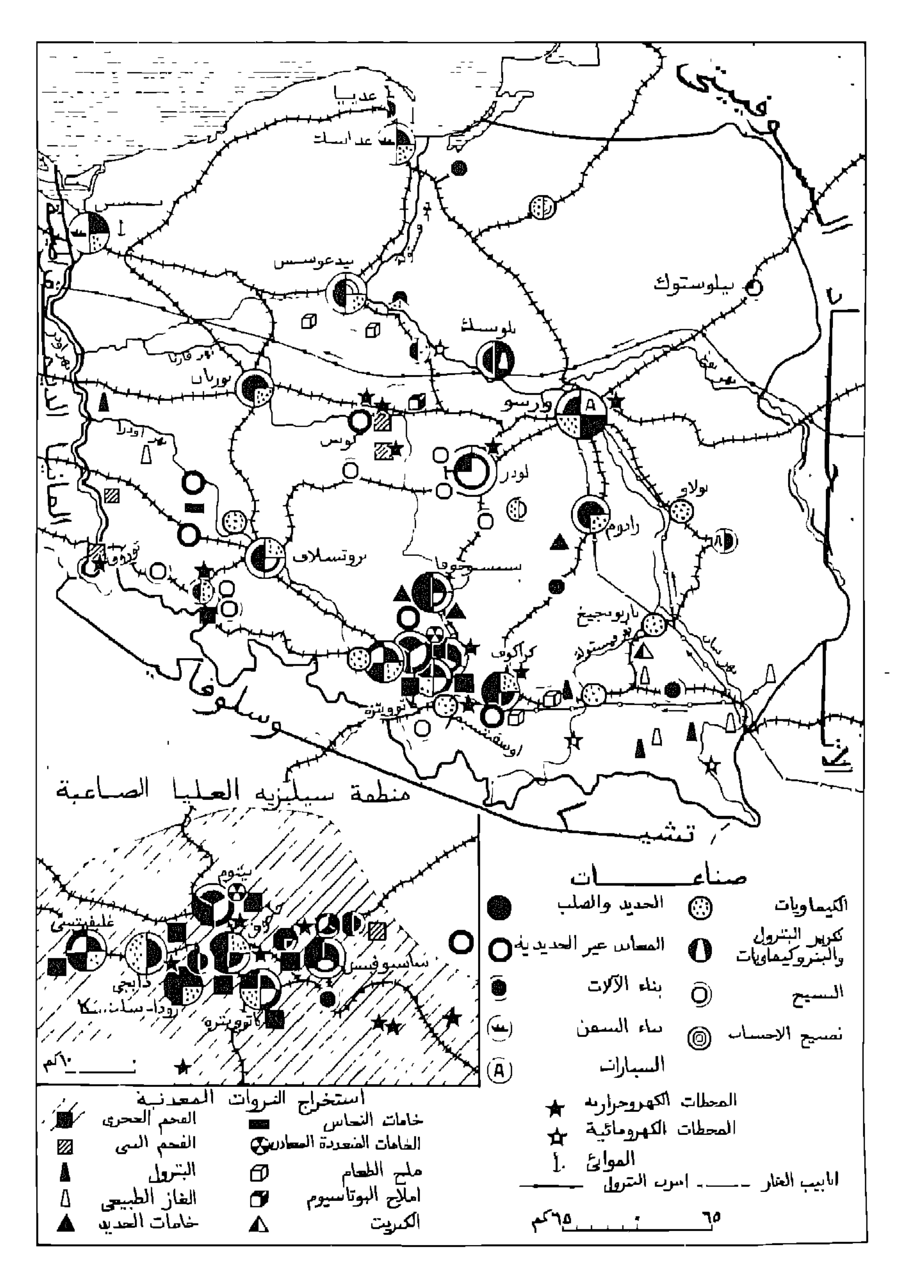
السوديت . ويتلخص الدور الأعظم للفحم الحجري في ربط صناعات كزستوشووا وكراكوو **بالمنطقة السيليزية** البحتة ، أي حول حوض وروكلاو الفحمي (شكل ١٠) .

وتضم **المدن** شطراً متزايداً من السكان ، تصل كثافتهم في سيليزيا إلى حوالي ٣٠٠ نسمة في الكيلومتر مربع . فقد استردت مدينة **وراكلاو** ، وهي عاصمة سيليزيا ، عدد سكانها السابق في عام ١٩٣٩ وهو ٦٠٠٠٠٠ ، **وكراكوو** عاصمة وادي الفيستولا الأعلى ، وهي مدينة ثقافية وتاريخية لم تدمرها الحرب ، والتي تضاعف عدد سكانها ثلاث مرات فبلغ ٧٠٠٠٠٠ نسمة . أما مدينة **نووا هوتا** التي ولدت في عام ١٩٥١ فتضم قرابة ١٥٠٠٠٠ نسمة .

السهل الأوسط

تحوي بولونيا على مسافة طولها ٥٠٠ كم من الشرق للغرب ، وعلى عرض يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب على مشاهد **سهل تراكمي جمودي** يقل ارتفاعه عن ١٥٠ م . وتكون الطبقات الرسوبية المتنضدة فوق الترس القديم Shield ، مغطاة بالحصويات وبالرمال وبغضاريات ناتجة عن مورينات قاع قديمة . أما في الشمال فتظهر أشكال جمودية أحدث ، وتظهر على شكل مورينات جبهية وقنوات جريان تدعى **برادوليني** . وأكثر هذه القنوات وضوحاً هي التي يصل عرضها إلى حوالي ٤٠ كم ، والتي يجري فيها من الشرق إلى الغرب نهر بوغ ، وفيستولا ، وفارتا ، وأودرا ، والتي تحقق الاتصالات بين ڤارسوڤيا وبرلين . وتظهر إلى الشرق منطقة **مازوڤيا** التي لا تحوي هذا الممر ، في حين تظهر منطقة **پوزنانيا** في الغرب والتي تكون شديدة التجزئة بسبب تعدد المجاري المائية التي تصب في نهري أودار وفارتا . وتأتي الاختلافات الحقيقية عن التقاطيع التضريسية التفصيلية وعن تعدد أنواع الترب الناجمة عنها . فهناك الترب المغسولة ، أي الپودزول ، في السهل ، والتوربيّات ، أو المخثّات ، والمستنقعات ، والكثبان الرملية في المصاطب العليا ، واللحقيات alluvions في الممرات .

ويكون **النشاط الزراعي** هو المتفوق ، ويمتد على حساب الغابة منذ



صناعة بولندا

الشكل (١٠)

القرن الماضي ، ويتبعثر الفلاحون في مازوڤيا في دساكر ويزرعون الجاودار ، والبطاطا ، والكتان ، ويربون الأغنام ولا سيما الخنازير . أما القمح فيسود فوق غرين وادي الڤيستولا وبشكل خاص في إقليم **پوزنانيا** ، مثلما تتقدم هنا زراعة الشوندر السكري ، والكولزا (السلجم) وتربية الأبقار ، ولا يعود هذا الازدهار إلى جودة التربية ، بل إلى مناخ أكثر رطوبة ، ولتقاليد اقتصاد حثيث موروث في پوزنانيا عن الملكيات الكبرى الألمانية في القرن التاسع عشر ، وعلى أثر إعادة تنظيم ملكية الأرض والذي حدث في أعقاب تخريبات الحرب العالمية الثانية .

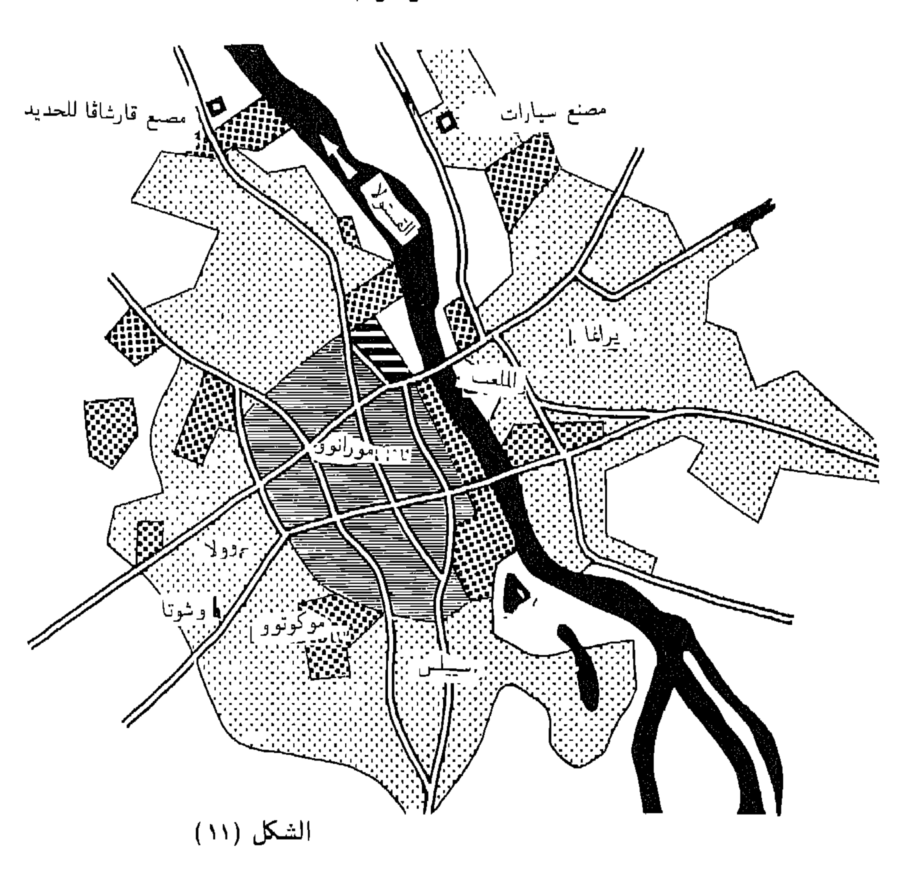
وقد كانت **المدن** بالأصل أسواقاً زراعية عند التماس مع الهضاب الحرارية كمدينة لودز مليون نسمة ، ولوبلن ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، أو عبارة عن محطات على طول الممر الأوسط عند مخاضات الأنهار مثل ڤارسوفيا وبوزنان ٦٥١٠٠٠ نسمة ، كما كان لمدينة ڤارسوفيا دور تجاري كان يقوم على عاتق اليهود ، وقد أصبحت عاصمة البلاد منذ القرن السادس عشر . غير أن نمو هذه المدن لم يحدث إلا في القرن التاسع عشر ، بفضل نمو الصناعات ولا سيما صناعة النسيج ، وزاد ذلك قوة بعد ١٩١٩ حيث كانت مدينة ڤارسوڤيا تحوي ١,٣ مليون نسمة في ١٩٣٩ كان ثلثهم من اليهود ، وتحوي عاصمة پولونيا اليوم ٢,٨ مليون نسمة .

وقد أعيد بناء هذه المدن أو تجددت بعد حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ . وتنتشر فيها **صناعات متمايزة** يساعدها من ناحية استغلال الفحم الأسمر (الليغنيت) الذي يقدر احتياطية بحوالي ١٠ أو ٢٠ مليار طن في پوزنانيا ، والطورب والملح الصخري ، ومن ناحية أخرى بسبب سهولة المواصلات .

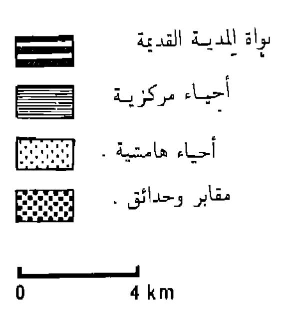
ويتجاوز عدد سكان **پوزنان** ٦٥٠ ألف ، وبولودز حيث تسود دائماً صناعة القطن وفيها ٨٠٠ ألف نسمة . أما العاصمة **ڤارسوڤيا** التي تخرب ثلثها في عام ١٩٤٤ ، فتضم أكثر من ٢,٨ مليون نسمة ضمن إطار خضع لمبادئ جديدة في فن تخطيط المدن Urbanisme . فحول المركز الإداري الذي يمثل فيه قصر العلم والثقافة نفسيتها ، يقيم سكان المدينة الحديث ترتفع نسبة العمال بينهم إلى ٤٠٪ ضمن وحدات سكنية تتناوب مع مناطق صناعية . فتتمركز الصناعات الثقيلة على جانبي الخط الحديدي ، بينما تتمحور الصناعات الخفيفة على أطراف الطرق وتحيط المساحات الخضراء بالجميع (شكل ١١) . كما تشهد الصناعات الجديدة في **زيلونا غورا** القائمة على فحم ليغنيت بوسنانيا ، وصناعة السيارات في

لوبلن ، والصناعات الغذائية في بياليستوك الواقعة في قلب مناطق زراعية قليلة التطور ، تشهد على الاهتمام بالعقلانية التي رأيناها قبل قليل .

مخطط ڤارسوڤيا



الشكل (١١)



العراقيب وساحل البلطيك

تظهر بصمات آخر زحف جمودي في جنــوب البلطيــك على شكل تضريس غامض ، مؤلف من **تلال** مورينية **متطاولة** ، عراقيب ، يبلغ ارتفـاع بعضهـا ٣٣٠ م ، تنتشر بين كثبان مغطـاة بـالغـابـات ، وبحيرات متمـددة تشغل ٤٠٪ من المسـاحـة . ويـدرك نهر الڤيستولا ونهر أودرا البحر بفضـل **منخفضين** من أصـل بنيـوي Structurale . ويفصــل نهر الڤيستــولا بـوميرانيــا ، التي تمتــد حتى نهر الأودرا ، عن مازوريا وهي جزء من بروسيا الشرقيـة سـابقـاً والتي تمتـد حتى نهر النييمن . وهناك حبال رملية ساحليـة متطـاولـة نحو الشرق تـأخـذ على عـاتقهـا **تقويم الساحل** ، فتعزل لاغونات طويلة ، وتشكل لحقيات الڤيستولا دلتا ، في حين ينتهي نهر الأودرا إلى الغرب ، على شكل مصب خليجي .

وتؤدي الترب الفقيرة ، والمناخ المائل للبرودة والضبـابي ، والقليل الأمطـار ، إلى جعل الجـاودار أسـاس **الزراعـة** ، لأن القمح لايحتل سوى اللحقيـات الغضـاريـة في وادي الڤيستـولا الأدنى . أمـا في مزارع الدولة التي حلت في بوميرانيا مكان الملكيات (الحيـازات) الألمـانيـة الكبرى فقـد نمت **تربيـة أبقار كبيرة** بالإضـافـة إلى الخيول والخنـازير . وتشكل تربيـة الأسماك في البحيرات والصيـد من المـاء العذب ، وعوائد الغابة ، مصادر أرزاق إضافية .

وتتمركز **الحيـاة البحـريـة** في مجموعتي مـوانئ معقـدة ، ولكنهـا متماثلـة من حيث أوجه نشاطها ، حيث يسود تصدير الفحم ، وفحم الكوك واستيراد خامات الحديد ، وهما مجموعة **ستيتّن** ومجموعة **جدانسك** « جيدينيا »

ويعمـل نهر الأودرا من ميـنـاء **ستيتّن** Szczecin ، الرابض في صـدر مسطـح مـائي واسـع على مسافة ٥٠ كم عن عرض البحر ، ميناء إقليم سيليزيا الطبيعي ، وبوهيميـا عبر بـاب موراڤيـا : ذلـك أن تشيكوسلوفاكيا ، التي تتمتع بحق الملاحة على نهر الأودرا الذي سيرتبط بنهر موراڤا بواسطة قناة ، تملـك فرضة على الساحل . وهناك مقدمة للميناء تدعى **اودرابور** ، ترتبط بواسطة قطار بـاخرة « مُعدّيـة Ferry-boat » مع السويد ، كما أن ميناء صيد أعالي البحار والمصبّرات يقع في ميناء **سوينوجيسيا** ، وتؤلف جميعـاً مع ستيتّن مجموعـة سكانيـة تبلغ ٤٠٠٠٠٠ نسمـة . وتبلغ حركتـه ٢٥ مليون طن ، بيـد أن

هذا الميناء يتعرض لمنافسة ميناء جدانسك ، بعد أن عانى من منافسة ميناء هامبورغ الألماني قبل الحرب العالمية الثانية .

هذا ويقوم الميناء التوأم أي **جدانسك** ، أو دانتزيغ عند الألمان ، **بعيداً** عن وحول نهر الفيستولا ، إلى جانب ميناء **جيدينيا** الذي انشئ في عام ١٩٢٢ ، ويرتبط بإقليم سيلزيا بواسطة خط حديدي . ويعتبر جدانسك ميناء الفحم وسكان ٤٥٠٠٠٠ نسمة ، والمنتجات غير المعبأة ، ويضم أحواض بناء السفن ، أما جيدينيا فهو ميناء العنابر وخطوط الملاحة . ويحقق الاثنان حركة ملاحية تبلغ سنوياً مقدار ٢٥ مليون طن وتشكل مع مصانع البالاغ Elbalag ، الواقعة على مسافة ٥٠ كم جنوب جدانسك ، مُركّباً اقتصادياً يتصل بالجنوب مع مركز بيد غوكز ذي الصناعات المتنوعة والذي يضم ٣٥٠٠٠٠ نسمة في حين تضم جداسك لوحدها الرقم المذكور آنفاً .

ثالثاً ـ الاقتصاد البولوني

لقد حدثت نهضة الاقتصاد البولوني في قطر كان لايزال يعيش في بيئة عتيقة تقليدية حتى عام ١٩٣٩ ، وذلك منذ عام ١٩٤٥ بعد تدمير الحرب ، ضمن إطار نظام **اقتصادي اشتراكي** ، وتمثل أعوام ١٩٤٩ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ مراحل نهضة نتجت عن المخططات **التنظيمية المتعاقبة** .

بولونيا العتيقة في عام ١٩٣٩

لقد كان اقتصاد بولونيا عشية حرب ١٩٣٩ اقتصاداً زراعياً بشكل أساسي . فعلى الرغم من نظام الإصلاح الزراعي الذي نشر في عام ١٩٢٠ فقد كان هناك ١٩٠٠٠ أسرة بولونية تملك ٤٠٪ من الأراضي ، بينما كان في البلاد ١٣ مليون ملكية فلاحية (حيازة) لاتزيد مساحتها عن ٥ هكتارات ، وفي ذلك وضع يساعد على استمرار زراعة فقيرة تجهل الأسمدة الكيماوية ولا تحصل على أكثر من مردود ضعيف .

أما الصناعة فكانت تنحصر بالمنتجات الغذائية ، وبالأقمشة القطنية ، وبصناعة حديدية محصورة بالقطعة التابعة لبولونيا من حوض الفحم السيليزي ،

والذي كانت نسبة الرساميل الألمانية والبريطانية التي تستغله تصل إلى ٧٥٪ . أما الاتحاد السوڤييتي فكان نصيبه من التجارة الخارجية البولونية الضعيفة بحدّ ذاتها لا يتعدى ١٪ .

بولونيا في المنظومة الاشتراكية

كان على بولونيا ، ابتداءً من عام ١٩٤٥ ، وذلك رغم تناقص عدد سكانها ، أن تقوم بترميم وبإعادة بناء المدن المتهدمة بنسبة بلغت ٨٠٪ ، وصناعتها التي تخربت بمعدل النصف ، وإعادة تنظيم استغلال أراضي الغرب التي خلت من سكانها بسبب هجرة الألمان .

وعندما أدى رفض برنامج مارشال ، من جانب الاتحاد السوڤييتي ، إلى تقسيم أوروبا إلى كتلتين اقتصاديتين ، وجدت بولونيا نفسها مندمجة ضمن **المنظومة الاشتراكية** . ودخلت في نطاق الروبل اعتباراً من تشرين الأول ١٩٥٠ .

وقد نتج **عن الإصلاح الزراعي** الذي جرى تطبيقه في عامي ١٩٤٤ و١٩٤٦ نزع ملكية الملاّكين الألمان ، ومصادرة ، مقابل تعويض ، المساحة التي تزيد عن ٥٠ هكتار في الملكيات البولونية غير الكهنوتية . وقد نتج عن توزيع الأراضي الجديدة التي أمكن الحصول عليها قيام **ديموقراطية زراعية** مؤلفة من فلاحين يزرعون عموماً بين ١٠ و ١٥ هكتاراً ، وأحياناً أكثر من ذلك ، لأن البيع العقاري ظل حراً ، إذ كانت الملكيات الخاصة تؤلف ٨٧٪ من رقعة الأراضي المحروثة . ويبدو أن هذه الطبقة الريفية الجديدة تقاوم التطور نحو **اشتراكية الأرض الجماعية** الذي تدعي تحقيق مردود أكثر ارتفاعاً في « القطاع الاشتراكي » في مزارع الدولة وفي تعاونيات الشغل ، بفضل وسائل تقنية أكثر تقدماً ووسائل مادية أضخم . أما « مزارع الدولة » فغالباً ما تنهمك بتربية الماشية ، والتي تكون من نمط السوفخوزات الروسية ، وتغطي مساحة ٢

مليون هـ ، وفي عام ١٩٥٦ كان هناك أكثر من ١٠٠٠٠ **تعاونية شغل** تضم على مساحة مماثلة ٢١١٠٠٠ مالكاً صغيراً يستعينون بمراكز مكائن يبلغ عددها ٤٢٤ وتزرع الحبوب والنباتات الصناعية .

« في مطلع آذار عام ١٩٤٩ تشكلت تعاونية **ويلكزكو** التي لم تكن تمتد على أكثر من ٣٧٠ هـ و ٢٧ عضواً مأجوراً حسب مساهمته من الأراضي ومن المؤسسة وحسب عمله . أما اليوم فقد ارتفع عدد الأعضاء إلى ٣٠٠ وامتدت المساحة على ١٧٠٠ هـ كما لا يتعلق تعويض كل عضو بمساهمته الأصلية . ولا تبعد هذه التعاونية كثيراً عن مدينة وروكلاو . وهي ذات اقتصاد معقد يرتبط بسوق المدينة الكبرى المجاورة . وفي مقابل العون الذي تقدمه محطة المكائن ، أو الامدادات المختلفة ، كالأسمدة والتقاوي والنخالة ، وفحول الأبقار ، فإن هذه التعاونية تقدم للدولة ٢٠٪ من إنتاجها بأسعار تقل عن السوق بثلاث أو أربع مرات . أما الباقي وهو أربعة أخماس الإنتاج فيباع بأسعار السوق الحرة للدولة أو للتجارة الخاصة . وينال كل تعاوني أجراً يتناسب مع مدة ونوعية عمله . ويملك فضلاً عن ذلك إنتاج مزرعته الذي يشتمل على بستان صغير وعلى بقرتين وعجلين لا يزيد عمرهما عن ٦ شهور وأغنام وخنازير وطيور لا حدود لعددها . وأخيراً فإن الخدمات الاجتماعية في التعاونية تقتطع ٥٪ من عائداتها ، فتضع تحت تصرف التعاونيين بالمجان خدماتها الطبية ، وداريّ حضانة ومدرستين » . جان درش . J. Dresch استاذ في السوربون .

وإجمالاً في القطاع الاشتراكي على أكثر من ٤ ملايين هكتار أو ٢٥٪ من الأراضي المزروعة ، ولكن مساهمته في الإنتاج أكبر من هذه النسبة .

غير أن لإدارة الدولة الاشتراكية ، في مقابل ذلك . وزن أكبر من ذلك ، فهي تسيطر بصورة كاملة على الصناعة وعلى التجارة وذلك بفضل عمليات **التأميم وتخطيط** الاقتصاد . وبعد المخطط الثلاثي « مخطط إعادة التعمير » والممتد بين ١٩٤٦ و ١٩٤٩ جاء المخطط السداسي بين ١٩٤٩ و ١٩٥٥ الذي ألحّ على أرجحية الصناعة ، ولا سيما الصناعة الثقيلة على الزراعة . فبعد أن كانت الزراعة تضم ٦٠٪ من الأيدي العاملة عام ١٩٣٩ ، أصبحت الصناعة تحوي في عام ١٩٥٥ على ٥٥٪ من الأيدي العاملة ، وهبطت نسبة العاملين في الزراعة إلى ٣٩٪ عام ١٩٧٠ .

وتجنح البنية الصناعية نحو الاندماج في وحدات قوية جداً ، مثل مصانع لينين للحديد في نووا هوتا ، على نهر الفيستولا الأعلى ، وعلى مسافة ٦٠ كم من الحدود الجنوبية والتي كانت تنتج ٣ ملايين طن من الفولاذ في ١٩٦٠ مما يسمح بالإنتاج المتسلسل : ففي مدينة نووي تارغ Nowi¨Targ مصنع ينتج زوجاً من الأحذية كل ١٨ ثانية أو ١٠٠ مليون زوج في العام ، وفي دبيكا مصنع يقدم عجلة مطاط ، أو « كفرة » واحدة ، كل دقيقة ، أما فيما يتعلق بالتجارة فإن مؤسسة ميتالكسبورت المؤممة ومختلف مؤسسات التصدير التي تشرف عليها الدولة قلصت حصة التجارة الحرة بحوالي ٤٪ .

الحصيلة الاقتصادية البولونية

لقد ازدادت القدرة **الصناعية** البولونية بنسبة ٨٥٪ خلال المخطط السداسي وزادت خمسة أضعاف بين ١٩٣٨ و ١٩٥٦ . وكانت هذه الوتيرة في التنمية الصناعية أسرع مثيلاتها في أوروبا . وأصبحت بولونيا بفضل مناجم سيليزيا العليا تحتل المرتبة السادسة في العالم أو ٢٠١ مليون طن في ١٩٧٩ مقابل ١٠٧ ملايين طن في ١٩٦٢ ، بالإضافة إلى ٤٠ مليون طن من الليغنيت مقابل ١٠ ملايين طن فقط في عام ١٩٦٢ . مثلما تنتج حوالي ٣٠ مليون طن من فحم الكوك . واحتلت بولونيا المرتبة التاسعة بالعالم في إنتاج الفولاذ بإنتاج بلغ ١٥,٧ مليون طن في عام ١٩٨١ مقابل ٧,٢ مليون طن في ١٩٦١ .

هذا كما ارتفع إنتاجها من الكهرباء مس ٣٢ مليار ك و س عام ١٩٦١ إلى ١١٥ مليارات في عام ١٩٧٩ وهي حرارية في معظمها ، مما ساعد بالتوازي على نمو صناعة **سلع التجهيز** كالصناعات الميكانيكية البحرية في كل من ميناء جدانسك وفي ميناء سزكزسن Szczecin او شيتسين ، وصناعة السيارات التي أنتجت في عام ١٩٨١ مقدار ٢٤٠٠٠٠ سيارة سياحية و ٤٨٠٠٠ سيارة نفعية في مدن دابروا ، فارسوفيا ، لوبلن ، والمكائن الصانعة للمعادن ، والصناعة

الكيماوية والحامض الكبريتي الذي بلغ إنتاجه ٣,٣ ملاين طن في ١٩٧٧ ، والأسمدة والبنزين التركيبي في اوسويسيم و دووزي والمطاط التركيبي في اوسويسيم ، ودوبيكا ، والمواد البلاستيكية والألياف التركيبية (٧٠٠٠ طن) ، والحرير الاصطناعي والستيلون أو النايلون البولوني . هذا كما تضاعفت الصناعات التقليدية **الاستهلاكية** بضع مرات مثل صناعة النسيج القطنية في لودز وسوسنويس وبلغ إنتاجها ١٩٥٠٠٠ طن ، والصناعات الصوفية في لودز وبيلسبو بيالا ووصل إنتاجها من الغزول الصوفية إلى ٨٨٠٠٠ طن . وهناك صناعة الورق إذ يصل إنتاج المعجونة إلى ٧٦٠٠٠٠ طن ، وإسمنت پورتلند الذي يزيد إنتاجه عن ١٤ مليون طن ، وصناعة الأدوات المنزلية ، والصناعات الغذائية مثل السكر الذي بلغ إنتاجه ١,٨ مليون طن ، ونشاء البطاطا الذي تحتل به المرتبة الثانية بالعالم واللحوم والغول ، كما أنتجت بولونيا ٢٢ مليون م٣ من الأخشاب عام ١٩٧٧ و ١٠٠ مليون زوج من الأحذية و ٧٥٨٠٠٠ طن من معجونة الورق .

غير أن **الركود الزراعي** لازال يؤلف نقطة الضعف في الاقتصاد البولوني .

فقد كان الإنتاج الزراعي يقل بحوالي ٥٠٪ من أهداف الخطة وبلغ الإنتاج ١٠٪ فقط بالنسبة للإنتاج النباتي و ٣٤٪ بالنسبة للإنتاج الحيواني ولايزال إنتاج الجاودار الذي بلغ ٦,٧ ملايين طن أعلى من إنتاج القمح وهو ٤,٢ ملايين طن والذي كان مردوده ٢٠ كنتالا بالهكتار في ١٩٧٧ . ولكن المزروعات الصناعية وتربية الماشية هي التي تتقدم . فقد ارتفع عدد القطيع البقري إلى ١١,٨ مليون طن وأعطى ١٧ مليون طن من الحليب ، كما بلغ قطيع الخنازير ١٨,٤ مليون رأس و ٤ ملاين رأس من الأغنام ، والبطاطا ٤٢ مليون طن والتوندر السكري ١٥,٨ مليون طن ، كما وصل محصول الصيد البحري إلى ٦٢٩٠٠٠ طن ، هذا فضلاً عن التبغ والخضار .

المواصلات والتجارة

تحوي بولونيا على شبكة خطوط حديدية تمتد على ٢٦٨٠٠ كم منها ٥٥٨٠ كم

من الخطوط الضيقة ، وتمتد طرقها المعبدة على ١٤١٨٥٠ كم والطرق الصالحة للملاحة على ٤٥٧٢ كم ، كما بلغت حمولة أسطولها ٣,٥ مليون طنة .

ويشير انتفاخ **تجارة بولونيا** التي صعدت من ٧١ مليون دولار في ١٩٤٥ إلى ١٥٠٠ مليون دولار في ١٩٥٠ وإلى ٩٦ مليار زلوتي في ١٩٨١ إلى نمو الصناعة بشكل خاص .

ففي ميدان الاستيراد والتصدير تتفوق المواد الأولية ولا سيما ٧٥٪ من خامات الحديد المصنّعة في البلاد أو حوالي ٢٠ مليون طن ، وكل الخامات المعدنية غير الحديدية تقريباً ومواد النسيج الأولية . ويؤلف الفحم والكوك ٥٠٪ من صادراتها والمواد الصناعية ٣٠٪ ، ويتم ثلثا تجارتها مع الأقطار الاشتراكية حتى أن الاتحاد السوفييتي يقدم لها بعض الوحدات الصناعية الكاملة مثل مصانع حديد كزستوشووا والمنشآت الكيماوية في دووري Dwory . وتلعب بولونيا الدور نفسه في اتجاه الأقطار المتخلفة والصين وأمريكا اللاتينية وأندونيسيا والمستعمرات الأوروبية سابقاً . ويبدو الآن أن نمو وظيفة الترانزيت البولونية بين بحر البلطيك والبحر الأسود تتزايد على حساب وظيفة كانت أكثر أهمية وهي الترانزيت بين الشرق والغرب ، وإجمالاً تتعادل صادراتها واستيراداتها من حيث القيمة ، وفي ١٩٧٩ كان استيرادها ٥٤ مليار زلوتي وتصديرها ٥٠ مليار زلوتي[١] .

الوضع الحالي

لايزال مستوى الشعب البولوني منخفضاً بالموازنة مع مستوى الألمان الشرقيين ، وتشير كل المخططات السداسية إلى زيادة الإنتاج الزراعي كالحبوب

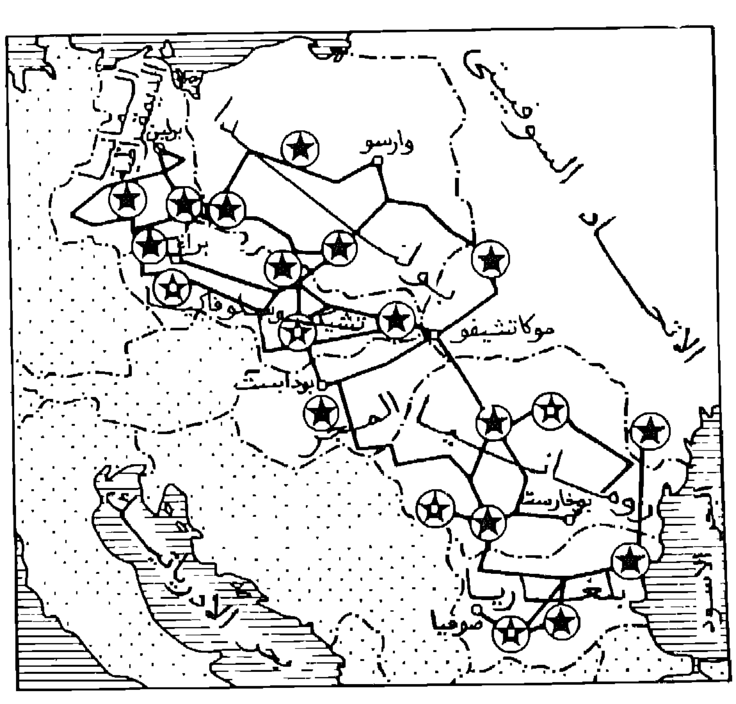
---

(١) يحقق الاتحاد السوفييتي ٢٠٪ من مجمل الصادرات البولونية من الخامات . فمثلاً تتلقى بولونيا شاحنات جاهزة لقاء تقديم ٥٠٠٠٠ من أنظمة الفرامل المجمعة العاملة بالهواء المضغوط من أجل سيارات « كاماز » وترسل بولونيا إلى مصنع فولغا للسيارات في مدينة توليياتي قرابة ٤٠٠٠٠٠ مجمعة وكابح ومصباح وغيرها من القطع وتتلقى لقاءها من الاتحاد السوفييتي سيارات « لادا » .

هذا مثلما تستفيد بولونيا من الشبكة الكهربائية مير « السلام » شأن معظم كل دول اوروبا الشرقية (شكل ١٢) .

والبطـاطـا والشـونـدر السكري والسكر والتـوسـع في زراعـة الـذرة الصفراء والتحريج .

فـالأرجحيـة التي أعطيت حتى الآن لسلع التجهيز على حسـاب سلع الاستهلاك ، وجنوح الصـاعـة الفحمية والصنـاعـات الثقيلـة للهيمنـة على أكبر قـدر من الأيـدي العـاملـة المتوفرة ، والتي لاتزال قليلـة إجمالاً ، كما أن استياء الجماهير بسبب عدم كفاية مستوى المعيشة أدى إلى انزعاج عـام ينوء على الاقتصـاد البولوني . وفي عام ١٩٥٦ قامت مظاهرات عمالية أدت إلى تغيير الجهاز الحكومي البولوني مع بقائـه وفيـاً للاقتصاد الاشتراكي وللصداقة السوڤيتية التي يعتبرها ضرورية للحفاظ على حدودها الحاليـة واستقلالهـا ، ممـا أدى إلى الحـد من الاشتراكيـة الريفيـة ، وعلى قبول المعونـة من الغرب ، أي من دول أوربـا الغربيـة والولايات المتحدة . وفي ١٩٨٠ بلغت ديون بولونيا تجاه هـذه الـدول حوالي ٣٠ مليـار دولار ، وبـدأت الاضطرابات العمالية في أواخر عام ١٩٨١ ، وظهرت فجأة النقابة الحرة « التضـامن » التي قمعت حركتهـا في مطلع ١٩٨٢ وحظرت الإضرابات وأعلنت الأحكام العرفيـة ، وخضعت البلاد لحكم عسكري برئـاسـة الجنرال ياروسلسكي .



الشكل (١٢)   الشبكة الكهربائية « مير » (« السلام »)

الاتحاد السوفيتي : عرض

بطاقة تعريف

رقعة شاسعة : يؤلف الاتحاد السوفيتي ١٦,٥٪ من مساحة الأراضي اليابسة ... « ويصنَّف الاتحاد السوفيتي في المرتبة الأولى بين كل الدول ، لأن مساحته أكبر بمرتين أو ثلاث مساحة أمثاله من الدول الخمس المنافسة في هذا المجال وهي : الصين ٩,٧٣٦ مليون كم٢ ، كندا ٩,٩٥٩ مليون كم٢ ، الولايات المتحدة ٩,٣٦٣,٣٦٣ كم٢ ، البرازيل ٨,٥١٦ مليون كم٢ ، أستراليا ١٣,١٣ مليون كم٢ . وتتمتع أراضي الاتحاد السوفيتي بأبعاد قارة ، لأن مساحته البالغة ٢٢٤٠٢٢٠٠ كم٢ تماثل مساحة كل أمريكا الشمالية فيما وراء خط عرض مكسيكو ، وهي أكبر بقليل من مساحة أمريكا اللاتينية البالغة ١٧,٨ مليون كم٢ ، ومن رقعة الوطن العربي البالغة ١٥ مليون كم٢ ، حتى أنها لتقارن بمساحة أفريقيا وهي ٣٠,٣ مليون كم٢ .

ب ـ كارّيير . اقتصاد الاتحاد السوفياتي
دار ماسّون ١٩٧٤

ويحتوي على **المميزات التالية** :

ـ تنوع في القدرات الزراعية وذلك بسبب تنوع المناخات .

ـ تنوع ووفرة في الموارد الطاقيّة والمعدنية .

ـ غزارة الاحتياطات سواء من « الأرض العذراء » أو من ثروات الأرض غير المستغلة .

مثلما يشتمل على **عقبات كأداء** :

ـ قساوة المناخ التي تجعل من العسير استغلال الأرض أو ما تحتها وتعيق المواصلات .

ـ شدة اتساع الرقعة التي يجب السيطرة عليها . فهناك ١٠٠٠٠ كيلو متر تفصل الحدود البولونية عن جزيرة ساخالين ، أو ما يعادل ربع محيط الأرض عند خط الإستواء . وله ٦٠٠٠٠ كم من الحدود مع جيرانه ... وهو وضع لا مثيل له في العالم .

ـ وقد أدى ذلك إلى تعدد المناطق الرائدة ، المعزولة عن بقية الاتحاد ، وعدم انسجام التوزع البشري ، لأن ثلثي السكان يتمركزون إلى الغرب من جبال الأورال ، فوق ربع مساحة الأرض السوڤياتية .

ثاني دولة اقتصادية في العالم

إنتاج هائل

عام ١٩٨١	الاتحاد السوڤيتي		الولايات المتحدة	
المادة	الإنتاج	الدرجة العالمية	الإنتاج	الدرجة العالمية
القمح	٩٠ م ط	١	٧٦ م ط	٢
الأبقار	١١٥ مليون رأس	٣	١١٥ مليون رأس	٢
الفحم	٤٩٣ م ط	٢	٦٨٦ م ط	١
ليغنيت	١٦٠ م ط		٤٦ م ط	
الكهرباء	١٣٢٥ مليار ك وس	٢	٢٣٦٨ مليار ك وس	١
بترول	٦٠٩ م ط	١	٤٦٨ م ط	٢
طاقة التكرير	٥٠٠ م ط	٢	٨٤٢,٥ م ط	١
الفولاذ	١٤٩ م ط	١	١٠٨ م ط	٢
سيارات سياحية	١,٣ مليون	٦	٦,٣ مليون	١
سيارات نفعية	٠,٨٧ مليون	٣	١,٦ مليون	١
حظيرة السيارات السياحية	٣ مليون	١١	١١٤,١ م	١
حظيرة السيارات النفعية	٤,٥ مليون	٢	٢٩,٧ م	١

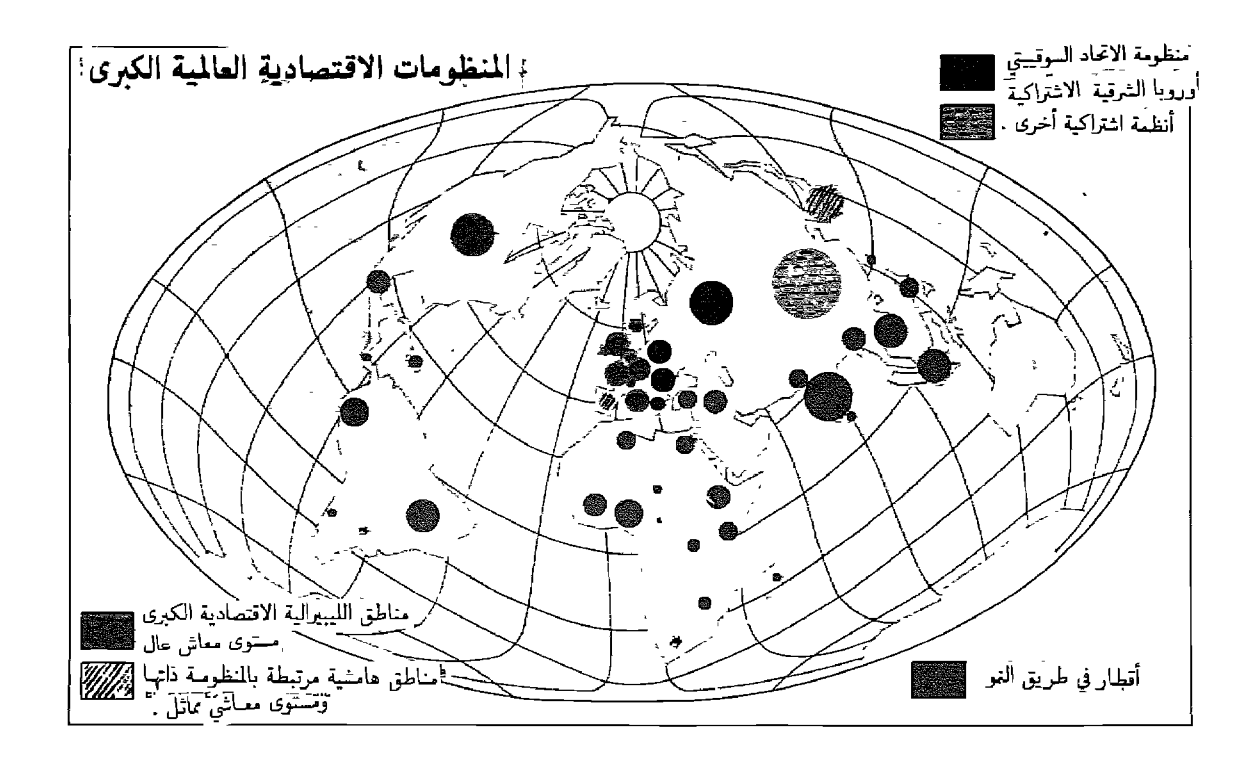
انجازات عظيمة

« لقد حقق شغيلة الاتحاد السوڤيتي ، الذين يتابعون عملهم المبدع ، تطوراً سريعاً لبلدهم في سائر المجالات »

مقدمة دستور ١٩٧٧

ولكن نسبة الإنتاج إلى مجموع السكان لاتزال ضعيفة :

فالدخل القومي السوڤياتي يعادل ٦٦٪ من الدخل المماثل في الولايات المتحدة .


المنظومات الاقتصادية العالمية الكبرى
منظومة الاتحاد السوفيتي
أوروبا الشرقية الاشتراكية
أنظمة اشتراكية أخرى .
مناطق الليبرالية الاقتصادية الكبرى
مستوى معاش عال
مناطق هامشية مرتبطة بالمنظومة ذاتها
ومستوى معاشي مماثل .
أقطار في طريق النمو

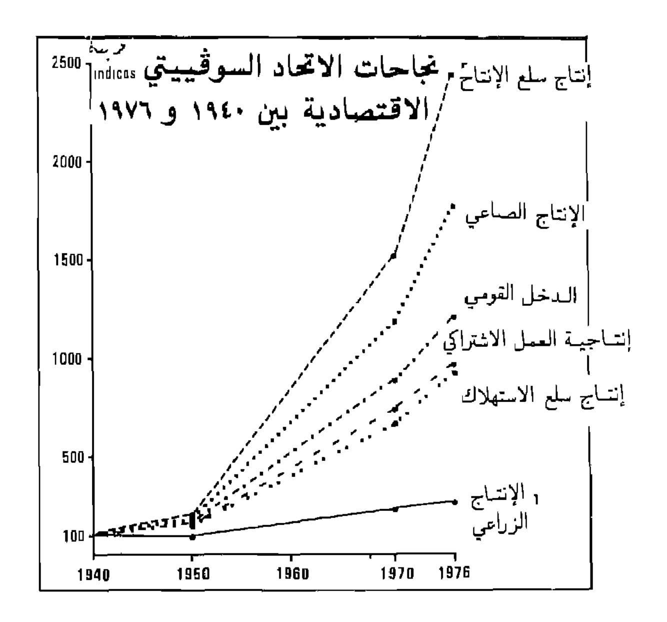
الشكل (١)

ويعادل الإنتاج الصناعي السوفياتي من حيث القيمة ٧٥٪ من الإنتاج الفردي في الولايات المتحدة .

وتساوي إنتاجية العمل ٦٠٪ من إنتاجية الولايات المتحدة .

ومع أن الاتحاد السوفيتي لم « يلحق » بعد بسوية الولايات المتحدة فقد أنشأ « **مجتمعاً اشتراكياً متطوراً** » وهي مرحلة ضرورية على طريق الشيوعية .

مقدمة دستور ١٩٧٧



الشكل (٢)

الإنسان والبيئة : مشكلات الاتساع

تهيمن رقعة الاتحاد السوفيتي الاستثنائية على إدراك واستيعاب التاريخ والسياسة والاقتصاد ، أي على كل جغرافية هذا القطر البشرية .

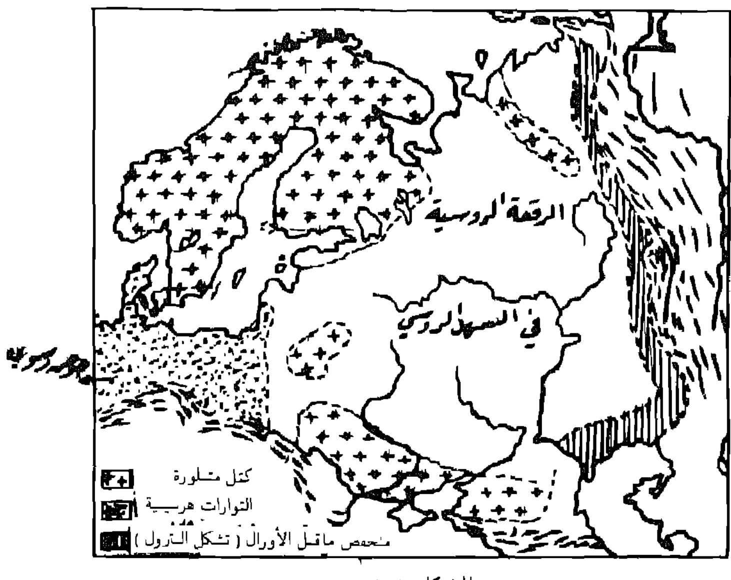
والواقع يشغل الاتحاد السوفيتي مكانة فريدة في العالم ، فهو **دولة عملاقة** ، فمساحته التي تزيد عن ٢٢ مليون كم٢ تشتمل على أبعاد وعلى مسافة عظيمة ، فهو يمتد على ٥٠٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب وعلى ١٠٠٠٠ كم من الغرب إلى الشرق . وهكذا تجعل الطبيعة من الاتحاد السوفيتي بلد الأرقام القياسية في العديد من المجالات .

ولكن ذلك يجعل منه **بلد العزلة** :

ـ عزلة ناجمة عن وضع التضريس الذي ينتج بلاداً **منخفضة داخلية** تتألف من المائدة الروسية (شكل ٣) وسهل سيبريا الغربية ، والمنخفض الآرالي الخزري ، وهي مجالات لمساحات لامتناهية ، ولآفاق متنائية ، تعطي انطباعاً عن رتابة يزيدها استفحالاً انسجام الغطاء النباتي . وتحيط بهذه البلاد المنخفضة المذكورة **مناطق عالية هامشية تطيف بها** والتي تؤلف حزاماً مستمراً يمتد ، دونما انقطاع ، من جبال القفقاس حتى شبه جزيرة كامتشاتكا ، تشكل نوعاً من « سور عظيم » يظل ارتفاعه دائماً أكثر من ٣٠٠٠ م ويتجاوز أحياناً الخمسة آلاف متر . وهكذا يرسم التضريس مدرَّجاً amphithéatre منفتحاً نحو المحيط المتجمد الشمالي .

ـ وهي عزلة مدعومة أيضاً بالطابع القارِّي . فما لا ريب فيه أن للاتحاد السوفيتي ١٦٠٠٠ كم من السواحل وهو رقم مرتفع من ناحية القيمة المطلقة مع أنه

العتبة الروسية لزمن الهرسيني



الشكل (٣)

رقم ضعيف بالموازنة مع المساحة . ويعود ذلك بشكل خاص إلى أن هذا الساحل يطل على بحار مغلقة ، أو على مياه يسيطر عليها الانجماد خلال معظم أيام العام ، مما يجعلها معزولة عن طرق النشاط البحري الكبرى ، ولهذا لا داعي للدهشة من أن تكون إحدى أسس السياسة الخارجية الروسية ، قديماً وحديثاً ، هي بلوغ « البحار الحرة » : « فعندما لا تكون بحار الاتحاد السوڤيتي محجوزة بالجليد فهي تكون مقفلة بالتضريس والسياسة » .

ـ وأخيراً هناك عزلة مستفحلة **بالطابع الآسيوي** للاتحاد السوڤيتي . وإذاً طول حدود الاتحاد السوڤيتي مع أوروبا يبلغ ٤٥٠٠ كم فإن لها ١٧٠٠ كم مع أفغانستان ، و ١٨٠٠ كم مع إيران و ٤٠٠٠ كم مع منغوليا و ٨٠٠٠ كم مع الصين الشعبية . وهكذا يبدو الاتحاد السوڤيتي عملياً دولة عظمى آسيوية ، ومن هذا تأتي أهمية علاقاته مع العالم الصيني ، والمشكلات الإسلامية ، واستغلال الأراضي الشرقية .

وتفرض الرقعة عوائق قاهرة كالعقبات المناخية ، وبطء المواصلات ، وموانع كابحة حقيقية ، لأنه على الرغم من النجاحات التقنية فإن عشر مساحة الاتحاد السوفيتي هي التي تستغل زراعياً أو ٢,٢ مليون كم٢ مما يجعل من الضروري وجود نوع من انضباط سلوكي في تنفيذ المشاريع وفي الاتصالات . ولهذه الأسباب ذاتها يبدو الاتحاد السوفيتي بلد الإمكانات الكامنة وبلد الثروات التي تنتظر الاكتشاف والاستغلال . ويجب أن تأخذ الاستثمارات بالحسبان كلفة الشحن وإمكانات انتقال الأيدي العاملة وليس تحديد أماكن الموارد الاقتصادية فحسب . وتعتبر الرقعة عامل تدخل بالضرورة في حسابات العائدية أو الجدوى الاقتصادية ، جاعلة من الاقتصاد السوفيتي اقتصاداً « أبعادياً » .

على الرغم من بقاء إمكانات حقيقية في مجال اكتشافات معدنية هامة ، في سيبريا على الخصوص ، فقد أصبح من المؤكد الآن أن الاتحاد السوفيتي يمتلك احتياطات أكثر مقداراً من التي يمتلكها أي قطر آخر في مجال الحديد ، والمنغنيز ، والنحاس ، والرصاص والزنك ، والنيكل ، والأميانت ، في حين أن الموارد المعروفة المؤكدة في مناجم فحمه ونفطه وغازه تجعل منه الدولة الأفضل تجهيزاً ، في العالم ، في مجال الموارد الطاقية .

ب . كارّيير . اقتصاد الاتحاد السوفيتي
دار نشر ماسّون باريس ١٩٧٤

بلد الأرقام القياسية

المساحة : ٢,٥ مرة مساحة الولايات المتحدة ، ٤٠ مرة مساحة فرنسا ، ٧ مرات مساحة الهند ، ٢٢ مرة مساحة مصر ١٢١ مرة مساحة سورية ، ٧٠٠ مرة مساحة هولندا .

وتعادل مساحة شبه جزيرة ساخالين البالغة ٧٨٠٠٠ كم٢ مرتين ونصف مساحة سويسرا تقريباً ، أو تساوي مساحة المملكة الأردنية تقريباً .

ويعتبر بحر قزوين بمساحته البالغة ٤٠٠٠٠٠ كم٢ أكبر بحيرة مالحة على سطح الأرض .

أما بحيرة بايكال فهي أعمق بحيرة في العالم لأنها تهبط إلى ـ ١٧٤١ م دون سطح البحر .

وترتفع قمة « الشيوعية » البالغة ٧٤٩٥ م إحدى أكثر قمم العالم ارتفاعاً .

بلد المسافات الطويلة

إن أكبر مسافة جوية على سطح الأرض هي التي تربط بين موسكو وڤلاديڤوستوك وهي ٧٥٠٠ كم ، كما أن الخط الحديدي العابر لسيبيريا هو أطول خط حديدي على وجه الأرض ، إذ يحتاج المسافر لمدة ٩ أيام كي يتمكن عبور الاتحاد السوڤيتي بالقطار .

وهناك إحدى عشر حزمة ساعية تجزّئ أراضي الاتحاد السوڤيتي . فعندما تكون الساعة ١٩ في الغرب تكون الساعة الخامسة صباحاً من اليوم التالي في الشرق .

« أي أن الشمس لاتغرب إطلاقاً عن الأراضي السوڤياتية » .

وبلد الإمكانات الكامنة الهائلة

يضم الاتحاد السوڤيتي خمس مساحة غابات العالم ، أو ٧ ملايين كم٢ أو ما يعادل مساحة الولايات المتحدة بين المكسيك وكندا تقريباً .

ويحوي الاتحاد السوڤيتي ٦٠٪ من احتياطات الغاز في العالم ، و ٤٠٪ من مخزونات العالم من الحديد ، و ١٢٪ من ذخر العالم من النفط ، أو نصف ذخر المملكة العربية السعودية ، و ٤٠٪ من احتياطات الغاز الطبيعي .

الإنسان والبيئة : المشكلات المناخية

يفرض المناخ طابعه بقوة على الحياة البشرية في الاتحاد السوڤييتي . وهو العنصر الحقيقي في وحدة الطبيعة السوڤياتية ، نظراً لصفاته الخاصة أو من حيث نتائجه على الإنسان .

وتلقي **القاريّة** بكاهلها على سائر الاتحاد السوڤييتي . وتترجم بدرجات حرارة شاذة في برودتها أو في سخونتها بالموازنة مع درجات العرض ، فمدينة ڤولغوغراد[1] الواقعة على درجة عرض مدينة ليون الفرنسية ، أو ٤٦ عرض شمالاً ، تتصف بدرجة حرارة تبلغ ٢٤° في تموز أي تفوق معدل طنجة ، التي لا يزيد متوسط حرارتها عن ٢٣° والواقعة على درجة عرض ٣٦ شمالاً . ويعود هذا إلى النتيجة الثلاثية الناجمة عن غياب شبه كلي للتأثيرات البحرية ، ولارتصاف التضريس الذي لا يحول دون تسلل كتل الهواء القطبي ، وللطابع الشمالي للاتحاد السوڤياتي الذي يقع ثلثا أراضيه فوق درجة العرض ٦٠ شمالاً ، حتى أن ثلاثة أرباع رقعته تقع شمال درجة العرض ٥٠ شمالاً وهي درجة العرض القصوى الجنوبية في بريطانيا . ويظهر الطابع القاري كذلك في **التهطالات** ، فتكون على العموم قليلة الغزارة ، ومن المعروف أن الري يصبح ضرورياً للحصول على إنتاج زراعي سنوي عندما تقل الأمطار عن ٤٠٠ مم في العام . وتهطل الأمطار في الغالب خلال فصل الصيف ويؤدي التبخر الشديد إلى تقليل نتائجها الخيّرة على المزروعات . أما الثلج فيغطي الأرض قرابة ستة شهور في معظم أنحاء البلاد حتى أنه قد يتساقط في مدينة ڤيلاديڤوستوك خلال شهر آب ، ولكنه لا يكون

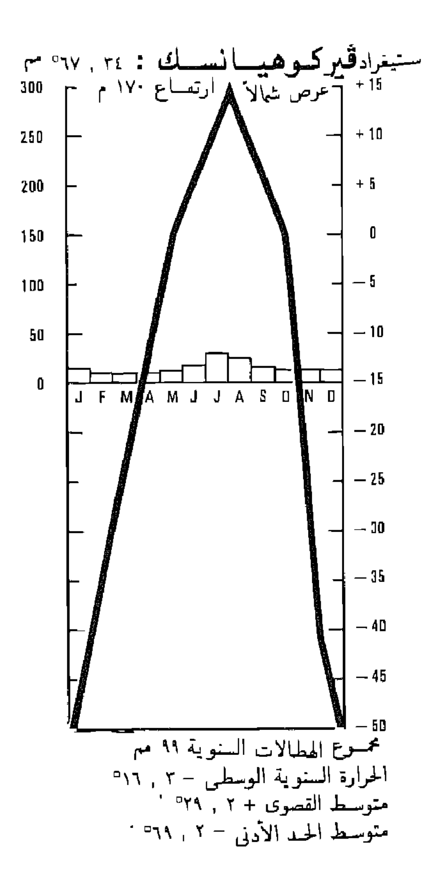
---

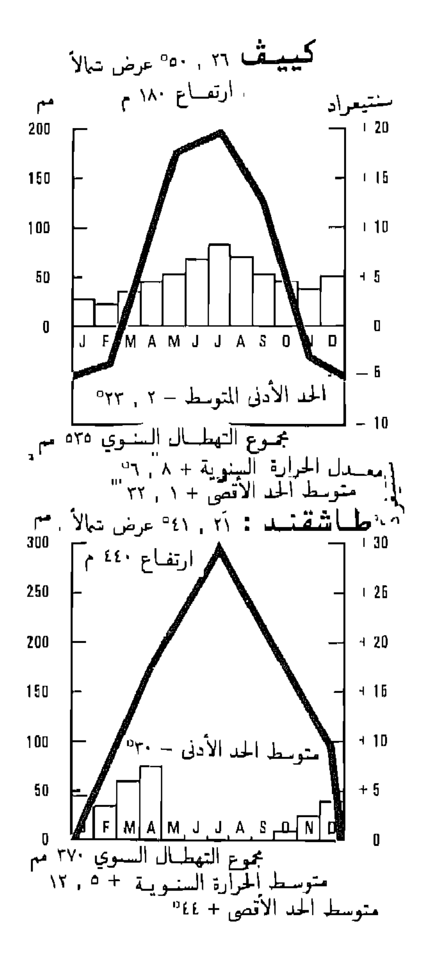
(١) وكانت تدعى ايكاتيريـورغ ، قبل الثورة البلشفية ، وستاليـغراد حتى ١٩٥٦ .

تخيناً فيتراوح بين ١٠ و ٣٠ سم وبذلك لا يوفر الحماية الكافية للأرض ضد التجمد العميق .

ويكون **تماثل الفصول** هو الطابع الآخر المميز للمناخات السوفياتية . فنجد في كل مكان فصلين رئيسيين ، لأن الفترتين الانتقاليتين ، أي الربيع والخريف ، القصيرتين لا يمكن تمثيلهما بفصلي الربيع والخريف إلا بصعوبة . **فالشتاء** يستقر في بداية شهر كانون الأول ويستمر حتى نيسان . ويكون على العموم جافاً ومشمساً ، إذ يندر تساقط الثلوج خلاله . ويتحول كل شيء إلى جليد : أي يتجمد سطح الأرض مثلما يتجمد باطنها ، وكذلك شأن الأنهار والبحيرات والسواحل البحرية . ويغطي الثلج الرقيق ، والمتصلّب ، كل شيء . وتصبح الاتصالات وأوجه النشاط الأخرى شاقة : وهكذا تكون « كلفة الشتاء » باهظة جداً . ويأتي **الصيف** على حين غرة . فبعد أواخر أيام الصقيع ببضعة أيام يرتفع ميزان الحرارة إلى ٢٠ درجة فوق الصفر . وتكون فترة القيظ مصحوبة بالرطوبة ، فضلاً عن بضع زخات سخية تأتي في مطلع الصيف ، وبعد قليل يسود الجفاف . ويكون الصيف قصيراً إذ لا يتجاوز الثلاثة شهور . وهكذا يكون الفصل الإنباتي مختصراً جداً بالنسبة للمزروعات : فيتراوح بين ١٤٠ و ١٨٠ يوماً مقابل ٢٠٠ إلى ٢٥٠ يوماً في أوروبا الغربية . وعليه يكون فصل الصيف هو فصل الأعمال المكثفة ، وتتعرض الآلات لمحنة قاسية ، تتطلب التصليحات أو التعويضات ، مما يجعل العبء الاقتصادي ثقيلاً ، ويكون « فصلا » الربيع والخريف ، وهما فصل انفكاك الانجماد ، أو تجمّد كل شيء ، فصلي الوحول والطين (شكل ٤) .

ولصفات مناخية كهذه نتائج تؤثر بشدة على الحياة البشرية : فالمناخات ترتبط بصورة حمية **بالحياة الزراعية** . ويتجلى ذلك على شكل مجال زراعي محدود الرقعة ، ونطاقية نباتية دقيقة ، ومحاصيل تكون غالباً غير





الشكل (٤)

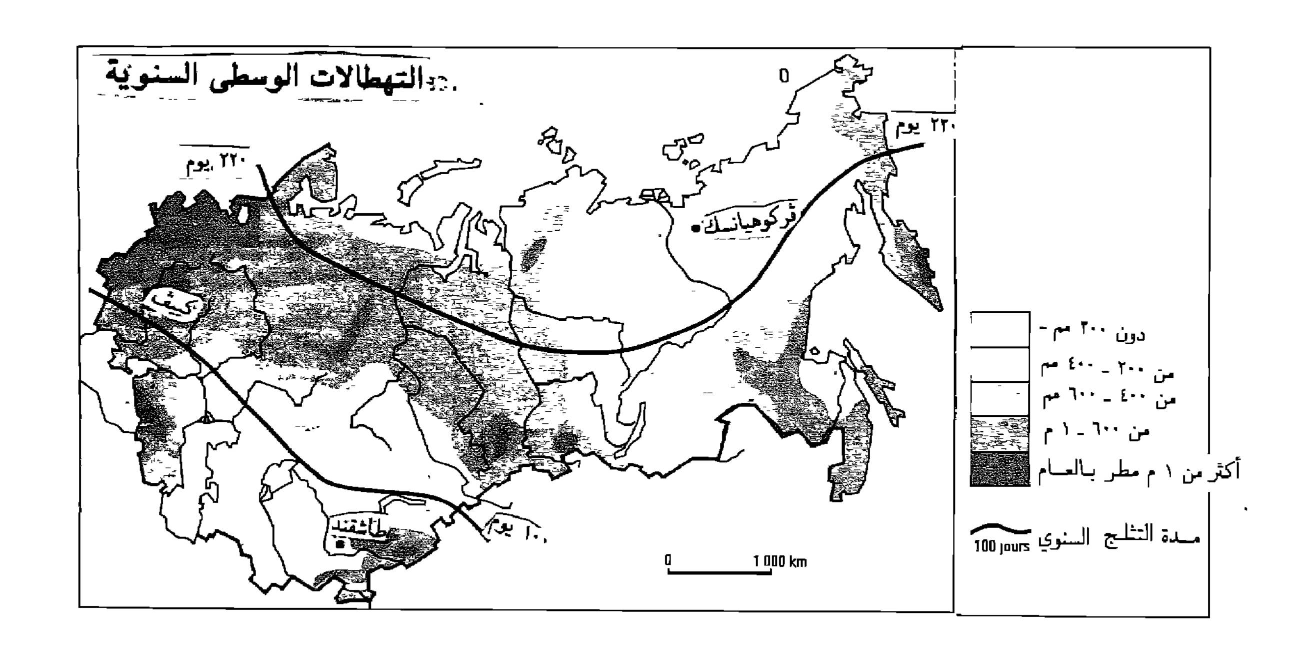
منتظمة ، فقد كانت مواسم الحبوب رديئة في عام ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٩ وجيدة في عام ١٩٧٦ و ١٩٧٧ و ١٩٧٨ و ١٩٨١ . هذا **وتحمل الحياة** الاقتصادية في مجملها الطابع المناخي (شكل٥) . فتدين المواصلات بصفاتها الخاصة للمناخ سواء كانت أرضية أو جوية أو بالطرق المائية ، ولهذا يكون الخط الحديدي دوماً أفضل مواءمة من الطرق مع قساوة الشتاء ومع فترات انفكاك الجليد . هذا كما أن الشروط المناخية هي التي تهيمن على « المنظومات

الأيكولوجية écosystèmes[1] التي تؤلف البيئات الحياتية الكبرى والتي يعمل الإنسان جاهداً على أن يضعها موضع الاستغلال .

تطور درجة الحرارة في موسكو خلال شتاء ١٩٧٧ ـ ٧٨ (لطيف نسبياً)

	أخفض حرارة ليلاً	أعلى درجة نهاراً
١٩٧٧/٩/٨	+ ١	+ ١٥
٧٧/٩/٢٥	٠	+ ٦
١٠/٩	− ٤	+ ٣
١٠/٢٨	٠	+ ٨
١١/٢٥	− ١	+ ٢
١٢/٢	− ٨	+ ٧
١٢/١٨	− ١	+ ٢
١٩٧٨/١/١٢	− ١٠	٠
٧٨/١/٢٠	− ١٥	− ١٢
٧٨/٢/٦	− ٩	− ٨
٧٨/٢/١٢	− ٤	− ٣
٣/٨	− ١	+ ٩
٣/٣١	+ ١	+ ١٠

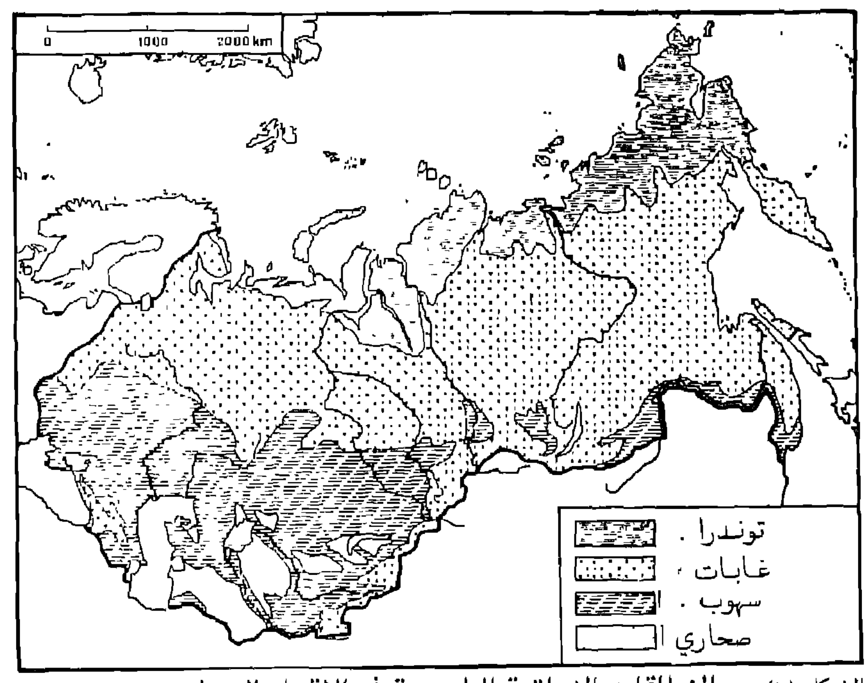
(١) écosystème : إن المنظومة الأيكولوجية هي التي تضم فوق رقعة معينة قد تكون مستنقعاً ، أو محيطاً ، أو غابة كالطايغا السيبيرية ، محددة ومعرّفة بصفاتها الطبيعية ، تضم جماعة من كائنات حية تقيم فيا بينها علاقات غذائية ، ابتداءً من نمو العشب ، الذي تقضمه آكلات الأعشاب التي تفترسها الحيوانات اللاحمة ، ويخضع الجميع فيا بعد لتأثير كائنات التفسخ . وتكون المنظومة الأيكولوجية في تطور ، مثلما تكون سريعة العطب وقد يختل اتزانها نتيجة تلف عنصر واحد كتكاثر آكلات الأعشاب بعد القضاء على الحيوانات المفترسة « الضارة » .


التهطالات الوسطى السنوية
٢٢٠ يوم
٢٢٠ يوم
١٠٠ يوم
كييف
طاشقند
فركوهيانسك
0
1 000 km
دون ٢٠٠ مم
من ٢٠٠ ـ ٤٠٠ مم
من ٤٠٠ ـ ٦٠٠ مم
من ٦٠٠ ـ ١ م
أكثر من ١ م مطر بالعام
مدة التثلج السنوي
100 jours

الشكل (٥)

الإنسان والبيئة : الغابة والسهب

يقدم الاتحاد السوفييتي عن طريق أبعاده وموقعه بين درجتي العرض ٣٥ و ٨٢ شمالاً ، وبتوغله في أعماق القارة الأوراسية ، يقدم بيئات حياتية متنوعة وقاهرة للإنسان بشكل فريد . وترسم هذه البيئات ، من خلال رقعة الاتحاد السوفييتي ، أربعة نطاقات متفاوتة في توازيها ، وتعبر بذلك عن تأثير درجات العرض ، يتجه معظمها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، شاهدة بذلك على تأثير القارية . ويقدم كل من هذه البيئات للإنسان شروط حياة نوعية لم يتمكن التقدم التقني من تجاوزها بعد (شكل٦) .



الشكل (٦) النطاقات النباتية الطبيعية في الاتحاد السوفييتي

وتحتـــل **الغـــابـــة** مكانـــة عظيمـــة . فهي تغطي ٥٢ ٪ من أراضي الاتحـــاد السوفييتي ، لأن حدودهـا تكون منـاخيـة في الوقت ذاتـه ، ولأن الشجيرة تختفي شمالاً بمجرد أن تقـل الحرارة الـوسطى لشهر تموز عن ١٠ درجـات مئـويـة ، كما تتلاشى باتجاه الجنوب عندما تقل بمقـادير التهطـال السنوي عن ٤٠٠ أو ٥٠٠ مم ، مثلما تكون بشرية لأن كسر الغابة وإخضاع أرضها للزراعة أدى لتقهقر حدودهـا الجنوبية ، لأن موسكو ذاتها كانت ، في الماضي ، عبارة عن فسحة ضمن الغابة .

وتكون هذه الغابة متنوعة نظراً لشدة اتساعها . فعبارة **طايغا** تعني الغـابـة الشماليـة ذات الأنواع المتوائمـة مـع البرد والمؤلفـة من المخروطيـات ومن السنـدر . وهناك **الغـابـة المختلطـة** المتميزة بـالغـابـات ذات الأوراق مثل النيريـة charme والسندر والقيقب والبلوط ، والمختلطـة بـالراتنجيـات . وتنتشر عمومـاً في جنوب وفي غرب الاتحـاد . وتظهر فيما وراء هـذين النمطين الكبيرتين نـوعيـات عـديـدة تـؤدي إلى شـدة في التنـوع ضمن هـذا العـالم الغـابي ، وتـؤدي بـالتـالي إلى تنـوع الإمكانات الاقتصادية .

وقد ظلت هذه الغابة ولمدة طويلـة ، تؤلف بيئـة حيـاتيـة متميزة مرموقـة ، حتى ليمكن الكلام عن حضارة الخشب ، والذي تقـدم الإيسبـه isba ، وهو البيت الخشبي الروسي ، شهـادة عنهـا . وتبـدو اليوم على شكل نطـاق من استيطـان مبعثر ، غير متماسـك ، لأن استغلال الغـابـة ، صنـاعيـاً ، لا زال مرتبطـاً بمحـاور المواصلات الكبرى ، وينطبق على أوديـة الأنهـار الكبرى ، ويقـدم القسم الأوربي من الاتحاد ثلثي الإنتاج الغابي السوفيـاتي . وأخيراً لا تزال الغـابـة ، في معظمهـا ، مجالاً فسيحاً ، بكراً ، ينتظر السيطرة عليه واستغلاله .

هـذا و**يمتـد السهب** على ١٦ ٪ من رقعـة الاتحـاد[١] . وهو يتمثـل بمظهرين

(١) لقد ظلت كلمة السهب العربية دون استعمال ومهملة لأن أكثر الجغرافيين يترجمون عبارة steppes « ترجمة الماء للماء » فترجموها بعبـارة « استبس » ، في حين ترجمت بعبـارة سبـاسب في الكتب التونسيـة ، علماً بـأن كلمـة =

رئيسيين : فهناك السهب العشبي الذي يقدم مشهد **مروج** حسب مدلول هذه العبارة في شمالي أمريكا أو Prairie . ويكون هذا هو مجال النجيليات والتربة السوداء أو التشرنوزيوم ، وهي أغنى ترب العالم قاطبة ، وهناك السهب الجاف الرمادي ، وحيث يكون النبات هزيلاً والذي يؤلف نطاقاً انتقالياً باتجاه الصحراء .

وهكذا يلعب « السهب الأسود » إذن دوراً جوهرياً بالنسبة للإنسان . وكان في الأصل عبارة عن مجال المراعي عند الرعاة ، لأن الفلاحين كانوا يقيمون ضمن فسحات الغابة الشمالية ، وقد أصبح الآن أكثر فأكثر ، « عنبر قمح » الاتحاد السوفييتي . غير أن هشاشة هذه البيئة لا زالت كبيرة ، وأكبر دليل على ذلك هي ملحمة « الأراضي العذراء » خلال الستينات ، وهكذا أصبحت المحاصيل الزراعية غير مضمونة متقلبة نظراً لندرة أنواع القمح المتوائمة مع هذه البيئة ، والافتقار إلى دورة زراعية علمية وانعدام حماية تربة الأراضي الزراعية بطريقة ناجعة .

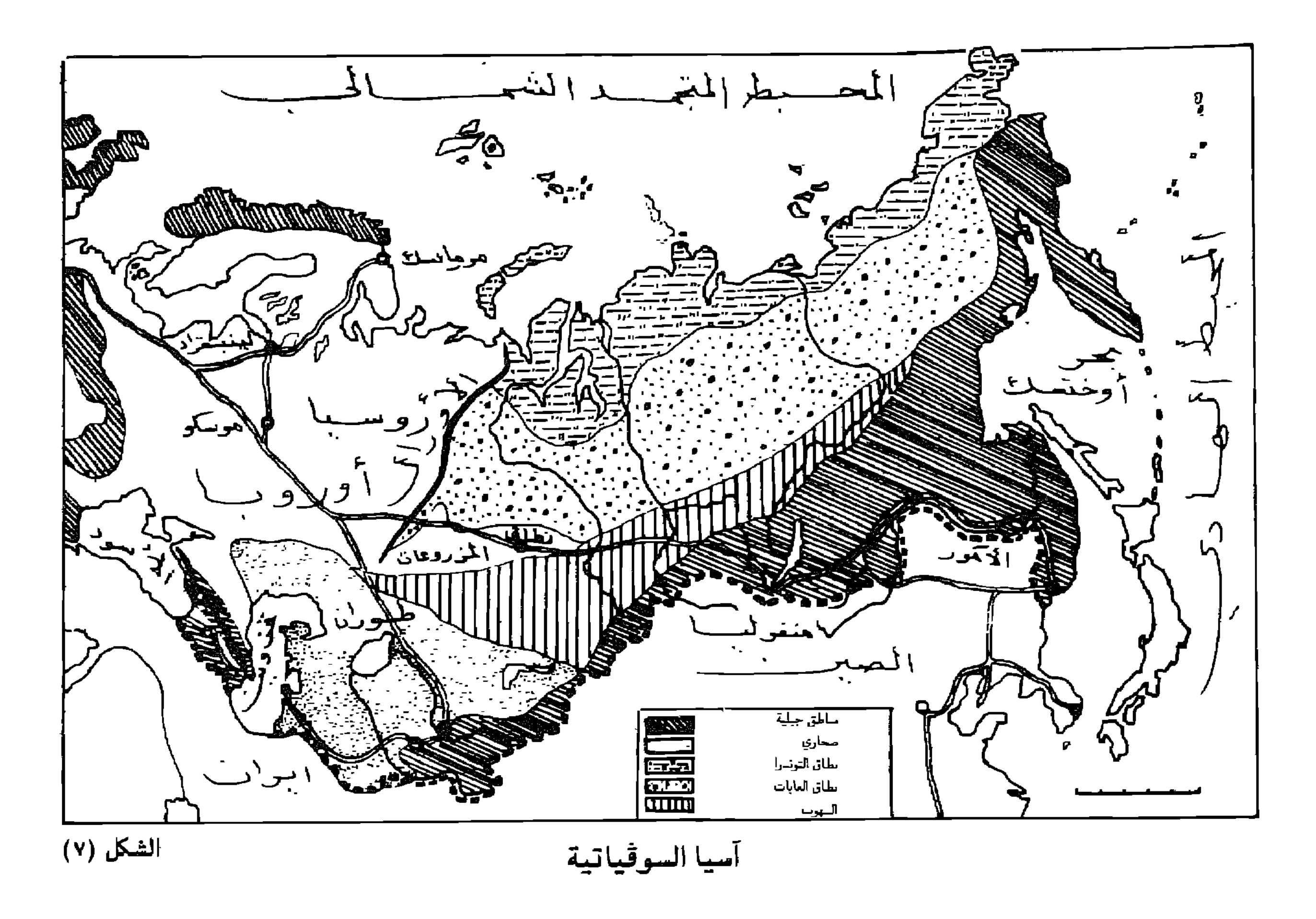
سهب معروفة عند مئات السنين بالعربية كما وردت في كتاب وصف أفريقيا للحسن الوزان « ليون الأفريقي » في عام ١٥٢٦ م .

الإنسان والبيئة : الصحراء والتوندرا

تمثل الرقعة التي **تعتبر صحراوية** في الاتحاد السوفييتي ١٣ ٪ من مساحة البلاد أو قرابة ٣ ملايين كيلومتر مربع (شكل٧) . وهي لاتؤلف ، أكثر من السهب ، نطاقاً متطاولاً من الغرب إلى الشرق ، على كل أراضي الاتحاد ، لأن الصحارى تنحصر فقط في منطقة آسيا الوسطى السوفياتية ، أو بلاد التركستان سابقاً . وتتميز كسائر صحارى العالم بقلة تهطالاتها ، والتي تقل عموماً عن ٢٠٠ ملم سنوياً ، مثلما تكون درجات الحرارة الصيفية فيها عالية ومصحوبة بتبخر شديد ، وهكذا يكون البساط النباتي فيها هزيلاً ومتقطعاً . ولكن للصحارى السوفياتية صفات نوعية هي أنها صحارى قارية ، إذ يندر أن تكون عبارة عن صحارى مطلقة ، مثلما تتعرض لفصول شتاء قارسة البرد ، بحيث لاتكون درجات الحرارة ، التي تقل عن − ٣٠ درجة تحت الصفر ، استثنائية ، ولا نجد مكاناً ينعدم فيه الانجماد شتاءً .

وعليه نجد أن تحسين شروط الحياة في الصحراء السوفياتية ممكناً في كل مكان على خلاف الصحراء الكبرى الأفريقية ، ولكن يستدعي هذا جهداً تقنياً عظيماً . فتقوم هنا زراعات تنمو بصورة مضطردة في ظلال الحور ضمن « غوطات » مروية حقيقية ، ولكن ليس تحت ظلال النخيل « واحات أو جزر كما يسميها ابن حوقل » ، في حين تتجه تربية الماشية ، أكثر فأكثر ، نحو الاستقرار ، وذلك نتيجة الاستعمار الروسي منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وفي الوقت ذاته ، نتيجة التشريع السوفياتي ، فيما بعد ، ضمن إطار السوفخوزات والكولخوزات .

وتغطي **الطوندرا** حوالي ١٥ ٪ من مساحة الاتحاد ، أو قرابة ٤ ملايين كم٢ ، وتمتد على طول سواحل المحيط المتجمد الشمالي وفي الجزر بدءاً من



الشكل (٧)

آسيا السوفياتية

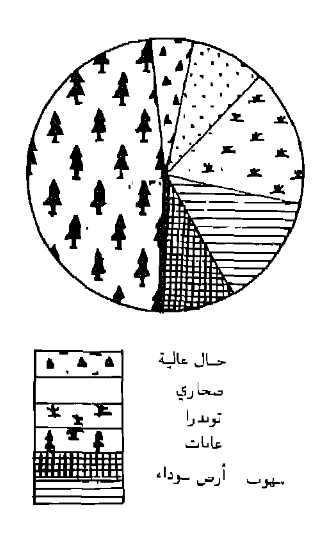
مورمانسك حتى الشرق الأقصى على عرض متوسط مقداره ٢٠٠ كم وشمال الدائرة القطبيـة . ذاك هـو نطـاق قطبي حيث لا يتجـاوز معـدل الحرارة في تموز ١٠ درجـات فوق الصفر ، في حين تقع المعـدلات الـدنيـا حول – ٤٠° تحت الصفر . ويستمر الشتـاء هنـا مـدة تسعـة شهور ، أي من ايلـول إلى أيـار ، ويظـل الثلـج الرقيق مـدة طويلـة فوق الأرض ولا يمنع التجمـد من التغلغل نحو أعمـاق الأرض وهو مـا يـدعى بـ « المرزلوتـا » . وهكـذا ينكمش النبـات على شكل سهب قطبي مؤلف من الأشنيات والحزازيات . ويأتي الليل القطبي الذي يمتـد على ٢٠ سـاعـة في شهر كانـون الأول شمال درجـة العرض ٦٠ شمالاً ليجعـل مجـال التـونـدرا منفراً وطارداً للإنسان .

والواقع تشكل التونـدرا بيئـة حيـاة فقيرة فـالسكان الوطنيون ، من تونغـوز وصاموئيد وياكوت ، في تناقص مستمر ، كما أن تربية وعل الرنّة شبه البـدويـة في تراجع أكثر فأكثر . وقد عمل الاستعمار الروسي ، ولا سيما السوفيـاتي ، على إنعـاش هـذه البيئـة . وجـاء استغـلال الفحم الحجري والنيكل وتطـور الطريـق البحري الشمالي كي يبرر تـدفـق السكان الـذين يعيش ٨٠ ٪ منهم في مـدن تمثـل مـواقـع متقـدمـة في الشمال العظيم والـذي لا تقـل أهميتهـا الاستراتيجيـة عن أهميتهـا الاقتصادية .

وتؤلف **الجبال** عالماً لوحده في الاتحـاد السوفييتي . ويكون بعضهـا كجبـال القفقاس ، مأهولة منذ عصور موغلـة في القـدم وتضم أقوامـاً ذات حضـارة أصيلـة كالشركس والقوشحة والداغستان والشاشان . أما جبال الأورال القليلـة الارتفـاع فقد أصبحت بؤرة لتصنيع متقدم . غير أن جبال آسيا الوسطى وسيبيريـا لا تزال منـاطق خـاليـة أو منـاطق واقعـة على تخوم العمران . وتظل الأنشطـة البشريـة المحدودة على علاقة وثيقة بـالارتفـاع . وبعـد أن ظلت الجبـال مهملـة خلال أمـد طويل دخلت عصر الاستغلال في بـدايتـه ، ولا يستطيع الجبل أن يـزدهر إلا في

حالة تفاغم مع السهل ، وهكذا تتعلق درجة تجهيز الثروة الكامنة في الجبل بدرجة تحول سفحه أي البيمونت Pièmont (شكل ٨) .

هذا وتلعب **الطبيعة السوفياتية دوراً قسرياً** بالنسبة للأنشطة البشرية . فهناك نوع من تطابق بين الموارد البيولوجية وبين توزع الناس ، ولكن تكون الموارد الصناعية والهيدروليكية والطاقيّة والمعدنية متناثرة في سائر أرجاء الاتحاد . إذن هل يجب أن ننقل الناس إلى حيث توجد « الثروات » ؟ أو هل يجب ، على العكس ، نقل الموارد نحو بؤر الاستيطان ؟ ويغطي هذا المفهوم المزدوج فعلاً مشكلة السيطرة على المجال والذي تتعرض له كل الأقطار ذات الأبعاد الكبيرة . ويتعلق الجواب ، بلا ريب ، بعوامل البيئة ، مثلما يتعلق أيضاً بالمستويات البشرية في مضمار التطور الاقتصادي .



توزيع النطاقات النباتية الكبرى في الاتحاد السوفياتي

الشكل (٨)

الشعوب والأقوام السوڤياتية

الاتحاد السوڤييتي دولة متعددة القوميات ، فهو يتألف أكثر من مئة قومية ، يتكلمون ٨٩ لغة رسمية . وطرحت مشكلة تجاوز هذه الفسيفساء البشرية ابتداءً من عام ١٩١٧ بغية التوصل إلى الوحدة الضرورية للدولة الاشتراكية الجديدة .

ويبدو **تنوع الشعوب السوڤياتية** كبيراً للغاية : فقد نتج عن تكوين الإمبراطورية الروسية ، والتي كان ملوكها يحملون لقب « قيصر » « كل ممالك الروسيا » . وعلى الرغم من سياسة « الترويس » عن طريق الاستعمار فقد رفضت ذلك مختلف القوميات ، وبقيت على شكل أقليات مقهورة .

هذا ويكون توزعها **متفاوتاً جداً عبر الاتحاد** . فيتميز **القسم الأوروبي** بتفوق المجموعة السلاقية من روس وأوكرانيين وروس بيض ، وعدد قليل من أقليات وطنية ، وهي أقوام نُفيت نحو السفح الغربي لجبال الأورال أو نحو وادي الفولغا الأوسط . هذا كما لعبت أودية مرتفعات بلاد **القفقاس** العديدة دور ملاجئ لعدد من الأقوام التي انساحت نحو السهول المجاورة . وقد نتج عن ذلك وضع معقد تجاور فيه المسلمون مع النصارى ، وفلاحون من أصل فارسي مع مربي ماشية من أصل تتري . ونعثر على التعقيد ذاته في **آسيا الوسطى** حيث تختلط أقوام نزحت من إيران ، وهم التاجيك ، مع فلاحي الغوطات النهرية من الأوزبك ، أو مع بدو السهوب من قيرغيز (صورة رقم ١) وكازاخ . هذا وتحوي **سيبيريا** الفسيحة ، القليلة السكان ، عدداً كبيراً من أقوام صغيرة ، تعيش منعزلة في التوندرا والطايغا ، أو في السهوب الجنوبية .

اسرة قيرغيزية وضيوفها



الصورة (١)

والواقع يتألف الاتحاد السوفييتي من فسيفساء قومية . ولكن هناك طابع آخر ، مميز أيضاً ، وهو هيمنة السلاف « الصقالبة » ولا سيا الروس منهم ، وهم الشعب الوحيد « المتواجد » فوق كل رقعة الاتحاد ، وكثيراً ما يكون عددهم أكثر من « الوطنيين » كما هو الحال في كازاخستان ، مثلما يكونون في أغلب الأحياء متمركزين في المدن ، وفي المناطق الصناعية ، أي في أقطاب الحكم والقرار .

ولقد فرض وضع كهذا وجود سياسة **قوميات** . ولقد فتح لينين « سجن الشعوب » ، فما أن أعلنت المساواة بين القوميات حتى نالت الدولة الجديدة بنية اتحادية في عام ١٩٢٢ وبذلك نشأ الاتحاد السوفييتي . ويضم مجلس سوفيات القوميات الآن ٧٥٠ مندوباً يدافعون عن مصالحها .

غير أن وزن جمهورية روسيا الاتحادية يظل ساحقاً ، فالنظام السوفييتي يتطبّق انطلاقاً من موسكو ، ورغم جهود حقيقية في اتجاه التوطين أو الاعتماد على العنصر الوطني indegénisation فإن الحزب الشيوعي يظل دوماً تحت هيمنة العنصر الروسي وكذلك قيادات الجيش العليا . ويبدو أن هذا أمر لا مفر منه في الظرف التاريخي للثورة وفي أوائل عقود وجودها . وهكذا وبعد أكثر من ستين عاماً تظل مشكلة القوميات كما كانت ، وتنتظر الحل .

وينادي دستور تشرين الأول ١٩٧٧ في مقدمته : « لقد تم قيام مجتمع اشتراكي متقدم في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية « على أساس » مساواة في الحقوق ، وفي الواقع ، لكل القوميات والأجناس ضمن التعاون الأخوي » . وهكذا يعترف الدستور بفردية القوميات والذي تؤكد عليه المادة ١٩ التي تحدد هدفاً ينبغي بلوغه وهو « تقارب القوميات » . ويؤلف الشعب السوفياتي ، بلا ريب ، جماعة بشرية جديدة تاريخية . ولكنه يظل ، عند هذا المستوى من التطور الاشتراكي ، متعدد القوميات .

دستور ٧ تشرين الأول ١٩٧٧

المادة ٧٠ : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو دولة متعددة القوميات ، فيدرالية ، متحدة ، مؤلفة بموجب المبدأ الفيدرالي الاشتراكي ، على أثر التقرير الذاتي الحر للقوميات والمشاركة الحرة التي وافقت عليها الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية المتساوية في الحقوق .

ويجسّد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الوحدة المدوّلنة للشعب السوفياتي ويضم كل القوميات والجنسيات بقصد بناء الشيوعية سوية .

ويتألف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية من ١٥ جمهورية اتحادية ومن ٣٨ مجموعة قومية ذات استقلال ذاتي :

ـ **الجمهورية الاتحادية هي دولة اشتراكية ذات سيادة** فلها دستورها الخاص المطابق لدستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والذي يأخذ بعين الاعتبار الخصائص القومية والاقتصادية والأخرى لكل جمهورية . ولكل جمهورية اتحادية مجلس سوفياتها ومجلس رئاسة أعلى ، ومجلس وزراء ، ومحكمة عليا ، وعاصمتها وعلمها ونشيدها القومي .

ـ أما الجمهورية **ذات الاستقلال الذاتي فهي** وحدة قومية وسياسية تؤلف جزءاً من الجمهورية الاتحادية . ولها أيضاً دستورها الذي يعبر عن أصالتها .

ـ وهناك المنطقة **ذات الاستقلال الذاتي** ، وهي **وحدة قومية وأرضية** تتمتع باستقلال إداري ذاتي ينطبق على التركيب القومي لسكانها ولملامحها المميزة .

ـ وهناك **الناحية المستقلة ذاتياً** وهي وحدة قومية وأرضية تتميز بتكوينها القومي وبنمط حياتها وكذلك بسكانها القليلي العدد نسبياً .

☆ ☆ ☆

دستور ١٩٧٧ المادة ١١٠

المجلس الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

سوفيات الاتحاد : ٧٥٠ عضواً ينتخبون حسب الدوائر الانتخابية التي تضم عدداً متساوياً من السكان . وينتخب لمدة ٥ أعوام .

سوفيات القوميات : ويضم ٧٥٠ عضواً من ٣٢ جمهورية اتحادية ، و ١١ جمهورية ذات استقلال ذاتي ، ومن ٥ مناطق مستقلة ذاتياً ، ومن ناحية مستقلة ذاتياً ، وينتخب لمدة ٥ أعوام .

سكان الاتحاد السوڤيتي

الديموغرافيا ومشكلات الأيدي العاملة

يحتل سكان الاتحاد السوڤياتي الذي يبلغ تعدادهم ٢٧١ مليون في اليوم الأول من عام ١٩٨٣ و ٢٦٤,١ مليون في منتصف عام ١٩٧٩ ، المرتبة الثالثة في العالم بعد سكان الصين القارية والاتحاد الهندي . وبعد أن ظلت الحركة الديموغرافية نشيطة جداً في هذه البلاد راحت تتخذ حالياً ملامح جديدة تؤثر نتائجها على العديد من مظاهر الحياة السوڤيتية .

فقد شهد سكان الاتحاد السوڤيتي نمواً واسعاً في القرن العشرين وذلك على الرغم من وقوع حربين عالميتين دمرت الاتحاد ، لأن الحرب العالمية الثانية أهلكت لوحدها ٢٠ مليون من السوڤياتيين ، وقد كان هذا التزايد غير مستمر ويجنح اليوم نحو التباطؤ ، مثلما كان على صلة وثيقة بتطور التزايد الطبيعي السكاني :

النسبة بالألف	١٩١٣	١٩٤٠	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٧	١٩٨١
التوالد	٤٥,٥	٣١	٢٦,٧	٢٥	١٧,٤	١٨	١٨,٤
الوفيات	٢٩	١٨	٩,٧	٧,١	٨,٢	٩	٩,٧
النمو الطبيعي	١٦,٥	١٣	١٧	١٧,٩	٩,٢	٩	٨,٥

فقد نتج عن تناقص الوفيات ، والذي بلغ نسبة تعدّ من أخفض مثيلاتها في العالم ، بالإضافة إلى استمرار توالد مرتفع ، أقول نتج نمو طبيعي شديد جداً كان يعادل ١٨ بالألف وهذا حتى عام ١٩٦٠ . ولكن منذ ٢٠ عاماً أدى هبوط نسبة التوالد ، في الوقت الذي استقرت فيه نسبة الوفيات عند حد يعادل مثيله في

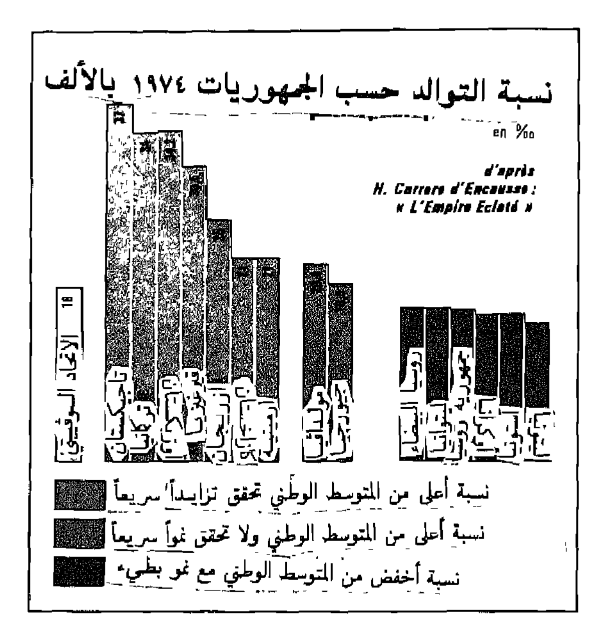
الأقطار الصناعية الغربية ، إلى تباطؤ النشاط الديموغرافي مع بقائه أعلى نسبياً مما هو عليه في العالم الغربي . والواقع نكون هنا أمام ظاهرة معروفة عالمياً في البلاد الصناعية ، ومرتبطة بتطور التربية ، ولا سيما في صفوف الإناث ، وبالنمو العمراني ، وبتطور أنماط المعيشة التي تنتج عنه . كما أن انتقال أنماط الحياة الحضرية إلى العالم الريفي قد يفسّر فجائية هبوط التوالد السوڤيتي والذي يشهد عليه إحصاء عام ١٩٧٠ .

غير أن حدة هذه الظاهرة تكون متفاوتة إقليمياً وقومياً ، لأن نسبة التوالد لدى كل شعوب ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى ، وأكثرها أمم إسلامية ، تكون دائماً عالية جداً ، في حين أن شعوب القسم الأوروبي ، ومعظمهم من الصقالبة ، لا يتزايدون إلا بنسبة عددية متواضعة[1] (شكل ٩) .

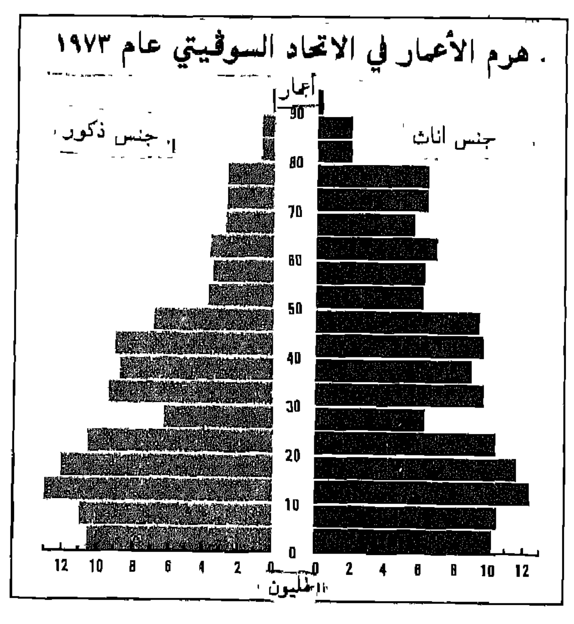
غير أن **نتائج** هذه الملامح تكون متعددة . فالعطالة الخاصة بالظاهرات الديموغرافية تسلّط على الحاضر كوارث الماضي . وتعبر تكسّرات هرم الأعمار ذلك الوضع بيانياً . فهي تنم خاصة عن المجازر والشرائح الجوفاء الناتجة عن الحروب . وهناك نتيجة أخرى ، وهي أن الاتحاد السوڤيتي كان مأهولاً ، خلال ربع قرن ، بأكثرية نسائية . وقد كان لهذا الاختلال في التوازن بين الجنسين أثره الواضح على نسبة الزيجات مثلما انعكس على تركيب السكان العاملين (شكل ١٠) .

---

(١) في ١٩٧٨ كانت نسبة التوالد ١٥ بالألف في روسيا السوڤيتية و ١٥ بالألف في اوكرانيا هذا مقابل نسبة توالد ٣٥ بالألف في اوزبكستان وتركمانستان و ٣٧ بالألف في تاجيكستان وتزايد الروس بنسبة ١٢٪ بين ١٩٥٩ و ١٩٧٠ وترايد الاوزبك والطاجيك بنسبة ٥٣٪ في الفترة داتها عن الحوليات الجعرافية : تموز ١٩٧٩
ص ٤٩١ باريس



الشكل (٩)



الشكل (١٠)

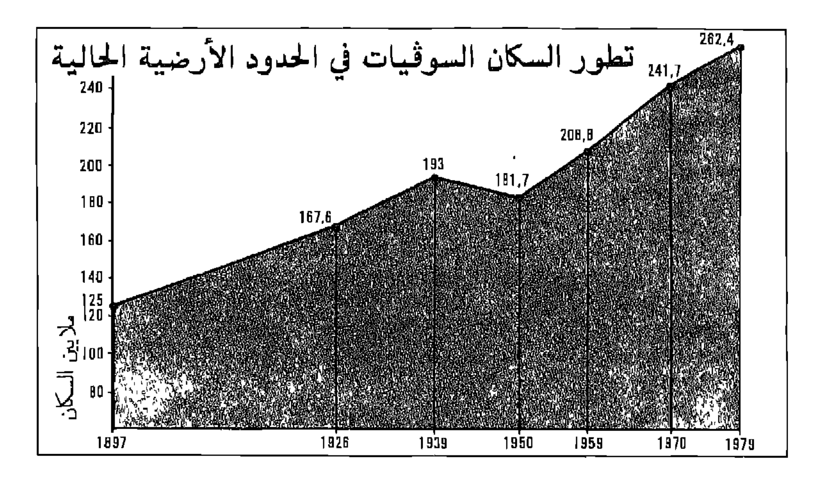
ويعبر التطور الحالي عن شيخوخة مجموع سكان الاتحاد السوفيتي . فالعمر المتوسط عن الولادة ، أو الأجل المرتقب ، والذي كان بحدود ٣٠ سنة في نهاية القرن التاسع عشر أصبح اليوم ٧٠ سنة وسطياً ، أو ٦٥ سنة للذكور و ٧٤ سنة للإناث . ويرتبط هذا التقدم مباشرة بالتحسن العام في أوضاع المعيشة والتي سمحت ، على الخصوص ، بانخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال والتي كانت ٢٨ بالألف عام ١٩٧٧ . وتؤثر هذه الشيخوخة ، من ناحية أخرى على عدد السكان العاملين ، لأن عدد هؤلاء يندرج عملياً في النظام الاشتراكي مع الذين هم في سن العمل ، ذلك السن الذي يتراوح بين ١٦ و ٦٠ سنة بالنسبة للذكور وبين ١٦ و ٥٥ سنة بالنسبة للنساء . وهكذا قدمت الديموغرافية الديناميكية للاتحاد السوفيتي نسبة لاتنفك عن التزايد من السكان العاملين . وقد سمحت هذه الوفرة من الشغيلة ، من رجال ونساء ، بتحقيق النهضة الاقتصادية . وابتداءً من السبعينات أخذ تزايد العاملين العددي في التراخي . ولكنها بلغت مع ذلك ٢,٥ مليون في عام ١٩٧١ كي تهبط إلى ٦٠٠٠٠٠ فقط في عام ١٩٧٥ . ولم تعد الأرياف السوفيتية تؤلف ذلك المعين الذي لا ينضب من الأيدي العاملة . وأصبح من الواجب على الاقتصاد أن يأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار مع التشديد على الإنتاجية ، لاسيا وأن السكان العاملين المتوفرين يقيمون ، أكثر فأكثر ، في غير الأماكن التي تكون الحاجة ماسّة إليهم للغاية .

ومما لا ريب فيه أن أكبر ديناميكية ديموغرافية ، وهي تلك التي نلاحظها في جمهوريات القفقاس وآسيا الوسطى وكازاخستان ، ستؤدي حتماً إلى تغيير عميق في نسبة السكان بين القوميات المختلفة ، أي ستكون الأرجحية للقوميات الإسلامية ، ويشكل هذا ، فضلاً عن ذلك ، « التحدي الحقيقي لمستقبل الاقتصاد السوفيتي » كما كتب هـ . كارير دانكوس .

لقد جرى **الإحصاء السادس** في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ١٧ إلى ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٩ . وكان الأول عام ١٨٩٧ والثاني في ١٩٢٦ ، والثالث في ١٩٣٩ ، والرابع عام ١٩٥٩ ، والخامس في ١٩٧٠ ،

والسادس في ۱۹۸۳ ، أقول جرى ضمن إطار التحضير للمخطط الخمسي الحادي عشر ، أي ۱۹۸۱ ـ ۱۹۸٥ . ويتمحور هذا المخطط حول تحليل « موارد العمل » في الاتحاد السوقيتي ، أي على النتائج الاجتماعية الاقتصادية للتطور الديموغرافي في البلاد (شكل ۱۱) .

أكثرية نسائية : كان في الاتحاد السوقيتي في عام ۱۹۷۹ ۱٤۰ مليون أنثى مقابل ۱۲۲,٤ مليون ذكر ، أي تؤلف الإناث ٥٣٪ من عدد السكان الكلي . بيد أن هذه النسبة لا نجدها إطلاقاً بين الذين تقل أعمارهم عن ٥۰ سنة .



الشكل (۱۱)

فترات مابين الإحصاءات	مميزات الفترة	التزايد المئوي خلال الفترة	التزايد السنوي المئوي
١٨٩٧ ـ ١٩٢٦			
	الحرب الروسية اليابانية		
٣٠ سنة	الحرب العالمية الأولى		
	الثورة والحرب الأهلية	٣٤,١	٠,٩٨
١٩٢٦ ـ ١٩٣٩	الاقتصاد الجماعي		
١٤ سنة	التصنيع		
	التحضر العمراني	١٥,١	١,١٩
	التصفيات الجسدية		
١٩٣٩ ـ ١٩٥٠	الحرب العالمية الثانية		
١٢ سنة	إعادة البناء	ـ ٥,٩	ـ ٠,٤٩
١٩٥٠ ـ ١٩٥٩	استمرار عملية إعادة البناء	١٤,٩	١,٧٦
١٠ سنوات			
١٩٥٩ ـ ١٩٧٠	تحديث	١٥,٨	١,٣٤
١٢ سنة			
١٩٧٠ ـ ١٩٧٩	مرحلة الاشتراكية المتقدمة	٨,٥	١
١٠ سنوات			

التوزع السكاني والاستخدام

١٩٠٥ ـ إنجاز الخط الحديدي العابر لسيبريا
١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ ـ القضاء على الكولاك
١٩٣٢ ـ تأسيس الكومسومولسك
١٩٥٤ ـ عملية « الأراضي العذراء »

تدل خارطة الكثافة السكانية في الاتحاد السوفيتي على ضعف وعدم تواصل الإعمار السكاني ، وهما صفتان مرتبطتان بتعقيد عوامل التوطين المكاني . ويطرح هذا الوضع مشكلة هجرات السكان الداخلية لتحقيق استغلال مختلف أرجاء البلاد (شكل ١٢) .

ضعف وتقطع إعمار الاتحاد السوفيتي بالسكان : إذ لاتتجاوز الكثافة الوسطى ١٢ شخصاً في الكيلومتر المربع ، أي تقارب الكثافة السكانية المتوسطة في الوطن العربي الكبير . غير أن هذا الرقم المطلق يحجب مفارقات قديمة جداً ، ذلك أن ثلثي السوفيات يعيشون فوق ربع أرضهم ، أي إلى الغرب من جبال الأورال ، بين بحر البلطيك والبحر الأسود . وتنطبق أشد الكثافات على أكثر المناطق نشاطاً ، مثل المنطقة الوسطى التي تقوم موسكو بإنعاشها مع كثافة تبلغ ٨٠ نسمة في الكيلومتر المربع ، ووادي الفولغا ، وهو محور مواصلات تنتظم عليه سبحة من المدن الكبرى مثل غوركي وكويبيشيف وڤولغو غراد ، وأوكرانيا الجنوبية والصناعية . أما فيما وراء الأورال فيتمركز السكان على وتر مستمر ، يتخذ شكل شريط ضيق ، يتجه على العموم من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي سالكاً تقريباً مسار الخط الحديدي العابر لسيبيريا . وإلى الشرق

كثافات السكان

الدائرة القطبية

الشمال الكبير

GRAND NORD

مدرج فيركوهيانسك

AMPHITHEATRE VERKHOIANSK

Cercle polaire

موسكو

دونباس

ڤولغوغراد

Perm

Sverdlovsk

Bratsk

باكو

Erevan

KARA- KIZIL-

قره كوم

قيزيل كوم

طاشقند

ڤلاديڤوستوك

استيطان كثيف

أكثر من ١٠٠ نسمة كم²

استيطان قوي

٥٠ ـ ١٠٠ نسمة كم²

استيطان معتدل

١٠ ـ ٥٠ نسمة كم²

استيطان ضعيف

١ ـ ١٠ نسمة كم²

صحراء بشرية

دون ١ نسمة كم²

0 1 000 km

الشكل (١٢)

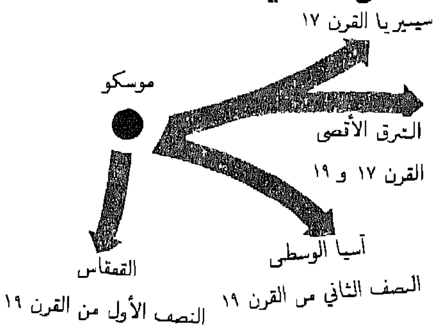
من منطقة الكوزباس يمتد هذا النطاق بواسطة نويّات استيطان متفاوتة في درجة عزلتها عن بعضها بعضاً ، حول بحيرة بايكال وفي حوض نهر الآمور . هذا كما يكون الاستيطان متقطعاً في آسيا الوسطى ، حيث يتجمع الناس حول المدن ذات الوظيفة الإدارية أو الصناعية مثل آلما آتا وطاشقند ، أو في المناطق المروية كالغوطات وعلى سفوح الجبال أو في أعاليها . وهكذا نجد تنافراً صارخاً بين عدد صغير من المناطق المستغلة وبين الفيافي المقفرة تقريباً في الطايغا السيبيرية ، وفي الشرق الأقصى وفي الشمال العظيم .

ويفسر **تعقيد عوامل استقرار السكان** هذا التقطع في الإعمار البشري :

ـ فلقد لعبت العوامل الطبيعية دوراً طارداً . فالمناطق الخالية الكبرى تنطبق على نطاقات قليلة المواءمة للزراعة : كمجال البرد المتصف بوجود الطايغا والتوندرا ، ومجال الجفاف المتمثل بالسهوب شبه الصحراوية في آسيا الوسطى وكازاخستان .

ـ وهناك العوامل التاريخية والاقتصادية التي فرضت نفسها على هذه المعطيات . فالمناطق المأهولة تنطبق على النطاقات التي إنتابها زحف الشعب الروسي ، انطلاقاً من منطقة موسكو باتجاه الشرق والجنوب الشرقي . وقد استؤنف هذا الاندفاع بعد عام ١٩١٧ على شكل زحف سوڤياتي كان يقصد منه ضمان الوحدة السياسية والتنمية الاقتصادية في الجمهوريات الاتحادية . وهكذا نجد فعلاً أن أكثر المناطق استيطاناً هي كان استغلال مواردها أكثر تقدماً والأفضل ارتباطاً بواسطة الخط الحديدي ، أو الطرق المائية ، بالمراكز الاقتصادية الكبرى في الاتحاد السوڤيتي . وعلى هذا الأساس نلاحظ أن استغلال المكامن المعدنية في الأورال مثل حديد ماغنيتوغورسك ، وبترول باكو الثانية ، أو في سيبيريا الغربية مثل فحم الكوزباس ، هو الذي استدعى الإعمار الكثيف في هذه المناطق (شكل ١٣) .

الاندفاع السلافي نحو الجنوب والشرق

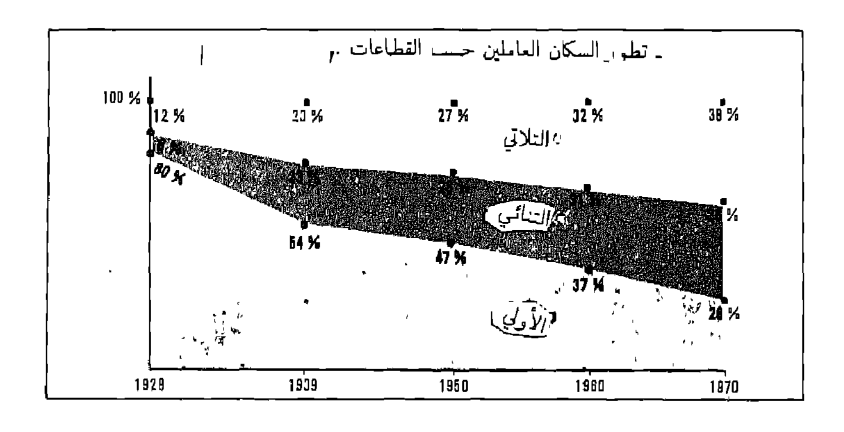


الشكل (١٣)

وهكذا نجد **أن لا انفصام بين الهجرات الداخلية واستغلال سائر مناطق الاتحاد :** وتظل حركة السوڤياتيين قوية ، مع أنها أقل اندفاعاً مما كانت عليه قبل عدة عقود من السنين : فابتداءً من أول السبعينات كان ١٢ مليون سوڤيتي يبدّلون مكان إقامتهم في كل عام . ويرتبط ذلك بسياسة التصنيع إلى أبعد حد في هذه الدولة ، وقد قدّم العالم الريفي الأيدي العاملة الضرورية للبؤر الاقتصادية الجديدة في القسم الأوربي ، وفي الأورال أو سيبيريا . وقد دعم الاجتياح الألماني في حزيران ١٩٤١ هذه الاندفاعة نحو الشرق وعمل على تسارعها وذلك بتوسيع الجبهات الصناعية الرائدة وإكثارها . وظهرت منذ عهد قريب ملحمة « الأراضي العذراء » التي فتحت ، إلى جانب الري في آسيا الوسطى ، جبهات استيطانية جديدة ، كانت زراعية في البداية . أما في الوقت الحاضر فإن ورشة بناء خط حديد B.A.M (بايكال ـ آمور ـ ماجسترال) قد دشنت الطريق نحو استيطان سيبيريا الوسطى .

وتغيرت دواعي وحوافز حركية هؤلاء المهاجرين خلال الزمن . فقد عملت المباراة الاشتراكية في العصر الستاليني على انتقال العمال الطلائعيين النخبة

والشبيبة الشيوعية (كومسومول) نحو الشرق ، هذا كما قـدمت طوابير المنفيين إلى سيبيريا أعداداً لابأس بها. وبعـد مضي ستين عـامـاً على الثورة بلغ المجتمع السوڤيتي مدنّية التوزيع ، أو قل الاستهلاك إذا شئت ، وراح يشهـد ديموغرافيـة أقل قوة ، ولا سيما فيما يتعلق بـالأقـوام السـلافيـة ، وهي الأكثر قـدرة على الهجرة . وهكـذا أصبـح من العسير ، أكثر فـأكثر ، تنظيم هجرات نحـو الشرق ، رغم اللجـوء إلى المغريات المادية . فما أن تنتهي عقود الكثير من الرواد حتى يعودون أدراجهم إلى أوروبا السوڤيـاتيـة حيث تكون شروط الحيـاة أقل قسوة . بيـد أن ثلاثـة أربـاع القوة الصناعية الكامنة تقع في الجزء الآسيوي من الاتحـاد ... وعلى هـذا فـإن على المسـؤولين عن تنظيم استغـلال مختلف منـاطـق البـلاد وعن النمـو الاقتصـادي أن يأخـذوا بعين الاعتبـار هـذا « العوز في الاستيطـان » والـذي يتصف بـه الاتحـاد السوڤيتي (شكل ١٤) .



الشكل (١٤)

تطور سكان الجمهوريات الاتحادية بالملايين

	١٩٣٩	١٩٧٠	١٩٧٩	التطور ٧٠-٣٩	التطور ٧٩-٧٠
جمهورية روسيا السوڤيتية	١٠٨,٤	١٣٠,١	١٣٧,٦	+ ٢٠٪	+ ٦٪
أوكرانيا	٤٠,٥	٤٧,١	٤٩,٨	+ ١٦٪	+ ٦٪
بيلوروسيا	٨,٩	٩	٩,٦	+ ١٪	+ ٦٪
استونيا	١	١,٣	١,٤	+ ٣٠٪	+ ٨٪
ليتونيا	١,٩	٢,٤	٢,٥	+ ٢٦٪	+ ٧٪
ليتوانيا	٢,٩	٣,١	٣,٤	+ ٧٪	+ ١١٪
مولداڤيا	٢,٥	٣,٦	٤	+ ٤٤٪	+ ١١٪
جيورجيا	٣,٥	٤,٧	٥	+ ٣٤٪	+ ٧٪
أرمينية	١,٣	٢,٥	٣	+ ٩٢٪	+ ٢٢٪
آزربيجان	٣,٢	٥,١	٦	+ ٥٩٪	+ ١٨٪
كازاخستان	٦,١	١٢,٨	١٤,٥	+ ١٠٩٪	+ ١٣٪
تركانيا	١,٣	٢,٢	٢,٨	+ ٦٩٪	+ ٢٨٪
اوزبكستان	٦,٣	١٢	١٥,٦	+ ٩٠٪	+ ٣٠٪
تاجيكستان	١,٥	٢,٩	٣,٨	+ ٩٣٪	+ ٣١٪
قيرغزستان	١,٥	٢,٩	٣,٥	+ ٩٣٪	+ ٢٠٪
الاتحاد السوڤيتي	١٩٠,٧	٢٤١,٧	٢٦٢,٤	+ ٢٧٪	+٨,٥٪

بلغ عدد سكان الاتحاد السوڤيتي ٢٧١ مليون نسمة في نهاية ١٩٨٢

الاندفاع العمراني الحضري

لقد كان التحضر العمراني Urbanisation إحدى الظواهر العظمى في تطور الاتحاد السوفيتي ، وهو عالم ريفي في البداية ، ودولة صناعية اليوم .

فقد كان النمو العمراني مع الاندفاع باتجاه الشرق أحد الملامح البارزة في توزع السكان : يقيم ١٦٥ مليون سوفيتي اليوم أو ٦٢٪ منهم في مدن ، وتقترب هذه النسبة تدريجياً مثيلتها في العالم الغربي حيث تتراوح بين ٧٥و ٨٠٪ . وقد أخذت موجة التحضر هذه التي أعقبت ثورة ١٩١٧ بالتراخي منذ عقدين ، ولكنها لا تزال مع ذلك الواقع الأعظم الحالي . فبين ١٩٧٠ و ١٩٧٩ ازداد مجمل السكان في الاتحاد السوفيتي بنسبة + ٨,٥٪ بينما ارتفعت نسبة سكان المدن بمقدار + ٢٠,٤٪ .

غير أن هذه الظاهرة لاتكون موزعة بشكل عادل رغم شمولها ، ذلك أن المدن الكبرى ، والتي يتجاوز سكان ٤٥ منها النصف مليون نسمة و ١٨ منها تزيد عن المليون ، تضم لوحدها ثلث سكان الاتحاد ، وتزيد بذلك من ثقل الشطر الغربي من الاتحاد السوفيتي . وإذا كانت العاصمتان ، موسكو ولينينغراد ، تتعرضان لنمو ضعيف ، فإن بعض المدن « الأوروبية » تشهد منذ ٢٠ عاماً تزايداً سريعاً في سكانها ، وتقدم كييف ومينسك مثالين عن ذلك . أما مدن القفقاس وآسيا الوسطى و « مدن الزحف نحو الشرق » فلم تعد تحتكر التوسع المذهل . ومع ذلك تظل أعلى نسبة للنمو في « المدن الجديدة » وعلى الخصوص « بنات » البترول السيبيري ، مثل تيومن (شمال غرب اومسك) والتي تحوي ٣٥٩٠٠٠ نسمة ، أو مدن الدائرة القطبية مثل نوريلسك ١٨٠٠٠٠ نسمة والتي تنمو حسب وتيرة تقدم الطريق البحري الشمالي .

وهكذا لا يكون الاندفاع العمراني مرتبطاً إذن بظاهرة هجرة ريفية بسيطة . فالتصنيع هو السبب الرئيسي . وكانت أوائل المخططات الخمسية متطابقة مع « مرحلة تحضّر بطولية » . وكان الهدف ، في الوقت ذاته ، هو إعمار المناطق الجديدة واستغلالها وتطبيق الاشتراكية . تلك هي الفترة الكبرى في إنشاء المدن ، ولا سيما نحو الشرق ، والتي بلغ عددها ١١٧٤ مدينة منذ عام ١٩١٧ (شكل ١٥) . وكانت الستينات تمثل حركة انعطاف في الاقتصاد السوفييتي . فبعد فترة الإنشاء والاستيطان جاءت مرحلة الإعمار السكاني ، فتناقصت نسبة الإنشاءات الجديدة كي تنمو المدن القائمة وجاءت الحركة الديموغرافية القديرة لتساند هذه الحركة ، مما سمح بالاعتماد على الأرياف دون استنزاف معينها . غير أن تناقص المواليد منذ عقد ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ يمثل عاملاً آخر يفسر نمو مدن الاتحاد السوفييتي بصورة أكثر اعتدالاً من السابق .

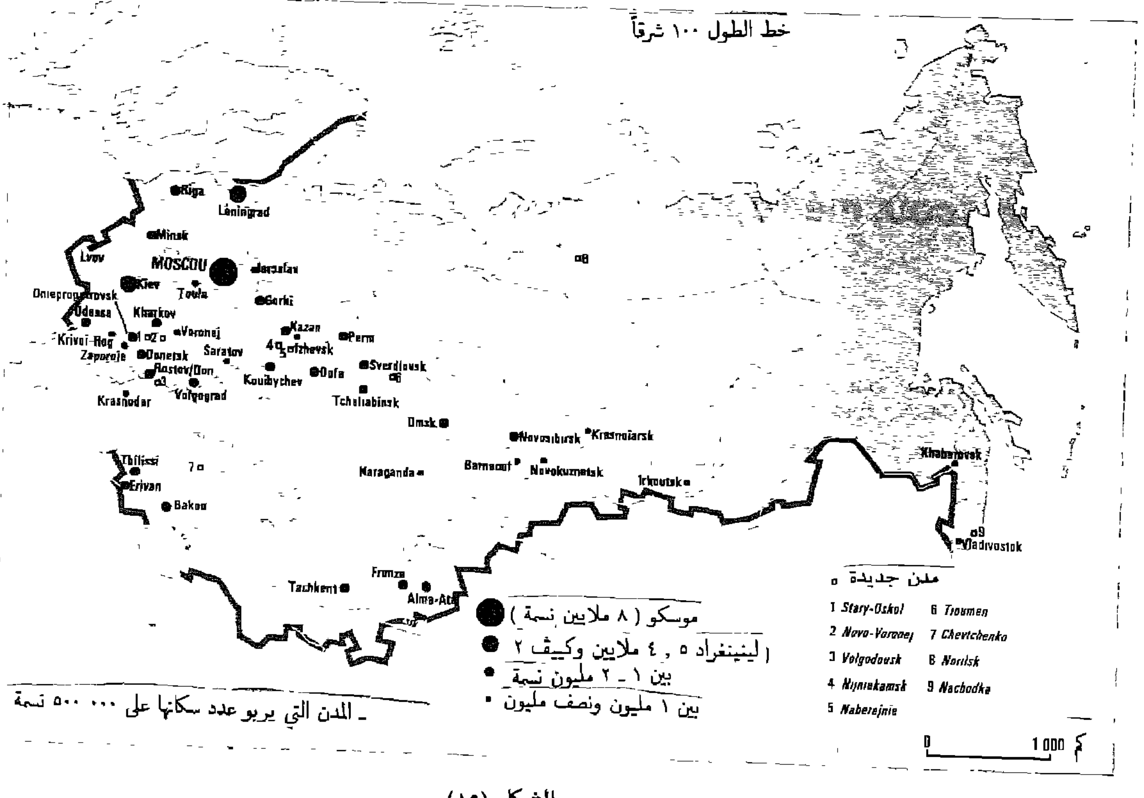
بعد أن أصبحت أكثرية المجتمع من الحضر اليوم راحت تجابه مشكلات المدينة .

ـ تقنيات البناء في المناطق السيبيرية الفريدة في برودتها .

ـ المساكن التي تستدعي المزيد من الانتظار للحصول عليها من قبل أصحاب الطلبات الذين تتزايد أعدادهم ، فبعد العائلات الكبيرة العدد لفترة ماقبل ١٩٦٠ جاء الوافدون الجدد من الأرياف التي أصبح من الممكن النزوح عنها بسهولة أكبر ، وبذلك تحولت المدن السوفيتية إلى ورشات بناء دائبة الحركة .

ـ التموين : ذلك أن الطوابير الطويلة أمام مخازن الدولة أكبر شاهد على هذه المصاعب .

ومع ذلك تنتشر العقلية الاشتراكية عن طريق المدينة ، وفيها يرتفع مستوى المعيشة والمستوى الثقافي لوجود المسارح والمتاحف والمكتبات العامة .


خط الطول ١٠٠ شرقاً
Riga
Léningrad
Minsk
Lvov
MOSCOU
Kiev
Toula
Gorki
Kharkov
Voronej
Kazan
Perm
Odessa
Krivoi-Rog
Zaporojie
Donetsk
Saratov
Rostov/Don
Volgograd
Koulbychev
Oufa
Sverdlovsk
Tchaliabinsk
Krasnodar
Omsk
Novosibirsk
Krasnoiarsk
Novokuznetsk
Tbilissi
Erivan
Bakou
Karaganda
Irkoutsk
Khabarovsk
Vladivostok
Tachkent
Frunze
Alma-Ata
موسكو (٨ ملايين نسمة)
(لينينغراد ٥ , ٤ ملايين وكيف ٢
بين ١ ـ ٢ مليون نسمة
بين ١ مليون ونصف مليون
ـ المدن التي يربو عدد سكانها على ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة
مدن جديدة
1 Stary-Oskol
2 Novo-Voronej
3 Volgodonsk
4 Nijnekamsk
5 Naberejnie
6 Tioumen
7 Chevtchenko
8 Norilsk
9 Nachodka
0
1 000 كم

الشكل (١٥)

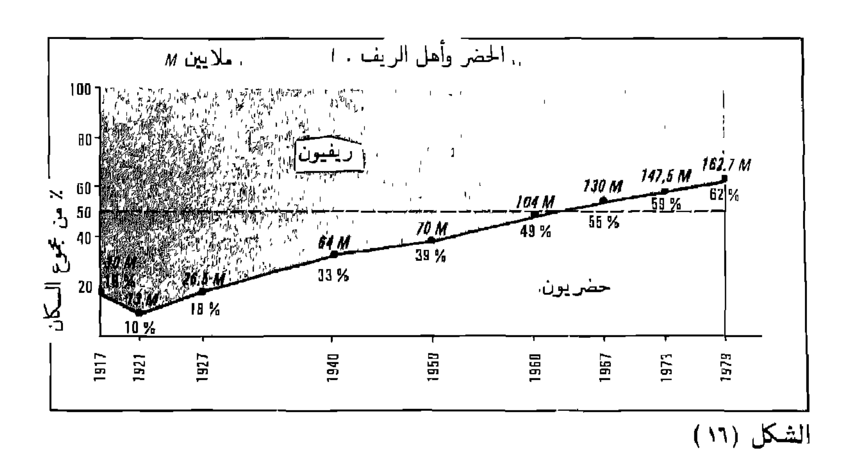
وتمثل المدينة بصيرورتها المستمرة ، مع مافيها من مظاهر عجز ونجاح ، تمثل الاتحاد الذي يشهد تطوراً مستديماً .

نمو حضري غير منتظم في الزمان (شكل ١٦)

١٩٢٦ ـ ١٩٣٩	:	+ ٦,٥٪ سنوياً
١٩٥٠ ـ ١٩٥٩	:	+ ٤٪ سنوياً
١٩٧٠ ـ ١٩٧٩	:	+ ٢,٥٪ سنوياً

المدن المليونية وعددها ١٨

موسكو	٨ ملايين	كويبيشيف
لينينغراد	٤,٦ مليون	سفردلوفسك
كييف	٢,١ مليون	دنيبرو بتروفسك
طاشقند	١,٨ مليون	تبيليسّي (تفليس)
باكو	١,٦ مليون	اوديسّا
خاركوف		تشليابسك
غوركي		دونتسك
نوفوسيبيرسك		يريفان
مينسك		أومسك



الشكل (١٦)



لينيغراد ـ شارع نيڤسكي

الصورة (٢)

مدن جديدة

لقد نشأت من لاشيء لأغراض صناعية ، ولا يزيد عمرها في الأغلب عن ٢٠ سنة ، ومع ذلك فهي تحوي مابين ١٠٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠٠ نسمة . وهكذا نجد في منطقة كورسك المدن التي ارتبطت باستغلال فلزات الحديد ، كما نشأت في منطقة وادي نهر الكاما الأدنى مدن ترتبط بقيام مركّبات صناعة السيارات ، أما مدينة تيومن التي تحوي ٣٥٩٠٠٠ نسمة فهي مدينة النفط السيبيري ، وأخيراً فإن مدينة براتسك هي مدينة الطايغا والطاقة الكهرمائية على نهر آنغارا .

مشكلات التموين

« قبل بضعة أعوام كان من العسير الحصول على ماكنة خياطة . وبعد قليل أصبحت المخازن مزودة بأعداد منها تسد حاجات المواطنين ولكن بعد قليل أمكن بلوغ مرحلة الإشباع . وكان خطأ التخطيط صارخاً : فبعد قليل جرى تخفيض إنتاج هذه المكائن . وبعد مضي بعض الوقت ، وفي أعقاب زيادة في الأسعار في ورشات الخياطة ، ارتفع الطلب بشدة ، من جديد ، على المكائن : وأصبح

من المفيد أكثر تفصيل وخياطة الملابس في المنزل عوضاً عن شرائها جاهزة . ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت مكائن الخياطة مفقودة من المخازن ، من جديد . ترى هل هذا وضع طبيعي ؟ ماسبب هذا « الخلل » الذي لا يصدقه العقل بين العرض والطلب ؟ تريد زوجتك شراء جوارب سروالية (كولاّن) لأولادك . فتبحث عنها في كل مكان وأخيراً تذكر لها إحدى صديقاتها : « هذا صحيح ، إنها مفقودة من الأسواق ، ولكني وجدت الكثير منها في دكان في شارع زارجنايا ، وأعتقد أنه لازال هناك البعض منها » . وتهرع زوجتك إلى شارع زارجنايا حيث اشترت ثمانية عشرة قطعة جورب سروالي دفعة واحدة فيما لا تحتاج لأكثر من ثلاثة ، وذلك لكي تخزنها وتحتاط للمستقبل » .

ليتّير اتورنايا غازيتّا . ١٠ / ٥ / ١٩٧٨

بريد بلاد الشرق « صورة عن الاتحاد السوفييتي »

شباط ـ آذار ١٩٧٩

موسكو : العاصمة السوڤياتية الكبرى

تحتل موسكو بسكانها ، الذين يربو عددهم على ثمانية ملايين نسمة ، المرتبة السابعة بين مدن العالم ، مثلما تتبوأ المكانة الأولى بين سائر مدن الاتحاد السوڤييتي الأخرى التي تتأخر عنها كثيراً في الأهمية العددية وفي الوظائف .

- **فهي تدين بذلك إلى دورها كعاصمة :** فبعد أن كانت أقل سكاناً من مدينة پتروغراد (لينينغراد حالياً) في عام ١٩١٧ فإن ثورة اكتوبر ١٩١٧ هي التي تكفّلت بتفوق موسكو . وقد أنشئت رسمياً عام ١١٤٧ ثم أصبحت مقر أسرة رومانوف منذ عام ١٥٤٧ ، وغدت العاصمة التاريخية ، على الرغم من أن ملوك روسيا هجروها في القرن الثامن عشر للإقامة في سان پتروسبورغ (لينينغراد) . وأعاد البلاشفة إليها من جديد مقر الحكومة وسائر الإدارات الحكومية . وبعد أن كانت عاصمة « جمهورية روسيا السوڤياتية » أصبحت في عام ١٩٢٢ عاصمة الاتحاد السوڤييتي قاطبة . وبعد ١٩٤٥ تحولت أيضاً إلى عاصمة للكوميكون وأصبحت ذات أهمية تشع على مجموع « العالم الاشتراكي » .

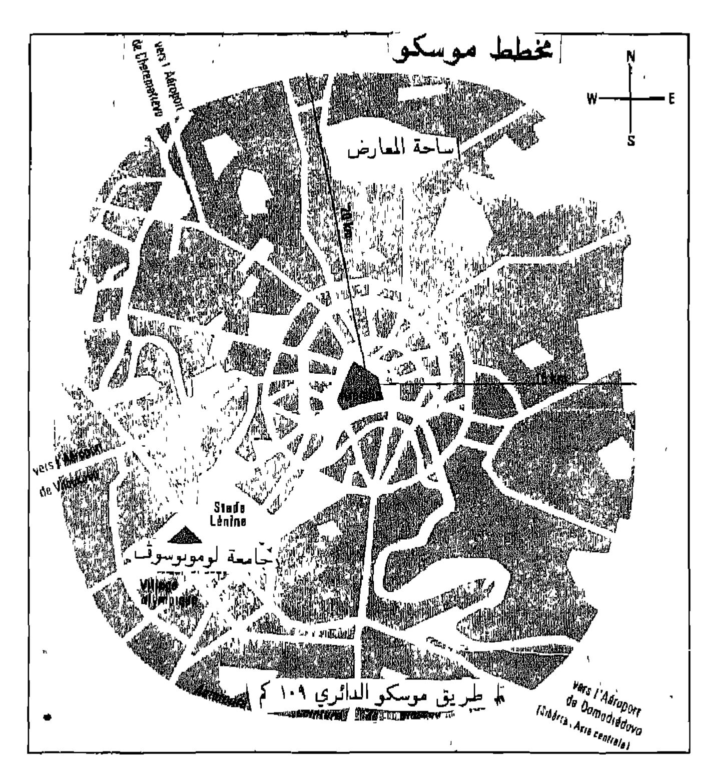
- هذا كما كشف **تحسّن وسائل المواصلات** عن قيمة موضعها كملتقى طرق . ففضلاً عن وضعها عند تماس الغابة مع السهب فإن الأودية النهرية الكبرى تلتقي باتجاه موسكو . هذا كما تربط العاصمة قناة موسكو - الفولغا ، التي بنيت بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٧ ، بالمنظومة النهرية التي تصل بين البحار الخمسة ، مثلما تحوي موسكو تسع محطات خطوط حديدية ، في حين تقوم أربعة مطارات ذات خطوط منتظمة بتثبيت هيمنتها على مجموع الاتحاد ونفوذها على كل « الأقطار الشقيقة » ، وتكمل شبكة الطرق التي تشعّ على شكل « طرق عريضة

جداً » كل هذه المنظومة ، مما يجعل موسكو قلب المنطقة الصناعية الكبرى المركزية .

وفضلاً عن كون موسكو عاصمة سياسية وتاريخية فقد أصبحت عاصمة الاتحاد السوڤييتي الاقتصادية : يقضي النظام السوڤييتي بجعل مركز القرار السياسي مركزاً للقرار الاقتصادي في الوقت ذاته . وهكذا تكون موسكو مقر الغوسپلان شأن مخابر البحث التي جرى مؤخراً التخلص من مركزيتها . هذا كما ينمو التصنيع ، الذي يرتبط بالسلطة المركزية وبالأموال المستثمرة وبالأيدي العاملة ، وبالسوق الاستهلاكي ، وتدعمه شبكة مواصلات نجمية الشكل تتكفل بتقديم المواد الأولية وبمصادر الطاقة وكذلك في نقل المنتجات المنتهية . وتكون الصناعات التحويلية هي المتفوقة وتأتي على رأسها الصناعات الميكانيكية والكهربائية التي تؤمّن حاجات العاصمة والبلاد برمتها في الوقت ذاته . وتتجاوز الصناعة من حيث أهميتها إطار المعمر agglomération الموسكوڤي ذاته بحيث تخلق حلقة صناعية واسعة يبلغ نصف قطرها ٣٠٠ كيلومتر .

أما **الأهمية الثقافية** فهي صورة أخرى عن قدرة موسكو . فإلى جانب جامعة لومونوسوف ، وهي أكثر جامعات البلاد أهمية ، تقوم جامعة پاتريس لومومبا التي تستقبل الكثير من طلاب العالم الثالث . وتضم موسكو مسرح بولشوي الشهير كما تتنافس متاحف العاصمة مثل متحف تريتياكوف وپوشكين ... مع متاحف لينينغراد . كما كانت موسكو أولى المدن الخمس في الألعاب الأولمبية لعام ١٩٨٠ ، مثلما تتباهى بقطارها الأرضي (المترو) الذي يعتبر الأول من نوعه في البلاد والذي يحوي محطات فخمة أنيقة والذي يقوم بنقل ستة ملايين مسافر يومياً مقابل أجر لا يتجاوز ٥ كوپك (٣٠ قرش سوري) وهو سعر لم يطرأ عليه أي تغيير منذ عام ١٩٣٥ .

وهكـذا أصبحت موسكو ، المسيطرة ، مـدينـة عملاقـة . وقـد جعل مخطـط تنظيمها لعام ١٩٧١ مساحتهـا ٩٠٠ كم٢ في داخل الطريق الـدائري ، هـذا المخطـط الذي حل مكان مخطط ١٩٣٥ ، وينتظر منه أن يحد من اتساعها كي تظل موسكو عاصمة كبرى قابلة للحياة (شكل ١٧) .



الشكل (١٧)

تنظيم موسكو : حسب المخطط العمراني لعام ١٩٧١ :

ستكـون مـوسكـو ، ضمن الطريـق الـدائري وطـولـه ١٠٩ كم ، ذات مخطـط شعـاعي فحسب ، وستقسم إلى ثماني دوائر مخططة ، مستقلة ، يضم كل منهـا مـا بين ٦٠٠٠٠٠ إلى مليون نسمـة ، وإحداها المركز الحالي . وستعمل كل هذه الدوائر على تحقيق التوازن بين مجالات الاستخدام والأيدي العـاملـة ، وعليها أن توفر كل الخدمات الضرورية من اجتماعية وثقافية بصورة كاملة نسبياً .

وسيسمح ذلك بتحديد أوقات تنقّل السكان ، إذ ينتقل في الوقت الحاضر ، ضمن منطقة موسكو ، أكثر من مليون نسمة يومياً ، وسيساعد في القضاء على التناقض بين المركز والأطراف . وسيتم الانتقال ، عن طريق ذلك ، من نظام المركز الواحد الحالي مع كل أشكال الازدحام التي تنتج عنه إلى النظام المتعدد المراكز .

وفي الواقع سيكون لكل من الدوائر السبع على الأطراف مركزها المؤلف من مجموعة أبنية ذات هندسة متميزة ، يرتبط بالحدائق وبالمحاور الكبرى التي تتلاقى باتجاه المركز العمراني الحالي .

« الوثائق المصورة » رقم ٧٠١٨
تشرين الأول والثاني ١٩٧٤

مركّب المخابز والحلويات في موسكو :

تقدّم هذه المؤسسة ٥٠ طن من الخبز الأبيض يومياً ، و ٢٥ طن من الحلويات ، ويعمل فيها ١٠٠٠ عامل يشتغلون على مدى العام حسب نظام « ثلاث ورديّات » . ولما كانت أكثرية هؤلاء من الإناث فإن نسبة العاملين من الفنيين والمهندسين لاتزيد عن ١٠٪ . ويتم الصنع حسب السلسلة الأوتوماتيكية أو « البساط الدائر » وتكون الأعمال النهائية بالأيدي فقط .

ويؤتى بالدقيق من المطاحن الكبرى الواقعة في جنوب البلاد ، كما يتم الحصول على الحليب والزبدة ، التي تحفظ في غرف مبردة ، بواسطة وزارة التجارة حسب مخطط الطلب الذي يعرض سلفاً لمدة عام كامل . ويجري الإنتاج اليومي حسب الطلبات ، وتقدم المخازن المرتبطة بالمؤسسة لائحة باحتياجاتها قبل مدة ١٤ ساعة ، وتقدم المؤسسة إنتاجها اليومي على دفعتين أو أربع حسب الحالة ، ولما كانت لاتملك سيارات خاصة فهي تتصل يومياً بحظيرة شاحنات موسكو .

عن تقرير نشر بواسطة دار « فرنسا ـ الاتحاد السوفييتي »
« بعثة دراسات الجغرافيين » . صيف ١٩٧٧



يمثل الميدان الأحمر وظيفة موسكو كعاصمة كبرى، ونرى من خلال هذه الصورة التي تعود لعام ١٩٦٥ العناصر الرئيسية وهي مدفن لينين أمام أبراج الكرملين. وفي الصدر كنيسة القديس باسيل وإلى اليسار مخزن غوم الكبير

الصورة (٢)

التنظيم المكاني : المواصلات والنقل

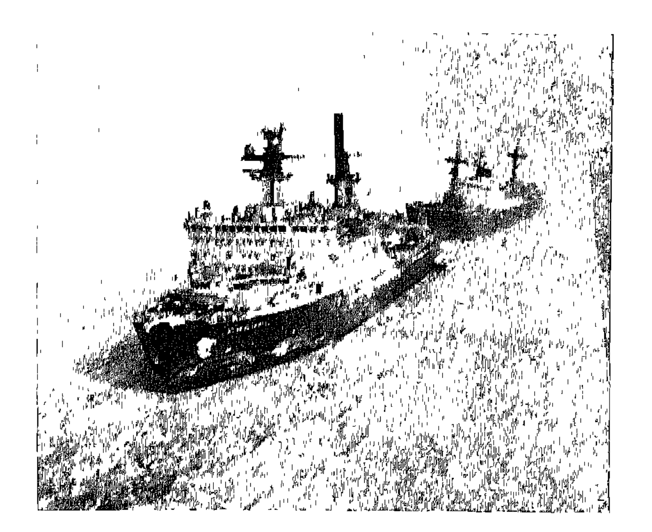
لقد كانت السيطرة على الرقعة والمسافة هي دائماً المشكلة القائمة والشغل الشاغل في الاتحاد السوفيتي ، ذلك أن إنشاء وسائل مواصلات ناجعة ، في هذا القطر الفسيح الأرجاء ، يؤلف طليعة أية تنمية عصرية . وإذا كان من الواجب أخذ المعضلات الطبيعية بعين الاعتبار فإن الحاجات والإمكانات قد تبدلت خلال الزمان .

وتكون **الشروط الطبيعية** قاسرة قاهرة ، فالبعد ، واستفحال القاريّة التي تزيد من قسوة الشتاء ، جعلا من العسير كسر طوق عزلة بعض المناطق وربطها بسائر أجزاء الاتحاد . تلك هي حالة سيبيريا والشرق الأقصى والشمال الكبير : إذ لم يتم ربط هذه المناطق فعلاً ببقية الاتحاد إلا منذ وقت غير بعيد ، مثل ياكوتيا (صورة رقم٤) ، بواسطة وسائل نقل حديثة ، كالطائرة وكاسحة الجليد (صورة رقم٥) ، ولكن ضمن شروط تظل عسيرة على الدوام : كالملاحة القطبية غير المستمرة بواسطة « قوافل » من السفن ، مثلما تكون الاتصالات الجوية عرضة لعواصف تشل حركة المطارات . وعلى خلاف ذلك نجد أن المناطق السوفيتية الأكثر اعتدالاً تتمتع بشبكة مواصلات أكثر كثافة وأكثر تنوعاً . تلك هي مثلاً حالة الجزء الأوربي من الاتحاد حيث يتمركز القسم الأعظم من شبكة الخطوط الحديدية ، وحيث تنتشر منظومة متآخذة من الطرق الصالحة للملاحة التي تجعل من موسكو ميناءً نهرياً كبيراً ، وحيث تنطلق منها طرق حديثة هي « طرق الماجسترال » التي تشع ابتداءً من موسكو نحو المدن الصناعية الكبرى على نهر الفولغا وأوكرانيا ، أو نحو البلطيك وكأن موسكو العاصمة تمثل العنكبوت وسط شبكته (شكل١٨) .



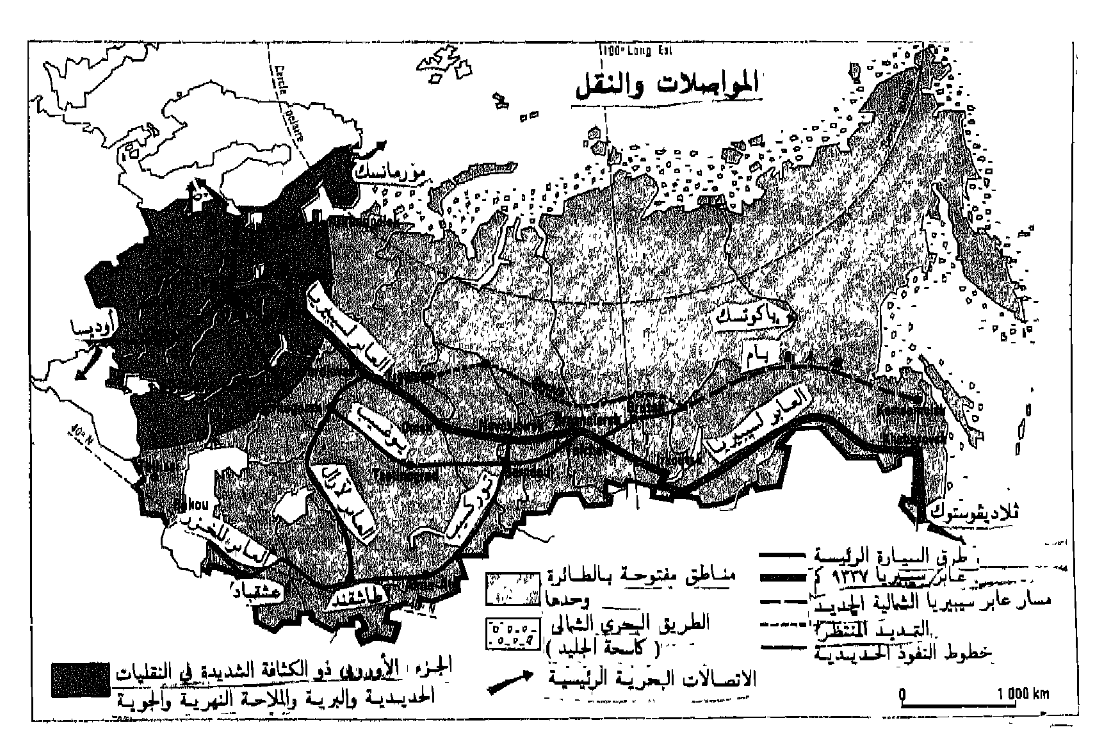
يعتبر توسيع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة على حساب الطايغا مسألة جوهرية في سيبيريا الشمالية حيث تمارس الزراعة الواسعة وحيث تكون مدة الفترة اللائمة للزراعة بحدود ١٠٠ يوم ، لأن خط الدائرة القطبية يمر من هذه الجمهورية حيث التقطت هذه الصورة . وللحصول على أفضل مردود يكون من الضروري استخدام أكبر قدر ممكن من المكائن الزراعية القديرة . وعندما يتم استزراع واستصلاح الأرض يجب تحسين التربة لأن الأراضي المفتوحة على حساب الغابة تكون حامضة غالباً ويجب إغناؤها بالقلويات كالكلس

الصورة (٤)



الصورة (٥)

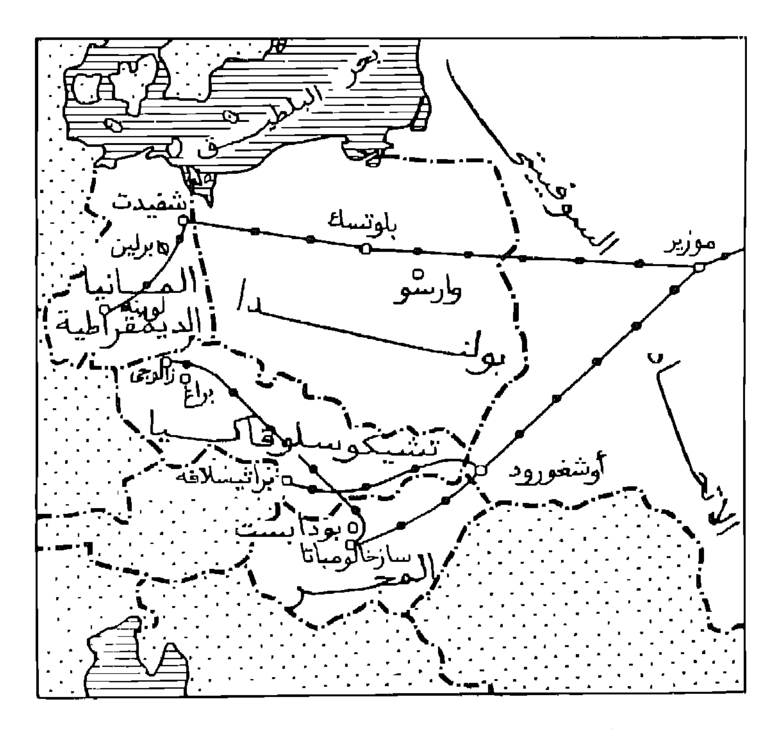
كاسحة جليد في المحيط المتجمد الشمالي



الشكل (١٨)

بيد أن **الشروط التاريخية** تفسر نشوء شبكة المواصلات أكثر من الشروط الطبيعية ، ذلك أن البؤر البشرية الأصلية كانت تقوم إلى الغرب من جبال الأورال ، لأن الاندفاع نحو الشرق كان حدثاً تاريخياً وكان اتساع مداه قريب العهد منا كثيراً . وهكذا كان القصد من تمديد الخط الحديدي نحو سيبريا (ترانسيبيريان) ، في الأصل ، وعلى الخصوص ، أن يكون محور نفوذ بالعمق كي يقوم بتوطيد هيمنة موسكو على المناطق النائية . أما تحديثه بعد الثورة فكان يرمي إلى الرغبة في الاستغلال الاقتصادي لتلك المناطق البعيدة . وكان الهدف من إنشاء خط يوغسيب ، بين ماغنيتوغورسك وبرناءول وكراسنويارسك ، والخط العابر لبحر آرال (ترانساراليان) الممتد بين ماغنيتوغورسك وطاشقند ، استغلال مناجم فحم قره غندا والكوزباس ، وإنعاش المركّبات الإنتاجية والصناعية القطنية في أوزبكستان ، وعلى الأخص ، مدينة طاشقند . غير أن الرغبة في تطوير ثروات سيبيريا الطبيعية هي التي دفعت إلى مد خط B.A.M. أو خط بايكال ـ آمور ـ ماجسترال ، لأن الخط الحديدي كان ولا يزال أفضل وسيلة نقل مواءمة مع الشروط الطبيعية ومع حاجات الاتحاد السوڤيتي . وفي مقابل ذلك كان نشوء كتلة الدول الشرقية حول الاتحاد السوڤيتي بعد الحرب العالمية الثانية ، أي الكوميكون ، هو الذي يفسر مد خط أنابيب « الصداقة » الذي أخذ على عاتقه إمداد الجمهوريات الديموقراطية في أوروبا الشرقية بالمنتجات النفطية (شكل ١٩) .

إذن هناك صلات حميمة تقوم بين النقل وبين التوطين المكاني للصناعة ، واستغلال مختلف مناطق الاتحاد السوڤيتي . وكل تأخير في أمد هذه العناصر يعرقل التنمية الاقتصادية القومية ، ومن هذا جاءت أهمية الأنابيب التي يجب استيرادها من دول الغرب لاستغلال مكامن النفط والغاز السيبيرية الغربية . ومن هذا ندرك الأهمية التي تمنحها المخططات الخمسية الأخيرة ، ولا سيما التاسع



أنبوب البترول « دروجبا » (« الصداقة »)

الشكل (١٩)

والعاشر ، لمشكلة المواصلات التي تستطيع بنجاعتها ، لوحدها ، أن تسمح بالتغلب على مشكلة البعد وتحقق استغلال ثروات هائلة كامنة لاتزال تتكشّف عنها أراضي الاتحاد يوماً بعد يوم .

الطريق البحري الشمالي

لقد أصبح هذا الطريق اليوم محوراً إجرائياً وليس طريقاً استكشافياً فحسب ، وذلك بفضل أسطول كاسحات الجليد . ويملك الاتحاد السوفيتي ثلاث كاسحات ذرية هي أكبر مثيلاتها في العالم ، وهي **لينين** التي بدأت العمل في ١٩٥٩ **وآركتيكا** التي أنزلت إلى البحر في عام ١٩٧٥ والتي كشفت عن مزاياها ببلوغها القطب الشمالي بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٧ من خلال أكداس الجليد القطبية ، وأخيراً **سيبير** التي تم تدشينها في كانون الأول من عام ١٩٧٧ . وتعمل هذه الكاسحات على تمديد فترة الملاحة في البحار الشمالية وعلى استغلال موارد المناطق القطبية الشمالية القصوى .

النقل بالسيارات

إن مـا بين ٦ و ٧٪ من « المسافرين الكيلومتريين » هم الـذين يستعملـون السيـارات على شكل سيارات أجرة أو سيارات خدمة (سرفيس) أو خاصة : وتكون هذه قبل كل شيء نتيجة اختيـار المجتمع الذي يفضل النقل الجماعي .

وفي الواقع لا تكون السيـارة الخـاصـة صـالحـة للاستخدام أكثر من ٤ إلى ٥ شهـور خـلال الفترة الدافئة .

☆ ☆ ☆

من المقرر إنهاء تمديد الخط العابر لسيبيريا الجديد في عام ١٩٨٢ . لا تترجم عبارة خط عابر سيبيريا الجديد بصورة دقيقة عن طبيعـة هـذا المشروع . والواقع هو أن هـذا المشروع لا يعني ، في المرحلة الحالية ، أكثر من « ازدواجيه » الخط الحالي العـابر لسيبيريـا في القسم الشرقي الأخير منـه ، أي من غرب بحيرة بايكال حتى ضفاف المحيط البـاسفيكي . ولكن هـذا المشروع ليس بـالأمر اليسير ، ذلـك لأن الخط الحديدي سينطلق من مدينة أوست كوت الواقعة على نهر ليـا كي يبلغ مدينة كومسـومولسك قرب مصب نهر الآمور في الشرق ومنها جاء الرمز B.A.M الذي يعني من الآن فصاعداً خـط بـايكال ـ آمور . أما الجدوى الاقتصادية لخط بام فهي مؤكـدة ولا يتوقف السوفيـات عن الإلحـاح عليهـا : فعلى الرغم من أن هـذا الخـط سيكون فرديـاً ذا اتجـاه واحـد فهو سيسمح بتخفيف العـبء عن خـط سيبيريـا العتيـق . والحقيقـة يـؤلف خـط عـابر سيبيريـا فعـلاً خـط الاتصـال الـوحيـد بين سيبيريـا وروسيـا الأوروبية ، ولا سيما في مضمار نقل البضـائع . ومع أنـه لا يمثل أكثر من ثمن شبكـة الخطوط الحـديـديـة السوفياتية فهو يتحمل عملياً سدس النقل بالخطوط الحديدية في كل الاتحاد السـوفيتي .

ولن يسمح خط بام بتنمية المبادلات فحسب بل سيساعـد على فتح مـناطق جـديـدة في سيبريـا شديدة الغنى بالخامات المعدنية . وسيكون هذا الخط مكهرباً على مـسافة ٣١٤٥ كم وسيجتاز ٤٠٠٠ منشأة فنية بين جسر ونفق .

جـاك آمـالريـك : جريـدة
لموند
٧ أيلول ١٩٧٤

أهمية كل نموذج من وسائل النقل في حركة نقل البضائع

١٩٧٨	٪ طن كيلو متري	المسافة الوسطى التي يقطعها الطن الواحد
الخط الحديدي	٪٧١	٩١٢ كم
أنابيب نقل النفط	٪٢٢	١٧٨١ كم
الطريق المعبد	٪٥	١٩ كم
الطريق النهري	٪٢	٤٤٥ كم

وهكذا يكون للخطوط الحديدية وللأنابيب أهمية وطنية في حين يكون للطريق النهري دور إقليمي بيما يكون دور الطريق محلياً .

التوطينات الصناعية

تبدو المناطق والمراكز الصناعية في الاتحاد السوفيتي متفاوتة من حيث توزعها ونموها . فهناك مراكز منعزلة ، محدودة الامتداد ، وهناك ، مقابل ذلك ، مناطق صناعية حقيقية ، تكون بحد ذاتها متنوعة ، وضيقة الاختصاص في الصناعات الثقيلة أو التحويلية ، أو تكون متعددة الاختصاص ، كاملة .

ويبدو أن القسم الأوروبي من الاتحاد يستحوذ على الأرجحية ويتعلق ذلك بعوامل جغرافية ذات أفضلية . فشروط الحياة والمواصلات تكون هنا أفضل مما هي عليه فيما وراء الأورال ، مثلما لاتفتقر هذه المنطقة للمواد الأولية لوجود بترول باكو وفحم حوض الدونباس ، وحديد كريفوئيروغ ، أو حديد كورسك . والاستيطان هنا قديم حيث تتوفر الأيدي العاملة الكثيرة فضلاً عن بنية أساسية infrastructure من وسائل نقل متطورة بالإضافة إلى عوامل تاريخية موائمة . وقد قادت سياسة التصنيع القيصرية إلى انفتاح على العالم الغربي ، مما ساعد على ازدهار روسيا الأوروبية ، حيث استقرت الرساميل الأجنبية ، كما في سان بيترسبورغ ، أي لينينغراد الحالية ، وفي باكو أو في مناجم

الدونباس . وقد أراد البلاشفة بعد ١٩١٧ أن يجعلوا من موسكو عاصمة صناعية ، بالإضافة إلى وظيفة روحية وسياسية للاتحاد السوڤيتي ، مثلما أفلحوا في أن يجعلوا منها قلب المنطقة الصناعية المركزية .

وبموازاة هذه الانطلاقة التي شهدتها « روسيا القديمة » **فقد حدث « اندفاع نحو الشرق »** تمخض عن ظهور مناطق صناعية جديدة ذات مستقبل متفاوت . وقد بدأ هذا الاندفاع في عهد القياصرة كي يتسارع في عهد السوڤيات . فقد كان التخطيط ، في نظر ستالين ، هو وسيلة نشر الاشتراكية على كل أرجاء الاتحاد . أما في منظور الماركسية ـ اللينينية فإن هذه تمر من خلال التصنيع المتتابع على كل مناطق الاتحاد . وجاءت أسباب استراتيجية لدعم هذه الحركة . وقد ظهرت صحة هذه الاعتبارات خلال الحرب العالمية الثانية حينما تعرض نصف أراضي القسم الأوروبي من الاتحاد لاجتياح الجيوش النازية وتدميرها . وكان الهدف حينذاك هو استغلال مصادر الطاقة والمواد الأولية الوفيرة الواقعة في جبال الأورال وفيما وراءها . أما مفهوم العائدية الاقتصادية فلا مكان له ؛ أي يجب الإنتاج « مهما كلف الأمر » . ويؤيد هذه الضرورة الملحّة امتداد مركّب كوزباس الأورالي على مسافة ٢٢٠٠ كم بين الغرب والشرق . وقامت الخطوط الحديدية الكبرى بتوجيه هذه الحركة إذ قامت سبحة من مدن صناعية ممتدة على طول الخط العابر لسيبيريا . وقد سمح الاتصال بواسطة الخطوط الحديدية بين موسكو وطاشقند على قيام صناعة قطنية في أوزبكستان . **وابتداءً من عام ١٩٦٥ أصبح « التسيير الاقتصادي الجديد » شاملاً** ، وأصبح الاهتمام بالعائدية هو المسيطر . وهكذا انشطرت الكومبينات الكبرى . وأصبح على المناطق الصناعية الجديدة المسمّاة « مركّبات الإنتاج الإقليمية » أن تؤلف مجموعات ذات ربح مندمجة في الاقتصاد الوطني . ويأخذ التوطين المكاني هذه الضرورة بعين الاعتبار . غير أن هذا يتضافر حالياً مع الحاجة المتزايدة ، يوماً بعد يوم ، إلى الطاقة لتحديد نشوء مراكز صناعية جديدة في سيبيريا الغربية اعتماداً على بترول تيومن (شمال

٤- التوطينات الصناعية

المناطق الصناعية الرئيسية
مراكز صناعية •
خط عابر سيبيريا
النواة الأوروبية : أقدم المناطق الصناعية وأكملها
مثلث ڤولغا - بايكال : مناطق صناعية أحدث ذات سمات طلائعية

المحيط الهادي
ياكوتسك
كومسومولسك
ناخودا • ڤلاديڤوستوك
قره غندا
طاشقند
Tbilissi
Karaganda
Barnaoul
Novokouznetsk
Krasnoïarsk
Bratsk
Irkoutsk
Khabarovsk
Angara
Ob
Iénisseï
Léna
Irtych
Amour
Volgograd
Sverdlovsk
Tcheliabinsk
Magnitogorsk
Omsk
Novosibirsk
Kouïbychev

الشكل (٢٠)

وتعتبر التوزيعات المكانية للصناعات السوفياتية الحالية نتيجة لهذه الحركة المزدوجة على جانبي جبال الأورال . فالنواة الصناعية الأوروبية تقابل مثلثاً صناعياً يمتد من الفولغا إلى بايكال ، والذي يضم الأورال والمناطق الهامشية في الاتحاد حيث استقرت المراكز الصناعية على الغالب بجوار المواد الأولية .

الإنشاءات الصناعية والأيدي العاملة

يتطلب تشغيل ورشات هامة ، في مناطق قليلة السكان في الاتحاد ، الاعتماد على هجرات واسعة من السكان العاملين . ولكن رغم كل المغريات المقدمة ، كالعلاوات المرتفعة ، والعطل الأكثر طولاً ، فإن من العسير حشد الأيدي العاملة لخدمة مناطق نائية قاسية المناخ وحيث يكون التجهيز غير كامل . ولهذا تنشر « عروض عمل » لصالح بعض المؤسسات ، مثل سلطة ميناء كورساكوف ، في جزيرة ساخالين ، التي تطلب تعيين عمال في أحواض السفن هناك .

عرض استخدام

« يقوم ميناء كورساكوف بتعيين عمال في أحواض السفن لوقت كامل ، وكذلك سوّاقي رافعات . ويمكن قبول أشخاص غير مؤهلين الذين يمكنهم تلقّي تكوين مهني خلال شهر واحد في مدرسة الميناء ... ويتمتع الأشخاص المعيّنون بمنزل جيد التجهيز للعازبين . أما المساكن فتوزع حسب توفرها ... وتوجد قاعات استراحة في كل الأقسام ، وحمامات ، وقاعات اجتماعات ، ومقاصف . ويتصرف عمال الميناء بمركز تسلية وبيخت نادٍ وبملعب رياضي » .

ولما كانت المنطقة التي يقع فيها الميناء محسوبة ضمن نطاق الشمال الكبير ، فإن العاملين ينالون علاوة أجرة تبلغ ١٠٪ وينالون كل ثلاثة أعوام ثمن بطاقة ذهاب وإياب نحو أي مكان يقصدونه .

ويوقّع كل الأشخاص المعينين عقداً لمدة ثلاثة أعوام ، وتدفع لهم نفقات السفر ونقل الأثاث ويستفيدون من علاوة إقامة .

ايكونو ميتشسكايا غازيتّا آب ١٩٧٩.

عن « الوثائق المصورة » رقم ٦٠٤٨ ١٩٨٠

سياسة الطاقة

تؤلف الصناعة ركيزة القوة السوفياتية . فعن طريقها أصبح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتي ، في خلال نصف قرن من الزمن ، « القوة الأعظم » التي تنازع الولايات المتحدة على السيطرة العالمية فاحتل المرتبة الاولى في إنتاج الفولاذ والبترول والفحم الحجري ، وفضلاً عن العوامل الأخرى ، فقد كانت هذه النهضة الصناعية ممكنة التحقيق بفضل مصادر الطاقة الغنية والمتنوعة التي بوأت الاتحاد السوفيتي مكانة متميزة في العالم . وهذه الأصالة هي التي تعكس السياسة الطاقية في الاتحاد السوفيتي .

ويعتبر الاتحاد السوفيتي القطر الكبير الصناعي الوحيد في العالم الذي لا تفرض مشكلة الطاقة عليه تبعيّة مباشرة نحو الخارج . ولكن المشكلة هي مشكلة وضع الموارد الهائلة في موضع الاستثمار .

ويتصرف الاتحاد السوفيتي فعلاً بقدرة كامنة هائلة : فشدة اتساع البلاد والشروط الجيولوجية تكون موائمة لوجود الاحتياطات الطاقية الوفيرة ، إذ تتألف البلاد هذه من تروس Shields قديمة[1] ، ومن أحواض رسوبية ظلت بمنأى عن الحركات الكبرى الأوروجينية (المولّدة للجبال) . وعلى الرغم من أن لائحة ثروات البلاد لم تأخذ شكلها النهائي بعد ، فإن الخبراء يتفقون على أن أرض الاتحاد السوفيتي تضم ، على الأقل ، ٥٥٪ من المخزون العالمي من الفحم ، و ٤٠٪ من الغاز الطبيعي ، و ١٠٪ من الطاقة الكهرمائية الكامنة . أما بالنسبة

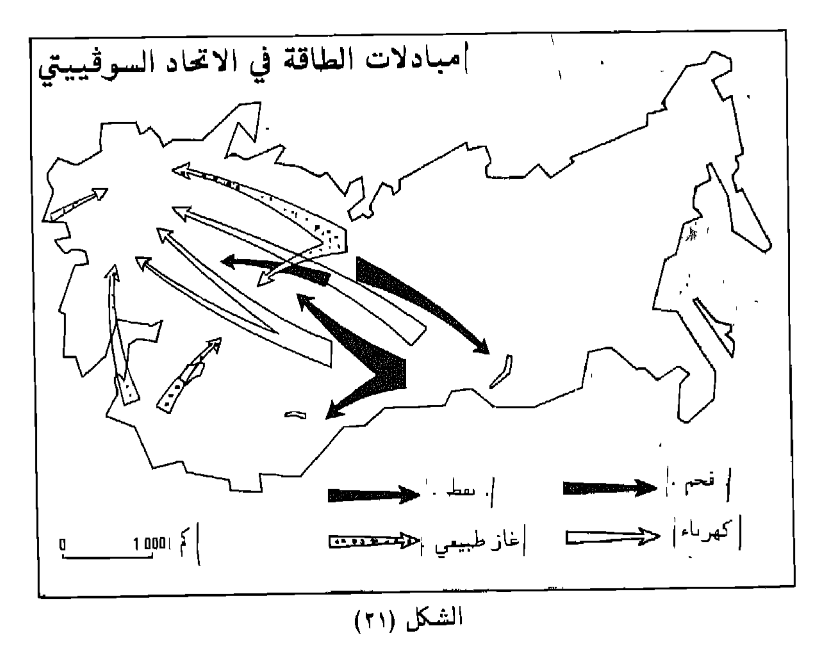
---

(١) تعني عبارة shield الإنكليزية و Bouclier الفرنسية رقعة أرضية قديمة مؤلفة أصلاً من صخور متبلورة ومتحولة كالترس الكندي ، والترس العربي ، ويمكن ترجمتها بعبارة مجن . أما الترجمة الشائعة في معظم الكتب العربية « درع » فتدل على قدر من الجهل عظيم .

لليورانيوم فإن أهمية الأراضي الاستحالية ، التي يحتمل احتواؤها على المكامن ، تسمح لنا بالافتراض بأن الاتحاد لا يفتقر لخاماته حتى ولو لم ينشر أي رقم عن ذلك ... وهكذا لا نجد أي قطر آخر أفضل تجهيزاً بمصادر الطاقة من الاتحاد السوفيتي .

وتتصف **الحاجات إلى الطاقة** بصفات أصيلة ، لدى موازنتها مع حاجات الولايات المتحدة ، أو مع أقطار أوروبا الغربية الصناعية . ففي **المقام الأول** تكون الحاجات إلى الطاقة متمركزة في الجزء الأوروبي من الاتحاد ، ذلك أن أربعة أخماس الطلب يأتي من المناطق الواقعة إلى الغرب من الفولغا ، في حين أن سيبيريا لوحدها تضم أربعة أخماس مخزون الطاقة . ولهذا تكون مشكلة النقل قضية جوهرية إذن ، لا سيا وأن استغلال مصادر الطاقة يحقق أفضل استثمار لرقعة الأرض السوفيتية ، ولأنه يؤلف عامل إعادة توازن اقتصادي في الاتحاد (شكل ٢١) . وفي **المقام الثاني** تكون الحاجات هي حاجات قطر سائر في اتجاه تصنيع عاجل ، مما يمكن مقارنته مع حاجات الأقطار الصناعية الغربية في فترة ما بين الحربين العالميتين : ونلاحظ من خلال التطور المستمر أن الحصيلة الطاقية تكون مطبوعة ، بالفعل ، بالمكانة الهامة التي يحتلها الفحم والتي تؤلف ثلث الاستهلاك الكلي من الطاقة . ومن ناحية أخرى تستهلك الصناعة ٦٠٪ إلى ٦٥٪ من هذه الطاقة مقابل ٤٠٪ تقريباً في الأقطار الغربية ، وهذه صفة يتميز بها الاقتصاد السوفيتي إلى حد بعيد . وأخيراً لا يزال مردود الطاقة ضعيفاً في الاتحاد السوفيتي بموازنته مع الذي نعرفه عن الأقطار الغربية حيث تكون الحاجة الوسطية إلى الطاقة أقل لإنتاج الكيلواط الساعي من الكهرباء أو لأجل طن واحد من الحديد . وهناك **طابع ثالث أصيل** نلاحظه وهو قلة الحاجات نسبياً باعتبار كثرة السكان . وإذا كان ما يستهلكه الفرد هو ٥ طن فحم (ط.م.ف) وهو قريب مما يستهلكه الفرد في أوروبا الغربية ، غير أنه لا يزيد عن نصف

ما يستهلكه المواطن الواحد في الولايات المتحدة الأمريكية . ولهذا تظهر هناك إمكانية لتصدير فوائض الطاقة : وهكذا يصدر الاتحاد ١٣٪ من إنتاج الطاقة ولا سيما على شكل غاز ونفط واللذين يمثلان ٣٧٪ من قيمة صادرات الاتحاد في عام ١٩٨١ .



الشكل (٢١)

وتخضع **السياسة الطاقيّة** للعوامل القائمة بين الإمكانات والحاجات . **ففي الداخل** ترمي هذه السياسة إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي ، ولبلوغ ذلك يجب التغلب على مشكلة النقل ، ومن هذا التنمية المتواصلة في الخطوط الحديدية ، والأنابيب المختلفة ، وفي خطوط التوتر العالي . ويتم استغلال ثروات سيبيريا من الطاقة عن هذه الحاجة الملحّة . ويعمل تأخر وسائل النقل ، بشكل خاص ، على تباطؤ استغلال مكامن الوقود السائل . وستؤدي ورشة خط بام B.A.M لبلوغ ثروات جديدة . ويسير بناء مراكز الطاقة النووية واستيراد الغاز الإيراني في الاتجاه نفسه : أي تأمين الحاجات المحلية بأقل ما يمكن من النفقات وذلك

بتخفيض المسافات الواجب قطعها . أما في الخارج فإن إمكانات التصدير تمنح الاتحاد السوفيتي مركزاً قوياً . فهو يستطيع بذلك دعم تماسك كتلة الكوميكون بفضل مصادر نفطه وغازه ، مثلما يساعده ذلك على شراء المنتجات الصناعية التي يفتقر إليها من الغربيين ، ولا سيما من إنكلترا أو فرنسا وإيطاليا وألمانيا الغربية ، كأنابيب الفولاذ ذات القطر الكبير لتمديد أنابيب النفط والغاز ، وأدوات النقل بالخطوط الحديدية ، ومصانع كاملة « مفتاح باليد » وكذلك دعم مواضعه في العالم الثالث . وهكذا يقوم المهندسون السوفيات بالتنقيب عن النفط في كوبا ، مثلما يعملون على تدريب الفنيين في الجزائر ، ويقومون بحفر واستغلال حقول نفط العراق الجنوبية ، مثلما يشيدون معامل تكرير في تركيا أو في الهند . وفي الختام نلاحظ أن تطور إنتاج الطاقة هو أكثر من شعار جوهري ، وعلى الرغم من جسامة احتياطات الاتحاد السوفيتي فهو يعمل جاهداً على الاقتصاد في استهلاكه من الطاقة .

الاتحاد السوفيتي يقتصد في الطاقة ...

وذلك مظهر متناقض في قطر يعتبر أفضل بلد في العالم تجهيزاً من هذه الناحية . ومع ذلك يساور السوفيات القلق من الاستغلال الذين يقومون به لهذه الثروات . فقد عملوا على تقليص الهوة التي كانت تفصلهم عن البلدان الغنية وذلك بفضل تصنيع متسارع لم يكن خالياً من نوع من هدر مادام كان الأمر يقضي بحرق المراحل ، وهكذا كانت مصادر الطاقة القريبة المتناول عرضة لاستغلال مفرط . أما اليوم فقد وجب اللجوء لاستغلال عقلاني ضماناً للمستقبل . وعليه قامت سياسة منهاجية في البحث ، وإرادة مصممة على استغلال العالم السيبيري ، واهتمام بالإحكام التقني ، ورفع مردود المكامن النفطية بشكل خاص ، اعتماداً على طريقة استثمار مستعاد ناجع ولكنه عالي الكلفة . وهكذا أمكن استخلاص ٥٠٪ من مخزونات مكامن النفط في الاتحاد السوفيتي ، مقابل ٤٠٪ في الولايات المتحدة و ٢٠ إلى ٣٠٪ في أقطار الشرق الأوسط . وجاء تضاعف أسعار البنزين في عام ١٩٧٨ تدبيراً يسير في الاتجاه ذاته : أي كبح استهلاك الطاقة ، والقيام في الوقت نفسه بردع المواطنين السوفيتيين عن الاندفاع في « مدنيّة السيارة » ، فالطاقة التي هي حيوية للتنمية الاقتصادية لا تكون أقل حيوية لتحقيق استغلال عقلاني لكل المجال السوفيتي . وفضلاً عن ذلك فهي عنصر هام في السياسة الخارجية ، أنها ثروة مفرطة أثمن من أن لا يعمد الناس إلى الاقتصاد في استهلاكها .

لقد عملت أزمة الطاقة على تقوية تبعية أقطار أوروبا الشرقية تجاه الاتحاد السوفيتي :

لقد تضاعف سعر البنزين في بلغاريا ، وعقد اتفاق سوفياتي تشيكي للمسارعة في برنامج بناء المراكز النووية ، ويجري إعداد مخططات في كل مكان هادفة للحد من استهلاك الطاقة ، كما تتكاثر رحلات المسؤولين السياسيين والاقتصاديين إلى البلدان المنتجة للنفط : والواقع لم تنج أوروبا الشرقية ذاتها من أزمة الطاقة .

غير أن الاتحاد السوفيتي وبولونيا هما الدولتان الوحيدتان ، ضمن إطار الكوميكون ، اللتان تقومان بتصدير الطاقة . ولكن شركاء الاتحاد السوفيتي يعتمدون عليه بنسبة ٨٠٪ في مجال التموين بالنفط . ومنذ عام ١٩٧٥ تضاعف سعر بترول الاتحاد السوفيتي عملياً وازداد حجم مدفوعات زبائنه تبعاً لذلك . وعلى الرغم من جهود هذه الدول للحد من الهدر في الطاقة وتحسين مردودهم التقني ، وتنمية مواردهم الطاقيّة الوطنية ، فهم مضطرون في تموينهم من الطاقة الحديثة للاعتماد على الخارج ، أي على الاتحاد السوفيتي الذي لجأ في عام ١٩٧٨ إلى تبنّي « مخطط استثمار » في سبيل زيادة إنتاجه تساهم فيه كل دول الكوميكون مالياً في استغلال الطاقة الكامنة في الاتحاد السوفيتي . وأخيراً يفرض البحث عن الطاقات الجديدة ، ولا سيما النووية منها ، وجود تعاون وثيق مع الاتحاد السوفيتي ، الذي لاغنى عن تقدمه التكنولوجي في هذا المجال . وهكذا تدعم « أزمة الطاقة » هيمنة الاتحاد السوفيتي ضمن أقطار شرقي أوروبا .

عن جريدة لموند ٢٩ / ٥ / ١٩٧٩

الحصيلات الطاقيّة المقارنة

مراتب الأهمية

١٩٧٥	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	أوروبا الغربية
الفحم	٣٤٪	١٧٪	٢٢٪
البترول	٤٢٪	٤٢٪	٦١٪
غاز طبيعي	٢٠٪	٣٥٪	١٢٪
كهرباء أولية	٤٪	٦٪	٥٪

لاحظ أن الحصة الإجمالية للوقود السائل والغاز في استهلاك الطاقة تكون أكثر ضعفاً في الاتحاد السوفيتي .

يتكفل دستور ١٩٧٧ في مادة ١٨ بحماية الطبيعة . وهناك واقع يجب أن يأخذه البحث عن مصادر جديدة للطاقة بعين الاعتبار : « اتخذت في الاتحاد السوفييتي التدابير الضرورية لمصلحة الأجيال الحالية والقادمة ، لحماية الأرض وما تحتها ، والمياه والعالمين الحيواني والنباتي واستغلالها بصورة عقلانية ، وللاحتفاظ بنقاوة الهواء والماء ولتجديد الثروات الطبيعية ولتحسين البيئة » .

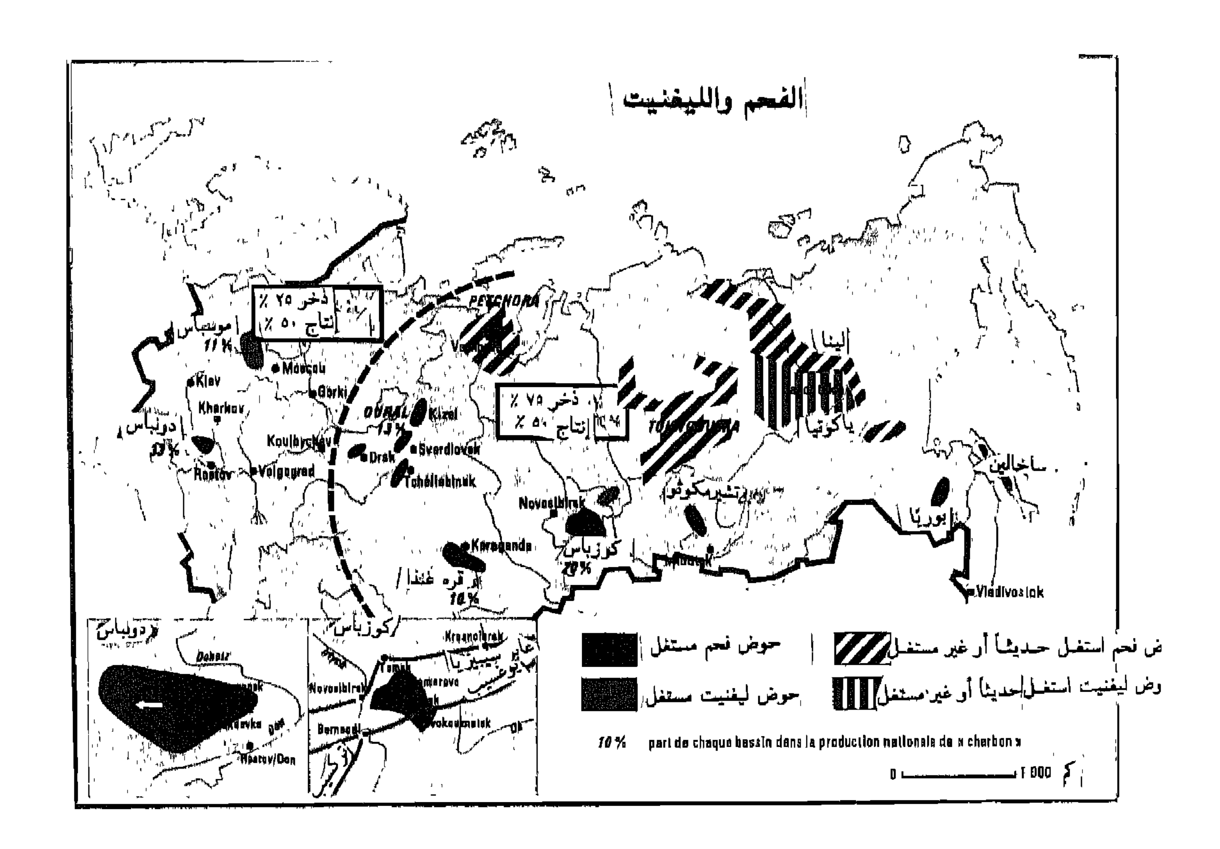
الفحم والكهرباء

لقد لعب مصدرا الطاقة هذان دوراً جوهرياً في دعم التصنيع المتسارع في الاتحاد السوفييتي . ولكنهما لا يمثلان اليوم أكثر من ثلث الطاقة المستهلكة بقليل . كما أن التقدم المتسارع في إنتاجهما ، في عصر يبدو فيه الاهتمام متزايداً بتجنب تبديد الثروة الوطنية المخزونة ، يؤدي إلى الاقتصاد في استهلاك الوقود السائل ، ويدل على أنهما ليسا مَصدريْ طاقة « ثانويين » .

فلا زال الفحم يلعب دوراً هاماً : ويبدو أن حصته في قائمة الحصيلة الطاقية الإجمالية قد استقرت ، منذ مطلع الستينات ، على مستوى أعلى من المستوى الذي هو عليه في الأقطار الصناعية الأخرى .

وتعود هذه الأهمية إلى عدة عوامل ، أولاً : جسامة الذخر الذي ربما كان يعادل ٦٠ ٪ من الذخر العالمي ، والذي تتبعثر مكامنه على سائر أنحاء البلاد ، مع أرجحية واضحة في المناطق الواقعة إلى الشرق من سلسلة الأورال . وغالباً ماتكون شروط استغلاله مناسبة فعلاً ، فثلث الاستخراج يتم من مقالع مكشوفة في حين يستخرج الباقي من آبار تكون العروق فيها ، على العموم ، ثخينة ، وقريبة من سطح الأرض لأن العمق الأقصى يكون غالباً بحدود ٣٠٠ م تحت سطح الأرض . ولما كان اقتصاد البلاد متجهاً نحو التجهيز فهو بالتالي يكون المستهلك الأعظم .

وأخيراً يكون إنتاج الفحم خاضعاً للبحث عن النجاعة التي تهتم باستغلال أكثر الأحواض عائدية اقتصادية وهي أحواض الدونباس ، وكوزباس ، وقره غندا (شكل ٢٢) .



الشكل (٢٢)

وعلى الرغم من التقدم التظاهري فإن تنمية إنتاج الكهرباء تتعرقل دوماً من شدة اتساع رقعة البلاد . ويتضاعف استهلاك الكهرباء مرة كل عشرة أعوام كما هو الحال في الأقطار الصناعية الكبرى . ويظهر ذلك ، في الدرجة الأولى ، نتيجة لرغبة مقصودة في كهربة البلاد ، لأن لينين كان يكرر قوله :

« الشيوعية هي سلطة السوفيات ومن ثم الكهربة » . ومنذ عام ١٩٢٠ ، وفي قلب « شيوعية الحرب » تم إنشاء هيئة غويلرو GO.EL.RO لتنمية إنتاج الكهرباء ، والتي أصبحت تلعب دور نموذج في التخطيط الشامل . كما عملت وفرة الفحم بدورها على تسهيل هذا التقدم في الإنتاج الكهربائي . وهكذا يكون ٨٥ ٪ من الكهرباء السوفياتية من أصل حراري .

أما الطاقة الكهرمائية فلا تلعب أكثر من دور تكميلي ، هذا على الرغم من استغلال حوضات نهرية كبرى ، كحوض الفولغا والدينيبير ، وكذلك أحواض الأنهار السيبيرية مثل نهر ينيسيئي أو آنغارا . وفي الواقع تكون عوامل قسر البيئة شديدة جداً : فالجبال لم يتم استغلالها إلا على نطاق محدود لوقوعها على أطراف البلاد ، كما يكون استغلال الأنهار محدوداً عملياً بسبب الانجماد الشتوي الطويل .

وأخيراً فإن إنتاج الكهرباء يكون قبل كل شيء تحت هيمنة اعتبارات المسافة . ونظراً لعدم ارتباط شبكات التوزيع ببعضها بعضاً فإنها لم تشكل بعد منظومة وطنية . كما أن الطاقة النووية لا تقدم الحل الجزئي إلا بالنسبة لمناطق نائية جداً كما في الشمال الكبير أو في الشرق الأقصى على شكل مراكز صغيرة محلية . ولما كان السوفيات أغنياء بمصادر الطاقات التقليدية ، فلا يبدو عليهم أنهم مهتمون بالإسراع في إكثار المراكز النووية بل يوجهون جهودهم نحو إتقان بناء وحدات كبيرة ذات تكنولوجية متقدمة .

ثلاثة أحواض تقدم ثلثي إنتاج الفحم

١ ـ **الدونباس** : وهو رمز الجزء الأوروبي من الاتحاد . ولا زال يحتل المكانة الأولى رغم أن حصته النسبية تسير نحو تناقص منتظم .

٢ ـ **الكوزباس** : وهو الحوض السوفياتي الثاني ، وهو رمز سيبيريا وتطورها الاقتصادي . ولما كان قد نشأ ضمن إطار الكومبينا الستالينية « أورال كوزباس » فقد أصبح اليوم مركز منطقة صناعية متكاملة .

٣ ـ **قره غندا** : ويأتي هذا الحوض في المركز الثالث ولكنه يتمتع بميزة احتفاظه بسيماء الزيادة .

٨٥ ٪ من الكهرباء تنتج من أصل حراري تقليدي

تلك هي نتيجة استعمال الفحم والليغنيت والتورب ، ويستفاد من المادتين الأخيرتين إلى أقصى حد ممكن . أما الثروات النفطية فقد ساعدت خلال أعوام الستينات ، أي في فترة التوسع الصناعي الذي تلا عملية إعادة البناء ، على التوسع في بناء المراكز الكهربائية الحرارية البعيدة عن الأحواض الفحمية . وهكذا تم تشييد وحدات إنتاج قوية جداً ذات استطاعة تبلغ مليون أو مليوني كيلوواط ، وأحياناً ٥ ملايين كيلوواط . أما اليوم فإن أكثر من ٦٠ ٪ من الطاقة الحرارية الناتجة يتم الحصول عليها من الوقود السائل والغاز .

تطور الإنتاج الطاقي

العام	فحم	ليغنيت	كهرباء
١٩٣٢	٥٨ مليون طن	٧ مليون طن	١٤ مليار كيلوواط ساعي
١٩٤٠	١٤٠ مليون طن	٢٦ مليون طن	٤٨ مليار كيلوواط ساعي
١٩٥٥	٢٧٧ مليون طن	١١٥ مليون طن	١٧٠ مليار كيلوواط ساعي
١٩٧٠	٤٣٣ مليون طن	١٤٥ مليون طن	٧٤١ مليار كيلوواط ساعي
١٩٧٤	٤٧٣ مليون طن	١٥٧ مليون طن	٩٧٦ مليار كيلوواط ساعي
١٩٧٨	٥٠٠ مليون طن	١٦٠ مليون طن	١٢٠٢ مليار كيلوواط ساعي
١٩٨٢	٧١٨ مليون طن	١٦٠ مليون طن	١٣٦٦ مليار كيلوواط ساعي

تحسن مستمر في وضع عامل المنجم

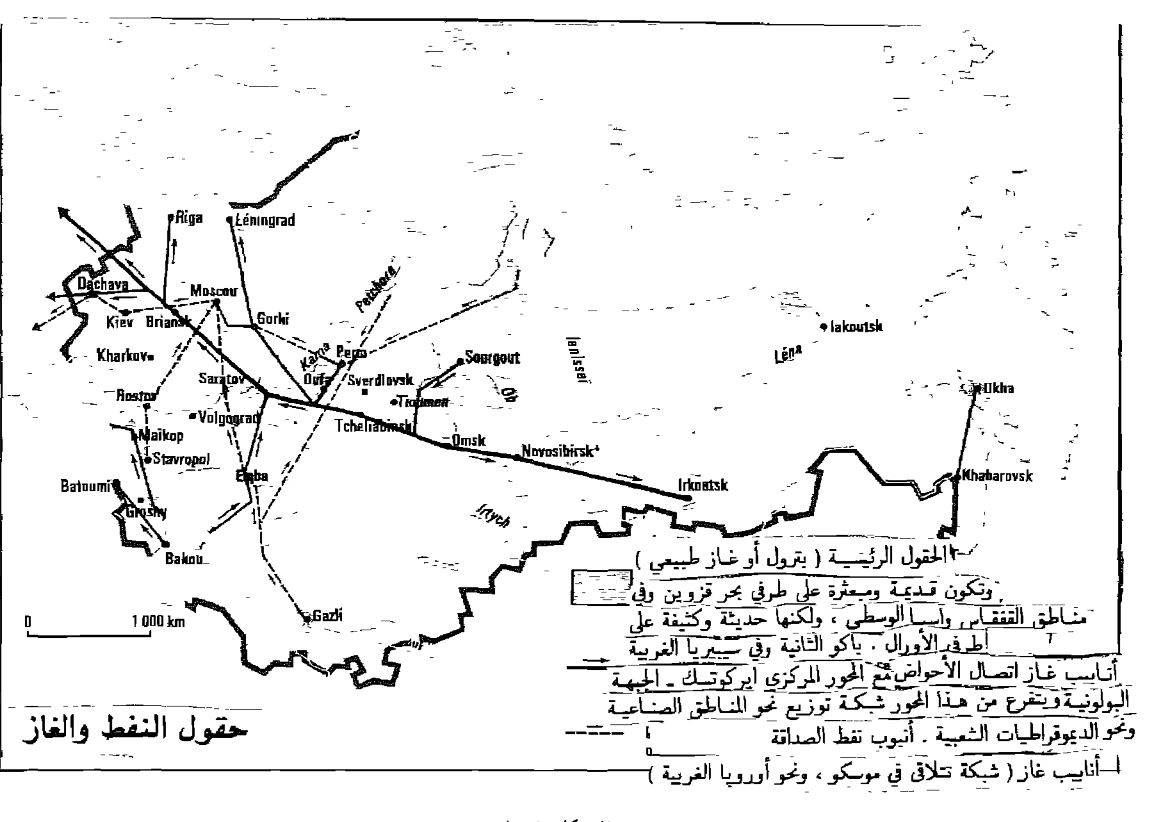
- منذ آب ١٩٧٦ أصبح أسبوع العمل ٣٠ ساعة أو ٥ أيام عمل بمعدل ٦ ساعات يومياً .
- ارتفعت الأجرة الوسطى بمقدار ٢٠ ٪ بين ١٩٧٠ و ١٩٧٤ دون تضخم .
- امتدت العطلة من ٢٤ يوماً إلى ٣٦ يوماً في العام بالنسبة لعمال الآبار الفحمية .
- سن التقاعد في الخمسين بعد ٢٠ سنة من الخدمة .
- عمال المنجم الذين يرغبون في تكميل تحصيلهم ينالون يوم عطلة ثالث أسبوعياً مأجوراً بمقدار النصف . أما تحضير الدراسات العليا فيسمح بالحصول على عطلة مدفوعة الأجر تتراوح بين ٣ أو ٤ أشهر .

مجلة فرنسا ـ الاتحاد السوفييتي
رقم ١٠٢ تشرين الثاني ١٩٧٧

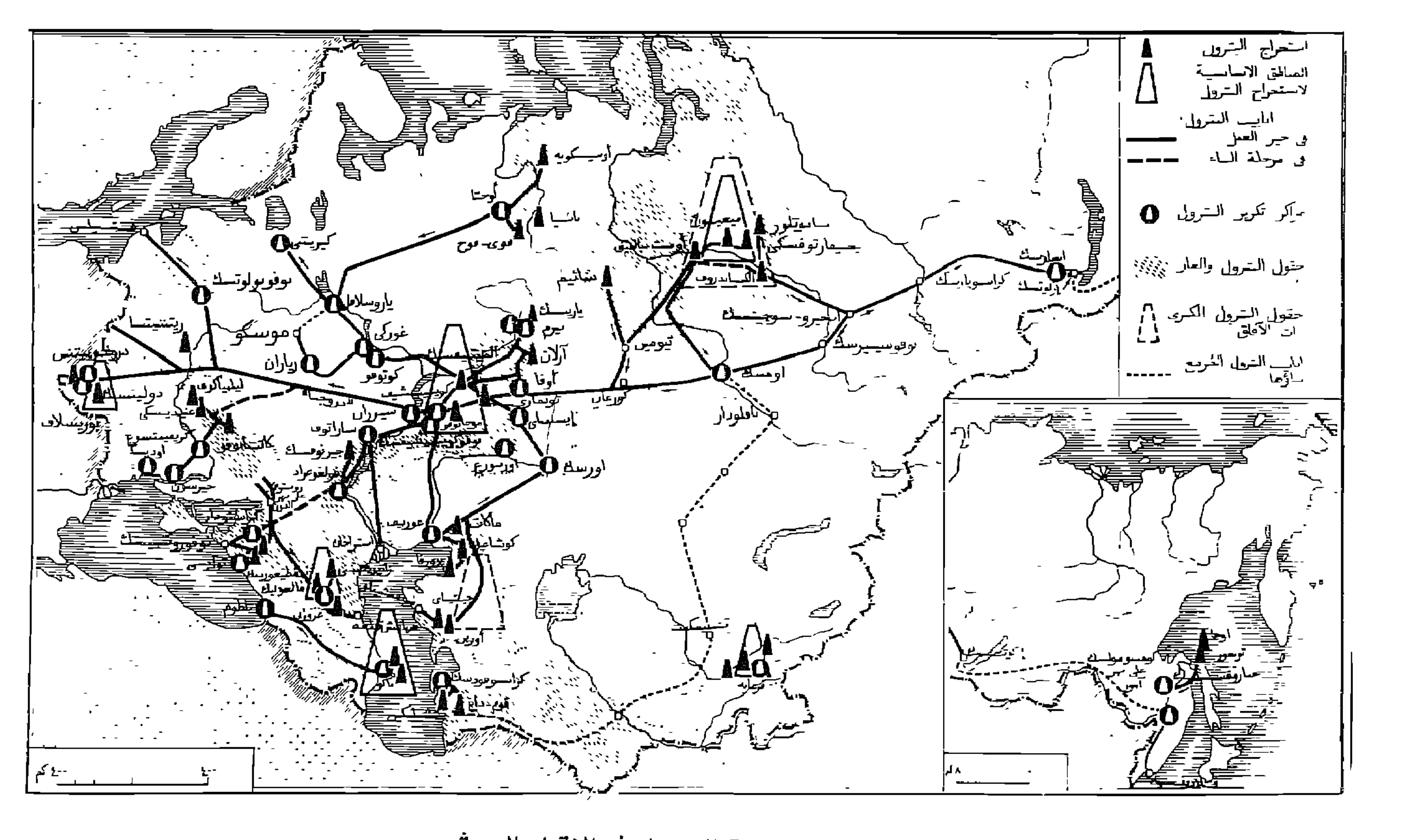
النفط والغاز

يؤلف النفط والغاز في الاتحاد السوفييتي ، شأنها في الأماكن الأخرى من العالم ، « الفاتحين الكبيرين » في ميدان الطاقة . فقد فرض الوقود السائل نفسه في خلال خمسة عشر عاماً لكي يضمن اليوم حوالي ثلثي الطاقة المستهلكة في الاتحاد السوفييتي .

لقد حقق إنتاج البترول وإنتاج الغاز الطبيعي خطوة جبارة في خلال عقد الستينات ولا يزال يتابع مسيرته ، مما سمح للاتحاد السوفييتي بأن يتبوأ المرتبة الأولى في العالم قبل المملكة العربية السعودية بالنسبة للبترول المستخرج والمرتبة الثانية خلف الولايات المتحدة في مضمار إنتاج الغاز الطبيعي . ولقد ارتبطت هذه الانطلاقة باكتشاف وباستغلال حقول جديدة ، تقع معظمها في سيبيريا الغربية ، والتي ابتدأ استثمارها في منطقة تيومن ومنطقة مقرن نهر أوب بنهر ايرتيش والتي دعيت في أوروبا الغربية « باكو الثالثة » . هذا كما تكتسب مكامن الغاز الطبيعي في سيبيريا التي تؤلف ٦٠ ٪ من الذخر ، وفي آسيا الوسطى والتي تعادل ١٦ ٪ من الاحتياطي العام أهمية فريدة . ولكن شروط الاستغلال تكون قاسية للغاية ، لأن حقل غاز غازلي يقع في قلب صحراء قره كوم ، كما يؤلف استخراج الغاز ونقله في حرارة منخفضة في سيبيريا مشكلة معقدة « ويبلغ ذخر الاتحاد السوفييتي من الغاز الطبيعي مقدار ٢٠٠٠٠٠ مليار متر مكعب وتقع أهم حقوله في سيبيريا الغربية بجوار المناطق القطبية وأهم هذه الحقول هو حقل اورينغوا الذي سيبلغ انتاجه ٣٧٠ مليار متر مكعب سنة ١٩٨٥ » (شكل ٢٣ و٢٣ مكرر) .


حقول النفط والغاز
Riga
Léningrad
Dachava
Moscou
Kiev
Briansk
Gorki
Kharkov
Petchora
Kama
Perm
Sourgout
Iakoutsk
Léna
Ienissei
Okha
Saratov
Oufa
Sverdlovsk
Tioumen
Ob
Rostov
Volgograd
Tcheliabinsk
Omsk
Novosibirsk
Maïkop
Stavropol
Emba
Irkoutsk
Khabarovsk
Batoumi
Grosny
Irtych
Bakou
Gazli
0
1 000 km
الحقول الرئيسية (بترول أو غاز طبيعي)
وتكون قديمة ومبعثرة على طرفي بحر قزوين وفي مناطق القفقاس وآسيا الوسطى ، ولكنها حديثة وكثيفة على طرفي الأورال . باكو الثانية وفي سيبيريا الغربية
أنابيب غاز اتصال الأحواض مع المحور المركزي ايركوتسك ـ الجبهة البولونية ويتفرع من هذا المحور شبكة توزيع نحو المناطق الصناعية ونحو الديموقراطيات الشعبية . أنبوب نفط الصداقة
أنابيب غاز (شبكة تلاقي في موسكو ، ونحو أوروبا الغربية)

الشكل (٢٣)



الشكل (٢٣ مكرر) صناعة البترول في الاتحاد السوفييتي

وهكذا يتطلب استغلال الوقود السائل السوڤياتي جهداً تقنياً عظيماً : كإنجاز تكنولوجيا متوائمة مع شدة البرد ، وتمديد شبكة من الأنابيب التي تسمح بتصريف المنتجات المستخرجة على مسافات تبلغ أحياناً ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ كم . ويفترض هذا وجود قدرة صناعية كامنة قادرة على مواجهة هذه الحاجات الضخمة . ويؤلف هذا نقطة الضعف في الاتحاد السوڤييتي . فلا تزال شبكات أنابيب النفط البالغة ٦٦٠٠٠ كم وأنابيب الغاز وطولها ١٠٠٠٠٠ كم غير كافية رغم تمديدها المستمر . ولا يزال ثلث النفط يجري نقله بالخط الحديدي . وهذا مادفع إلى عقد زمرة من الاتفاقيات مع دول أوروبا الغربية والتي تقضي بتقديم البترول والغاز مقابل مواد التجهيز ، والتي تنوء بثقلها على سوق النفط السوڤياتي ومشتقاته .

وينمو هذا السوق الآن بسرعة في اتجاهين : ففي **داخل الاتحاد** يتزايد الطلب دون توقف ، وذلك حسب نمو وتحديث الاقتصاد اللذين يتطلبان المزيد من الطاقات المرنة والنظيفة . فالغاز الطبيعي القليل التلويث ، والذي يبدو ، فضلاً عن ذلك ، وفيراً في الاتحاد السوڤييتي ، الذي يحوي ٤٠ ٪ من الاحتياط العالمي ، تنتظره سوق داخلية واسعة . أما في **خارج الاتحاد** فإن الطلب يبدو شديداً أيضاً . ففي عام ١٩٧٦ صدّر الاتحاد السوڤييتي أكثر من ٦٠ مليون طن نفط بقليل وقرابة ١٠ مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي إلى دول أوروبا الغربية وحدها ، ويعود هذا إلى أن الاتحاد السوڤييتي يملك فوائض من بتروله وغازه ، الغرض من بيعها دعم تجهيز البلاد داخلياً .

ويعتبر الوقود السائل ، وذلك بكميات محدودة بالنسبة للنفط ، وهائلة بالنسبة للغاز ، يعتبر ضمانة لتحقيق الطفرة الصناعية في الاتحاد السوڤييتي ، ومن أجل تطوره الاقتصادي مثلما يساهم ، في الظروف الحالية ، في دعم وزنه في الخارج .

تطور الإنتاج

السنة	النفط	الغاز الطبيعي
١٩٣٢	٢١ مليون طن	١ مليار م٣
١٩٤٠	٢٣ مليون طن	٤ مليار م٣
١٩٥٥	٧١ مليون طن	٩ مليار م٣
١٩٧٠	٣٥٣ مليون طن	١٩٨ مليار م٣
١٩٧٤	٤٥٩ مليون طن	٢٦١ مليار م٣
١٩٧٨	٥٧٣ مليون طن	٣٧٢ مليار م٣
١٩٨٢	٦١٣ مليون طن	٥٠١ مليار م٣

نفط سيبيريا الغربية

يحتل الاتحاد السوفييتي المرتبة الاولى في العالم في استخراج النفط منذ اواسط السبعينات ، وقد استخرج في سيبيريا الغربية في عام ١٩٨٠ مقدار ٣١٥ مليون طن من النفط وغاز الكوندنسات ، أي أكثر من نصف استخراجها في البلاد كلها .

تشغل منطقة النفط والغاز في سيبيريا الغربية مساحة ١,٣ مليون كيلومتر مربع . وهذه منطقة المستنقعات التي كان يستحيل اجتيازها سابقا ، والجليد الأزلي والتايغا والتوندرا . وحينما بدأ استثمار سيبيريا الغربية لم تكن فيها مدن وطرقات وقاعدة للبناء . وتم استخراج مئات الاف الاطنان الاولى من النفط في سيبيريا الغربية في عام ١٩٦٤ ولم تنطور اية منطقة نفطية في العالم بالوتائر التي نطورت بها منطقة سيبيريا الغربية ، اذ تجاوز الاستخراج ٣٠٠ مليون طن في العام خلال ١٦ سنة . وان الظروف الطبيعية هنا صعبة جدا ، وخاصة فيا يتعلق بالبناء ومد الطرق والسكك الحديد . وتنقل عمال النفط الى الحقول طائرات الهيلوكوبتر ، وكثيرا ماتنخفض درجه الحرارة الى ٥٠ درجة تحت الصفر . وينبغي نقل مواد البناء والماكنات وكثير من المواد من مناطق بعيدة .

لقد أنشئت في سيبيريا الغربية في ظروف طبيعية صعبة ظروف ملائمة للعمل والحياة . وهذه هي المحصلة الاجتاعية الاساسية هناك .

الصناعة الثقيلة

وتقدم في الاتحاد السوفياتي صفات نوعية متميزة : الصناعات الثقيلة ، مبدئياً ، هي صناعات أساسية ، وتحظى بالتالي ، بالأفضلية من حيث الاستثمارات المالية .

ولما كانت هذه الصناعة تقوم بمعالجة منتجات وازنة ، مؤلفة من خامات معدنية ، أي عالية الكلفة في ميدان النقل ، لذا يعمد إلى إنشائها فوق مكامن المواد الأولية ، أو بجوار مصادر الطاقة الضرورية المتوفرة بمقادير كبيرة ، وذلك على شرط أن تتمكن وسائل النقل الناجعة تحقيق تصريف المنتجات نحو أسواقها أو أماكن استهلاكها .

وقد تمخضت الصناعات الثقيلة ، ضمن السياق المساحي ، والاقتصادي في الاتحاد السوفييتي ، عن مؤسسات صناعية كبيرة الأبعاد للغاية ، متوائمة مع شدة اتساع البلاد ، ومع الأفضليات الممنوحة منذ أمد طويل للمفهوم الكمّي في التخطيط . ويستدعي البحث المعاصر عن نجاعة صناعية كبيرة حالياً إلى إعادة النظر في عملقة هذه الصناعات .

وتتجلّى هذه الصفات بشكل صارخ في قطاعات الصناعات الثقيلة الكبرى الثلاث وهي : صناعة الحديد ، وصناعة المعادن غير الحديدية ، والكيمياء الأساسية .

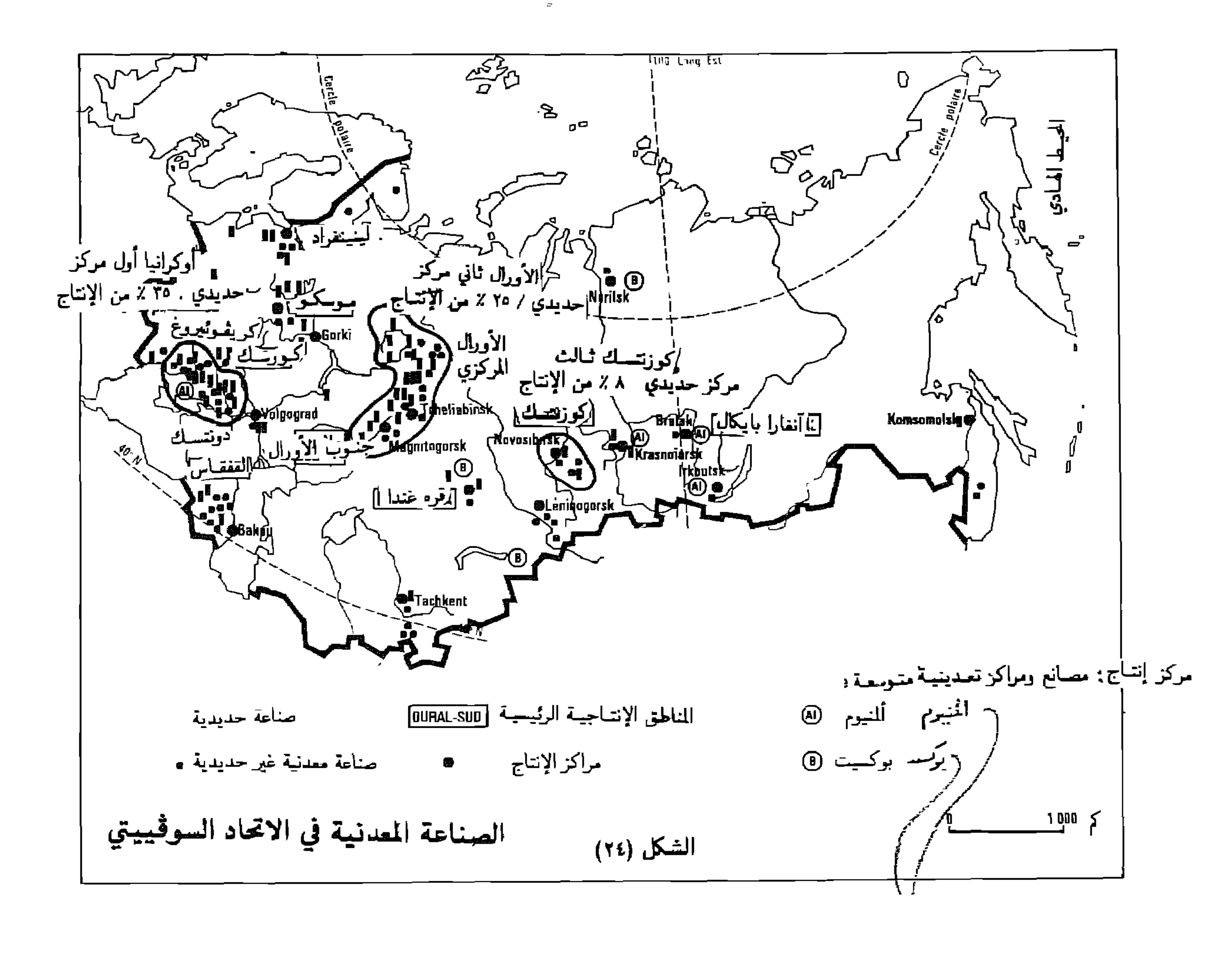
وتحتل صناعة الحديد sidérurgie المرتبة العالمية الأولى بإنتاجها البالغ ١٥١ مليون طن في عام ١٩٧٨ و١٤٩ في ١٩٧٩ تاركة خلفها كلاً من الولايات المتحدة واليابان . ويبدو تقدمها التظاهري نتيجة إرادة منهاجية في

التنمية من ناحية وعن جسامة الثروة في خامات الحديد ، لأن الاتحاد السوفييتي هو أول منتج عالمي منها ويتقدم كثيراً على أستراليا ، وكذلك في ميدان إنتاج فحم الكوك .

وتنطبق المراكز الكبرى لصناعة الحديد في الاتحاد على الأحواض الحديدية والفحمية الكبرى ، وهكذا تكون مناطق الصناعات الحديدية الكبرى حسب الترتيب التالي : **أوكرانيا الجنوبية ، الأورال ، كوزنتسك .** ولقد تنوعت هذه الصناعة الحديدية ، ولكنها اكتسبت المزيد من القوة في المنطقة الصناعية المركزية بعد استغلال منطقة الشذوذ المغناطيسي في كورسك خلال الخمسينات ، وقامت فعلاً صناعات مماثلة في كل المناطق الاقتصادية السوفييتية . وتم في الوقت ذاته تحديث هذه الصناعة ، بيد أن هذه الصناعة لاتزال تقليدية جداً في إنتاجها الكتلي . وتلك هي إحدى نقاط ضعفها . وتؤلف الاستعانة بالعالم الغربي لإنتاج أنابيب تسمح باستغلال غاز ونفط سيبريا شاهداً على هذه النقطة (شكل ٢٤) .

أما **صناعة المعادن غير الحديدية** فقد دعمتها **وفرة الثروات الوطنية .** ولما كانت مكامن هذه المعادن المذكورة واقعة في الجزأين الشمالي والشرقي من الاتحاد ، فقد أقامت بجوارها مصانع تحويل الفلزات . وتتجه الجهود الحالية نحو **إنتاج الألمنيوم** مع تنمية وحدات في **سيبيريا الجنوبية** في كراسنويارسك ، وايركوتسك ، وبراتسك التي تستفيد من تجهيز نهر آنغارا كهرمائياً .

أما **الكيمياء الثقيلة** التي تقوم على الأسس الطبيعية الهامة فقد ظلت ، على العكس ، مهملة من جانب المخططين . ولما كانت هذه الصناعة تتطلب تقنيات معقدة راقية فلم تتطور إلا ابتداءً من عقد الستينات مع **انطلاقة البتروكيمياء .** وتظل هذه الصناعة محصورة بشكل ضيق في الأورال وفوق



الصناعة المعدنية في الاتحاد السوفييتي

الشكل (٢٤)

الأحواض الفحمية . ولا تزال منتجاتها قليلة التنويع إلى حدٍ ما ، ولا سيما في مجال الكيمياء التركيبية . وينظر إليها ، من حيث نجاحاتها وحدودها ، مؤشراً طيباً عن نجاعة وطفرة التكنولوجيا الجارية في الصناعة السوفياتية .

مصطلحات وتعاريف

يميز السوفيات مجموعتين كبيرتين في الإنتاج الصناعي ، مجموعتين لا تنطبقان تماماً على التقسيم بين الصناعات الثقيلة وبين الصناعات التحويلية في العالم الغربي .

فالسلع أ : وتضم منتجات الصناعات الثقيلة :

ـ الصناعات الاستخراجية التي تقدم المواد الأولية الخام .

ـ الصناعات التي تقدم منتجات نصف منتهية ، أو منتجات « الوسائط الكبرى intermédiaires » التي تلعب بدورها دور أساس للصناعات التي تقدم منتجات منتهية .

ويقصد بها صناعة المعادن الثقيلة الحديدية ، وصناعة المعادن غير الحديدية ، والكيمياء الثقيلة ، ومواد البناء ولا سيا الإسمنت .

كما تشتمل « السلع أ » أيضاً على سلع التجهيز والإنتاج التي تقدمها بعض الصناعات التحويلية : كالطرق ، والخطوط الهاتفية والمكائن الصناعية .

السلع ب : وتتألف من منتجات الاستهلاك ، وتعريفاً تكون هي السلع المهيأة لتأمين الحاجات سواء كانت سلعاً استهلاكية مباشرة مثل المنتجات الغذائية أو المستمرة كالسيارة .

وتكون للسلع أ الأرجحية في الاتحاد السوفييتي

القرائن	١٩٤٠	١٩٧٦
سلع أ	١٠٠	٢٤٤٣
سلع ب	١٠٠	٩٢٤

إنتاج الفولاذ بملايين الأطنان

السنوات	الاتحاد السوفييتي	الولايات المتحدة
١٩١٣	٤,٣	٣٢
١٩٢٩	٤,٣	٥٧,٣
١٩٤٠	١٨,٣	—
١٩٥٠	٢٧,٣	٨٧,٨
١٩٦٠	٦٥,٣	—
١٩٧٠	١١٦	١١٩,٣
١٩٧٥	١٤١	١٠٦
١٩٧٨	١٥١	١٢٣,٩
١٩٨١	١٤٩	١٠٨,٨



انتاج الفولاذ المقارن بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة حتى ١٩٥٦

الشكل (٢٥)

صناعة المعادن غير الحديدية

المرتبة العالمية

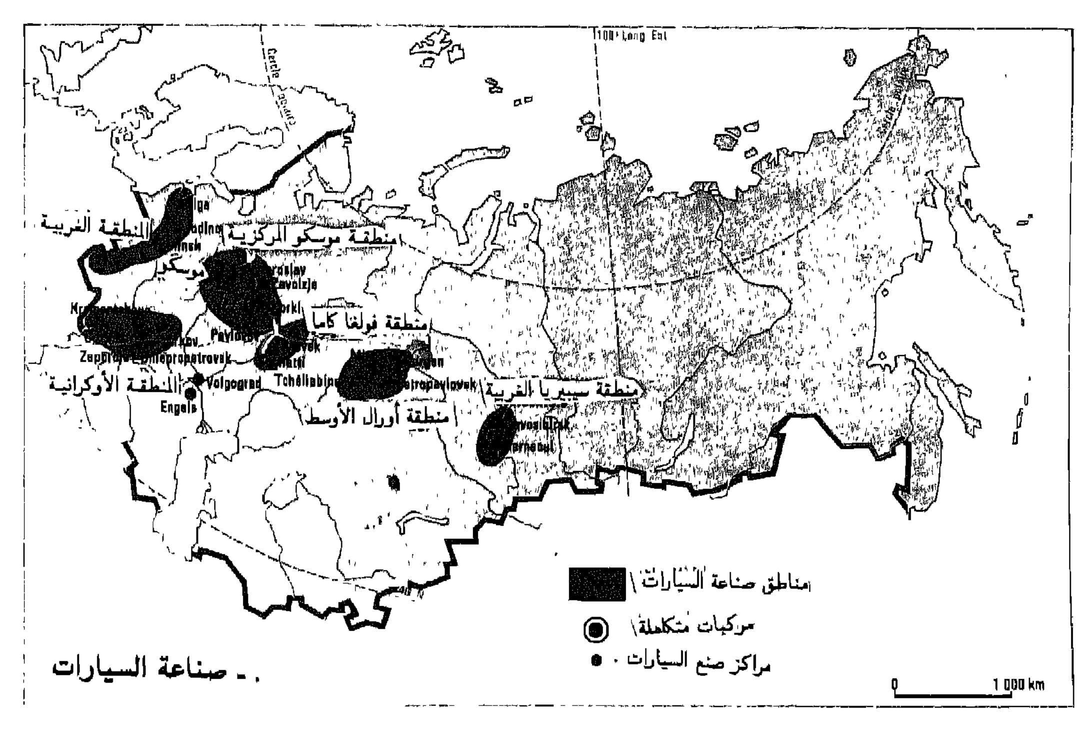
	الفلز	المعدن
الألمنيوم	٤	٢
النحاس	٢	٢
الرصاص	١	١
الزنك	٢	١

الصناعة التحويلية

تركز الصناعات في الاتحاد السوفييتي اهتمامها ، قبل كل شيء ، على سلع التجهيز : كالأدوات الميكانيكية الضخمة والمكائن الصانعة وعلى **سلع الاستهلاك الدائمة** كصناعة السيارات والصناعة النسيجية . ولهذا لا تحوي هذه الصناعات الصفات نفسها في العالم الغربي . وتكون أكثر تطوراً ونمواً كلما كانت موجهة نحو تجهيز البلاد وسكانها . ولما كانت هذه الصناعات مخططة في منتجاتها وفي انطلاقتها ، فهي تكون بالتالي متمركزة قرب المناطق الكبرى للصناعة الثقيلة ، وفي المنطقة الصناعية الوسطى التي تتمحور حول موسكو . أما التناثر على شكل وحدات صغيرة ، فلا نجده إلا بالنسبة للصناعات الخفيفة : كمعامل الأحذية ، والفراء ، و « الأدوات المنزلية والمتعة » وهو تعبير سوفياتي ذو مدلول عن المكانة الثانوية التي تحتلها هذه الصناعات .

وتقدم **صناعة السيارات** مثلاً طيباً عن هذه الصفات **ولا تزال هذه الصناعة متواضعة** من حيث القيمة المطلقة ؛ لأنها تحتل المرتبة السابعة في العالم في مضمار السيارات السياحية ، والمرتبة الثالثة في إنتاج السيارات النفعية ، أي تقف بعيداً خلف الولايات المتحدة واليابان التي احتلت المرتبة الأولى العالمية في عام ١٩٨١ ، والتي تنتج أكثر من أربعة أضعاف إنتاج الاتحاد السوفييتي من السيارات السياحية وثلاثة أمثاله من السيارات النفعية . وقد قامت هذه الصناعة في زمن مبكر بعد الثورة بمعونة مهندسين أمريكيين قدموا من مدينة ديترويت ، فأقاموا في غوركي أول مصنع أخرج أوائل سياراته في عام ١٩٢٨ ، ومن ثم توسعت هذه الصناعة على شكل « مركّبات صناعية مندمجة » ، وهي كومبينات ضخمة ضعيفة العائدية الاقتصادية . ومنذ ١٩٧٤ أعيد النظر في تنظيمها على شكل « اتحادات صناعية » بهدف زيادة نجاعتها .

وتنحصر أهم المصــانــع **في الغرب من الأورال** فتقـوم في مــدينــة غـوركي **مصانع سيارات غاز** ، وفي موسكو تعمل مصانع **زيل** وهي المعـامل الرئيسيـة في البلاد ، ولكن مصنع **توغلـيـاتّي** على نهر الفولغـا يستطيع أن ينتـج ٦٦٠٠٠٠ سيارة سيـاحيـة في العـام مما جعل من منطقـة الڤولغـا كامـا أحـد اثنين من أكبر أقطاب صناعة السيارات في الاتحاد السوڤييتي وخاصة في مدينة نـابريجنيتشيني في جمهورية تتريـا المستقلـة ذاتيـاً التي ارتفع عـدد سكانهـا من ٣٠٠٠٠ عـام ١٩٦٩ الى ٣٠٠٠٠٠ في ١٩٧٩ المتــدة على ضفــاف نهر الكامــا وتنتــج شــاحنــات كامــاز (شكل ٢٦) .



الشكل (٢٦)

وتعتبر **النجاحات الحالية** ذات مدلول على تطور الاقتصاد السوفييتي . فقد كان ذلك ممكناً بفضل الانفتاح على العالم الغربي الذي قدم « مصانع مفتاح باليد » كمصانع فيات الإيطالية ورينو الفرنسية ، وهي شاهدة على الانتباه الموجّه إلى حاجات السوق ، وبعد أن كانت السيارات السياحية تمثل ٢٠ ٪ من إنتاج السيارات عموماً في سنة ١٩٥٥ ، أصبحت تتجاوز ٥٠ ٪ في ١٩٧٢ و ٦٥ ٪ في عام ١٩٧٨ . ولكن وعلى الرغم من هذا لا يبدو على المسؤولين السوفييت أنهم مستعدون لفتح بلادهم على « مدنيّة السيارة » ، فلا زالت أسعارها باهظة ، ومدة انتظار التسليم طويلة جداً ، وشروط الاستعمال صعبة ، ولهذا تظل حظيرة السيارات منكمشة في هذه البلاد ، وقد قدّر عددها سنة ١٩٧٧ بحوالي ٤,٥ ملايين سيارة ثقيلة و ٣ ملايين سيارة سياحية أي ما يعادل السيارات الصغيرة الموجودة في العام نفسه في بلد عربي متوسط السكان كالمملكة العربية السعودية والتي لا يزيد تعداد سكانها عن ٨ ملايين نسمة ، وهذا مقابل ٣٠ مليون سيارة ثقيلة أو نفعية و ١١٤,١ مليون سيارة سياحية في الولايات المتحدة و ٢,٤ مليون سيارة ثقيلة و ١٦,٣ مليون سيارة سياحية في فرنسا .

وتشهد **كل الصناعات التحويلية الأخرى ، على تطور مماثل** ، وإن كان بدرجات مختلفة . فإذا كانت المنتجات الموجّهة للتجهيز تظل دوماً هي المتمتعة بوضع مهيمن ، ولا سيما وسائل النقل والمكائن الصانعة والمكائن الزراعية ، فإنها تكون ، في الوقت ذاته في مستوى تكنولوجي مرتفع أكثر فأكثر كالمكائن الصانعة الدقيقة ، والمكائن الأوتوماتيكية ، والأجهزة الألكترونية ، والكيمياء التركيبية . وتحاول هذه الصناعات أكثر فأكثر أن تتواءم مع حاجات السوق الحقيقية مما يدل على الاهتمام بالنجاعة التي تميز الصناعة السوفياتية في عقد السبعينات .

الصناعات الميكانيكية

يحتل الاتحاد السوفياتية المرتبة الأولى في العالم في إنتاج قاطرات الديزل والكهربائية ، والمكائن الصانعة القاطعة ، والجرارات والمكائن الزراعية . وتنتج حالياً مكائن جديدة كالجرافات ذات العجلات التي تبلغ طاقتها ٥٠٠٠ متر مكعب في الساعة ، ومجموعة مؤتمتة تسمح باقتلاع الفحم الحجري دون ضرورة وجود عمال في المقلع ، وقاطرات ديزل ذات قدرة تبلغ ٦٠٠٠ حصان بخاري ، وشاحنات قلابة ذات حمولة تبلغ ٧٥ طن . كما أوجد منظومات مكائن وأجهزة ميكانيكية وأتمتة ذات دورة تكنولوجية كاملة . وتقوم إحدى هذه المكائن بتغطية صلبة لمسافة كيلومتر واحد من الطرق خلال وردية عمل واحدة . ويبلغ عدد « الإنسان الآلي robots » الصناعية من ناقلات أوتوماتكية ذات توجيه مبرمج ٨٠٠ . أما استخدام « الإنسان الآلي المجهري minirobots » الذي يخدم سلاسل التجميع الآلية في مصانع الساعات فقد أدت إلى مضاعفة مردود العمل ست مرات .

وقد خرج من المصنع في عام ١٩٧٨ الجرار رقم ١٠ ملايين . وقد أوجد التجمع الدولي « آغروماش » الذي تؤلف الأقطار الاشتراكية بعض أعضائه آلة منضّمة لجني ثمار المشمش والعنب تحل مكان يد الإنسان من حيث إتقان العمل . وينتج الاتحاد السوفييتي كل نماذج المكائن الصانعة المعتمدة على الليزر ، والتي ظهرت منذ عهد قريب جداً والتي ارتفع عددها إلى ١٠٠ في عام ١٩٧٨ .

عن نوفوستي ١٩٧٩

تطور إنتاج السيارات في الاتحاد السوفييتي

السنة	السيارات النفعية	السيارات السياحية
١٩٢٨	٧٩١	٥٠
١٩٤٠	١٤٠٠٠٠	٥٥٠٠
١٩٥٥	٣٣٧٤٠٠	١٠٧٨٠٠
١٩٦٥	٤١٥٠٠٠	٢٠١٠٠٠
١٩٧٠	٨١٤٩٠٠	٣٤٤٢٠٠
١٩٧٥	٧٢٨٠٠٠	١٢٠١٠٠٠
١٩٨١	٨٧٣٠٠٠	١٣٢٤٠٠٠

تطور إنتاج سلع الاستهلاك

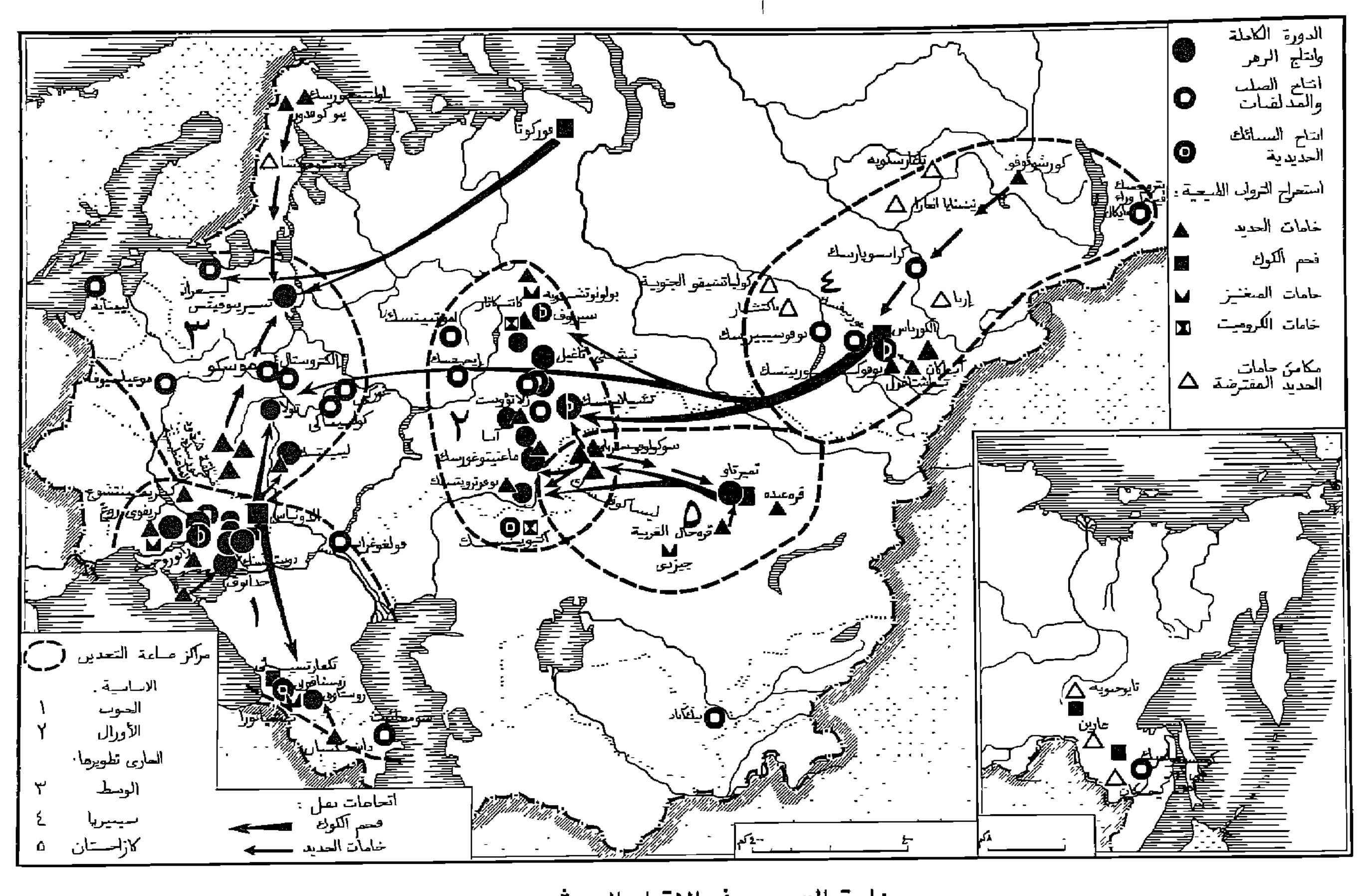
الاتحاد السوفييتي	١٩٤٠	١٩٦٠	١٩٨١
القطنيات	١٠٠	١٧٨	٧ مليون م٢
منسوجات صوفية	١٠٠	٢٠٠	٧٦٢٠٠٠ م٢
منسوجات حريرية	١٠٠	٧٠٠	١,٧ مليون م٢
منسوجات كتانية	١٠٠	١٦٧	٦٨٧٠٠٠ م٢
أجهزة راديو وحاكيات	١٠٠	٢١٠٠	٤٣٥٠
جهاز تلفزيون	١٠٠	٥٦٧٠٠٠	٢٣٦٧٠٠٠
برادات (ثلاجات)	١٠٠	١٦٦٠٠	١٩٣٣٠٠

ولا تشهد أهمية هذه القرائن المحققة في ١٩٧٧ بالموازنة مع إنتاج ١٩٤٠ على ضخامة هذه المنتجات من حيث القيمة المطلقة بل عن انطلاقتها الحديثة . ذاك هو الانتقال من اقتصاد ظل لمدة طويلة اقتصاد الندرة والحرمان إلى اقتصاد التوزيع ، وليس إلى اقتصاد الاستهلاك . وينطبق هذا على مرحلة « الاشتراكية المتقدمة » التي بلغها الاتحاد السوفييتي الآن .

منطقتان صناعيتان في أوروبا السوفياتية

تؤلف **المنطقة الصناعية الوسطى وأوكرانيا الصناعية** « نواة » الاقتصاد السوفيتي . فتؤلف في هذه المنطقة ، في وسط استيطان سكاني مستمر وكثيف نسبياً ، أكثر الصناعات عراقة وأكثرها تنوعاً في الوقت ذاته .

فتنطبق **المنطقة الصناعية الوسطى** ، وهي أول تجمع اقتصادي في الاتحاد ، على منطقة موسكو . وتبدو **أهمية الصناعة ظاهرة استثنائية** لأنها لم تقم فوق مصادر طاقة ، ولا بجوار مواد أولية وفيرة ، لأن ٨٠٪ من الطاقة المستهلكة يجلب من خارج المنطقة ، كما أن حوض تولا لا يقدم أكثر من فحم رديء النوعية وليس له أكثر من دور ثانوي . وقد بدأ منذ أكثر من عشرين سنة استغلال حديد « الشذوذ المغناطيس في كورسك » الكبير الأهمية ، والواقع على مسافة ٤٥٠ كيلومتر جنوب غرب موسكو . غير أنه لم يدفع ، مع ذلك ، إلى إنشاء قاعدة صناعة معادن كبيرة (شكل ٢٧) .



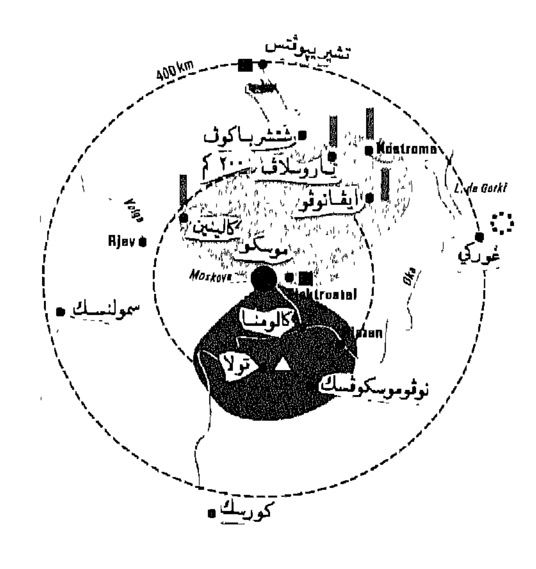
صناعة التعدين في الاتحاد السوفييتي

الشكل (٢٧)

وقد كان **النمو الصناعي نتيجة للوظيفة الحضرية** . ولما كانت المنطقة الوسطى هي مركز الحياة الروسية فهي تحوي على حشد عظيم من الأيدي العاملة فضلاً عن سوق استهلاكية كبيرة ، وقدرة على المبادهة مناسبة للإنشاءات الصناعية . وحتى في عام ١٩١٤ كان ٣٠٪ من الصناعات الكبرى في الامبراطورية متجمعة في هذه المنطقة .

وكانت موسكو تؤلف أول تجمع عمّالي في روسيا . وجاءت وظيفة العاصمة ، بعد ١٩١٧ ، كي ترفد الحركة التي زادها قوة تلاقي وسائل المواصلات الكبرى ، وهكذا نمت **منطقة صناعية متعددة الأنشطة** واحتلت المرتبة الأولى في ميدان الصناعات التحويلية . وتعتبر **موسكو محور** مجموعة مدن تدور في فلكها مثل ياروسلاف و ايفانوفو المختصتين في صناعة النسيج ، وغوركي الواقعة على مسافة ٤٠٠ كيلومتر على نهر الفولغا (شكل٢٨) ، وهي عاصمة صناعة السيارات .

المنطقة الصناعية المركزية



منطقة صناعة نسيجية غالبة مع صناعة ميكانيكية تكميلية

منطقة صناعة معدنية غالبة مع صناعة كيماوية تكميلية

نسيج .

كيمياء

صناعة حديدية .

صناعة ميكانيكية

الشكل (٢٨)

أما **أوكرانيا الصناعية** فتقدم مظاهر مختلفة . فهي تعتبر تقليدياً إحدى القواعد الصناعية في الاتحاد ، كما تعتبر ، قبل كل شيء ، أول **كومبينا للصناعة المعدنية** . ويرتكز غناها على **وفرة ثرواتها من الطاقة ومن المواد الأولية** . فمنطقة الدونباس تنتج لوحدها ثلث الفحم السوڤياتي ونصف فحم الكوك . أما كريڤويروغ فتحقق ٣٥٪ من إنتاج خامات الحديد ، في حين تحتل نيكوپول أول مركز سوڤياتي في استخراج المنغنيز ، وهو معدن نادر ، لاغنى عنه في صنع أنواع الفولاذ الخاصة المرغوبة بصورة متزايدة في الصناعة الحديثة . وقد ساعد تجهيز نهر الدنييپر على قيام الصناعة الكهرمعدنية . إذن كانت كل **الظروف مواتية لقيام الصناعات الثقيلة** . وهكذا يصدر عن أوكرانيا الجنوبية ٣٧٪ من الفولاذ السوڤيتي ، أي حوالي ٤٥ مليون طن ، أي أقل بقليل من إنتاج إيطاليا وفرنسا وبريطانيا سوية . وتتألف أوكراينا الصناعية هذه من **ثلاث مجموعات رئيسية** : فتقع منطقة الفلزات المعدنية حول كريڤويروغ ، وتتمركز منطقة الصناعة الكهرمعدنية والكهرمائية قرب دنييپروغيز ، وتأتي أخيراً منطقة دونتسك ، وهي أكبر هذه المناطق الثلاث أهمية ، لأنها منطقة الفولاذ والصهر (فونت) والمنتجات المماثلة . وتقوم إلى جانب المناطق المذكورة بعض المراكز المنعزلة المختصة بالمصنوعات الثقيلة : مثل روستوق ، وخاركوف التي تتخذ شكل عاصمة صناعية ، في مواجهة كييڤ المدية ـ العاصمة الأوكرانية ، والتي لاتمت صناعاتها التحويلية بوشائج نسب مع القواعد الطبيعية في المثلث المؤلف من أوديسّا ـ خاركوف ـ روستوف/الدون (شكل ٢٩) .

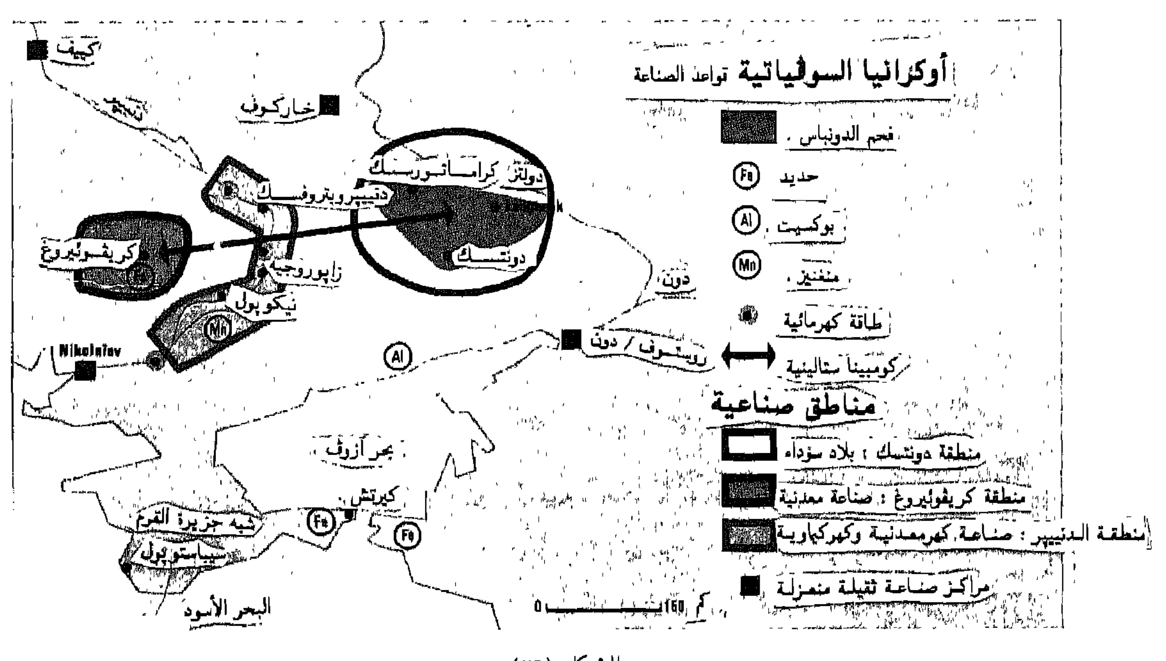
تطور إنتاج الصناعة الحديدية في أوكرانيا بملايين الأطنان

السنة	الفونت (الصهير) أو حديد الزهر	الفولاذ
١٩٢٨	٢,٣	٢,٤
١٩٤٠	٩,٦	٩

١٩٤٥	١,٦	١,٣ بسبب الاجتياح الألماني
١٩٥٥	١٦,٦	١٧
١٩٦٠	٢٤	٢٦
١٩٧٤	٤٥,٥	٥٢
١٩٧٧	٥٣,٧	٥٣,٧

إنتاج الفحم في أوكرانيا بملايين الأطنان

السنة	الإنتاج
١٩١٣	٢٢,٨
١٩٢٨	٢٤,٨
١٩٤٠	٨٣,٨
١٩٤٣	٧
١٩٤٥	٣٠,٣
١٩٥٦	١٣٧,٥
١٩٧٧	٢١٧



الشكل (٢٩)

قدرة موسكو الصناعية

تلعب موسكو دور عاصمة جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية وعاصمة الاتحاد كله ، والعاصمة ، غير المتفق عليها للأقطار الشيوعية . وعلى هذا الأساس فهي مقر الدوائر الحكومية الرئيسية والمركز لتقافي الروسي الرئيسي ، مثلما تكون في الوقت ذاته بؤرة الثقافة المتعددة القوميات في الاتحاد ... وهي أيضاً مركز تجاري من المقام الأول . ومن المؤكد أن موسكو ليست مدينة التجار والباعة ، والتي ظلت حتى عام ١٩٣٣ ، تشهد عقد صفقات ثلث مبيعات التجزئة المتحققة في كل البلاد . غير أن مراكز بيع التجزئة في المدينة ، وهي أفضل المخازن المماثلة في مدن الاتحاد تجهيزاً بالسلع الاستهلاكية ، تحقق حالياً حوالي ١٠٪ من المبيعات الوطنية مع أنها لاتضم أكثر من ٢,٩٪ من سكان البلاد . ويعود ذلك إلى أن سكان المدينة يتمتعون بدخل متوسط يفوق سائر مواطني الاتحاد ، إذا أخذناهم بمجموعهم ، أضف إلى ذلك أن الزبائن المارّين فيها من أجانب وسوڤيات يقومون فيها بالكثير من المشتريات .

وقد لعب وجود هذا السوق إلى جانب أيد عاملة عديدة ومؤهلة ، دوراً حاسماً في نمو المنشآت ، الصناعية المتنوعة والتي جعلت من موسكو الكبرى **أول المراكز الصناعية في البلاد** . وتقدم الصناعات المعدنية فيها نصف فرص العمل الصناعية الحالية ، وتمثل سلع التجهيز أكثر من نصف الإنتاج الصناعي الكلي ، مع أن تفوقها على سلع الاستهلاك يكون هنا ، مع ذلك ، أقل وضوحاً مما هو في بقية البلاد . ولقد اختصت المصانع الموسكوفية ، في مضمار صناعات سلع الاستهلاك ، في إبداع وإنجاز المكائن الصانعة المحكمة وذلك في بناء أكثر الآلات الكهرتكنية دقة . وفضلاً عن ذلك نجد فيها الصناعات الممتازة التي تتفوق الصناعات الممتازة النوعية بين الصناعات الاستهلاكية : كصناعة الألبسة الجاهزة ضمن إطار الصناعة النسيجية وصناعة العطور ، والمنتجات الصيدلانية ضمن إطار الصناعة الكيماوية . .

ب كاريير « أوروبا السوڤياتية اليوم »
دار معرفة بورداس .

منطقتان صناعيتان في آسيا السوڤيتية

تعد منطقة **الأورال وكوزنتسك من المناطق الصناعية الحديثة نسبياً** في نطاق استيطاني سكاني مستمر . فقد نشأتا ضمن إطار إدارة التخطيط الستالينية ، فكوّنتا « كومبينا » أو « وحدة صناعية متكاملة » قائمة على تكامل مواردهما ، أي على فحم الكوزباس السيبيري وعلى فلزات حديد الأورال . وكان

الخط الحديدي العابر لسيبيريا وخط يوغسيب ، فيما بعد ، هما الشريانين الحيويين اللذين تكفّلا بالنقليات الثقيلة والمستمرة فوق خط حديدي يمتد على طول مقداره ٢٢٥٠ كم . وبعد أن زادت قوة هذه الكومبينا خلال الحرب العالمية الثانية وعلى أثر احتلال قسم من الاتحاد السوڤيتي الأوربي ، أخذ يتطور كل قطب من قطبيها في اتجاه استقلال ذاتي يتزايد مع الزمن . وإذا كانت لا تزال هناك بعض الملامح الرائدة ، ولا سيما فيما يتعلق بشدة قوة التخصص في المنتجات ، فلا زالت هاتين المنطقتين أكثر **المناطق « تقدماً » في آسيا السوڤيتية** .

ويكون **الأورال أغنى منطقة تعدينية في كل الاتحاد** . فكل **المعادن غير الحديدية متمثلة فيه** بمقادير تبرر استغلالها . هذا كما تكون **خامات الحديد غزيرة جداً** في ماغنيتوغورسك ، وكانت أساس الصناعة الحديدية المتطورة ابتداءً من عام ١٩٣٠ . وإذا كانت تبدو عليها اليوم ملامح النضوب ، فإن هناك مكامن جديدة ظهر عليها أنها تستطيع أن تحتل مكان المكامن السابقة .

وتتمثل نقطة الضعف الكبرى في هذه المنطقة **في فقرها بالطاقة الصناعية** التقليدية . فالفحم هنا نادر ورديء النوعية . وهكذا كانت المناجم المعدنية ، في عام ١٩١٧ في حالة انحطاط مع أن استغلالها يعود للقرن الثامن عشر . غير أن الصناعة الحديثة في الأورال ظهرت ضمن إطار جغرافية إرادية اعتماداً على فحم كوزباس السيبيري البعيد . ويسمح الوقود السائل لهذه الصناعة الحديدية حالياً بالتحديث ، ولا سيما بفضل حوض « باكو الثانية » في شمال شرق بحر الخزر وغاز المنخفض الآرالي القزويني ، وبفضل مكتشفات النفط والغاز ، منذ عهد قريب ، في منطقة نهري أوب - ايرتيش في سيبيريا الغربية .

وهكذا أصبح الأورال في خلال خمسين عاماً **ثالث منطقة صناعية**

سوڤياتية ، مثلما أضيف إلى الصناعة الحديدية والمعدنية غير الحديدية الثقيلة صناعة الكيمياء الثقيلة ، المعتمدة على البوتاس والملح الصخري ، ثم البتروكيمياء ، التي تشتق منها صناعة الكيمياء التركيبية ، كصناعة المواد البلاستيكية والمطاط التركيبي . وبعد أن قام الأورال بدعم عملية استرداد الأراضي المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية ، يقوم اليوم بالدور الأساسي الذي تتكئ عليه البلاد في فتح سيبيريا اقتصادياً .

هذا **ويجنح إقليم كوزنتسك بدوره أيضاً لأن يتخذ لنفسه شكل منطقة صناعية مستقلة قائمة بذاتها** ، بالتوازي مع تطور الأورال الذي سبق ورأينا آنفاً . فهذه المنطقة التي قامت على ثراء منطقة **كوزباس بالفحم** وعلى كثرة وسهولة استخراج هذا الفحم الصالح لصنع الكوك ، لم تعتمد إطلاقاً على خامات الحديد الأورالية النائية جداً . وقد بدت ملامح التخلص من هذه التبعية في ١٩٥٦ كي تصبح كاملة حالياً . وهكذا أصبح إقليم كوزنتسك يؤلف ، من الآن فصاعداً ، **المنطقة الصناعية المعدنية الثالثة** في الاتحاد بفضل الموارد الإقليمية وبعد أن توصلت المنطقة إلى الاستقلال الذاتي في الموارد أصبحت مجهزة بصناعات ثقيلة مشتقة : فقد استدعت المناجم قيام الصناعة الحديدية التي بعثت على نمو صناعة معدنية تقدم سلع التجهيز وصناعة كيماوية ثقيلة لا ينفك تنوعها عن التزايد . ولقد تجاوز إقليم كوزنتسك حوض كوزباس الفحمي ، واتخذ من مدينة نوڤو سيبيرسك عاصمة له بعد أن ظلت عبارة عن مدينة صغيرة خلال مدة طويلة ، أو محطة مرحلية على الخط العابر لسيبيريا ، حيث كان عدد سكانها ٥٠٠٠٠ نسمة عام ١٩١٣ ، كي تتحول اليوم إلى عاصمة إقليمية يربو عدد سكانها على ١,٣ مليون نسمة .

المركّبات الإنتاجية الإقليمية :

وهي المفهوم الجوهري في التخطيط الإقليمي في الاتحاد السوڤيتي . فقد قامت مركّبات الإنتاج

الإقليمية (م ت ق أو C.T.P) على أساس وجود مناطق متفاوتة في اتساعها ، تشتمل على تمركز شديد في الموارد التي تنتظر الاستغلال ، تتأهب لإقامة مجموعة من مصانع كبيرة فوق هذا الإقليم ضمن قطاعات إنتاجية محدّدة ، وذلك حسب طبيعة المنطقة ، وكذلك إقامة فروع تابعة مع بنية أساسية حضرية واجتماعية ضرورية . وقد بلغ عدد هذه المركّبات ثمانية على طول خط بام :

١ ـ م . ت . ق في فرخنة لنسك ، أولينا الأعلى . ويقوم على استغلال الغابة ، وصناعة الخشب التحويلية وسيلّلولوز .

٢ ـ م . ت . ق شمالي بايكال : صناعة تعدين ومعادن غير حديدية .

٣ ـ م . ت . ق في ماما بودائيبو : ذهب . ميكا . معادن غير حديدية .

٤ ـ م . ت . ق أودوكان : نحاس .

٥ ـ م . ت . ق ياكوتيا الجنوبية : وهو أهم أمثاله على خط بام ، وقد بدأ استغلاله لإنتاج الفحم الصالح للكوك وقد انضم إليه استخراج فلزات الحديد والصناعة المعدنية .

٦ ـ م . ت . ق تيندا : استغلال الغابات . قواعد صناعة البناء ، ورشات التصليح ، عنابر تخزين وقريباً بتروكيمياء .

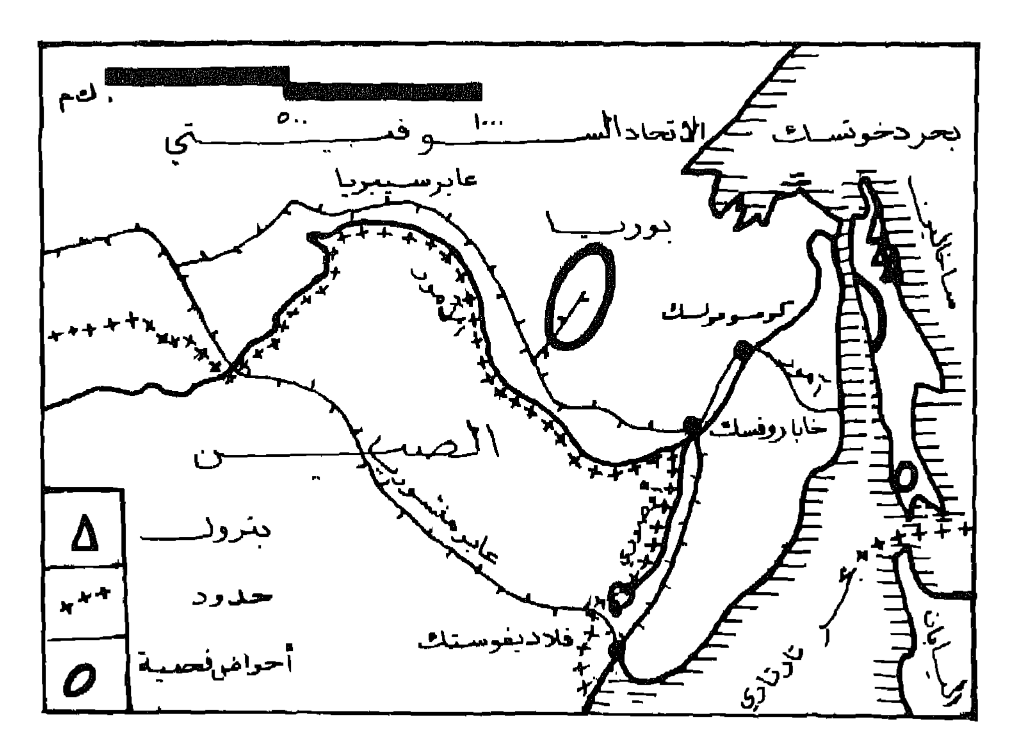
٧ ـ م . ت . ق زايا : طاقة كهرمائية وصناعة غابيّة ، زراعة ، مواد بناء . تشييد مكائن صناعية .

٨ ـ م . ت . ق في أورغال : فحم . مركب بترولي تحويلي .

٩ ـ م . ت . ق ونضيف أخيراً مركب كومسومولسك الذي يؤمن العيش لحوالي ما يزيد عن ٣٦٥٠٠٠ نسمة في صناعة المعادن الحديدية وغير الحديدية ، واستغلال الغابة والسيللولوز ، والبتروكيمياء ، والصناعات الميكانيكية (شكل ٣٠ و ٣١) .

سلطان الطبيعة

تلك هي حقيقة تقفز للعيان وهي أن الزراعة تشكل نقطة الضعف في الاتحاد السوفييتي ، ففي عام ١٩٧٩ كان على هذه الدولة العظمى أن تشتري ٢٥ مليون طن حبوب من العالم الغربي و ٣٤ مليون طن في ١٩٨٢ . وترتبط هذه المصاعب بالأوضاع الهزيلة التي يقدمها الإطار الإقليمي ، كما أن الاهتمام الممنوح للزراعة في بناء الاقتصاد السوفييتي يقدم عنصراً تفسيرياً آخر . ولكن ليس كل



الشرق الأقصى السوفييتي

الشكل (٣٠)

شيء سلبياً : فعلى الرغم من نقاط ضعف الزراعة السوفيتية فهي لا زالت أحد أكثر مثيلاتها في العالم أهمية .

غير أن الرقعة الزراعية في الاتحاد السوفييتي تظل محدودة نسبياً لأن عشر المساحة العامة فقط هو المزروع فعلاً ، وهي النسبة الوسطى العالمية ، أو حوالي ٢٢٥ مليون هكتار أو ٢,٢٥ مليون كيلو متر مربع أو ما يعادل مساحة جمهورية السودان (شكل ٣٢) .

هذا وتظل العوامل القسرية التي يفرضها الإطار الطبيعي ضيقة في الواقع وبذلك تكون المصاعب التي تحول دون توسيع المجال الزراعي كبيرة .

بايكالو ـ آمورسكايا ماغيستزال ، محور تصنيع

بحر أوخوتسك

Bogoutchany Oust-Ilimsk Oust Kout Oulkan Vitim Oudokan Aldan Tynda Never Zeisk Ekimtchan Norc Svobodny Ourgal Komsomolsk Katangli Tymovskoie Sovietskaïa Gavan Kholmsk IOUJNO-SAKHALINSK Taza Bogdarine Sretensk CHITA Zabaikalsk BLAGOVECHTCHENSK Izviestkovy خاباروفسك Oussouri Nakhodka ڤلاديڤوستوك Khasan ايركوتسك OULAN-OUDE Naouchki Léna Vitim Amour

خط حديدي / ferry-boats — أنبوب نفط أو غاز — مشروع مركز سكاني كبير

بام ممدد أو قيد التمديد — موانئ — مناطق استغلال غابية

طرق معبدة — مناطق صناعية — مركّبات إنتاجية إقليمية

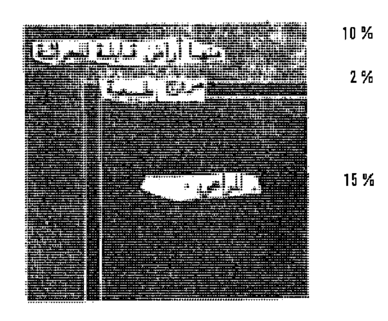
0 — 600 كم

الشكل (٣١)

المساحة الزراعية المفيدة في الاتحاد السوفييتي

الأراضي المستغلة لأغراض زراعية :

٦١٠ ملايين هـ = ٢٧ ٪ من المساحة الكلية



الشكل (٣٢)

ويتألف **النطاق الزراعي الأمثل** من مجال **تربة التشرنوزيوم** أو الأراضي السوداء الذي يمتد على شكل وتر ابتداءً من بسّارابيا على حدود رومانيا حتى منطقة كراسنو يارسك في انكماش في عرضه كلما تقدمنا شرقاً . وتطرح مشكلة التوسع الزراعي في شمال هذا النطاق أو في جنوبه على بساط البحث نظراً لجسامة التحديات الطبيعية .

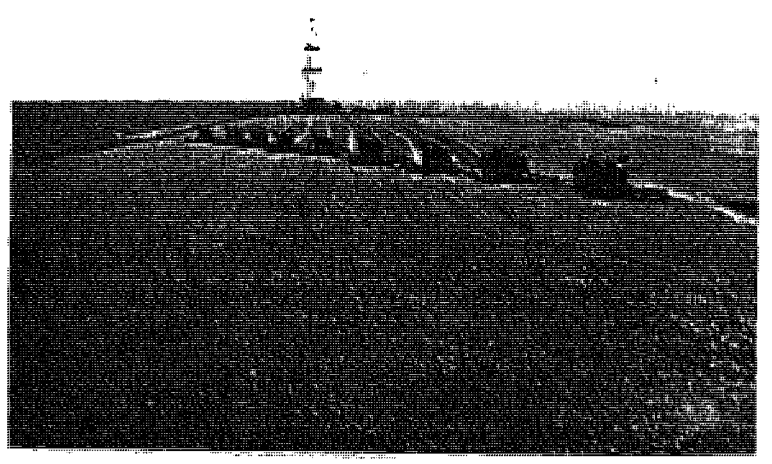
أما **توسع النطاق الصالح للزراعة باتجاه الشمال** فيتطلب انفتاح الفسحات في الغابة وإصلاح الترب الفقيرة من نمط البودزول . وتبدو هذه العملية معقولة على الصعيد التقني ولكن تتدخل هنا الحدود : وهي حدود مناخية تجعل الفترة الإنباتية قصيرة أكثر فأكثر كلما تقدمنا نحو الشمال الشرقي . وهناك حدود اقتصادية تتعلق بمشكلات النقل غير الاقتصادية من خلال نطاقات متباعدة وخاوية من السكان . وأخيراً تظل النطاقات الشمالية القابلة للاستصلاح الزراعي محدودة للغاية وتبقى الغابة بيئة معادية للزراعة .

أما **توسيع النطاق الصالح للزراعة باتجاه الجنوب** فيصطدم بمشكلة المياه : ففيما وراء الأراضي السوداء ندخل في مجال السهوب الرمادية والبيضاء . وهنا تسمح بممارسة الزراعة الجافة dry farming وتكوين حزامات خضراء من الأشجار تحول دون تأثير الرياح المجفِّفة باستغلال أول نطاق ذي محاصيل غير مؤكدة أو غير مضمونة . وإلى الجنوب من ذلك يصبح الري أمراً لا مندوحة عنه ، بيد أن هذا يتطلب جهوداً جبارة واستثمارات مالية ثقيلة في هذه المنطقة شبه الصحراوية .

- غير أن هناك مجالات لتوسيع الرقعة المزروعة أمكن التوصل إليها وتحقيقها :

ذاك هو اتجاه تجربة « الأراضي العذراء » ، وهي أراضٍ أُخضعت

للزراعـة مجـدداً ، بين بحر الخزر وجبـال آلطـائي وفي سهوب جنوب كازاخستـان (صورة رقم٦) وسيبيريا الجنوبية . وقد بدأ التفكير في ذلك في عهد ستـالين ولكن المشروع توسـع بتحريض من خلفـه خروتشيـف ، وكان يرمي إلى زيـادة إنتـاج الحبوب في الاتحاد وتمديد رقعة الأراضي الصـالحـة للحراثـة . ودخل هـذا المشروع ضمن إطار الجهد المعلن لتحسين شرائط الحياة في الاتحاد السوڤييتي . وهكذا أمكن اكتساب ٤٠ مليون هكتار للزراعة خلال بضعة أعوام وكان معظمهـا على جوانب الخط الحديدي العابر لسيبيريا ، اعتماداً على طرائق زراعة واسعـة عصريـة تستنـد على مكننة كثيفة . وكانت نتيجـة ذلـك أقرب للفشل : فبعـد أن بـدأت العمليـة ضمن إطار مفرط في اتساعه ، أعيـد النظر فيهـا اليوم ضمن منظور زراعـة حثيثـة ترمي إلى تنويع الإنتاج ، وزيـادة المردود ، وتوطين سكان مستقرين . وأخيراً لم

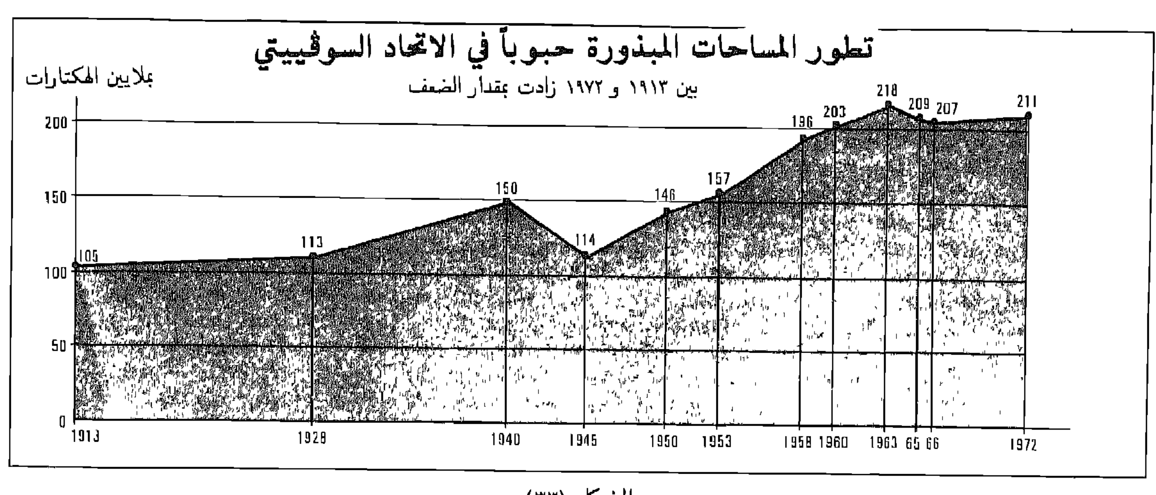


Ph © Agence TASS

موكب حصادات في كازاخستان

الصورة (٦)

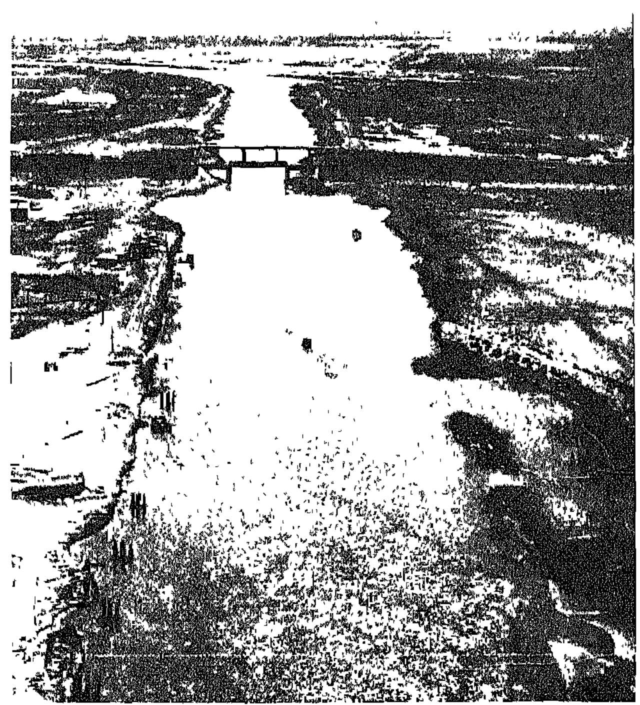
تكن التجربـة عـديمـة الفـائـدة لأنهـا تكشفت عن المشكلات العـديـدة التي يجب التغلب عليهـا كي يكـون من المستطـاع زيـادة المسـاحـة المـزروعـة في الاتحـاد السوڤييتي (شكل ٣٣) .



الشكل (٣٣)

أما الري **فهو محاولة أخرى** ترمي لبلوغ الهدف ذاته . فبعد إهمال الري لمدة طويلة لم يتوسع مجاله فعلاً إلا خلال عقد الستينات . وتبلغ مساحة الأراضي المروية حالياً ١٥ مليون هكتار أو ٨ ٪ من المساحة المزروعة في البلاد . ولكن الجهود لم تتوقف ذلك أن الكيلو متر رقم ١٠٠٠ على قناة قره كوم قد دخل مرحلة الاستثمار في شهر آذار ١٩٧٧ (صورة رقم ٧) . وينصبّ الاهتمام نحو ثلاث مناطق هي : آسيا الوسطى وعلى الأخص أوزبكستان حيث تتوسع زراعة القطن (صورة رقم ٨) ، وأودية جنوب القفقاس حيث يقع سدس الأراضي المروية ، وأخيراً السهوب الجنوبية في أوروبا السوفياتية والتي تشكل ٣٠ ٪ من الرقعة المروية . ويرمي الري فعلاً إلى استزراع أراضي قاحلة arides أو لجعل المردود أكثر ارتفاعاً .

وعلى هذا فإن الري يعبر عن البحث عن النجاعة في الوقت الحاضر ، والذي يميز الاقتصاد السوفييتي حالياً ، حتى في المجالات غير الزراعية .



امتدت قناة قره ـ قوم ألف كيلومتر
ومازال العمل جارياً لمد هذه القناة

الصورة (٧)

الأراضي العذراء

ـ نداء إلى الشبيبة :

« إنكم تذهبون الآن لإخضاع أراضٍ جديدة للزراعة ، هذا حسن جداً . يجب البناء بكثرة هناك . صحيح أن بعض المناطق تفتقر إلى الغابات ، ولكن حذوا أوكرانيا مثلاً ، فكّروا بمناطق الدونتز ، فإنكم ستجدون أوكرانيين يعيشون في بيوت من اللبن النيء . ففي الشتاء تكون هذه المساكن دافئة مثلما تكون دائماً لطيفة البرودة صيفاً . ويوجد في كازاخستان العديد من البحيرات ، فهذه الجمهورية تملك أغنى حقول القصب . إنها مادة تساوي ذهباً لتشييد البيوت والأبنية من كل نوع ، ولكن القضية هي معرفة استعمالها بمهارة ، ربما تكون أرضية البيوت من التراب ، ولا يمكن عمل شيء أحسن من ذلك ، ولكن مع الزمن ستكون أرضية غرفنا من خشب . فموسكو لم تخلق في يوم واحد كما يقال ... يجب علينا أن نحمل إلى السهب ثقافتنا الحضرية كي يلاحظ الأجنبي فوراً بأن معمّري موسكو هم الذين يعيشون فيها ، ويعيشون فيها برفاه ، تلك هي قضية ذات أهمية قصوى » .

خطاب نيكيتا خروتشيف ألقاه في مسرح بولشوي
في موسكو أمام الكومسومول في ١٩٥٥/١/٧

الصورة (٨)

مشكلات تتطلب الحل

« إن استغلال هذه المساحات الشاسعة هو إنجاز ذو أهمية وطنية ، ويجب القول أن من الملحوظ حالياً بأن استغلال الأراضي العذراء لا يزال يشكو من مظاهر قصور كبيرة . ففي كازاخستان مثلاً لاتزال الزراعة الوحيدة هي المسيطرة عملياً ، لأن الكولخوزات والسوفخوزات لازالت منذ سنوات عديدة تمارس فيها زراعة القمح الربيعي فقط ، أي قمح بعد قمح . ونتيجة ذلك اجتاحت الأعشاب الضارة الحقول مما عمل على تدنّي المردود . ولم تفكر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في كازاخستان ولا مجلس وزراء هذه الجمهورية في مستقبل الأراضي العذراء ، واتخذوا موقفاً خاطئاً تجاه تنمية الزراعة في هذه المناطق . ومن الضرورة القصوى تصحيح الأخطاء ، ويجب استخدام الأراضي العذراء إلى أقصى حد ، وزيادة المساحة المزروعة وإدخال زراعة الذرة الصفراء ، والفول العلفي والشوندر السكري ، وعندما يقتضي الأمر يجب ترك الأرض بوراً . ويجب تبنّي نوعية آلة تنطبق على نظام البور مع المزروعات المعزوقة . ومن الضروري السهر على دقة تطبيق تعليمات علم الزراعة بحيث تجعل مجموع التعليمات الزراعية التقنية إجبارية شأن تطبيق التكنولوجيا في المصنع . أما بالنسبة للمهندس الزراعي فإن دوره في الكولخوزات وفي السوفخوزات يجب أن يكون مطابقاً لدور المهندس في الصناعة . أيها الرفاق إن الأراضي العذراء هي إنجاز حزبنا ، وفخار شعبنا . ويجب أن نعمل ما يلزم كي تصبح زراعة الأراضي العذراء رمز الزراعة الاشتراكية » .

خطاب نيكيتا خروتشيف أمام المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي .
تشرين الأول ١٩٦١

جماهير فلاحية عديدة

لاتزال الزراعة السوفيتية ، حتى نهاية المخطط الخمسي العاشر ، تعتمد دوماً على أيد عاملة وفيرة . وتكون عاقبة ذلك إنتاجية ضعيفة ، سواء في السوفخوزات أو في الكولخوزات ، بحيث نجد بعد مضي ستين عاماً بعد الثورة والإصلاح الزراعي ، أن « الثورة الزراعية » لم تتحقق بعد أبداً .

هذا ولا تتناقص أعداد السكان الزراعيين في الواقع إلا على مهل . وعلى الرغم من الهجرة الريفية ، المستمرة مع ذلك ، فإن الكتلة الفلاحية لاتزال تمثل ٣٠ إلى ٣٥ مليون نسمة . هذا ويعادل اليوم ٢١٪ من السكان العاملين ، وهو رقم مرتفع جداً في قطر صناعي .

وترتبط هذه الظاهرة من ناحية ، بالتركة الامبراطورية ، حيث كانت ثلاثة أرباع السكان العاملين في عام ١٩١٧ مؤلفة من الفلاحين ، ومن ناحية أخرى إلى المكانة التي تحتلها الزراعة في بناء الاقتصاد السوفييتي . فقد تمت التضحية بالزراعة على مذبح الصناعة لأن الزراعة هي التي قدمت القسم الأعظم من الرأسمال الثابت المتراكم في كل عام ، في حين كانت الصناعة تنال حصة الأسد من الاستثمارات المالية . فحتى عام ١٩٤٠ لم تنل الزراعة سوى أقل من ١٠٪ من الاستثمارات السنوية . وقد نتج مثل هذا النظام عن خيار سياسي لا يمكنه أن يعمل إلا على الاحتفاظ بنسبة عالية من الفلاحين على الأرض كي تستطيع ، من حيث عددها ذاته ، أن تحقق للبلاد الحد الأدنى من المحاصيل الضرورية .

وفي مثل هذه الشروط **ظلت الإنتاجية الزراعية السوفيتية ضعيفة جداً** . فمع أن نسبة العاملين فيها تبلغ ٢١٪ من السكان فإنها لاتساهم بأكثر من ١٧٪ من تكوين ما يعادل الدخل القومي الخام ، هذا في حين أصبحنا نجد

منـذ خمسـة عشر عـامـاً . أن الاستثـمارات المـوظفـة في الـزراعـة قـد ارتفعت إلى الضعف ، أي أصبحت تعادل تقريباً ربع التزامات الدولة السنوية . أما التقلبات المنـاخيـة فلا تستطيع تفسير كل شيء[1] ، إذ يستـدعي الأمر تحسين شروط العمل لـدى الفـلاحين ، شـأن التحسين الـلازم إدخـالـه على الإطـارات سـواءً في السوفخوزات أو في إطارات الكولخوزات . وإجمالاً فـإن تنظيم الإنتـاج الزراعي الحالي يمسك بأعـداد ضخمـة من الفلاحين في الأريـاف . ويمر البحث الحـالي عن نجـاعــة متزايــدة ، وعن تكثيف في الإنتــاج ، وعن التخصص ، يمر عبر أفضـل استخدام للكتلة الفلاحية . ذاك هو هدف الجهود الجارية حالياً . ويتطلب الأمر إجراء إصلاح حقيقي في الزراعة السوڤيتية مما يحقق التقـدم الزراعي . مثلما يمر ذلـك أيضـاً من خـلال إعـادة بنيـة وحــدات الإنتــاج المتجهــة نحـو تمركـزٍ أكبر وتخصص . وهكـذا تتقـارب الكولخوزات والسـوفخـوزات على الصعيـد الأفقي في « منظمات ما بين المؤسسات » ، أو على المستوى الشاقولي في « المؤسسات الزراعيـة الصناعية » . وعندما يتم صهر الكولخوزات والسوفخوزات ضمن مؤسسات مندمجـة متكاملة فيمكن القضاء على اختلافاتها في الوقت الـذي تزداد فيـه نجـاعتهـا . وعلى نطاق واسع يجب تقليص الفـارق بين المـدن والأريـاف مثلما يجب تـأمين الوفرة الغـذائيـة لكل البلاد . وهكـذا يبـدو أن من الواجب مراجعـة المشكلـة الزراعيـة

---

(١) هناك قول شـائع لـدى سكان الاتحـاد السوڤييتي الـذين أصبحوا يعتمـدون أكثر فـأكثر على الاستيراد من فـائض الزراعـة الأمريكيـة : « نحن نزرع في أوكرانيـا ونحصـد في الولايـات المتحـدة » . وقـد صرح كـوسيغين رئيس الوزراء ، في عام ١٩٧٢ : « إن المزارع الخاصة التي لاتؤلف أكثر من ١٪ من مـساحـة الرقعـة الزراعيـة في البلاد تقدم ١٣٪ من الإنتاج الزراعي والحيواني » .

أما الإنتاجية فإن انخفاضها صـارخ ، فـإذا كان المزارع الأمريكي يوفر الطعـام لأربعين شخصـاً والفرنسي لخمســة وعشرين شخصـاً فـإن الفلاح السوڤيتي لا يطعم أكثر من ١٥ شخصـاً . ويقـال أن الفلاح الأمريكي ، أو المزارع farmer ، يتألف من ثلاثة عناصر أي هو مهندس زراعي ، وميكانيكي ، وتاجر .

ولما ردّ بعض المسؤولين السـوڤيـيت رداءة موسم عام ١٩٨١ إلى الجفاف ردت جريـدة التـايمس بعبـارة لا تخلو من الخبث بقولها : « إن الجفاف ابتدأ عملياً في عام ١٩١٧ » .

السوفياتية ضمن إطـار الاقتصـاد برمتـه . ولكن هـذا يجب أن يشمل أيضـاً أشكال الزراعة في العالم الغربي نفسه .

كولخوز : مزرعة تعاونية تكون فيها وسائل الإنتاج والأراضي والعمل والأرباح كلها مشتركة . وجاء تشريع عام ١٩٦٩ ليقبل بوجود العمال المأجورين في الكولخوزات وتختلف الأجور حسب النتـائج السـوية .

سوفخوز : مزرعة حكوميـة ينـال الفلاحون الـذين يعتبرون كعمال مـأجورين في مؤسسـة ، أجراً بصورة مستقلة عن أرباح أو خسائر المستغلة ، على خلاف الكولخوز .

السوفخوزات : وتؤلف « الشكل الأعظم من تنظيم الزراعة الاشتراكيـة » . وقـد أنشئت منـذ عام ١٩١٩ لتأمين إعاشة المدن ، وكان الهدف منها أن تكون « مزارع طلائعيـة » أو « رائـدة » ، وعهـد إليها بتحقيق استغلال جبهـات رائـدة بصورة منهـاجيـة . وإذا كان عـدد السوفخوزات قليلاً نسبيـاً في غرب الأورال ، فهي السائدة بشكل واضح في سيبيريا وفي آسيـا الوسطى . ويتزايـد عـددهـا بـاستمرار مثلما تزداد رقع مساحتها ، حتى أنها تستغل أكثر من ٥٠٪ من المساحة الزراعية المفيدة مقابل ٢٢٪ فقط في ١٩٤٠ . وتكون متخصصة نسبيـاً ، وعلى الخصوص في تربيـة المـاشيـة ، لأن ٤٢٪ من السوفخـوزات مختصـة بتربيـة الأبقـار في حين ينصرف ١٠٪ منهـا لـزراعـة الحبـوب . وتحقـق إنتـاجيـة أفضـل من الكولخوزات وإن كانت على كل حال دون النتائج التي أمكن الحصول عليها في العالم الغربي .

الكولخوزات : وتـؤلف على الـدوام المشكـلات الضخمـة في الـزراعـة السـوفيتيـة . فقـد كانت مقاومة الفلاحين لعملية الضم التعاوني شديدة ، ولم ينشر قانونها إلا في عـام ١٩٣٥ . وتلزم الكولخوزات بتسليم كميات إجبارية من المنتجات ضمن إطار مخططات الإنتاج بأسعـار ثـابتـة ومنخفضـة جـداً . وفي مقـابل ذلـك ينـال الفلاح الكولخوزي حـق الانتفـاع بقطعـة أرض (دڤـور Dvor) تختلف مسـاحتهـا باختلاف المناطق دون أن تتجاوز إطلاقاً نصف هكتـار ، ويعتبر نظـام ١٩٣٥ الكولخوز على أنـه وضع انتقالي ومن هذا يكتنفه الكثير من الغموض الـذي كان مصـدر متـاعب ومصـاعب . وقـد أدى الاهتمام بزيادة النجاعة الكليـة في الزراعـة السوفيتيـة إلى تحسن وضع الكولخوزيين بنشر **قـانون عـام ١٩٦٩** الجديد الذي ينظر للكولخوز كوحدة استغلال اشتراكية . وأصبحت القطعة الفردية ضمن كيـانـه ، وهو امتياز واقعي تجاه نجاعتها ، ذلك أن هذه القطع التي تشغل ١٪ من الرقعة الزراعيـة المفيـدة ، أصبحت تقدم ١٣٪ من الإنتاج الزراعي ، من حيث القيمـة التجـاريـة ، والـذي يبـاع في الأسواق الكولخوزيـة الحرة .

التطور العددي للسوفخوزات والكولخوزات

	١٩٤٠	١٩٥٣	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥
سوفخوزات	٤١٥٢	٤٨٥٧	٧٣٧٥	١١٦٨١	١٥٧٤٧	١٨٨٠٠
كولخوزات	٢٣٥٥٠٠	٩١٢٠٠	٤٤٠٠٠	٣٦٣٠٠	٣٣٠٠٠	٢٩٠٠٠

تطور نسبة السكان العاملين في الزراعة السوفيتية أي النسبة المئوية لجمل العاملين

١٩١٣	١٩٢٨	١٩٣٩	١٩٥٠	١٩٥٩	١٩٧٠	١٩٧٩
٧٥٪	٩٠٪	٥٤٪	٤٩٪	٣٩٪	٢٦٪	٢١٪

المؤشرات الرئيسية في مستغلة ريفية متوسطة

	المساحة	الأرض المحروثة	القطيع	الجرارات	الحصادات الدرّاسات	شاحنات
سوفخوز	١٨٠٠٠ هـ	٦٢٠٠ هـ	٦٤٠٠ رأس	٥٥	١٨	٢٥
كولخوز	٦٦٠٠ هـ	٣٦٠٠ هـ	٤٢٠٠ رأس	٤٠	١١	١٩

مؤشرات تاريخية

١٨٦١	إلغاء نظام الرقيق
١٩١٩	إنشاء أوائل السوفخوزات
١٩٢٨ ـ ٣٢	أول برنامج خمسي : ضم الأراضي بصورة منهاجية والقضاء على الكولاك .
١٩٣٥	ظهور تشريع نظام الكولخوز .
١٩٥٠	ظهور أول مدينة زراعية « آغروغراد » .
١٩٥١	بداية حملة « الأراضي العذراء » .
١٩٥٨	نظام التسليمات الإجبارية .
١٩٦٤	حملة الأسمدة .
١٩٦٥	إصلاح ليبرمان .
١٩٦٩	نظام الكولخوز الجديد .

إحدى أكبر الزراعات العالمية

لقد تمخضت ثورة أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧ عن ثورة شاملة في **نظام الملكية الزراعية** . فقد تحققت نجاحات لا تنكر في مجال الإنتاج ، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى **ثورة زراعية حقيقية** التي يبدو أن السلطات السوفييتية تعمل جاهدة على إنجازها . ولكن الزراعة السوفييتية أصبحت من الآن فصاعداً ، رغم مظاهر قصورها ، إحدى أكبر الزراعات في العالم .

وتصدر أهميتها بادئ ذي بدء من ضخامة مقدار إنتاجها وتبدو **قائمة تفوق** الزراعة السوفييتية باعثة على **الدهشة** ، فهي تشهد على منتجات جسيمة ، وهي تتألف في الوقت ذاته ، من مروحة عريضة جداً تتراوح عناصرها بين منتجات شبه مدارية كالقطن والشاي[1] ، وبين مجموعة كاملة من منتجات الأقطار المعتدلة . أو بعبارة أخرى لا تؤلف الزراعة السوفييتية زمرة من عيّنات بل هي زراعة كتلية .

وقد كان ذلك نتيجة التقدم المتسارع خلال العقدين الأخيرين ، فبين ١٩٥٥ و ١٩٧٧ ارتفع إنتاج الحبوب من قرينة ١٠٠ إلى قرينة ١٨٧ ، حتى أن إنتاج القمح بلغ قرينة ٢٢٤ ، كما ارتفع إنتاج اللحم من قرينة ١٠٠ إلى قرينة ٢٥٨ . وزادت رقعة الأراضي الزراعية المزروعة بالحبوب في الفترة نفسها من قرينة ١٠٠ إلى قرينة ١٥٠ . وهكذا تكون النجاحات الحديثة إذن نتيجة اتجاه **نحو الزراعات الحثيثة** . ويظهر ذلك للعيان من خلال تطور مردود الحبوب ، فبينما ظل المردود دون ١٠ كنتالات بالهكتار خلال الفترة الستالينية ، أخذ هذا

(١) مأخوذة من الصينية « تشا » ويدعى « شايْ » في سورية ، و « چايْ » في شمالي سورية والعراق ، و « شاهي » في جزيرة العرب وليبيا و « تايْ » في بلدان المغرب العربي .

المردود يرتفع سنوياً حتى أصبح يفوق ويتجاوز ١٥ كنتالاً بالهكتار[٢] ، أو ثلث المردود في الدانمارك وهولندا ، أو ضعف المردود المتوسط في الأقطار العربية . ويعتبر استهلاك الأسمدة مؤشراً طبياً عن التقدم الجاري ، فقد زاد بمقدار ٨ أضعاف منذ ١٩٥٥ ، في حين تضاعف عدد الجرارات أربع مرات تقريباً وبعد أن كان عددها ٢٧٠٠٠ في ١٩٢٨ بلغ ٢٥٣٠٠٠٠ في ١٩٧٨ .

وإذا كانت الزراعة السوفييتية تحتل مكانة عالمية فهي أيضاً عالمية من حيث **انتظامها على شكل مجموعات إقليمية كبيرة** تمارس نوعيات زراعية فوق مساحات واسعة للغاية . وينتج عن ذلك ظهور مشاهد كبرى بسيطة ورتيبة تدين بصفاتها إلى سيطرة البيئات الطبيعية أكثر مما تعود لدور وتأثير الإنسان .

غير أن كل هذه الصفات الإيجابية لا تمحو العنت العام الذي لا يزال مستحكماً في الزراعة السوفييتية . فلا زال **المردود دون مثيله** في الغرب ، كما أن مرحلة الزراعة الواسعة extensive لمّا تنته بعد . وتكون **المنتجات** غالباً نباتية وقليلة **المواءمة** مع حاجات السكان الحضر المتزايدين والذين يجب أن تسمح لهم مرحلة الاشتراكية المتقدمة بالمزيد من المتطلبات الغذائية . أضف إلى ذلك أن سكان الريف يتعرضون لمظاهر الشيخوخة البطيئة وللتأنيث في حين يساعد الانخفاض الديموغرافي على هجرة الشبان الناشئين . **أما الإصلاحات المختلفة التي استهدفت المؤسسات ، كما في عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٣ فلم تمسّ الزراعة كثيراً** ، فلا تزال قريناتها كمّية كما أن تسويق المنتجات عن طريق الدولة لا يأخذ حاجات السوق بعين الاعتبار ، هذا إذا استثنينا المبادلات بين الكولخوزيين .

وإجمالاً تجدها زراعة جبارة يبدو عليها أنها تمر بمرحلة انتقالية . ويبدو لنا أيضاً أن السياسة الزراعية السوفياتية في أيامنا ترمي إلى تجاوز هذه المرحلة .

---

(٢) الكنتال وهو ١٠٠ كغم يدعى « القنطار » في المغرب العربي .

الشاي الجورجي

١٩٨١

إن الشاي الجورجي هو أكثر الأصناف انتشاراً في الاتحاد السوفيتي ، ولكنه ليس الصنف الوحيد ، فهناك أيضاً الشاي الاذربيجاني والروسي (شاي كراسندار) .

السوفيتيون يحبون الشاي بمختلف أصنافه ، وهم يفضلون في الغالب الهندي والسيلاني من بين الأصناف المستوردة .

في عام ١٩٨٠ باعت كولخورات وسوفخوزات حورجيا السوفيتية للدولة أكثر من ٥٠٠ ألف طن من محصول الشاي ، وهو رقم قياسي بالنسبة لجميع الأعوام منذ بدأت زراعة الشاي في هذه الجمهورية وجدير بالملاحظة انه في عام ١٩٧٩ بلغت كمية الشاي التي باعتها للدولة جميع أقاليم زراعته في الاتحاد السوفيتي ٤٨٠ ألف طن ، منها ٤٥٤ ألف طن من الشاي الجورجي .

ومن أنواع الشاي الجورجي الأسود والأخضر ومسحوق الشاي السريع الذوبان .

إن تاريخ زراعة الشاي في جورجيا لا يتجاوز القرن إلا قليلاً ، وفي عام ١٩٠٠ فاز في معرض باريس الدولي بالمدينة الذهبية الاولى ، الا أن تصنيعه لم يبدأ إلا في العهد السوفيتي . وإليكم بعض المعطيات الطريفة :

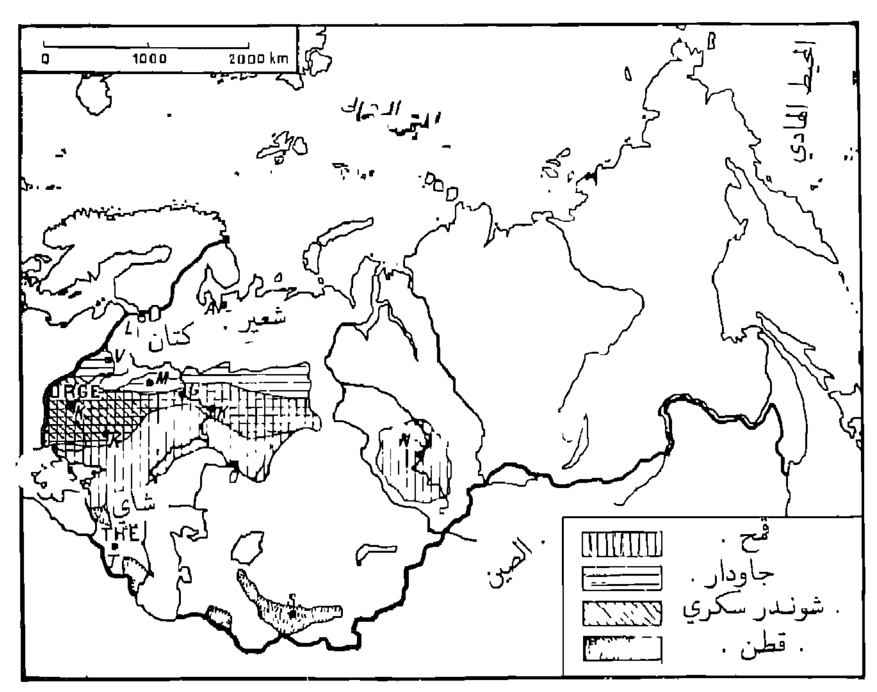
إن بلوغ محصول الشاي حدود المئة ألف طن قد كلف الجورجيين خمسين عاما من الجهد ، لكنهم استطاعوا أن يرفعوا هذه الكمية الى مئتي ألف طن خلال ١٣ عاما ، والى ٣٠٠ ألف طن خلال ثمانية أعوام والى ٤٠٠ ألف طن خلال ثلاثة أعوام .

لقد بلغت مساحة حقول الشاي في الجمهورية الآن ٨٠ ألف هكتار تقريبا وقطاف أوراق الشاي عمل مجهد ، إلا أن توسع استخدام التكنيك سهل هذه العملية ، وفي عام ١٩٧٩ بلغ عدد مكائن قطف أوراق الشاي السوفيتية الصنع أكثر من ألف قاطفة .

لقد تأسس في حورجيا معهد البحث العلمي السوفيتي المتخصص بمحصول الشاي ومحاصيل الأقاليم شبه الاستوائية . ويقوم المعهد الآن بتجربة جديدة ، فقد جلبت من المناطق الجبلية في الهند نماذج من أصناف الشاي سيجري تطعيم الأصناف الجورحية بها ، ويمكن القول أن هذا سيعطي نتائج جيدة .

مجلة « أنباء موسكو » ١٩٨١

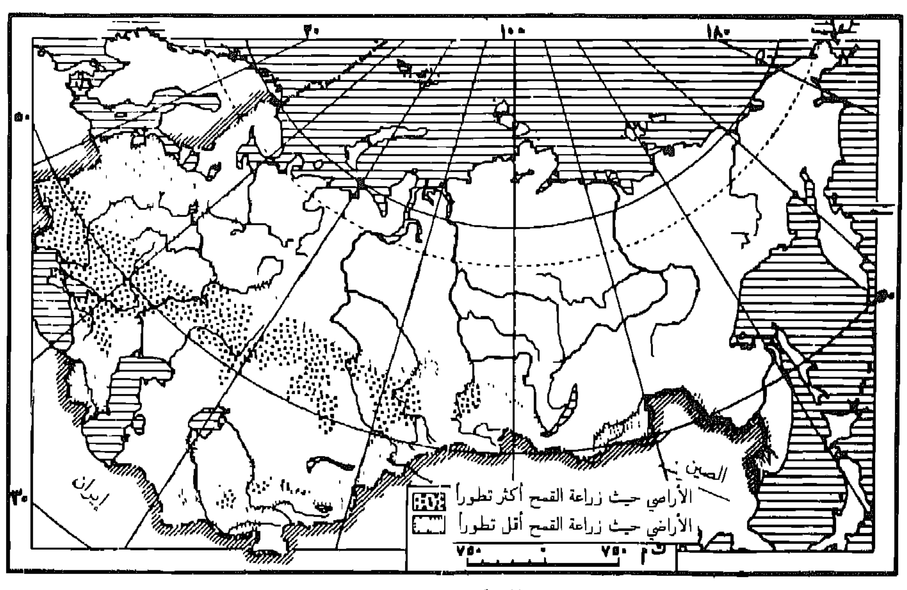
تتداخل زراعة الجاودار بين خط العرض ٥٤ و ٦٠ شمالاً ، ومن الفولغا حتى الحدود الغربية من البلاد ، أي في **شمال غرب البلاد السوڤييتية** ، والذي يبدو أن إنتاجه مستقر دائماً ، تتداخل مع زراعة البطاطا ، ومع الكتان ، وهو المادة النسيجية التقليدية في هذه المنطقة ، ومع تربية الأبقار حيث يتمركز هنا خمس القطيع البقري في الاتحاد السوڤييتي (شكل ٣٤) .



النطاقات الزراعية الكبرى في الاتحاد السوڤييتي

الشكل (٣٤)

أما نطاق **الأراضي السوداء** فيحوي على صفات مختلفة أساسياً . وإذا كانت هذه الأراضي تنتشر على نطاق واسع في أوكرانيا فهي تتمدد شرقاً باتجاه الأراضي العذراء في كازاخستان . وتبدو المشاهد هنا مفتوحة وتهيمن على آفاق واسعة لانهائية . ولكن تكون الزراعة إلى الغرب في الفولغا حثيثة أكثر ومعقدة ، تتداخل فيها زراعة القمح (شكل ٣٥) مع المحاصيل الصناعية كالشوندر السكري (النحر) ودوار الشمس والبطاطا ، والذرة الصفراء وتربية الماشية . وعلى العكس لاتزال الزراعة إلى الشرق من الفولغا واسعة ، وتقل المزروعات المختلطة ، كما أن تربية الماشية لاتندمج بصورة جيدة مع الأنشطة الزراعية الأخرى .

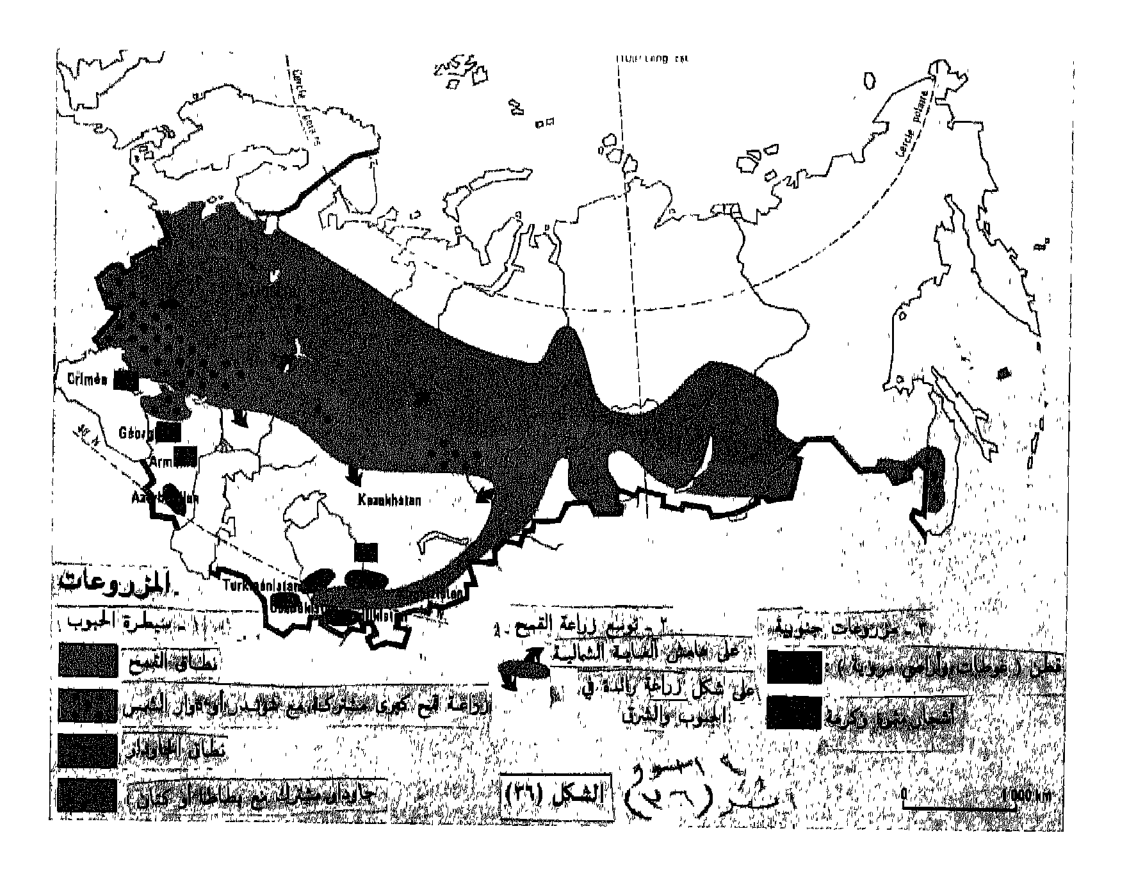


الشكل (٣٥)

ويؤلف **نطاق المزروعات الجنوبية** ثالث مجال زراعي إقليمي ، ولما كان لا يتجاوز درجة العرض ٤٥ شمالاً فهو يتميز بحرارة الصيف فيه بحيث يؤلف قطاعاً استثنائياً (شكل ٣٦) . وهكذا تنتشر الكرمة في مولداڤيا ، وفي جنوب أوكرانيا ، حتى أن الاتحاد السوڤييتي أصبح ثالث منتج عالمي للخمور . أما مزارع الأشجار المثمرة فتجد مجالها المفضل في أودية ما بين جبال القفقاس ، ابتداءً من الشاي حتى التفاح مروراً بالزيتون والحمضيات . أما القطن الذي يعتبر الإنجاز الأكبر في الزراعة السوڤييتية ، فهو يرتبط بتوسع الري الذي يميز جمهوريات آسيا الوسطى ، وتأتي جمهورية أوزبكستان في الطليعة .

تطور المنتجات الكبرى بملايين الأطنان أو بالوحدات

	١٩١٣	١٩٣٩	١٩٥٥	١٩٦٥	١٩٧٥	١٩٧٨
الحبوب .	٨٦	٩٥	١٠٧	١٢١	١٣٥	٢٢١
القمح	٤٠	١٣	٤٧	٦٠	٦٦	١١٥
بطاطا	٣٥	٦٥	٧١	—	٨٨	٨٥
الشوندر السكري	١١	١٨	٣١	—	٦٦	٩٤
قطن (بذور)	٠,٧	٢,٢	٣	—	٥	؟
أبقار	—	٥٥	٥٦	—	١٠٩	١١٣



الشكل (٣٦)

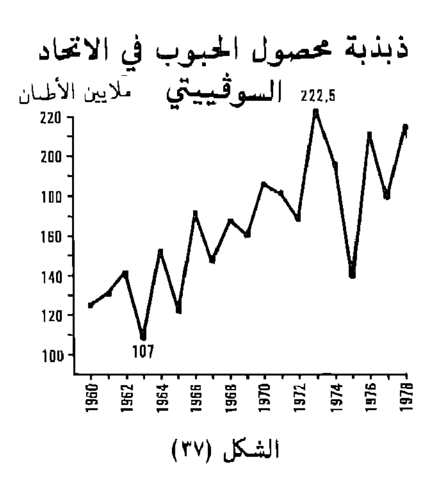
ملاحظة : إنتاج العالم من القمح في عام ١٩٨١ بلغ ٤٦٥ مليون طن أي بزيادة ٥ ٪ عن عام ١٩٨٠ .

وبلغ استيراد الاتحاد السوڤييتي من القمح ٢٥ مليون طن في ١٩٨٠ .

وبلغ استيراد الصين الشعبية من القمح ١٣ مليون طن في ١٩٨٠ (شكل ٣٧) .

أمثلة عن المردود (كنتالات بالهكتار)

	قمح شتوي	**قمح ربيعي**	**شعير**	ذرة صفراء	شوندر سكري	**قطن**	**حليب**
الاتحاد السوڤييتي	٢٣	١٣	١٧	٢٤	٢٢٩	٢٧	٢١٦١ كغم/بقرة
الولايات المتحدة		٢٢		٤١			٤٦٤٩ كغم/بقرة



الشكل (٣٧)

قصب السبق في الزراعة السوفييتية ١٩٧٧ / ٧٨

المنتجات	١٠٠٠ طن أو ١٠٠٠ رأس	الدرجة العالمية والنسبة المئوية	المنتجات	١٠٠٠ طن أو ١٠٠٠ رأس	الدرجة العالمية والنسبة المئوية
القمح	١١٥٠٠٠	الأولى ٢٣ ٪	الكولزا (سلجم)	١٠٤٠٠	الأولى ٣٥ ٪
الشعير	٥٩٠٠٠	الأولى ٣٠ ٪	دوار الشمس	٦٠٠٠	الأولى ٤٩ ٪
الشوفان	١٩٠٠٠	الأولى ٣٥ ٪	قطن (بذور)	٥٦٩٤	الأولى ٢١ ٪
الشوندر السكري	٩٤٠٠٠	الأولى ٣٢ ٪	الحليب	٩١٩٠٠	الأولى ٢٣ ٪
بطاطا	٨٥٠٠٠	الأولى ٢٨ ٪	الأبقار	١٤٠٧٥٠	الأولى ١٣ ٪
الخنازير	٧٠٣٠٠	الثانية ٩ ٪	الصوف الخام	٤٦٥	الثانية ١٧ ٪
مجموع الحبوب	٢٢١٢٦٠	الثالثة ١٢ ٪	الخضار	٢٦١٩٦	الثالثة ٨ ٪
الأبقار	١١٢٥٠٠	الثالثة ٩ ٪	خضار جافة	٩٥٠٠	الثالثة ١٥ ٪
			العنب	٤٤٦٩	الثالثة ٩ ٪
ذرة صفراء	١١٧٠٠	الرابعة ٣ ٪	خيول	٥٩٩٥	الرابعة ٩ ٪
ذرة بيضاء	٢٥٠٠	الرابعة ٤ ٪			
تبغ	٣٣٣	الخامسة ٥ ٪	كتان	٣٣٠	الخامسة ١١ ٪
ثمار وفواكه	١٥٤٤٩	الخامسة ١١ ٪	الشاي	٩٥	الخامسة ٥ ٪
الصويا	٥٤٠	السابعة ٠,٦ ٪	حوت	٥١	السابعة ١ ٪

تجارة الاتحاد السوفييتي الخارجية

لقد كانت العقود الأخيرة من السنين متميزة بانفتاح الاتحاد السوفييتي على العالم الخارجي . ويتّسق هذا مع النمو الاقتصادي في هذه الدولة العظمى ، كما يتصف ذلك بتزايد في المبادلات مع دول يرتفع عددها سنة بعد أخرى .

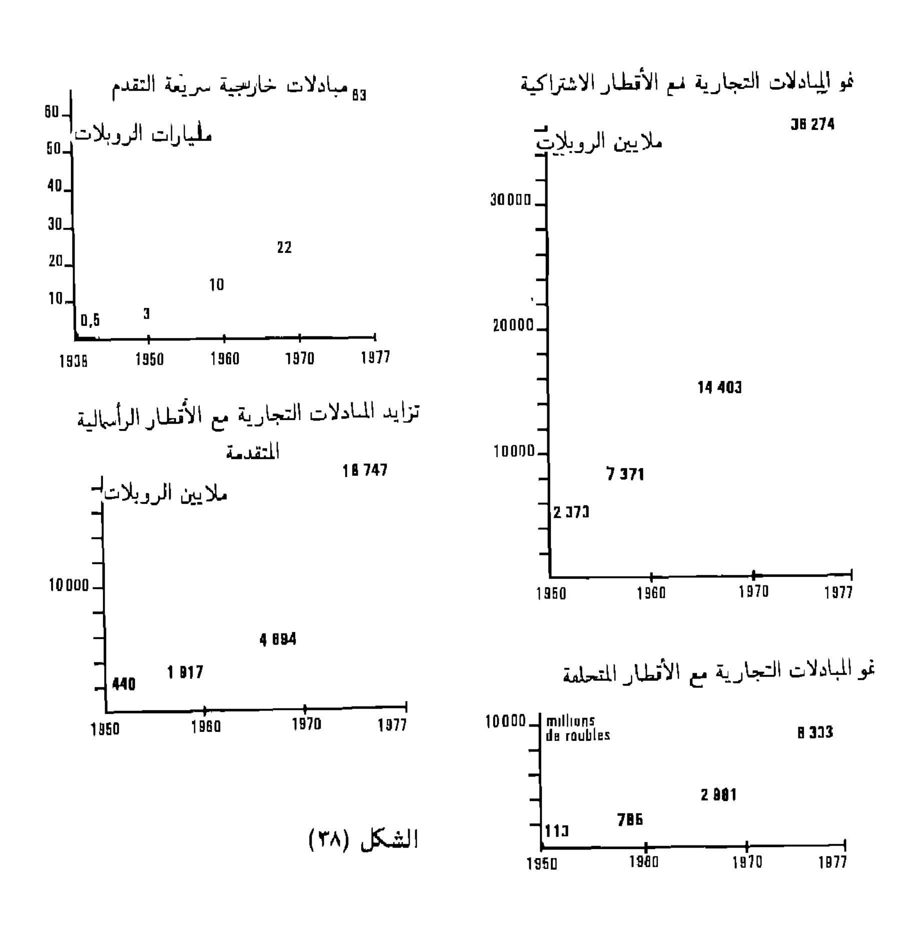
وتندرج تجارة الاتحاد السوفييتي الخارجية ضمن إطار تخطيط الاقتصاد . ففي كل فترة خمسية يحدد الغوسپلان Gosplan اتجاهاتها الكبرى . وتلعب التجارة الخارجية « دوراً تقنياً » . والغرض الجوهري منها هو الحصول على الاستيرادات تلبية لحاجات الاقتصاد السوفييتي ، لأن القصد من الصادرات هو تمويل الاستيراد ، ومن ناحية أخرى لتأمين المتطلبات الناجمة عن دور الاتحاد السوفييتي كقطب العالم الاشتراكي .

ويستدعي ذلك **احتكار الدولة** ، كما عاد هذا المبدأ ، الذي ظهر في عام ١٩١٨ ، ليظهر من جديد في دستور ١٩٧٧ . فتتم تهيئة مخططات الاستيراد والتصدير من طرف وزارة التجارة الخارجية ، ويتم التمويل بواسطة البنك الوطني للتجارة الخارجية ، وهناك منظمات مختصة تؤمن تحقيق ذلك حسب كل قطاع ، وتجري هذه المبادلات حسب مبدأ المقاصة clearing = التعويض ، حيث يجب أن يتم توازن الميزان التجاري في نهاية المطاف .

هذا ولا تتوقف المبادلات الاقتصادية السوفييتية عن التوسع ، فقبل عام ١٩٣٩ كانت هذه ضامرة جداً بسبب عزلة الاتحاد السوفييتي السياسية التي استمرت حتى ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ وبسبب ضعف إمكاناته على التصدير .

أما بعد ١٩٤٥ فقد تبدلت الظروف جذرياً لأن الاتحاد السوفييتي أصبح

أحـد أكبر دولتين في العـالم ، وكان يقـوم بتنظيم كتلــة من الــدول الشرقيــة من حوله ، وابتـداء من تلـك الفترة توسعت العلاقـات مع الخـارج . وكانت الأقطـار الاشتراكية تستأثر لوحدها دوماً بأكثر من نصف التجارة الخارجية ، غير أن حصة الأقطار الرأسمالية كانت تزداد في الوقت ذاته ، ولا سيا بعـد عـام ١٩٧٠ هـذا بينمـا كانت البلدان المتخلفة « النامية » أو « أمم الحبوب » ، وعددهـا ٧٩ دولـة ، والتي لها علاقات تجارية مع الاتحاد السوفييتي ، تؤلف كتلة لا يستهان بها في هذا المجـال (شكل ٣٨) .



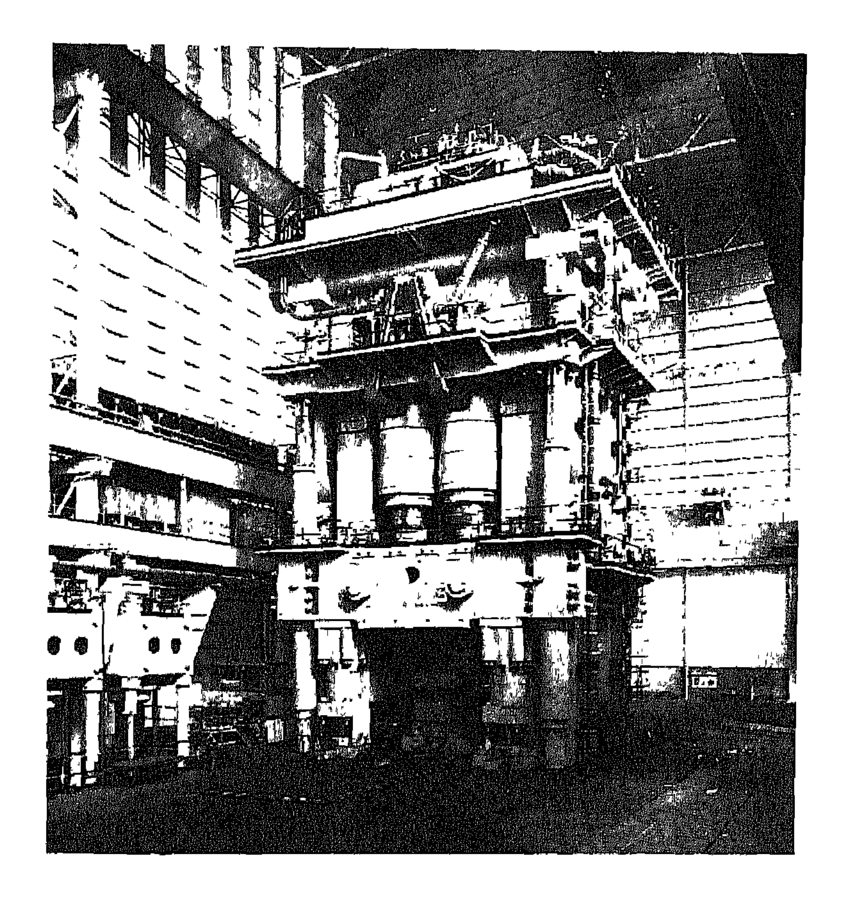
الشكل (٣٨)

هذا وتنم بنية المبادلات عن الوضع الاقتصادي الحالي في الاتحاد السوفييتي ، الذي لا يزال حتى الآن عبارة عن قطر صناعي آخذ بأسباب تجهيز نفسه . فتمثل المكائن والأجهزة الثقيلة ، من حيث القيمة ، ٦٠ ٪ من قيمة المستوردات ، وهذا يدل على الجهود المبذولة في سبيل استغلال الثروات السيبيرية . وتمثل هذه المستوردات الأساسية ١٥ ٪ من الحاجات السوفييتية والتي يرد ثلثاها من أقطار الكوميكون . كما أن مشتريات سلع الاستهلاك العادية كالألبسة والأحذية والمنتجات الغذائية والسجائر تدل في الوقت ذاته على حاجات الاتحاد السوفييتي المتزايدة نظراً لارتفاع سوية الحياة ، ولأعراض التأخر الذي يعاني منه في مجال الزراعة أو في حقل الصناعات الخفيفة . وليس في هذا شيء من التناقض لأن الاتحاد السوفييتي يبيع سلعاً تجهيزية ومنتجات صناعته التحويلية مثل سيارات **لادا** في دول الغرب ، **وجاز وماز وپوپيدا** ، في العديد من الدول المتخلفة ، كما أن مبادلات البضائع تكون أكثر فأكثر مكتملة **باتفاقيات تعاون اقتصادي** تم توقيعها مع الأقطار الاشتراكية والأقطار الرأسمالية ، وبلدان العالم الثالث والرابع والخامس ، مما يشهد على شدة اندماج الاتحاد السوفييتي في التقسيم الدولي للإنتاج في عالمنا المعاصر .

النسبة المئوية للتجارة الخارجية في ١٩٧٦ مع تحقق المجموعات الدولية وقيمتها

الأقطار الاشتراكية	٣٧ ٪ أو ٣١,٨ مليار روبل
دول الكوميكون	٣٣,٥ ٪ أو ٢٨,٨ مليار روبل
الدول الرأسمالية	٢٢ ٪ أو ١٨,٦ مليار روبل
الدول المتخلفة	٧,٥ ٪ أو ٦,٦ مليار روبل

أو ٨٥,٨ مليار روبل رقم التجارة الخارجية السوفياتية في ١٩٨١ ١١٠ مليار روبل



ضاغطة هيدروليكية اشترتها شركة الصناعات الحديدية الفرنسية في مدينة ايسوار issoire من الاتحاد السوفييتي وهي أقوى مثيلاتها في العالم الغربي

الصورة (٩)

النسبة المئوية لبنية الصادرات في ١٩٧٧

خشب ، ورق ، مواد أولية من أصل حيواني	٨,٣ ٪
أدوات الاستهلاك الكبير الدارج	٥,٨ ٪
مكائن وسلع التجهيز	١٨,٨ ٪
طاقة كهربائية ، محروقات ، معادن ، خامات معدنية	٤٦,٢ ٪
بضائع وسلع أخرى	٢٠,٩ ٪

النسبة المئوية لبنية المستوردات في عام ١٩٧٧

خشب ، ورق ، مواد أولية من أصل حيواني	٤,٤ ٪
أدوات الاستهلاك الدارج	١٠,٩ ٪
مكائن وسلع التجهيز	٣٨,١ ٪
محروقات ، معادن ، خامات	٣٣,٧ ٪
بضائع وسلع أخرى	١٢,٩ ٪

مبادلات الاتحاد السوفييتي التجارية موزعة حسب مجموعات الأقطار بمليارات الروبلات (●●)

	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧
المجموع	٢,٩	١٠,١	٢٢,١	٥٠,٧	٥٦,٨	٦٣,٤
البلدان الاشتراكية	٢,٤	٧,٤	١٤,٤	٢٨,٦	٣١,٦	٣٦,٣
أقطار أعضاء الكوميكون	١,٧	٥,٣	١٢,٣	٢٦,٢ (●)	٢٨,٨ (●)	٣٣,٢ (●)
بلدان رأسمالية متقدمة	٠,٤	١,٩	٤,٧	١٥,٨	١٨,٦	١٨,٧
بلدان متخلفة	٠,١	٠,٨	٣	٦,٣	٦,٦	٨,٣

(●●) الروبل السوفياتي يعادل ١,٤٣ دولار أمريكي في ايلول ١٩٧٨ .

(●) بما في ذلك كوبا بعد انضمامها للكوميكون في عام ١٩٧٢ .

الميزان التجاري الإجمالي المتوازن على العموم (بمليارات الروبلات)

	١٩٥٠	١٩٧٠	١٩٧٧	١٩٨١
الصادر	١,٦	١١,٥	٣٣,٣	٥٧,١
الاستيراد	١,٣	١٠,٦	٣٠,١	٥٢,٦

بعض الأجور الشهرية في ١٩٧٧ و ١٩٧٨ في لينينغراد

المهن العمالية

عاملة في الصناعة الكيماوية	١٨٥ روبل
عامل لِحام	١٧٠ روبل
خراط	١٥٠ روبل
عامل تمديد مياه	١٤٠ ـ ١٥٠ روبل
عامل دهان في البناء	١٤٠ روبل
عامل ميناء	٢٠٠ ـ ٢٥٠ روبل

التقنيون

رسام صناعي	١٢٠ ـ ١٥٠ روبل
مهندس مبرمج على آلة ألكترونية	١١٠ ـ ١٢٠ روبل

مستخدمو قطاع الخدمات

بائع في مخزن	٧٥ ـ ٩٠ روبل
بائع مرطبات أو فطائر ساخنة بالشارع	٢٠٠ ـ ٢٥٠ روبل
محاسب في مخزن	٧٠ ـ ٨٠ روبل
ساعي البريد	١٠٠ روبل
مراقَبَ في المواصلات العامة	١١٠ ـ ١٢٥ روبل

مستخدمو مكاتب

محاسب	١٠٥ ـ ١١٠ روبل
سكرتير إدارة	٩٠ روبل
ضارب على الآلة الكاتبة	١٠٥ روبل

مهن طبية

طبيب	١٥٠ روبل
ممرضة	٨٠ ـ ١١٠ روبل

مهن غير مؤهلة

شغيل	١٠٠ روبل
خادمة منزلية يومية	٧٥ روبل

أسعار بعض السلع والخدمات في عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ في موسكو ولينينغراد

سلع اللباس

ثوب نسائي من الحرير الاصطناعي	١٠٠ روبل
كنزة رجالية جاكار (قياس ٥٠)	٦٠ روبل
بالطو صبي	٤٧ روبل
كولاّن نسائي (مستورد من ألمانيا الشرقية)	٧,٤ روبل
طقم رجالي صوف (قياس ٥٢ / ٥٤)	٦٦,٨ روبل

سلع دائمة

براد (ثلاجة) ١٨٠ ليتر	٢٦٥ روبل
مكنسة كهربائية	٤٢ روبل
غسالة	١٤٥ روبل
جهاز راديو (ماركة لينينغراد)	٢٠٠ روبل
تلفزيون أسود وأبيض ٦١ سم	٣٨٦ روبل
تلفزيون ملون ٦١ سم	٧٩٠ روبل
موتوسيكل صغير	١٧٤٠ روبل

سيارة

سيارة (زيغولي قاز) ٧٠ حصان	٦٠٣٠ روبل
ليتر بنزين	١٥ ـ ٣٠ كوبك حسب درجة الأوكتان
تشحيم وتغيير زيت	٨,٨ روبل

المسكن

شراء شقة صغيرة ذات غرفتين في وسط موسكو	٦٠٠٠ روبل تقريباً
آجار شقة صغيرة ذات غرفتين في وسط موسكو	١٣,٢ كوبك م٢ / شهرياً

التنقل بالوسائل العامة

باص . مترو	٥ كوبك
ترولليبوس	٤ كوبك
تراموای	٣ كوبك

القطار (سريع ليلاً مع فراش صغير)	**طائرة**
مـوسكـو ـ لينينغراد (٦٥٠ كم) درجـة أولى ٢٠ روبل	١٨ روبل
موسكو ـ لينينغراد (٦٥٠ كم) درجة ثـانيـة ١٥ روبل	—
مـوسكـو ـ خـابـارونسـك (٦٩٨٠ كم) ٧٧ روبل	١٢٢ روبل
موسكو ـ آلما آتا (٣٣٢٦ كم) ٣٨,٩ روبل	٦٢ روبل
موسكو ـ يريڤان (٢٠٠٠ كم) ٣١,٢ روبل	٤٠ روبل

خدمات عادية

تنظيف تنورة على الناشف	١,٥ روبل
تصليح كعب حذاء	١ روبل

تسلية

تذكرة دخول سينما	٥٠ كوبك
تذكرة مسرح (أوركسترا بولشوي)	٣,٥ روبل

وضع الاتحاد السوفيتي في فجر الثمانينات

لقد كان عام ١٩٧٩ عام ركود وهو أسوأ عام مر على الاتحاد السوفيتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وكانت توقعات عام ١٩٨٠ أكثر تفاؤلاً فزاد الناتج الخام بنسبة + ٣,٥٪ . وكان الموسم الزراعي رديئاً جداً إذ هبط الإنتاج بنسبة ـ ٣,٧ بالموازنة مع عام ١٩٧٨ . وزادت الإنتاجية حسب نسق مفرط في بطئه فكانت أقل بمرتين مما كانت حددته الخطة كما لم يزد عدد السكان العاملين . وظهر أن الكثير من المنشآت الصناعية عتيقة أو تجاوزتها التقنية المتطورة ومع ذلك يخصص ٢٥٪ من الناتج القومي الخام للاستثمارات . وتعترف الجهات الرسمية بمعدل تضخم مقداره ١٪ وربما كان أكثر من ذلك كما أن الأحداث السياسية لم تعمل على تحسين الوضع .

وتفتقر الصناعة للكثير من التحسينات . وتشير دراسة تمت حول الصناعة الحديدية أظهرت المصاعب التي تعاني منها الصناعة المذكورة . وإذا كان الاتحاد السوفيتي أصبح ينتج من الفولاذ أكثر من الولايات المتحدة ابتداءً من المخطط الخماسي ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ فإن الأوضاع لاتزال دون المرغوب . وتظل النتائج دوماً أقل من توقعات الخطة وحدث في ١٩٧٩ ، ولأول مرة منذ الحرب ، إن الناتج من الفولاذ والصفائح كان دون العام الذي سبق . ويعزى ذلك لرداءة الأوضاع التكنولوجية ، وقد تجاوزت التقنية الحديثة الكثير من التجهيزات . وهكذا لا يزال الاتحاد السوفيتي يستعمل أفران مارتان على نطاق واسع أو حسب نسبة ٦٣,٤٪ في ١٩٧٨ مقابل ١٩٪ في الولايات المتحدة و ٧,٤٪ في فرنسا و ١,١٪ في اليابان هذا بينما تعمد الطرائق العصرية إلى المفولذة ذات الأوكسجين والتي لاتزيد نسبتها عن ٢٤,٦٪ مقابل ٦٠٪ في الأقطار الصناعية الكبرى و ٨٠٪ في اليابان أو الأفران الكهربائية ونسبتها ٩,٨٪ في الاتحاد السوفيتي تجاه ١٩,٧٪ في الولايات المتحدة و١٤,١٪ في فرنسا . ويعود التجهيز السوفياتي إلى ٢٢ سنة أي إلى عصر توسع الصناعة الحديدية السوفياتية : فتكون المكائن قليلة المرونة وتستهلك المعدن بصورة مفرطة وتمثل الفضلات في صناعة البناء الميكانيكي ٢٨٪ بينما لاتتجاوز ١٧٪ في الولايات المتحدة . ويجب أن نضيف إلى ذلك التخريش الذي ينتاب المنتجات التصفيحية وتؤدي إلى خسارة سنوية تبلغ ١٠ إلى ١٥ مليون طن من المعدن . وإذا استثنينا بعض المنشئات الحديثة مثل أتمتة المراقبة في مدينة كريفوئيروغ ، وأتمتة على شكل « حلقة مغلقة » في بساط التصفيح في مصانع مدينة سيريبوفيك فإن الأتمتة لاتبدو متقدمة كثيراً ، مع أن مخطط ١٩٧٦ ـ ٨٠ كان يستهدف تخصيص ١,٢ مليار روبل للاستثمارات مقابل ٢١١٠٠٠ في خطة ١٩٦٦ ـ ٧٠ . وتكون النفقات عالية للحفاظ على

الإنتاج في تجهيزات عتيقة كما يكون تجديد الرأسمال بطيئاً جداً . وتمثل التصليحات ٣٤٪ من الاستثمارات مقابل ٢٩٪ في ١٩٧٠ . وتؤدي كل هذه المصاعب لتقليص الاستثمارات المسماة « الخلاقة » وإذا أضفنا إلى ذلك عرقلات البيروقراطية فهناك ما يدفعنا للتحفظ تجاه المنظورات الحالية التي تقدمها هذه القطاعات : ويقدر بعض الخبراء بأن التغلب على هذه المصاعب يستدعي مرور برنامجين خمسيين .

وكان للأزمة الافغانية نتائجها وإن كان من العسير تخمين كل ما نتج عنها بعد أن تدخل الاتحاد عسكرياً في ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ وفي ٤ كانون الثاني ١٩٨٠ قرر الرئيس الإميركي كارتر توقيف الصادرات الأمريكية من المنتجات الزراعية ولا سيما الحبوب باتجاه الاتحاد السوفيتي هذا باستثناء ٨ ملايين طن متفق عليها بناء على اتفاقية عام ١٩٧٥ للحبوب . ولكن تعلق تصدير ١٣ مليون طن من الذرة الصفراء ، و ٤ ملايين طن من القمح ، و ١,٣ مليون طن من الصويا ، والطيور ومختلف المنتجات الزراعية . ولما كان عام ١٩٧٩ رديئاً بالنسبة للزراعة فقد كان المحصول منخفضاً بمقدار الربع عن موسم ١٩٧٨ وكذلك الأمر بالنسبة للأعلاف . وقد عملت هذه المبادرة الأمريكية على بلبلة السوق العالمية : فقد قبلت حكومات الدول الكبرى المصدرة للحبوب مثل : الأرجنتين واستراليا وكندا ودول السوق المشتركة (الجماعة الاقتصادية الأوروبية) ، قبلت المقاطعة على شرط ألاّ تعمد حكومات الولايات المتحدة إلى محاولة تصريف نوائضها من الحبوب في الأسواق التقليدية الخاصة بالدول المذكورة . غير أن المصدرين المستقلين في الأرجنتين احتفظوا بحريتهم واستطاعوا أن يبيعوا في عام ١٩٨٠ مقدار ٥ ملايين طن من الحبوب أو ضعف مبيعاتهم في العام السابق وبأسعار مرتفعة . وتحاول الدولتان الكبيرتان توقيع اتفاق كبير لسنوات عديدة في مضمار الحبوب . ومن ناحية أخرى استمرت صادرات الحبوب نحو أقطار أوروبا الشرقية مما يمثل في بعض الحالات نوعاً من « ترانزيت » نحو الاتحاد السوفيتي . وإجمالاً استورد الاتحاد السوفيتي ١٤ مليون طن من الحبوب خلال منتصف عام ١٩٨٠ أو ٧ ملايين طن دون ماهو ضروري . هذا مثلما اشترى الصويا من الأرجنتين . أما كندا واستراليا فقد زادتا كثيراً من مبيعاتها من الحبوب في حين حافظت استراليا على معدل صادراتها من القطن . وكتدابير زجرية أخرى لجأت الولايات المتحدة إلى تقليص حقوق الصيد في مياهها الإقليمية وأوقفت تصدير الأسمدة الفوسفاتية ، هذا بينما كان الاتحاد السوفيتي قد وقع اتفاقاً طويل الأجل في ١١ آذار ١٩٧٨ مع المغرب يتعلق باستغلال فوسفات مناجم مسكاله Mescala التي يقدر احتياطها بمقدار ١٠ مليار طن وذات الاستغلال السهل والواقعة على مسافة تقل عن ١٠٠ كم عن الميناء . هذا كما فرضت الولايات المتحدة حظراً على تصدير التكنولوجيا وتعليق تراخيص التجهيزات التي سبق أن أرسل قسم منها ... وكان موقف الأقطار الصناعية الأخرى متردداً حائراً ، وكذلك الحال بالنسبة للمقاطعة المالية . كما أن مقاطعة الألعاب الأولومبية حرمت الاتحاد السوفيتي من حوالي ٢٠٠٠٠٠ زائر . وتشير التقارير إلى أن صادرات الولايات المتحدة في عام ١٩٨٠ قد هبطت إلى ٦٩٪ . بيد أن جريدة البرافدا

كانت تؤكد أن مفعول العقوبات الاقتصادية كان قليل الأهمية لأن مجموع الاستيراد القادم من الأقطار الرأسمالية لم يكن يمثل أكثر من ١,٥٪ من الدخل القومي الخام في الاتحاد السوفيتي .

وكانت حصيلة المبادلات الخارجية لعام ١٩٧٩ موائمة نسبياً . وكان الميزان التجاري فائضاً بفضل زيادة في الصادرات بلغت ١٩٪ وزيادة محدودة في الواردات بلغت ٩,٦٪ . ويعود هذا النمو على الخصوص أساساً للتجارة مع الغرب ، فقد كان نمو المبيعات نحو هذه المنطقة بحدود ٤٣,٧٪ في حين أن المشتريات لم تزد نسبتها عن ٢٠,٧٪ . وتعزى حركية الصادرات إلى علاقتها مع نمو حجم المبادلات ولكن لاسيا للارتفاع الشديد في أسعار المبادلات : بترول ، ذهب ، مواد أولية . وقد كان مجموع الفائض أعلى بأربع مرات مما كان يمكن في ١٩٧٨ كما بلغت نسبة التغطية ١١٢٪ . وتدل المبادلات بين الكتل على زيادة منتظمة مع أقطار الكوميكون التي تتلقى ٥١,٥٪ من الصادرات وتقدم ٥٢,٦٪ من المستوردات . ويكون الاتحاد السوفيتي رابحاً ولا سيا مع هنغاريا . ويكون وضع كوبا متقهقراً بسبب رداءة محاصيل السكر والتبغ . ومن ناحية أخرى فإن تباطؤ المشاريع الجماعية وتحديد صادرات الطاقة السوفياتية ، يفسران تحديد التقدم نحو هذه الكتلة . وابتداءً من منتصف عام ١٩٧٩ بدت ملامح استئناف النشاط التبادلي وتنسب الحصيلة النهائية ٢٩,٥٪ من الصادرات الكلية نحو هذه المجموعة مقابل ٣٥٪ من الاستيراد . وإجمالاً قفزت التجارة الخارجية مع الغرب من ٢٨٪ في ١٩٧٨ إلى ٣٢,١٪ في ١٩٧٩ . وتتأكد العلاقات نحو أوروبا ، التي تحقق ١٨٪ من المبادلات ، غير أن عجز السوق المشتركة ازداد مع أقطار السوق المشتركة . ولكن الميزان التجاري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة هو الأكثر اختلالاً ، وكذلك مع كندا واستراليا ونيوزيلندة (حبوب ولحم) أو مع اليابان (مكائن) . أما إذا أخذنا هذه الأقطار فرادى فنلاحظ أن المانيا الاتحادية تظل أول عميل أو ٥٪ وانتقلت فرنسا من المرتبة السادسة إلى المرتبة الثالثة بعد جمهورية ألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة . أما التجارة مع العالم الثالث فقد استأنفت نشاطها في ١٩٧٩ بعد ركودها في ١٩٧٨ وتمثل ١٢٪ من المبادلات وتكون مربحة للاتحاد السوفيتي مع فائض يبلغ ٣ مليارات روبل . أما في تركيب التيارات التجارية فيجب أن نلاحظ توسعاً في مادة « المحروقات والطاقة الكهربائية » التي تمثل ٤٢٪ من المبيعات . أما في الاستيراد فقد تناقصت حصة المكائن والتجهيزات نسبياً والتي تمثل إجمالاً ٣٨٪ من المجموع وذلك بالموازنة مع المستوردات الزراعية الغذائية والخامات والمعادن والمنتجات الكيماوية (زيادة بلغت + ٢٥٪) وهكذا كان عام ١٩٧٩ متصفاً بتطور هام في المبادلات مع زيادة كبيرة جداً في قيمة الصادرات من الوقود ومن الطاقة الكهربائية ويبدو أن المخططين لا يتوقعون ، في المستقبل المباشر ، نمواً تظاهرياً ولا انقلاباً جريئاً .

وتشير بعض التقديرات إلى أن إنتاج الذهب قد بلغ ٣٥٠ طن أو نصف إنتاج افريقيا الجنوبية . ويعتقد أن الاتحاد السوفيتي قد باع ٢٢٥ طناً للخارج مقابل ٤١٠ أطنان في ١٩٧٨ وأن

الدخل من وراء هذه المبيعات قد بلغ ٢,٥ مليار دولار . وتقدر قيمة المخزونات ٨٥ مليار دولار ، أو خمسة أضعاف ديون موسكو من العملة الصعبة تجاه الغرب .

وإجمالاً يمكن الكلام عن نوع من أزمة في الاقتصاد السوڤيتي : لأن مخزونات المواد الكاسدة تبدو عظيمة كما تفتقر الأسواق لبعض المواد الضرورية الأولية ، وتكون السوق السوداء نامية جداً في حين تتباطأ نسبة التنمية ، هذا كما أن مستوى الاستهلاك لم يتقدم خلال عام ١٩٧٩ . وتشير الصحافة وخطب المسؤولين إلى « إهمال ، سلوك غير مسؤول ، تبذير غبي » . ويعزى ذلك إلى « المركزية المفرطة في النظام القائم ، وإلى تباطؤ وتيرة نمو انتاجية العمل وأضرار إدمان المشروبات الغولية ، والافتقار إلى كفاية ، وإلى بلوغ النمو الديموغرافي السقف . إذن يقتضي الأمر اصلاحات عميقة ولكن هل تتماشى هذه الاصلاحات مع النظام ؟

صور اقتصادية للعالم في ١٩٨٠

دار سيدس

المراجع

لكتاب أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي

١ ـ رومانيا المعاصرة : المعهد الروماني للعلاقات الثقافية مع الدول الأخرى . دار ميريديان للنشر . بوخارست ١٩٧٥

٢ ـ رومانيا . دار ميريديان للنشر . بوخارست . ١٩٧١

3 - Roumanie. Géographie. Bucarest. 1974

Castellan Georges. ĹAlbanie. P.U.F. Que sais - je?. Paris 1980

George Pierre: U.R.S.S. Haute Asie, Iran. P.U.F. 1947

Dubsky Stanislas: Développement économique de le Tchécoslovaquie. Orbis. Prague. 1958

Eva Fournier: Pologne « petite planète « ed. du Seuil. Paris 1963

La Pologne: Des chiffres er des faits. éd « Polonia » Varsovie 1960

A vous de Juger. Réalités tchécoslovaques. Orbis. Prague. 1958

La Grèce d'Aujourd'hui. Direction de la presse étrangère Athènes 1968

P.Antropov: Les richesses du sous - sol de ĹURSS. éd. en langues étrangères. Moscou. 1956

D. Jimerine. Ĺéconomie de ĹURSS Aujourd'hui. éd. en langues étrangères. Moscou 1958

N. Baranski: Géographie économique de ĹURSS. éd. en langues étrangères. Moscou. 1956

La Pologne: la Documentation photographique. Paris 1960

Hongrie 73. éditions « Pannonia ». 1973

Andrzej karpinski: la Pologne dans l'économie mondiale éditions « Polonia » Varsovie. 1960

Marton Pécsi: Aspects régionaux de la géomorphologie hongroise. Montpellier. 1969

Roumanie: Guide encyclopédique. éd. Méridiane. Bucarest 1969

John cole: ĹU.R.S.S. Armand Colin Paris 1969

Mikhaïlov Nicolaï: Coup d'ail sur Ĺ.U.R.S.S. éditions en langues étrangères. Moscou 1960

La Pologne 1969. Chiffres et faits. éditions interpress. Varsovie 1969

La Pologne. Des chiffres et des faits. éditions « Polonia ». Varsovie 1958

Ciborowski Adolf: Varsovie. éd. « polonia » 1958

Swidzinska Natalia: la Pologne 1944 - 1969. Varsovie 1969

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر للمؤلف

الكتب المترجمة

مبادئ الجيولوجيا . بالإشتراك مع الدكتور يوسف الخوري . مطبعة جامعة دمشق . ١٩٦٢

الصخور الرسوبية : المجلس الأعلى للعلوم . دمشق ١٩٦٣

جغرافية التخلف . دار الطليعة ، بيروت . ١٩٧١

مبادئ الجيومورفولوجيا . دار الفكر . دمشق ١٩٧٤

مقالتان عن دمشق وسورية . الموسوعة البريطانية . شيكاغو ١٩٧٦

مقال عن ادلب . دائرة المعارف اللبنانية (٨) بيروت ١٩٧٥

دراسة المصورات الجيولوجية . مكتبة دار الأنوار ـ الحلبوني . دمشق ١٩٧٨

وصف أفريقيا للحسن الوزان (ليون الأفريقي) . المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول . الرياض ١٩٧٩

الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي . دار الفكر . دمشق ١٩٨٠

الرقة وأبعادها الاجتماعية : وزراة الثقافة . دمشق ١٩٨٢

بنية ومورفولوجية الشرق الأدنى : جامعة دمشق . مطبعة طربين . دمشق ١٩٨٤

جغرافية الجولان : اتحاد الكتاب العرب . تحت الطبع . دمشق ١٩٨٤

المعارك البحرية الكبرى في التاريخ : مركز الدراسات العسكرية . دمشق ١٩٨٤

الكتب المؤلفة

محافظة حلب : سلسلة بلادنا . وزارة الثقافة : دمشق ١٩٦٤

علم المناخ : مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٩

دراسات في جغرافية الدول الكبرى : بالإشتراك مع محمود رمزي . دمشق ١٩٧٠ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ دار الفكر . دمشق

جغرافية سورية البشرية : معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧١

المملكة المغربية : معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٢
الجمهورية التونسية : معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٣
أعلام الجغرافيين العرب . دار الفكر . دمشق ١٩٧٠ ، ١٩٧٩ و ١٩٨٣
الجغرافيا البريدية . المعهد البريدي العربي . دمشق ١٩٨٣
جغرافية الدول الكبرى : دار الفكر . دمشق ١٩٨٤
جغرافية أوروبا الغربية : دار الفكر تحت الطبع . دار الفكر . دمشق
جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي : تحت الطبع . دار الفكر . دمشق